موسوعة
تاريخ الإمبراطورية الفارسية
من قورش إلى الإسكندر

تأليف
بيير بريانت

ترجمة
مجموعة من المترجمين

المجلد الخامس

المجلد السادس



موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الاسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-424-173-8 (٧ مجلدات)
ISBN 978-614-424-178-3 (المجلد الخامس)
ISBN 978-614-424-179-0 (المجلد السادس)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الامبراطورية الفارسية

من قورش إلى الاسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا، إنديانا أيزنبراونز

المجلدان الخامس والسادس

الدار العربية للموسوعات

بيروت



الجزء الخامس

القرن الرابع ومكان إمبراطورية دارا Darius الثالث في التاريخ الطويل للأخمينيين التقييم المتوقع

الفصل السادس عشر

الاراضى والشعوب والمرزبانيات

نبذة عن العالم الأخمينى

1- مقدمة في خطى الإسكندر Alexander ومحاكمة دارا Darius :

مصدر أخميني آخر وهو مؤرخو الإسكندر Alexander :

قبل البدء في الفصل الأخير، والذي هو في رأيي المواجهة بين دارا Darius الثالث والإسكندر Alexander ، أود أن أتوقف لدمج وتوحيد الحقائق والمفاهيم والنظريات التي قدمت في الفصول السابقة، وتتوالى الأسئلة نتيجة لإسهامات مجموعة كاملة جديدة من مؤرخي الإسكندر Alexander القدامى؛ لذا فقد تعمدنا تحديد استخدام هذه الإسهامات فيما عدا أبواب الفصل الثاني، والمكرسة نسبيًّا للمفاهيم الراسخة للعادات الفارسية، فنحن نعتبر أن «الراسخ» من الأشياء هو الذي يشكل الأسس الأولية للمفاهيم الأخمينية الملكية، سواء كانت فضيلة ملكية، أو تمثيلاً للحكم الإمبراطوري، أو للحياة والناس في البلاط، فكل هذه المفاهيم المتضمنة في النصوص التي يرجع تاريخها إلى دارا Darius الثالث ترجع إلى «عادات الأسلاف» ديودورس Diodorus 17. 34. 6 ؛ 35. 3 كوينتوس كيرتس Quintus Curtius ، وهناك مثالان من الممكن أن يوضحا هذه النقطة: أ المخطوطة الشهيرة المذهلة لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3. 3. 8-25 عن الموكب الملكي قبل حرب إيشوس

والتي تشبه إلى حد ما المخطوطات المماثلة التي زودنا بها زينوفون Xenophon من قبرص، وهيرودوت Herodotus منكسركسيس Xerxes انظر: فصل 5/4. ب المخطوطة الثانية لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius 25-17 .6 التي يمكن دمجها في مرحلة ما قبل التحليل الدقيق في المناقشات عن الغزوات الملكية، حيث توجد عندنا كل الأسباب للاعتقاد بأنها أساساً لم تتغير من حيث الأساس أو التنظيم.

وهناك موضع واحد يقارن فيه كوينتوس كيرتس Quintus Curtius دارا Darius الثالث بكسركسيس من حيث الطرق المستخدمة من قبل الملوك العظماء لحصر وترقيم أفراد الجيش الملكي 3. 2. 2، وهذا المثال لا يجب أن يقودنا إلى الاعتقاد بأن العادات الملكية كانت ثابتة بالكامل؛ لأن مقارنة كوينتوس كيرتس Quintus Curtius لا تلزم بالضرورة التاريخ الحديث بالنتائج نفسها؛ ولأنها لا تعبر عن ركود عام في البروتوكول الملكي الذي -مثلما رأينا- قد دخلت عليه التعديلات بمرور الوقت أكثر من أية شخصية واضحة أو مكررة في المخطوطات الملكية، والتي من الممكن أن تقودنا إلى استنتاج عدم تغير شيء بين قورش Cyrus ودارا Darius الثالث، فقد لاحظنا -على سبيل المثال- أن هذه الابتكارات أو التعديلات قد قدمت في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الفصلان 14/1، 15/8.

ومن ناحية أخرى، فإن المصادر التي يرجع تاريخها إلى عهد الإسكندر Alexander ، والواقعة لمدة طويلة خلال القرن الرابع، هي ذات قيمة وأهمية كبيرة بالنسبة لنا في محاولتنا لتحديد وضع الإمبراطورية الأخمينية أثناء فترة حكم دارا Darius الثالث، وبالطبع، ومثل المؤلفين اليونانيين في القرن الرابع، نقل مؤرخو البلاط أحياناً

صورة مشوهة عن القاهر والمقهور، وسنعود إلى هذه النقطة عدة مرات، وسنرى أن -في بعض الحالات- المعلومات المقدمة من بعض الكتاب الهلينيين يجب أن تحاط بالحظر من جانب كتاب القرن الرابع.

وعلى سبيل المثال، فقد طلب منهم الحرص عندما تناولوا شعوب زاجروس غير المشهورة، والذين يعرفون باللقب المصغر الشامل «اللصوص الهمجيون»، أو بشكل عام عند محاولتهم مقارنة الراكد الأخميني بالتجديدات المستحدثة من قبل الإسكندر Alexander العمل في الأنهار والقنوات البابلية.

والسبب الرئيس في ذلك هو أن الأيديولوجية المستحدثة من قبل رفاق الإسكندر Alexander متماثلة مع ما كتب في كتابات مؤلفي القرن الرابع، ولكن المسؤولية أيضاً تقع على عاتق المؤرخ الذي يقرأ هذه المخطوطات ويستخدمها، وفي الواقع، فإن العديد من التفاصيل المروية من قبل الرواة القدامى يمكن أن تفهم فقط عند وضعها في المدى الطويل من التاريخ الفارسي.

وهكذا، يقرر تاريخ الإسكندر Alexander الأصل الأخميني الذي يلقي الضوء على التاريخ الأخميني، والذي بدوره قد ساعد المؤرخين على فهم معنى وأهمية المعلومات التي يمدوننا بها، وكمثال صغير، فمن الواضح أن مخطوطات آريان Arrian وكوينتوس كيرتس Quintus Curtius لدخول الإسكندر Alexander سارديس Sardis ، وبعد ذلك بابل، واللذين أخذا معناهما التاريخي الكامل فقط عندما وضعا في سياق «الغزوات الملكية» الشهيرة بداية من العصر الأخميني والعصور الأقدم على حد سواء، وهذا المنظور الأخميني كان له أثر في هدم الفهم التقليدي لهذه المعلومات عن العلاقة التي أقامها الإسكندر Alexander مع البلاد المغزوة.

وبخلاف هذه التحريفات التي سمح النص الأخميني لنا باختبارها،

وبالتـالي تصـحيحها، فمؤرخـو الإسـكندر Alexander بلوتـارخ Plutarch ، آريـان Arrian ، كوينتوس كيرتس Quintus Curtius ، ديودورس Diodorus ، جوسـتين Justin ، وآخرون، كـلاً عـلى طريقتـه عـدلوا إلى حـد كبـير مـن طريقـة نظرتنـا إلى الإمبراطورية لعدة أسباب بسيطة، منها: أولاً: تتبع خطوات الإسـكندر Alexander خطوة بخطوة. ثانياً: وصولنا إلى محاكمة دارا Darius الثالـث، وقيادتنـا لاكتشـاف أعلى شمال البلاد، والتي لم يتحدث عنها الكتاب الكلاسيكيون ما عدا مسيرة قـورش Cyrus من ساردیس Sardis إلى بابل، وعودة المرتزقة اليونانيين من وادي تيجريس والبحر الأسود عن طريق جبال أرمينيا وبيثينا وبابلوجونيا.

وفي ذلـك الوقـت، حـوصرت كـل مرزبانيـة تقريبـاً، وبالتـالي، فقـد أخـذ العـالم الأخميني في الاتساع قلباً وقالباً لدرجة أننا عجزنـا عـن اكتشـافه أو اختبـاره منـذ دارا Darius الأول بسـبب وفـرة وتنـوع الأدلـة منقطعـة النظـير طـوال القـرنين الرابـع والخامس، وعلى سبيل المثال، كان يكفي استرجاع أن رفاق الإسكندر Alexander كانوا هم أول من أعطوا المخطوطات المكتوبة عن برسيبوليس وباسارجاداي، كما أن السهل الإيراني ووسط آسيا لم يعودا أرضاً مختفية، وبالطبع سيفضل التاريخ الحديث الحصول على مصادر مفصلة بشكل أكبر، حيث إنه من الحقيقي أن المعلومـات المـأخوذة مـن كتاب القرن الرابع تمكننا من القيام بجولة في كل أملاك الملك العظيم من وجهة النظر الجغرافية والبيئية والأنثروبولوجية في آن واحد حتى إذا ما أخذت آسيا الصغرى امتياز المكان مرة أخرى، ولأول مرة منذ هيرودوت Herodotus 7-9 .

وبفضل هذه الموارد نسـتطيع -عـلى سـبيل المثـال- أن نصـنف مـن الذي كان من صفوة الإمبراطورية، ومن الواضح وجود وجه آخـر لهـذه العملة، بمعنى تتبع المؤرخين لجيش الغزاة وتمجيد ذكراه، وبحد أقصى، فقد ظهرت مملكة دارا Darius فقط كـوهم أو حلـم لا سـبيل إلى

تحقيقه والذي لم يقدم أكثر من حصن ضعيف واهن ضد التقدم الفيكتوري للجيش المقدوني، وبالتالي فإن المخطوطات كانت غير متماثلة من منطقة إلى أخرى بالنسبة للعقبات المباشرة التي واجهت الإسكندر Alexander ، فنحن -على سبيل المثال- نحصل على المعلومات الضئيلة فقط عن كابادوكيا وأرمينيا، والتي تقيس بوجه عام المرزبانات المتبقية في بارتيباس، بينما تمنح التفاصيل القائمة خلال عدة أسابيع من صوصا Susa وبرسيبوليس مذكرات قيمة عن الحصون والقلاع والبوابات .

وعلى وجه الخصوص، فإن هذا حقيقي بالنسبة للسهل الإيراني، ووسط آسيا، والوادي الإندوسي، وعندما استولى الإسكندر Alexander على آريا وآراخوسيا وباكترا وسوجديانا كان دارا Darius الثالث قد توفي، ولم يثر الإعلان الملكي لبيشوس مشاعر الموالين للأخمينية كما توقع، مما أدى إلى غلبة الانطباع بأن السيادة الفارسية في تلك المناطق كانت ضعيفة، وهذا بدوره دعم استنتاجات معينة، والتي -أحياناً- استشفت من صمت المصادر الكلاسيكية، ولكن، هل كان الشعور بالخطر من قبل باكترا وسوجديانا عند غزو الإسكندر Alexander لهما انعكاساً للموقف السائد من قبل؟ فهذا المثال يوضح إحدى الصعوبات الرئيسة عند استخدام مصادر الإسكندر Alexander ، فجلب حالات أخمينية لدائرة الضوء أحياناً ما تمثل مشكلة بسيطة، حيث إنه في كل حالة لا نستطيع افتراض وجود اتصال كامل بالماضي.

والخلاصة، أنه بمقارنة المصادر الهلينية البابلية، المصرية، اليونانية، الخ بالمصادر اليونانية في القرن الرابع، فإننا نجدها غنية -على نحو استثنائي- بالمعلومات الأخمينية، ولتأكيد ذلك، لا يوجد لدينا نقش ملكي واحد، ولا بناءً موحداً نستطيع التعرف عليه، ويمكن أن ينسب بشكل مؤكد لدارا Darius ولا حتى في مقبرة غير كاملة ببرسيبوليس، شكل 46، ص735، ولكن هناك العديد من النصوص والرسومات من

آسيا الصغرى ومصر وساماريا، بالإضافة إلى البابلية تكبر وتغني الجسد، وتثبته بأساس منطقي، وبعيداً عن التناقض، من الممكن القول بأن فترة حكم دارا Darius الثالث هي مؤرخة جيداً بالتحديد، فالاستهانة التي تعرض لها آخر ممثلي السلالة الأخمينية الحاكمة ليست بالتالي انعكاساً تلقائيًا نظراً لفقر الأدلة لدينا، فهي في الأساس نتاج اللامركزية الطليقة التي اعتمد عليها علم التاريخ الحديث لفترة طويلة، فهذا الترسيخ ليس نابعاً من تقليد المقدونيين لحاشية الغازي، ولكن من التركيز الزائد على زعيم واحد من الزعماء، والذي بالتالي ظهر مسافراً خلال إمبراطورية ليس لها وجود منذ البداية.

الوسائل والأهداف:

المشكلة معروفة جيداً، فدارا Darius الثالث دائماً ما يمثل بالملك الضعيف الذي حكم بضعف إمبراطورية تحتضر، وغير قادر على الاعتماد على إخلاص مرزبان، أو على ما يستحق أن يسمى جيشاً، أو على شعبه الذي عانى من عبء مالي لا يحتمل، والذي ببساطة أصابه الركود الاقتصادي بعد ذلك، فمجل التفسيرات تميل إلى خلق ما هو معروف بـ «الأقدام الطينية العملاقة»، ونعرف أن الصورة تأتي مباشرة من مؤلفي القرن الرابع اليونانيين الجدليين، وهذا ما أخذ وكبر من قبل علم التاريخ للاستعمار الأوروبي، فقد سنحت لنا العديد من الفرص بمناقشة وجلب المشكلة المحددة المتوقفة على استخدام هذه الملفات، ونجاحهم في علم التاريخ الحديث على حد سواء، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يجب علينا استنتاج أن التفسيرات اليونانية تزيف الصور بشكل عام، فمشكلة تتبع التغيرات الداخلية التي من المؤكد أن بنية الإمبراطورية الأخمينية قد مرت بها، وبقيت منذ دارا Darius الأول، فهذا التقييم يحمل على عاتق الفصلين 16، 17 اللذين يوازيان الفصول السابقة، والتي تقيم الإمبراطورية خلال عصري دارا Darius وكسركسيس الفصلان 5،

13، وما بينهما هو تقييم جزئي مدعم، وبخاصة في مجال السلطة الإقليمية للملوك العظـام، فمـن اللائـق الآن التوسـع والامتـداد في مختلـف الاتجاهـات: الأراضي والشـعوب فصـل 16، وأدوات السـلطة فصـل 17، فهـذا تقيـيم منظـوري لهـذه الاتجاهات المختلفة، حيث إنها ستناقش مرة أخرى في السياق في الفصل الأخـير 18 الذي سنحاول من خلاله بشكل محدد أكثر فهم لماذا تم غـزو الملـوك العظـام مـن قبل الإسكندر Alexander ؟ وهذا التقييم المتوسط يكون بالتأكيد لا مفر منـه إذا أردنا تجنب الدائرة الفاسدة المعروفة، فقد تـم غـزو الإمبراطوريـة؛ لأنهـا كانـت في أزمة بنيوية عميقة نهاية الإمبراطورية الأخمينية، وهذه الأزمة قـد انتهـت وأكـدت بالهزيمة.

المصادر والمشكلات:

إن أغلب المعلومات التـي لـدينا عـن المنظومـة الإداريـة للإمبراطوريـة هـي بخصوص فترة حكم دارا Darius الثالث والمملكة المقدونيـة اللاحقـة، فـأول قائمـة كاملة للمرزبان، كما هو مدون عند وفاة الإسكندر Alexander ، ويرجـع تاريخهـا الديودوشي، ففي قطعة شهيرة، والتي هي جزء من النقاش الجغـرافي أن ديـودوشي قد قسـم المرزبانيـة إلى «المنحـدر إلى الشـمال»، و«المنحـدر إلى الجنـوب» 18. 50، والأكثر فائدة هي قـوائم المرزبانـات، كـما كـانوا مقسـمين ضـمن رفقـاء الإسـكندر Alexander في 323، 320 مثال: 18. 3. 1-2، فكل هـذه الملفـات مشـوقة للغايـة، وسنستخدمها، ولكنها ليست كافية، ففـي الواقـع، هـي لا تعكـس بـالضرورة حالـة الوضع الدقيقـة في 334، فالإسـكندر Alexander كـان قـد قـام بـبعض التغيـيرات، وكذلك بيردياكاس، ففي 323 -على سبيل المثال- تشاور مـع إيـومينيس عـلى أراضي أنطاليا التي لم تنضم بعد للإسكندر Alexander 18. 3. 10 .

وهنـاك نصـوص وكتابـات أخـرى تـدعم بشـكل أكـثر معلومـات ضروريـة

تسمح لنا بالرجوع إلى الأوضاع القديمة لملابسات تتويج دارا Darius الثالث، أولاً: هناك بالطبع الأقاويل التي تتبع الإسكندر Alexander خطوة بخطوة، ودائماً ما تذكر اسم المرزبانات في العمل وفي المنطقة، أو في المناطق التي أحكموا سيطرتهم عليها. ثانياً: لدينا تعبئة الجيوش التي أمر بها دارا Darius الثالث، ففي المعركة مع كرونيكوس نجد أن الفرق التي كان يقودها مرزبانات آسيا الصغرى في إيشوس قد انسحبت من وسط وغرب الإمبراطورية بجواجاميلا، ونجد أن الجند المغيرين أصبحوا بعيدين كل البعد، مثل الهند آريان Arrian 3. 8. 3-6 * .

فهذه القوائم وضعت عدة مشكلات في التفسيرات، حيث ظهرت تعارضات واضحة من قائمة لأخرى، وليس من السهل دائماً الوصول في تلك التعارضات إلى قرار، فعلى سبيل المثال، عندما وصف آريان Arrian قرار الفرس بخوض المعركة في جواجاميلا 3. 11. 3* بلغ أن أرسطوبوليس Aristobules قال لهم إنه قد تم الإمساك بالملف الحامل للقرار بعد أن سحبه دارا Darius ، بالإضافة إلى أنه، ومرة أخرى في سياق الوحدات العسكرية الآتية لدارا Darius قبيل معركة جواجاميلا، فإنه ليس من المؤكد أن الشخص المسمى بقائد الكتيبة يجب تلقائيًا أن يخطر مرزبان الإقليم بقرار سحب الجنود، وفي بعض الحالات يدعوهم آريان Arrian بالمرزبانات ساليبارزانيس، وبارسانتس، وبيشوس، وفي حالات أخرى كثيرة استخدم العبارة التي تشير مبدئيًا إلى وضعهم كقادة للكتائب أجين-أرخين، 3. 8.3-6، وفي حالة واحدة أخيرة مرزبان صوصا Susa ، ولكن ابنه أوكساثريس الذي أمر بقيادة الكتيبة للمرزبان، وأحياناً نصوص موازية تسمح بتفسير الغموض 3. 23. 7.

وعلى أية حال، لا يمكن أن يفيد المسح العام على الإمبراطورية بترقيم بسيط للمقاطعات، فمن المهم الإلمام بالبيانات المتزامنة عن

الموارد المادية والبشرية المتاحة للمكل العظيم، ولهذا الغرض أعطى المرزبان معلومات حيوية عن كل من الممتلكات وجغرافية الإنسان في بعض أراضي الشرق القريب، حيث يمثل تقريره هذا بالطبع حالة من الشؤون المتأخرة، وكان سترابو Strabo عادة ما يضع بياناته بالترتيب الزمني، وعادة ما يدعم أيضاً بعض الأشياء المادية وخاصة المؤرخة لفترة ملك الأخمينيين، وهناك العديد من الموارد الأخرى الأدبية والأثرية والمنقوشة والتمثيلية مؤرخة من عصور مختلفة، من القرن الرابع للعصر اليوناني-الروماني، والتي تسمح لنا بملء الصورة، وبالأخص للناس الذين عاشوا في الإمبراطورية، وبالاتصالات التي قامت بينهم، وبالتالي السماح لنا بوضع كل هذه المعلومات في الفترة الطويلة، وباتباع خطى الإسكندر Alexander ، فقد وصلنا من الغرب إلى الشرق، بمعنى من الأفقر فهماً إلى الأكثر فقراً في البحث، ويتسبب عدم التساوي في انتشار البيانات، فتكون تلك الاعتبارات ذات أهمية كبرى، وعلى أية حال، فهدفنا هنا ليس تحديد تقييم إقليمي مرهق، والذي سيتطلب كتاباً قائماً في حد ذاته، ولكن لعزل دمج البيانات التي ستسمح لنا بفهم حقيقة سلطة الأراضي الأخمينية ما بين أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ودارا Darius الثالث.

2- مرزبانية داسيليوم:

مثل العصور السابقة، كان مكان إقامة المرزبان في داسيليوم على حافة بحيرة مانياس التي كانت منفتحة للعبادات على طريقة فينداكوس هل، أوكسير، 22. 3. 4-3، فقد كانت محمية بحصن خوريون أوخيرون، 22. 3، المحمي والشهير بالفردوس الأعظم، ومزودة بالأسمال والألعاب، حيث استمتع بها فارنابازوس Pharnabazeus كثيراً زينوفون Xenophon ، هل، 4. 1. 15-16.

المرزبان أرسيتيس Arsites :

مـن الممكـن أن يكـون أرتابـازوس Artabazeus قـد ذهـب كلاجـيء إلى الـبلاط المقـدوني، والـذي تـم نفيـه بعـد ثورتـه المجهضـة ضـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث في منتصـف عـام 350 الفصـل 15/9، فـإذا تتبعنـا بحـرص المناظرة بنص ديودورس Diodorus عن عمليات منتور بآسيا الصغرى بعد غـزو مصر ثانية 16. 52، فيتضح أن مهمته كانت محددة بإعادة العلاقات مع مرزبـان داسيليوم إلى طبيعتها، وكان هذا في إطار معاركه مع هيرمياس، ومع قبائل أخرى محليـة في الـترود والآيلـويس الفصـلان 9-10، وقـد تـم اسـتدعاء أرتابـازوس Artabazeus وممنون، وكل ذريتهما الكبيرة مـن المنفـي، ولم يسـتعد أرتابـازوس Artabazeus مكانته في داسيليوم، ولكنه أصبح ذا أثر عـلى الملـك العظـيم، كـما أنه تمتع بمكانته العالية بجانب الملك العظيم في ترتيب الـبلاط الملـكي آريـان 3. 23. 7 Arrian ، وفي الوقت ذاته بقيت العائلة مستقرة بقـوة في الإقلـيم لسـبب واحد، هو أن أرسيتيس Arsites نفسه من الممكن أن يكـون قريبـاً لـه، ولسـبب آخر، فنحن نعرف أن ممنون كان يملك أراضٍ وعقارات في ترود في 334 بوليانوس Poleianos 15 .3 .4 ، آريـان Arrian 8 .17 .1 خـارا، فمـن المحتمـل أنـه قـد استلمهم من أخيه منتور كمكافأة، وأن أرتاكسركسيس Artaxerxes قـد اختفـى من الساحة بعد انتصاراته، وفي هذه الحالة، فإنه من المشوق أن نسجل أنه عنـد وصول أحد أتباع الإسكندر Alexander إلياس للمعبد المقدس بأثينا، قبل معركة كورنيكوس، ونلاحـظ أنـه أمـام المعبـد يوجـد تمثـال لأرتابـازوس Artabazeus ، والـذي يمثـل مرزبـان فريجيـا سـابقاً، ممـداً عـلى الأرض ديـودورس 17.17.6 Diodorus ، ولكسركسيس هيرودوت Herodotus 7.43 ، فقـد تمـت التضـحية بأرتابازوس Artabazeus كقربان للآلهة، ولكنه ذهـب بعيداً بوضع تمثـال هنـاك،

وبالتالي يعتبر موضعاً يونانيًّا مقدساً تحت رعاية الآلهة، وفي الفقـرة يعطـي تعزيـزاً لنفسه، كما اعتنى بتمثاله أيضاً في تعليم الأرض ترود والذي دائماً ما ادعـى أسـلافه في داسيليوم بامتلاكها ضد طموحات مرزبان سارديس Sardis .

إلى جانب كونهم مسؤولين عن التزويد بالمؤن، كانت تلقى على عاتق مرزبان داسيليوم مسؤولية رعاية جزء من ميسيا، والتي من الجـائز وقوعهـا تحـت سـلطة نائب الحاكم، أو ولمرة واحدة مرزباناً من جنسه أورنتوس Orentus فصـل 5-15، وكان البافلاجونيون أيضاً تابعين لداسيليوم، وكـانوا مشـهورين بفرسـانهم زينوفـون Xenophon ، أناب Anab، 8 .6 .5، حيـث قـدموا فرقـة تمـثلهم لقـورش Cyrus الأصغر ديودورس Diodorus 14. 22. 5، 1 .8 .5، وفي 334 وضعوا أنفسهم تحت أوامـر المرزبـان أرسـيتيس Arsites ديـودورس Diodorus 17. 19. 4 ، ووفقـا لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius وآريان Arrian ، فقد أرسـل البـافلاجونيون بسـفير إلى الإسـكندر Alexander أثنـاء إقامتـه في أرسـيرا، وهـي مدينـة بجانـب كونجرا، والتي من المعتقـد أنهـا كانـت عاصـمة نائـب الحـاكم في بافلاجونيـا، كـما عرضوا خضـوع شـعبهم، وطلبـوا مـن الإسـكندر Alexander عـدم غـزو بلادهـم، وأمرهم الملك بوضع أنفسهم تحت سلطة كالاس والذين أسماهم «التابعين لمرزبان فريجيا» بدلاً من أرسيتيس Arsites قبل ذلك بشـهور آريـان Arrian 2. 4. 1-2 ، كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 24.1 و17. 1 .

وأضاف كوينتوس كيرتس Quintus Curtius أن البـافلاجونيين قـد أرسـلوا رهـائن إلى الإسكندر Alexander ، وحصلوا على حريتهم مع الالتزام بدفع جزيـة، والتـي لم تكـن تسلم حتى للفرس 1. 23*، بينما أمر الملك سكان الأراضي الواقعة تحـت حكـم أرسـيتيس Arsites بدفع بعض الضرائب التي كانت تدفع لدارا Darius ، ومن بـين هـؤلاء السـكان

الأصليون القادمون من الهضاب آريـان Arrian 1.17.1 *، وهـذا التفسـير يصـعب تأكيده لعدم وجود معلومات عن الإقليم لدينا بعد الأحداث المتعلقة بسـير حملـة أجيسيليوس وداتاميس العسكرية ضد ثايوس، ومع ذلك، فإنه من المشكوك فيه أن البافلاجونيين الذين بعثوا فرقة تمثلهم لكالاس أصبحوا يدفعون الجزية في عام 334، فمن الواضح إشارة كوينتوس كيرتس Quintus Curtius للحقيقة المعروفة من أن البافلاجونيين الذين لم يـتم غـزوهم مـن قبـل الإسـكندر Alexander كـانوا ضـمن الدول غير الخاضعة في 323 ديودورس Diodorus 18.3.1 ، وفي نظر مؤلفي القرن الرابع اليونانيين دائماً ما كان يعتبر الإقليم مسـتقلاً عـن الفـرس، وهـو تعمـيم مـن الواضح أنه غير ملائم، وخلال الهجوم المضـاد للفـرس بعـد معركـة إيشـوس كانـت بافلاجونيـا إحـدى القواعـد الجديـدة المسـتخدمة مـن قبـل قـادة دارا Darius كوينتـوس كـيرتس Quintus Curtius 34.1.4؛ 5. 13، واكتشـاف نجـدة الفـرس اليونـانيين في المنطقـة شـكل 55 يـدل عـلى وجـود إمبراطوريـة دياسـبورا، وزواج بافلاجونيا من كويسـاريس والـد داتـاميس نيبـوس Nepos ، دات. 1-3، وترتيبـات سـبيثريداتيس الخاصـة بـالزواج زينوفـون Xenophon ، هـل 4. 1. 4-5 تـرجح في ذاتها أن الاتصالات كانت مرتبطة وقريبة إلى حد ما بين ممثلي إمبراطورية ديسبورا والأرستقراطيين البافلاجونيين .

وكانت البلدة الأساسية على الساحل هي سينوب، والتي لهـا عـدة مـدن تابعـة لهـا، وهـي: كوليـورا، وسـيراوس، وتروبـازوس زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 22.8.4؛ 5. 3. 2؛ 5. 53، وسينوب لها ميناء غنـي وشـهير؛ لـذلك كانـت مفتوحـة عـلى مصراعيها على البحر، وكانت البلدة متصـلة بشـكل كبـير بـالجزء الخلفـي مـن البلـد، وكانت تصدر مواردها من الأخشاب سترابو Strabo 12.13.12، كما تصـدر لكبادوكيـا عـن طريـق سـينوب، ووضـعت مقولـة آيزوكـراتس امتـداد علاقاتهـا التجاريـة،


الشكل 55

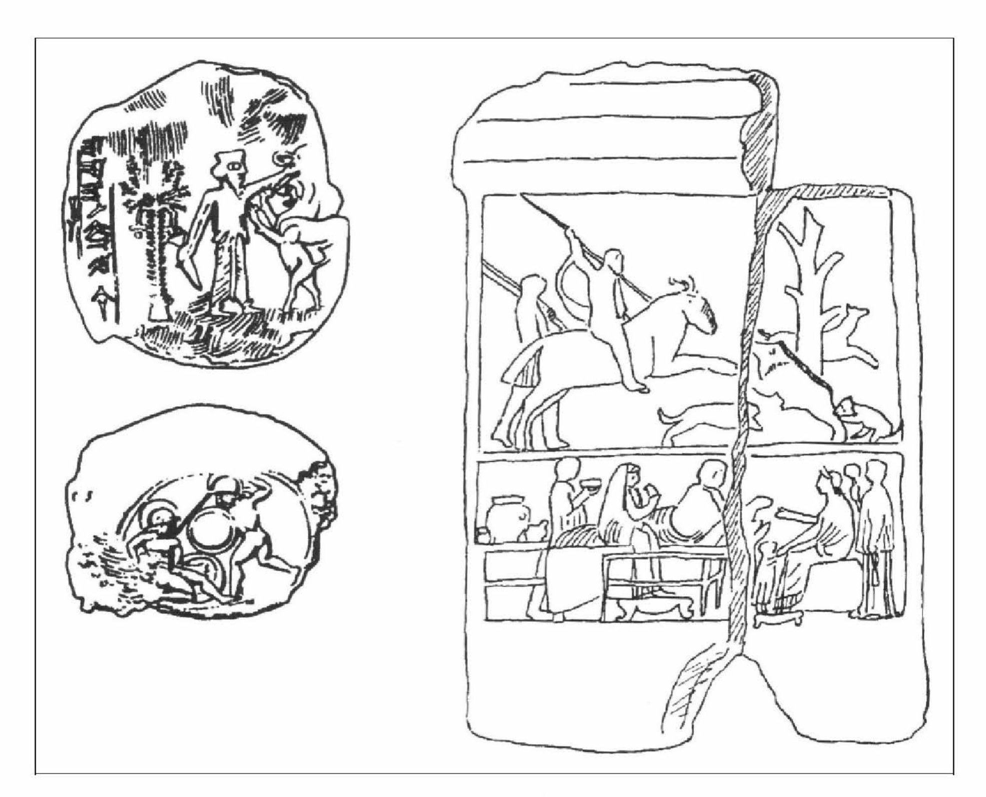
وأيضاً جنوب آسيا الصغرى آسـيا مـن سيسـيليا إلى سينوب: 120. فيل، وبـرهن عـلى ذلـك أيضـاً اكتشـاف العملات، وفي سـينوب أيضـاً امتلـك المتمـرد داتـاميس عملات مسكوك عليها اسمه في حـوالي 332، كـما أصـدر بعض القادة الفرس عمـلات هنـاك بالأسـاطير الأرمانيـة، وبـين 330 و334 ظـل سكـان سـينوب يعتبـرون أنفسهـم رعايـا دارا Darius آريـان Arrian 3.24.4؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 6.5.6، حيـث لم يعتـبروا مـن قبـل الإسـكندر Alexander جزءاً من الأسطورة اليونانية.

ودعونا ندون أخيراً أن الأسماء الشخصية الإيرانية تظهر دائماً ضـمانات تـدل على امتلاك الصفوة من المدينة.

وكانت بيثينيا -وهـي بلـدة أخـرى واقعـة عـلى سـاحل البحـر الأسـود- في الأساس تابعة لداسيليوم، حيث تقع غرب بافلاجونيا، ومن أشهر مـدنها هاراكليـا التـي تقـع في أراضي مارينديـديونس سـترابو 9 .4 .3 .8 Strabo ؛ زينوفـون Xenophon ، أناب 1 .2 .6 Anab ، ونعرف القليـل عـن العلاقـات بـين القـواد الباثينيين ضد المرتزقة اليونانيين أناب 24 .4 .6 Anab ، ولكن، وفي ظروف أخـرى نجد أن فارنابازوس Pharnabazeus نفسه في حربه مع البـاثينيين هـل 3. 2. 2، فمن المؤكد أن العلاقات مع مرزبان داسـيليوم كانـت غـير مسـتقرة ومتناقضـة، مثل العلاقات بـين داسـيليوم ومختلـف قـادة بافلاجونيـا فصـل 5-15، وفي عـام 334، تم حكم الإقليم من قبل الأمير المحلي باس، بينما قاد كالاس وهـو مرزبـان

داسيليوم المقدوني حملة غير ناجحة ضد باس، حيث لقي كالاس حتفه، وقد ظفر باس بابن كالاس المدعو زيبوثيس، ودائماً ما أظهرت هيراكليا ولاءً كبيراً للسلطة الأخمينية، ففي القرن الخامس رفض سكان هيراكليا دفع الجزية للأخمينيين في البداية، وذلك نتيجة لصداقتهم لملوك الفرس جوستين Justin 16. 3. 9 ، وبعد ذلك استسلموا للتهديدات الأثينية، وفي حوالي عام 364 استولى كليرخوس على السلطة بمساعدة قوة بقيادة ميثراكليتيس، وهو ابن أريوبارزانيس -مرزبان فريجيا- وجدد سياسة الحلف التقليدية مع السلطات الأخمينية، كما هو واضح على الخصوص بإرسال عدة سفراء إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأكدت فارسيته باكتشاف رسم منحوت على الطريقة الفارسية، والذي من المحتمل أنه يمثل الحاكم نفسه، كما أنهم لم يحدثوا خلفاء كليرخوس بسياسته حتى بعد الانتصار على الجرانيكوس، طبقاً للمؤرخ المحلي ممنون، فقد ربحت ديونيسيوس الهيراكلية حقيقة من معركة جرانيكوس شكل 434، فالمطالب المقدمة للإسكندر Alexander من قبل سكان هيراكليا من الواضح أنها لم تجد إلا أذناً صماء .

وكانت ساحة استرابال بداسيليوم بالتأكيد مفتوحة على مصراعيها للتأثير اليوناني لعدة أجيال، وهذا قد أثبت بفصاحة من قبل العديد من اليونانيين-الفرس مثل ستيلاس وبولاس وسيلس شكل ج-أ 56، وعند هذه النقطة، لا نستطيع منع أنفسنا من ذكر أنه في حوالي عام 360 تزوج المرزبان أرتابازوس Artabazeus من شقيقة الإخوة روديانس، ومنتور، وممنون، وقد أثمر هذا الزواج عن أحد عشر ابناً -من ضمنهم فارنابازوس Pharnabazeus الذي حارب بجوار خاله ممنون في موقعة آسيا الصغرى عامي 333 و334 قبل أن يصبح قائداً للعمليات البحرية- وعشر بنات، وكانت إحدى البنات تدعى بارسين، والتي أصبحت رفيقة للإسكندر Alexander ، وأنجبت له هرقل Hercules المشهور، وطبقاً لبلوتارخ



الشكل 56

Plutarch أليكس Alex 21.9 * وقد تم توجيهها لتعلم الإغريقية، ومن الجدير بالذكر أن أرتابازوس Artabazeus كان حفيداً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول.

3- من ساردیس Sardis إلى إيفيسوس:

كانت ساردیس Sardis عاصمة لمرزبانية ليديا، وهي على حدود فريجيا، وظلت المنظومة الإدارية للمرزبانية تواجه المشكلات التي يصعب حلها، وعلى الأخص الاسم المنسوب إلى أراضي سبيثريكلاتس وهو مرزبان ليديا ولونيا، فمنذ بداية القرن الرابع، وأينما وجد نقش يشير

إلى مرزبان لونيا تود 113 لتكون العلاقات المحددة التي تـربط المحتويـات بعيـدة كل البعد عن الوضوح، ففي عـام 334 تلقـت أسـاندروس المقدونيـة ليـديا وبـاقي مقاطعة سبيثريداتيس أرخ، آريان Arrian ، الفصل 18/2، 1. 17. 7، وفي عـام 334 تغلب المرزبان سـبيثريداتيس سـبيثريداتيس، ديـودورسDiodorus 17.19.4 عـلى والده فوسـاكيس الأول في تـاريخ مجهـول، وكـان الأخـير منحـدراً مـن سـلالة أحـد السبعة، والذي قد أسر في الحملـة العسـكرية المصريـة في عـام 343 مرزبـان لونيـا وليديا 16. 47. 2، كما ساعد الابن الآخر فوساكيس الثاني سبيثريداتيس في أرضه 17. 20. 6، كما كانت الحامية تحت قيـادة ميثرينـيس الـذي سـلم القلعـة والكنـوز إلى الإسكندر Alexander بعد عدة أسابيع قليلة مـن معركـة جرانيكـوس، وكـان هـذا مبعوث الإله الحقيقي للمقدونيين، حيث عرف كل شخص أن عليه تحصـين الموقـع آريان Arrian 1.17.3.8، كما حصل الفرس على حارس قـائم عـلى جبـل تيمـولاس سترابو Strabo 13.4.5 ، وتمركز هناك، والعديـد مـن المسـتعمرات العسـكرية مـن أصول متفرقة كما هو من ضمن أشياء أخرى، مشهور بوجود سهل هيراكانيان الذي سمي كذلك نسبة إلى السكان المقيمين هناك .

وتزودنا الأدلة المتاحة بقـدر كبـير -إلى حـد مـا- مـن المعلومـات عـن عمـق واتساع الاتصال الثقافي الداخلي في ليديا ولونيا، وهذا ما أشار إليه بطريقته، وصف بلوتارخ Plutarch في إيفيسـوس في عـامي 405، 407، وقـد وجـد الوصـف داخـل مناقشة ناقدة للغايـة لليسـاندر وسـبارتان الـذي اتهـم بتقليـد سـلوك المرزبانـات: «لكونك في إيفيسوس، ولوجود مدينة يميل شعبها إليك، ومحببة إلى نفسـك، ولكـن في الظروف السيئة، وفي أوقات الخطر سوف تصـبح بربريـة بتقليـد سـلوك الفـرس الذين تفاعلوا فيما بينهم، حيث تقع ليديا على حدودها، ويتمركز قادة الملك هناك منذ فترة طويلة» ليس 3. 3 .

وتكون القطعة مشوقة على غير المألوف، حيث تناقش الحياة اليومية، فمن السهل تخيل أن الوجود الدائم والأساسي للفرس أدى إلى تقريب وتلاقي الثقافات الداخلية من النوع الذي حزن من أجله بلوتارخ Plutarch ؛ لأن -من وجهة نظره- هدد هذا التلاقي المدن الهلينية قارن: أجيس 3. 9، وفي مناقشة ازدرائية أخرى ندد ديموقراطيس بالشخصية المخنثة لمواطنيه، والتي بالأخص برزت في ثراء ورفاه ملابسهم ذات الألوان الزاهية، والمزخرفة بصور الحيوانات، ومن ضمن هذه الملابس حدد ديموقراطيس بالاسم الملابس الفارسية التقليدية، مثل الرداء الطويل المسمى كالاسيريس «القلنصوة»، هذا بالإضافة إلى السارابيس والأكتياي، والذين يعتبرهم الأغلى من ضمن الملابس الفارسية أثينيوس Athenius 12. 525 . ج-د .

كما وجدت توضيحات للعلاقات الفارسية-الإيفيسيانية في العديد من المقالات المقربة من تيسافرنيس، وفي عامي 410-411، وقبل الوصول إلى هيليسبونت ذهب المرزبان أولاً إلى إيفيسوس، وقدموا أضحية إلى أرتاميس Artamese تيوسيديديس Theocidides 8.109.1، وبعد حوالي عامين، قرر الذهاب مرة أخرى إلى إيفيسوس، والتي كانت في ذلك الوقت مهددة من قبل ثيراسيلوس الأثيني، وعندما علم تيسافرنيس بخطته، جمع جيشاً كبيراً، وبعث بفرسان لحث كل الناس ضد إيفيسوس للحصول على حماية أرتاميس Artamese زينوفون Xenophon ، هل 1. 2. 6، وفي الوقت ذاته عاد إلى ترود، وكانت هذه هي مناسبة سك عملات برونزية باسمه في أستيرا، وهي مدينة صغيرة تقع على ساحل أدروميثيوم، وبشكل واضح يظهر انعكاس كل وجه من العملة صورة مميزة لأرتاميس Artamese .

كانت إيفيسوس على اتصال بسارديس Sardis بواسطة طريق ملكي طويل ستيسياس Citicias 64 ، هيرودوت Herodotus 5. 54 ، ونعمت

بعلاقات طويلة ومتصلة مع العاصمة المرزبانية، فأولاً من الممكن أن نذكر أن مسؤول المعبد هناك حمل لقباً من أصل إيراني وهو الباجابوكسيا -أي ميجابازوس Megabazus - وهو خادم الآلهة، وكان هو من يدفع له زينوفون Xenophon العشر الذي احتسبه من الغنائم لأبولو Apollo وأرتاميس Artamese من إيفيسوس في عامي 399-400 أناب 7-5 .Anab 5. 3 .

ويظهر أيضاً أن الملوك العظام أنفسهم قد شيدوا المعبد المقدس بشرف كبير، طبقاً لسترابو Strabo 14.1.5 ، فقد أبقىكسركسيس Xerxes على الجزء المقدس عندما دمر المعبد بديديما، علاوة على ذلك، نعرف منتاسيلوس 3. 61 أنه في عصر تيبينوس ذكر أن إيفيسوس منح حصانة لمعبد أرتاميس Artamese المقدس من قبل الفرس، فالاحترام الذي أظهره تيسافرنيس تجاه الآلهة العظمى يقارن بالاحترام الذي تأكد في مصر من قبل قادة الفرس المرزبانات فصل 12/1 .

[وفي المعنى المضاد، إذا أردنا وضعها على هذا النحو نرى في النقش التضرع الليدياني-الآرامي الخاص بالدفن من ساردیس Sardis ، المؤرخ في السنة العاشرة لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وحماية أرتاميس Artamese وإيفسوس الآرامية].

فالوجود في ساردیس Sardis أكد عليه من قبل الليديين، وبنقوش شهيرة الآن من إيفسوس تدعى «نقوش التدنيسات» إيفسوس 1. 2، كما بلغ أن العديد من رسل إيفسوس المقدسين قد أرسلوا إلى ساردیس Sardis لأداء المراسم طبقاً لعادات الأسلاف في معبد أرتاميس Artamese المقدس بساردیس Sardis ، ومن الواضح أنه في هذه المناسبة قد هوجم رسل إيفسوس المقدسين من بعض سكان ساردیس Sardis الذين حكم عليهم تباعاً من محاكم ساردیس Sardis -في وجود شهود قادمين من إيفسوس على الجريمة- وتبعتها قائمة من

خمسين رجلاً مذنباً، كما أكد نقش آخر من إيفسوس بعض التفاصيل، ويسجل مرسوماً مانحاً للمواطنة للمقيمين بالبلدة الذين قد ساعدوا الرسل المقدسين المرسلين لمعبد أرتاميس Artamese بإفيسوس المقدس بسارديس Sardis ، ولسوء الحظ، فإن النصوص لم تكن مؤرخة، ويحبذ وضعها في الربع الأخير من القرن الرابع، إما قبل أو بعد الغزو المقدوني، وبالطبع، فإن التاريخ المحدد سيكون أكثر أهمية، ولكننا يجب أن نذكر أن المعبد المقدس -على أية حال- كان موجوداً، وعلاوة على ذلك، فلم تكن العلاقات بين ساريس Sardis وإيفسوس بالشيء الجديد، فقد كانوا مألوفين ومتحمسين بشكل واضح خلال فترة السيادة الأخمينية.

ويبعث السجل التاريخي العديد من الانعكاسات التاريخية، فأولاً: عن حالة ساريس Sardis في نهاية عمر الأخمينيين وبداية العصر الهليني، فالتعليمات المتبعة من إيفسوس، والمذكورة في المنحوتات المذكورة فيما سبق تدل بالضرورة على وجود محاكم أو مؤسسات تشاورية بساريس Sardis ، وهذا بدوره يؤكد أن ساريس Sardis كونت مجتمعاً سياسيًّا ألبيت ليست مدينة إغريقية.

ويؤكد مرسوم آخر، مؤرخ في هذه الفترة ما سبق، كما أن هذا النقش من ميليتس يسجل اتفاقاً بين تلك المدينة وساريس Sardis ، حيث ضمنت ساريس Sardis العبور إلى ميليتس والأمان بها، وقد سمي تفويض في كل مدينة لضمان تأكيد الإنفاق، وتضمن النص صيغة: «هؤلاء هم سكان ساريس Sardis الذين قد سموا -طبقاً للمرسوم سيل 3. 373، وأكدت الطريقة التي وصل بها الإسكندر Alexander في عام 334 أن سكان ساريس Sardis لديهم سلطات محلية لا تتأثر بالسلطات الفارسية منذ أن سلمت البلدة للإسكندر Alexander من قبل زعيم المواطنين، بينما سلمت ميثرانيس الفارسية

القلعة وكنوزها للغازي آريان Arrian 1. 17. 3 ، ومهما بقيت الشكوك حول التفاصيل في النصوص، فيجب أن نستنتج أن سكان سارديس Sardis تحت السلطة الأخمينية قد نعموا بدرجة من الاستقلالية مقارنة بالاستقلالية المذكورة في النصوص التي نعمت بها بابل، ومثل بابل، كانت في ساردیس Sardis مقاطعة يعمل فيها الفلاحون والعمال، ويعيشون في القرى كما هو واضح في «نقوش التدنيسات»، ومن الواضح أن هذه القرى كانت مستقلة عن المدينة منذ محاكمة الأطراف المدانة في ساردیس Sardis ، وسجلت قرى أخرى تقع على سهل ساردیس Sardis في نقوش منيسيماشوس ساردیس Sardis 7. 1. 1 ، وعادة ما يحملون أسماء ليدية، مثل: بيرياساسوسترا، كومبيديليبيا، توبالميورا، والبعض منهم يحملون جزئيًّا أسماء هلينية، مثل: توانداكوم، إليوكوم، كما حمل الفلاحون أيضاً أسماءً ليدية، وتعطي كل هذه الدلائل الانطباع بوجود استمرار ليدي واسع، وفي هذه الحالة، يمكن أن نذكر أيضاً اشتراك أدراستوز الليدي في معارك ديادوتشي في عام 322 بوسانياس 7. 6. 6.

في الحقيقة، كان شعب ساردیس Sardis وضواحيها مختلطين عرقيًّا، وكان من ضمن الأسماء في النقش مينيسيماشوس الاسم البابلي، وتتضمن القائمة في نهاية «نقش التدنيسات» ليديا الإغريقية «آسيا»، وخمسة أسماء إيرانية، وكان كآريان Arrian أحد الأشخاص المدانين، وصدقت على وجود كآريان Arrian في ساردیس Sardis العديد من الوثائق الأخرى، وكانوا في الأساس أشخاصاً عاديين، فمنهم مسؤولو الاستحمام وبائعو النعال الأحذية، وتاجر صنادل، وجزار، هذا بجانب صائغ وتاجر زيوت، كما وجد هناك أيضاً أشخاص ذوو ألقاب دينية، منهم ابن قسيس، وحتى السفير المقدس، وليس كل شخص يحمل اسماً إيرانيًّا يكون بالضرورة أرستقراطيًّا، فكان ميسراشوس عبداً

لرجل يدعى بابيس، وهو الذي كان يعلمه كالليدين، ويجب أن نستنتج من ذلك أن الأسماء الشخصية ليست كافية للتعرف على عرقية الشخص، فمن المحتمل إسهام الزواج، واستعارة الأسماء الأجنبية في هذا المزيج، واعتبر نقش القرن الرابع اليونانيين الليديين ذوي اللغتين شخصاً يدعى ناراس ابن ديونيسوبوليس بعمل إهداء لأرتاميس Artamese .

وهذا -على ما يبدو- هو الحال مع سيسنيس الذي حمل والده اسماً إيرانيًّا «إيومانيس»، والذي قال عنه «نقش التدنيسات» أنه عاش في هييراكوم، وكان هذا هو اسم القرية التي عرفت لاحقاً باسم هييروكاكساريا، وصدقت العديد من الأدلة من العصر الروماني على وجود معبد مقدس مهدى لأرتاميس Artamese الفارسي، والذي يعرف -على الجانب الآخر- في هييراكوم بأناهيتا طبقاً لتاسيتوس 3. 63، وقد منح هذا الامتياز الاستثنائي من قبل قورش Cyrus العظيم، حيث كان من المحتمل أنه قد تم العثور على المعبد المقدس كشيء ملازم لعامة الإيرانيين الأصليين الثُفل، كما صدق على الامتياز من الملوك الهلينيين، مثلما اقترح من خطاب أتالوس الثالث الذي يشير إلى كل من أسلافه والملوك الأوائل 68، والمثل الصحيح لهايبابيا -وهو موقع قريب جدًّا من ساردیس Sardis وتمولاس- وأبلغ البوسانيون أنه حتى في عصر الرومان استمر المجوس -الذين ذكروا في نقوش هذا العصر- متضمناً أرشيمانجوس في الإشراف على الأضحية أو القرابين، والتضرع للإله بلغة أجنبية 5. 27. 5، كما أبلغت العديد من المنقوشات الأخرى عن انتشار المعبد المقدس لأناهيتا في ريف ليديا وميونيان، وخلف الاستقرار الظاهر، تظهر الأدلة المتاحة عمليات مفصلة للتوفيق بين المعتقدات بين أناهيتا والآلهة المحليين ومن ضمنهم أرتاميس Artamese ، وبالرغم من إظهار العملات في هييروكايساريا على نحو كامل، فقد مثلت الآلهة بخصائص إيرانية حقيقية.

ونعرف أن لسارديس Sardis أيضاً معبد مقدس مكرس لعبادة أرتاميس Artamese لسرديس الذي كان متميزاً عن أرتاميس Artamese لإيفسوس -كما رأينا، كما لم يكتشف معبد القرن الرابع/ الخامس المقدس، ووجدنا دليلاً على ذلك في عدة نقوش ليدية من القرن الرابع، ونص شهير في زينوفون Xenophon ، واسترجع قورش Cyrus الأصغر ذلك بعد الصلح الثاني لدرونتاس معه، حيث ذهب إلى مذبح معبد أرتاميس Artamese ، وقال إنه آسف أناب 1.6.7 Anab *، وكان المعبد المقدس غنيًّت جدًّا كما أوضح ذلك نقش شهير من بداية العصر الهليني، حيث يقول إنه قد ورثت منيسيماشوس محددة في دوريا كبيرة بجانب ساردیس Sardis كهدية ملكية، وأنه من الواضح أن أسلاف هذه الملكية قد قصدوا من المؤكد في العصر الأخميني ساردیس Sardis 1 .1 .7 ، وقد استعارت منيسيماشوش كميات كبيرة من المال من أرتاميس Artamese لساردیس Sardis ، ومن الواضح أنها امتلكت أرضاً مقدسة، حيث من المحتمل منح الفرس امتيازاً استثنائيًّا عليها مثل أنايتيس لهيراكوم، كما أديرت محتويات المعبد المقدس من قبل حراس المعبد، كما يشير نقش ليدي من العصر الأخميني -على الرغم من بقائه غامضاً- إلى قرض من مديري المعبد المقدس لشخص يحمل اسماً إيرانيًّا وهو متيروداستاس، وهو ابن ميتراتاس .

هل هذا يعني أن الفرس عرفوا أرتاميس Artamese لساردیس Sardis بأناهيتا؟ إن هذا ليس مؤكداً على الإطلاق، فلا شك أن هناك معبد مقدس مهدى خصوصا Susa لأرتاميس Artamese لبرسيكا، على الرغم من أن أول تصديق أدبي يرجع تاريخه إلى 322 بوسانياس 7. 6. 6، فربما كان متميزاً أرتاميس Artamese لكولو، الذي كان يدعى في «نقش التدنيسات» بالنقش الجنائزي لليديا وآرميا المذكور أعلاه، وفي نقش إغريقي يرجع تاريخه إلى قيصر Caesar ، ويقع المعبد المقدس على

بعد 200 مقياس بعدي شمال ساردیس Sardis بجانب سترابو Strabo ، والذي يذكر مهرجانات شهيرة تقام على شرف الآلهة 13. 4. 5، وكانت تقام على شواطئ بحيرة غنية بالأسماك، وقد وجد هناك إهداء لأرتاميس Artamese لبارسيكا، مع إثبات وجود مجتمع إيراني مايبوزينوي الذي ربما يكون من الأصل كابادوكيا، في عصر سابق، وبالتالي ليس من المستحيل أن يكون أرتاميس Artamese لكولو يشبه تقريباً أناهيتا الإيرانية والتي كانت إلهة الماء .

ومهما كانت الحالة، نستطيع أن نرى أن مجموع الأدلة يصدق -قبل كل شيء- كثافة استيطان الفرس والإيرانيين ليس فقط في الأراضي المرزبانية العظيمة، ولكن في ريف غرب آسيا الصغرى أيضاً، وتؤكد الدلائل أيضاً تعمق العلاقات اليومية بين الفرس والمواطنين المحليين، وبالرغم من أن العديد من الأدلة متأخرة في التأريخ من العصر الروماني، فبالكاد ليس هناك أدنى شك في أن الصلة بين الأشخاص من مختلف الثقافات كانت دائمة وأساسية من قبل العصر اللأخميني، وكان هذا بالطبع مفهوماً من جانب دروفرنيس، والذي صنع تمثالاً لزيوس -من الممكن أيضاً أن يكون إلهاً محليًّا، ربما زيوس الليدي- كما يستحق النقش الليدي-الآرامي من ساردیس Sardis والذي من المرجح أن تاريخه يرجع إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في هذه الدراسة، ومن المؤكد أن الذي قام بالإهداء هو مانيس ابن كيوملي وحفيد سيلوكا الليدي، بينما تحتوي افتتاحية النقش على تركيبة قريبة من النسخة الآرامية ثلاثية اللغة لإكسانثوس، كما نرى أيضاً أن اسم الشهر مارشيسون موضوعاً في ليديا وباكترا متمثلة من قبل الإغريق لديونيسيوس، كما ندون أيضاً استعارة عدة كلمات فارسية لكل من العمود الحجري والسياج المقدس، وعثر مانيس على ضمان آخر يوضح مشهداً أخمينيًّا تقليديًّا للبطل الملكي مع الأسود شكل

57، وضمان آخر ليدي منحوت باسم إيراني ميتراتيس، كما يشهد الضمان الليدي الوافر بصدق العناصر الليدية والفارسية، واشتراك الفنانين الإغريق أو الفنانين العاملين بالأسلوب الإغريقي على حد سواء.



الشكل 57

كانت لعمق هذه العلاقات تبعات سياسية، وبالتالي فإنه في آسيا الصغرى كان العديد من الإغريق من ضمن المستشارين أو الوسطاء للدبلوماسيين في البلاط لساردیس Sardis وداسيليوم ثيوسيديس 8. 6. 1؛ 85. 2؛ زينوفون Xenophon ، هل 4. 1. 29، ونعرف أيضاً عن العديد من الاتفاقيات الخاصة بالضيافة بين الأرستقراطيين الفرس والمواطنين الإغريق البارزين التي فيها تم وصف تبادل الهدايا والعهود هل 1. 1. 9؛ 4. 1. 39. 40، وكان هذا نتيجة لوجود روابط الضيافة من قديم الأزل، حيث تلقت أنطاليا تعزيزات عسكرية من أريابارزانيس في فريجيا 5. 1. 28، هذا بالإضافة إلى أن جميع قادة المرتزقة التابعين لقورش Cyrus كانوا مضيفين زينوفون Xenophon ، أناب .Anab 1. 1. 10-11 ، ولكن هل كان الفرس أنفسهم مقيمين فحسب بلوتارخ Plutarch ، ليساندر 3. 3 في إيفسوس أو في أي مكان آخر؟ أم أنهم في ذلك الوقت كانوا قد أنشأوا علاقات تأسيسية مع المدينة؟ ليس لدينا الدليل الكافي من آسيا الصغرى لتوضيح هذا السؤال، وبعيد عن إيفسوس والمرسوم المانح للمواطنة لأهالي ساردیس Sardis نظراً للدور الذي لعبوه في العلاقة بالمقدسات، وعلى صعيد آخر تستحق العديد من النصوص والمراسيم الأثينية الذكر، ونعرف أن أورانتوس قد استلم المواطنة الأثينية لنفسه وخلفائه؛ وذلك لأنه باع

القمح للمدينة في أوقات عصيبة 2. 2070، والشيء نفسه بالنسبة لمرزبان داسيليوم وأريابارزانيس وأبنائه الثلاثة، واثنين من مسترشديه الإغريق، وهما فيليكوس وأجافوس، كما صدق نقش أثيني مؤرخ عام 327 على أن فارنابازوس Pharnabazeus وأرتابازوس Artabazeus ، على الرغم من عدم استحقاقهم للقب بالضرورة، كانوا يعتبرون متبرعين، وذلك لمواقفهم تجاه الأثينيين في وقت الحرب تود 199 طبقاً لستيسياس 143 Citicias ، ونستطيع أن نلاحظ أيضاً أن زوبيروس ابن ميجابيزوس كان لاجئاً؛ لأن والدته قد وزعت تبرعاتها للأثينيين، وعلى أية حال، فإن هذه لم تكن المرة الأولى التي يعادي فيها أرستقراطي فارسي الملك العظيم، ويلجأ إلى أثينا بلوتارخ Plutarch ، سيمون 10. -، وبالتالي لا نستطيع استبعاد احتمالية حدوث قرارات مماثلة في آسيا الصغرى من وقت لآخر لصالح أصحاب المقام الرفيع من سارديس Sardis وداسيليوم على الرغم من عدم وجود أدلة قاطعة لدينا.

4- من سيلينا إلى هاليكارناسوس:

في ربيع عام 333، وصل الإسكندر Alexander إلى خارج حدود سيلينا عاصمة فريجيا الكبرى، ولم يكن مرزبان أتيزيس هناك، فقد اشترك في المعركة بجرانيكوس، ثم انضم إلى دارا Darius ، ومن المحتمل أنه قد بقي على رأس ما تبقى من فرقته العسكرية، وحارب بعد ذلك في إيشوس، وقتل خلال المعركة، وقد روى آريان Arrian 1.29.2 وكوينتوس كيرتس Quintus 3.1. 6-7 Curtius عن قوة موقعة سيلينا، ونعرف أن إنشاء إقامة باسيليون واستعادة أكروبوليس تعود بالزمن إلى الوراء إلى وقتكسركسيس Xerxes زينوفون Xenophon ، أناب Anab 1.2.9، وكان لسيلينا استيطان إيراني كبير، وكان

معروفاً جيداً بجنته الهائلة التي يتم ريها بمصادر مياه مارسياسية 1. 2. 7-9، ومعروفة بولاياتها الحصينة العظيمة حول البلاد بلوتارخ Plutarch 8.5، وهذه الولايات -مقارنة بولايات أسيتاديس بيميسيا- تبرهن على قوة اقتصاد البلد «والثراء في القرى عن المدن» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.1.11، وفي الغرب كانت مدينة سيدرارا تقع على الحدود بين فريجيا وليديا هيرودوت Herodotus 7.30، وعندما أعاد تخطيطها قورش Cyrus الأصغر آلت ليكونيا إلى سيلينا؛ وذلك لأن إيكونيم كانت تعرف بأنها آخر مدينة على حدود فريجيا أناب Anab 1.12.19.

وفي الشمال والشمال الشرقي، امتد الطريق الملكي إلى كورديان، حيث وصل إلى هاليس، والتي كانت على الحدود بين كابادوكيا وفريجيا هيرودوت Herodotus 5.52، وقد أخذت عاصمة مملكة فريجيا القريبة الواقعة على سانجاريوس أهمية رئيسة في العصر الأخميني، فقد كان حصن روريون -الذي كان مبنيًّا على تل- محصناً جيداً، وقد تم الدفاع عنه بواسطة القائد النشيط راتانيس الذي استطاع بنجاح مقاومة الحجمات العديدة من قبل أجيسيلوس هل، أوجسير 21. 6، ولموقعها الاستراتيجي كانت جورديون مزودة جيداً بوفرة في مخازن القمح والمستودعات، والتي كانت تكفي لتفسير لماذا اختار الإسكندر Alexander هذا المكان ليقيم به في عامي 333-334، وكان هذا بمناسبة نزول الملك إلى الأكروبول -وهو الجزء الأعلى المحصن- حيث كان يقع قصر جورديون وابنه ميداس آريان Arrian 2.3.1 قبل أخذ الطريق إلى أنسيرا أنقرة الحديثة؛ 2. 4. 1؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.1. 14-15، وتشير الأدلة الأثرية والعلمية والرمزية إلى وجود الفرس في جورديون والمنطقة المحيطة بها، والتي تقطع الطريق الملكي .

ونحن لا نعرف التاريخ المحدد لإيجاد مرزبانية فريجيا العظيمة، إذ ربما كـان ذلك خلال القرن الرابع، وعلى ضوء ذلك يجب أن نقتـبس ملحوظـة قيمـة بآريـان Arrian 1.24.5 ، حيث قال آريان Arrian في وصفه لمسيرة الإسكندر Alexander خلال جنوب آسيا الصغرى عـن مقاطعـة ميليـان بأنهـا تنتمـي لفريجيـا العظيمـة، ولكنها سجبت كجزء من سينتيدي ليسيا بعد ذلك بأوامر ملك الفرس العظيم، كـما توجد روابط ثقافيـة قريبـة بـين ميليـاس وليسـيا هـيرودوت Herodotus 1.173 ، ويتضح وجود حالة مزدوجة، فعلى الرغم من كونها إدارة مستقلة لسيلينا، إلا أنهـا بقيت مرتبطة ماليًّا بليسيا، وتشـير كلمـة «سـينتيلي» إلى أنهـا دفعـت جزيتهـا مـع الليسيين، كما تم الاحتفاظ بمنظومة جزية دارا Darius الأول جزئيًّا، كما هو مقدم بواسطة هيرودوت Herodotus 3.90 منذ أن كـان الليسـيون والميلانيـون في ذلـك الوقت جزءاً من أول ولاية، هـم والأيونيـون والماغنيسـيون الآسـيويون والآسـيليون والكاريون والبومفلانيون، ولكن تتابع إعادة تنظيم خلق الأراضي للمرزبان والتي لم تعد بالضرورة متفقة في التفاصيل مع الأراضي الأصلية الدافعة للجزية، وقد تنتقـل روح الشعب للمرزبانية المكونة حديثاً، حتى إذا حفظت حسابات الجزية الأصـلية، بالرغم من عـدم تسـمية الملـك العظـيم مـن قبـل آريـان Arrian ، فهـي محاولـة للاعتقاد بأن إعادة التنظيم ترجع إلى عدة عقود للوارد على الأكثر، فقد اتخذ القرار في الصلة بين تكوين المرزبانية التابعة لفريجيا، والـذي نـتج عنـه أيضـاً اخـتلاف في وضع ليسيا.

وفي الواقـع، يوضـح الـنص الشـهير الآن بـثلاثي اللغـة زانثـوس أن ليسـيا كانـت موضوع إعادة تنظيم إداري أساسي تحت إمـرة أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، وفي وقت المرسوم عام 337 كانت ليسيا من ضمن مرزبانية كاريا؛ وذلـك لأن النسـخة الرسـمية الآراميـة تحمـل الآتي:» في شـهر سـيفان في السـنة 1 للملـك أرتاكسركسـيس

Artaxerxes ، في قلعة درنا، قال بيكسودا ابن كاتومينو وهو المرزبان الذي حكم كاريا، وتيرميلا وليسيا: «.....».

ونحن نتعرف هنا على بيكسودورس المعروف من نصوص الإغريق وليسيا العديدة عند إنشاء مرزبانية كاريا في عامي 340-341، وبالتالي في بعض الأحيان، وبالتأكيد في فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث انضمت ليسيا لمرزبانية التي أصبحت فيما بعد مرزبانية ليسيا، كما أن أسباب الإصلاح من الواضح أنها لم تقدم في أي جزء من النقوش، ويجب ببساطة أن نؤكد أن حكام الهاليكارناسوس أخفوا الطموح تجاه ليسيا منذ القدم، وأن إقليم كوراس على الأخص قد ادعت ملكيته كل من مرزبانية كاريا وسلاسة زانثوس الحاكمة؛ ونتيجة لذلك اضطر الملك العظيم إلى فض النزاع على الأراضي بين الشعبين المتحاربين آريان Arrian 1.27.4 ، ديودورس Diodorus 16.113.3 ، وبطريقة يمكن أن تهدئ الوضع لمصلحة السلطة المركزية، فنستطيع أن نتخيل أن هذه كانت هي الأوضاع حينما تمت إعادة تحديد الحالة الإدارية لميلياس، وربما لتسوية نزاع صريح بين الهاريكارناسوس والإيهيناي، كما اتخذ قراراً مهمًّا وجديداً في عهد دارا Darius الثالث، وعند وصول الإسكندر Alexander إلى حدود كاريا تمت تحيته بالطريقة التقليدية من آدا ديودورس Diodorus 17.24.2 ابنة هيكاتامنوس وزوجة إدرياوس، ولكن طردها بيكسودورس خارج الحكومة، وعند موته أرسل أورانتاباتيس -وهو شقيق زوجته- إلى المدينة من قبل الملك للإشراف على الحكومة الكارية آريان Arrian 1.23.7.8 ، وبدون تسميته أشار سترابو Strabo لأورانتاباتيس في حلقة من قطعة عن تاريخ سلاسة هيراتوميد الحاكمة، وقد صرح بأنه قد ناصر الجانب الفارسي، وسأل بيكسودورس الملك العظيم أن يرسل له مرزباناً ليشاركه السلطة، متعاوناً مع روينونيا: «وعندما فارق

بيكسودورس الحياة استولى المرزبـان -وهـو أورانتويـاتيس- عـلى هيلاكورانـاسـوس، وعند مجيء الإسكندر Alexander بقـي المرزبـان في الأسر» 16. 2. 17، فـالظروف التاريخيـة اسـتمرت لتسـتوقف عـدة مشـكلات مـفسرة في سـياق العلاقـات بـين بيكسودورس وفيليب الثاني ودارا Darius الثالث، ولكي يتضح النص أكـثر -إلى حـد ما- في نقطة واحدة على الأقل، فمن خلاله هو نفسه عرض بيكسـودورس خضـوعه للملك العظيم، وتدخل الملـك العظـيم مبـاشرة -كـما فعـل بالتأكيـد خـلال تتـويج بيكســودورس- في التتــويج، والنتيجــة أن المرزبــان الفــارسي ســمي في أصــل هليكارناسوس ببيكسودورس، وبعد ذلك أورانتوباتيس اللذان كانا مبعـث السـلطة المركزية في كاريا آريان Arrian 1.23.8.

5- بيكسودورس في زانثوس:

دعونا نعود إلى زانثوس ثلاثي اللغات شـكل 58، فالضـمانات المهمـة نقـدمها بالتفصيل لإعطائنا معلومات مهمـة جـدًّا عـن إدارة المرزبانيـة، وعلاقـات المرزبـان بالمجتمع السـياسي لزانثـوس، وعـن حركـة الثقافـة المتطـورة في ليسـيا، ونعـرف أن الجمود الحجري الذي يمكـن مشـاهدته اليـوم بمتحـف في Fethiye يتضـمن ثـلاث نسخ: النسخة الرسمية الآرامية منحوتـة في المقدمـة، وترجمتـان؛ إغريقيـة وليسـية على كلا الجانبين، كما نعرف أيضاً أن الموضوع المرسوم هو مادة داخلية في الأسـاس لزانثـوس: مؤسـس الخدمـة في المعبـد المقـدس الممنـوح مـن باسـيليوس كونيـوس لأرساميس، وعند هذه النهاية، احتار زانثـوس وجـيرانهم في تعيـين قـس وتخصـيص أرض للمعبد المقدس الجديد، وتخصيص الأضحيات لإعطائها للإله .

وتستعرض النصوص العديد من المشكلات المـفسرة التـي لـن نغـوص فيها بالتفصيل هنا، فسنعير اهتماماً محدوداً للضوء الذي ستسلطه الوثائق

على العلاقات بين المرزبان ومدينة ليسيا، وقد استمرت الأسباب والتدخل المرزباني في كونها مشكلة صعبة، فسنؤكد بالأخص أن النسخة على أن النسخة الحديثة للنص، وهي النسخ الإغريقية والليسية، ونجد أنها مختلفة في نسخة قاضي المرزبانية، حيث تقدم النسخة الحديثة الحدث في سياق القرارات المتعلقة بالمجتمع السياسي بوليس في النسخة الإغريقية على الرغم من اعترافها بسلطة بيكسودورس في نهاية النص، حيث يقول النص: ربما يكون لبيكسودورس اليد العليا في هذه القرارات»، وعلى النقيض، قدمت النسخة الآرامية قرار زانثوس كاقتراح بسيط، حيث تقول: «نحت بيكسودورس هذا القانون، فمن هو سيد القرار»، فسلطة المرزبان في ليسيا أكدت بالتفاصيل الموضحة في النسخة الإغريقية والليسية، ففي الحقيقة، نحن نعلم أن بيكسودورس قد عين مفوضين/ حاكمين في ليسيا، وهما هيرون وناتربييمي أبوللودوتوس، وعين أيضاً مسؤولاً الشؤون/ محافظاً في زانثوس، ومن الواضح أن اسم إرتيميلي أرتاميدس هو اسم ليسي، كما أن افتتاحية النسخة الآرامية ليست بالغامضة: «في شهر سيفان في السنة 1 للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes في قلعة أرورنا، قال بيكسودا ابن كاتومنو المرزبان الذي يحكم في كاريا وليسيا .....»، حيث إن صيغة «قال» تقدم -على الأوضح- مرسوماً مرزبانيًّا، ويوضح النص جيداً العلاقات بين المجتمع المدني والسلطة الأخمينية، واشتراك بيكسودورس في هذا الشأن لا يختلف عن المبادرات والتدخلات المرزبانية أو الملكية الأخرى المعروفة في الشؤون الداخلية للممارسات الدينية المحلية طوال العصر الأخميني حماية كل من الآلهة والمرزبان الذي كان يعتبر أيضاً ضامناً.

وبالرغم من الشكوك على المستوى السياسي، فإن المنظومة السياسية في تصديقات زانثوس ثلاثي اللغة تحولات كبيرة للوضع في ليسيا، حتى إذا كان وجود الحاكمين مقترناً بالانقسام التقليدي بين شرق

وغرب ليسيا، فيوضح اختفاء عملات السلالة الحاكمة أن ليسيا أصبحت كاملة، ويبين دليل آخر ممارسات الإدارة المرزبانية، وهو أن اليونانيين-الليسيين الثنائي اللغة من زانثوس ربما يكون في الأصل ثلاثي اللغة يشير إلى أن قانون ليسيا منحوت على عمود حجري، ويصب اللعنات على من ينتهك الشروط القانونية، فمن الواضح أنه في تاريخ ما -وربما قريباً من زمن تلك الثلاثية اللغة- صنع بيكسودورس معروفاً كبيراً لبلدان الوادي كانداينداا، وبينارا، وفيوس، وزانثوس ليعتمدوا ماليًّا مرة أخرى «بأية طريقة يختارونها» ضرائب تجارية إلا في الأوقات المعتادة -من الواضح- أنها ستكون منتمية لبند الملوك أو ضرائب المرزبانية أو كلاهما، كما منح مرسوماً من المجتمع الكاري لبلاراسا، والذي يرجع تاريخه أيضاً إلى فترة حكم بيكسودورس إعفاءً ماليًّا لشخص يدعى ديون من كوس فيما عدا الضرائب الملكية، ووضحت نصوص أخرى أن المدن التي كانت مسؤولة عن الضرائب المدنية -في أفضل الظروف- لم تكن مسؤولة عن الضرائب الملكية التي كان يجب دفعها بطريقة أو بأخرى، والترتيبات من هذا القبيل كانت بالتأكيد مقامة، لكن المدن والمجتمعات كانت معرضة لدفع الجزية لدارا Darius ، وكانت هناك أوضاع خاصة فقط مسموح لها بالتنوع، ومثال لذلك سمح مرسوم من الإسكندر Alexander لأهالي إيفسوس بإهداء أرتيميس الجزية المدفوعة عادة للملك العظيم آريان Arrian .1.17.10

النقش الآرامي:

* في شهر سيفان في السنة 1-2 للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes

3 في قلعة دونا، قال

4 بيكسودا ابن كاتومنو، المرزبان

5 الذي يحكم في كاريا وليسيا:

6 «خطط مواطنو أورنا

7 لبناء حرم مقدس ؟ للملك

8 «إله كونوس ورفيقه»

9 «وجعلوا القس سيمياس

10 ابن كودوراسي، وهناك أيضاً ولاية

11 التي أعطاها مواطنو أورنا

12 للملك الإله، «وسنة وراء سنة

13 قد أعطوا

14 مينا ونصف من الفضة في جزء من البلدة،

15 أعطى القس المشار إليه في بداية الشهر خروفاً كأضحية

16 للملك الإله، كما يقدم ثوراً واحداً كقربان ؟

17 عاماً بعد عام، كما حررت الولاية المشار إليها

18 والتي هي ملكة»

19 «هذا القانون تم نحته من قبله وهو بيكسودورس، وهو سيد القرار، وأيضاً

20 إذا ما سرق أي شخص شيئاً

21 من الملك الإله أو من

22 القس إذن، ففي موقعه يمكن أن يسرق من الملك

23 الإله ورفيقه

24 وبواسطة الإله لاتو وأرتميس

25 هيسترابتي وآلهة أخرى، يمكن لشخص ما

26 أن يسرق أو تطالبه هذه الآلهة بالتكفير.

النقش الليسياني:

* 1-2 عندما أصبح بيجوسير -وهو ابن كاتاميا- مرزباناً لليسيا، وعندما عين

3 مفوضين لليسيا

4 وهم ليرو وناترابلايم

5 وجعل أرنو حاكماً وهو إيلامي

6-7 أقر مواطنو أرنا والتابعون لها ؟ بإقامة ؟ هذا الحرم المقدس للملك

8 جونوس و

9 للملك أركازوما، وعينوا قساً من أجل

10 الإله سيمياس ابن كونكلوراهي،

11 والذي سيكون قريباً لسيمياس، كما

12 حرروا ما هو ملكه، كما

13 أضافت البلدة والتابعون لها

14-15 حقول البلدة، وقد سقاهم لو وخيسينتيدي ... وبيجرس

16 وكل ما أضيف وشيد سيكون ممتلكات الملك

18 جونوس وملك أركازوما، وسيعطيه أرنا

19 سنويًّا آداس للراتب

20 ويطالب أيضاً بإعطائه اثنين من العبيد سيجلوي من جميع العبيد الذين سيتم تحريرهم فيما بعد

22 كما كرس للشخص

23 كل شيء كتب على هذا العمود الحجري

24 لملك جونوس وأركازوما

25 ومن سيأخذ هذا النفع

26 سوف يضحي كل شهر

27 بخروف، وسيضحي سنويًّا

28 بثور، وذلك من أجل ملك جونوس وأركا

29، والذي سيضحي هو سيمياس، وهو الذي

30 سيكون قؤيباً من سيمياس

30-32 كما أن بلدة أرنا والتابعين لها جعلوه قسمهم من أجل هذا القـانون، وبالتالي أنشئ هذا القانون

34 المنقوش بأكمله على هذا العمود الحجري، ولن

35 يلغيه أحد سواء كان هذا الإلغاء متعلقاً بهذه الآلهة

36 أو متعلقاً بالقس، وإذا ألغي

37 من قبل شخص ما، فسيعاقب من قبل تلك الآلهة

38، ومن

39 قبل بينترينني وأبنائها و

40 من الإيليانا إلى بيجيسير إذا ما قام أحد .....،

41 إذن ..... .

النقش الإغريقي:

* 1-2 عندما أصبح بيكسودارس -ابن هيكتومنوس- مرزباناً لليسيا، عين

3 هيرون وأبوللودولوس حكاماً على مدينة ليسيا

4 وعين أرتيميديس حاكماً على

5-6 زانثوس، وقد أقر الزانثويون والتابعون لهم بإنشاء

7 مذبح لملك جونوس و

8 لأركيسيماس، كما اختاروا ابن كوندوراسيس

9 ليكون قساً سيميس، وهو الذي

10 سيكون دائماً الأقرب لسيمياس

11 وأعطوه كل ممتلكاته

12 معفاة من الضرائب، كما أعطت البلدة الأرض

13 إلى عمل

14 عليها كيسينديليس وبيجرس، وكل ما هو ملاصق للحقل

15 والمباني لملك

16 جونوس وأركيسياماس، وكل عام سيتم إعطاؤهم

17 ثلثي ميناس وهي عملة

18 مقابل هذا الجزء من البلدة، وهؤلاء

19 الذين سيتم تحريرهم سيدفعون

20 للإله دراخمتين وهي عملة يونانية، كما كرس

21 كل ما هو منقوش

22 على العمود الحجري كاملة لملك

23 جونوس وأركيسيماس، كما ستتم التضحية في كل شهر قمري جديد بخروف

24، وكل عام بثور

25 على جميع الأرباح

26 المستحقة منها، كما تعهد

27 كل من الزانثوسيين والتابعين لهم

28-30 كل ما هو منقوش على العمود الخاص بهـذه الآلهـة والقـس، وعـدم إزالة أي شيء

31 منها، وعدم السماح لأي شخص آخر يفعل هذا

32 وإذا بدل أي شخص القواعد

33 سكون مذنباً فيما يتعلق بهذه الآلهة

34 وفيما يتعلق بليتو وخلفائه و

35 نيمفس وبيكسودورس هو سيد القرار .

6- من طرسوس إلى مازاكا:

بداية من طرسوس، نستطيع الكشف عن إعادة تنظيم إداري آخر، فنعرف أنه في حوالي عام 350 تـولى مـازايوس Mazaeus حكـم كيليكيـا Cilicia ، بيـنما كـان بيليسـيس حـاكماً لإيفـراتيس Euphrates ديـودورس Diodorus 16.42.1 لدرجة أننا نستطيع تأريخهم بالتأكيد، فتشير عملات مازايوس Mazaeus إلى أنه بعد سقوط سيدون، رأى نشر قواته، حيـث إن الأسـطورة الآرامـيـة عـلى عملاتـه التي تم سكها في كيليكيا Cilicia تحمل رمز مـاداي الحـاكم لإفـراتيس وكيليكيـا Cilicia ، وهو اللقب الـذي ظـل يحملـه عنـد وصـول الإسـكندر Alexander ، فربط الولايتين هو بالتأكيد منطقي؛ لأن كيليكيا Cilicia كانت تطل قريبـة أكـثر من سوريا، فقد حكم المرزبان طارسوس من حيـث كـان محـل إقامتـه زينوفـون Xenophon ، أناب Anab 1.2.23، وبدون شك أنه كان لـه تـابع في دمشـق كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.11 ، وقد كانت بلدة محصنة ولها حاكم في عام 333 3. 13. 2، واستمرت بعد عام 323 في الحفاظ على أهميتها التي حصلت عليها في العصر الأخمينـي عـلى الطريـق بـين بابـل ومصر داي

67؛ آريـان Arrian ، فصـل 6،

هـ 156، فصل 9. 28 .

وبشـكل عـام، فقـد تمـت الاستهانة بعمق واتسـاع الأراضي الفارســية في كيليكيــا Cilicia ، ولتقييمها يجب أن نؤكد على أن اســتخدام مصــطلح كيليكيــا Cilicia يمـــنح -باصـــطناعه- وحـدة سياسـية للإقلـيم الـذي بداخله، وبعيداً عن أدنى شك في



الشكل 59

العديد مـن الأوضـاع المختلفـة المتداخلـة ديـودورس Diodorus 14.19.3 ، فقد أحب المؤلفون الهلينيون اليونـانيون والكلاسـيكيون التأكيـد عـلى التضـاد بـين الساحل الكيليكي والهضبة الكيليكية في وصفهم للإمبراطورية، وهـذا هـو مـا فعلـه سترابو Strabo 14.15.1 عندما ميز كيليكيا Cilicia الفارسية عـن كيليكيـا Cilicia التراشية في عنصر الإدارة سابقاً من سولوي إلى طرسوس وإيشـوس، كـما وجـد هـذا التفسـير أيضـاً في آريـان Arrian الـذي يتحـدث عـن رحلـة استكشـافية بقيـادة الإسكندر Alexander عام 333، والتي انطلقت من سـولوي في مقدمـة الأسـطول، فقد قام الإسكندر Alexander بحملة ضد الكيليكيين المالكين للهضاب، وفي سـبعة أيام ليس أكثر أخرج بعضـاً مـنهم، وأقنـع الآخـرين بالـدخول في معاهـدات وعقـد اتفاقيات، ثم عاد إلى سولوي 2. 5. 6 .

فسيادة الفرس على الساحل مشهورة بكثرة مـن بعـد نهايـة القـرن السادس، وقـد كـان للفـرس -بـالأخص عـلى السـاحل- قواعـد عسـكرية ومستودعات أسلحة ملكية، ومن الواضح أن تعيين مرزبـان كامـل الرتبـة بطرسوس دل على ضعف في قوة السينيسيس القدامى، وعلى الرغم مـن

عدم استطاعة تحديد التاريخ بالضبط، فلن تكون أكثر من وقت تنصيب مـازايوس Mazaeus ، فوضحت سلطة مازايوس Mazaeus على المـدن السـاحلية مـن خـلال العملات التي تم سكها في طرسوس وسولوي ومليوس وإيشـوس، وكـان عـلى هـذه المدن أيضاً دفع الضرائب والجزية اقتداءً بنموذج أسبيندوس البامفيلي الـذي جهـز لكل عام عدداً محدداً من الأحصـنة كجزيـة ملكيـة طبقـاً لقـانون مشرع جيـداً في كيليكيا Cilicia نفسـها هـيرودوت Herodotus 3.90 وفي أرمينيـا أيضـاً زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 4.5.34; 5. 24 وسـترابو Strabo 11.14.9 ، فوجـود جزية ملكية مفروضة على ماليوس مؤكـدة مـن قبـل آريـان Arrian 2.5.9 ، ومـن الواضح أن الغرامة الموقعة عـلى سـولوي مـن الإسـكندر Alexander 2.5.5 كانـت بالإضافة إلى الجزية العادية، ويبدو أيضاً أن الملوك والمرزبانات قد عينوا مرتزقة من هذه المنطقة، وبالتحديد أسبيندوس بكيليكيا Cilicia ، وهي بلدة كانـت مشـهورة بشجاعة رماة السهام بها نيبوس Nepos ، دات 8. 2; زينوفون Xenophon ، أناب Anab 1.2.12 ، فبلدان الساحل الكيلـيكي كانـت مدمجـة في المنظومـة العسـكرية للإمبراطورية، حيث كان مطلوباً من كل بلدة إرسال فرقة محددة للأسـطول الملـكي آريان Arrian 2.20.2 ، سـولوي وميليـوس، وأكـد نظـام العمـلات لمدينـة كيليكيـا Cilicia تلقائيًّا مغزى التقليد المحلي كوينتوس كـيرتس Quintus Curtius 4.8.22 تقديم الموضوعات الفارسية، وتبني أمثلة إغريقية شكل 59.

عودة لكيليكيا Cilicia التراشية:

يمكـن أن نقـرأ حملـة الإسـكندر Alexander هنـاك بطـريقتين مختلفتين، فلا تعني حقيقة قيامه بحملة في هذا الإقلـيم وجـود توسـع في السيادة الإمبراطورية في إقليم ترك لنفسه سابقاً من قبل الفرس، ومع ذلك فإن مرزبان كيليكيا Cilicia قاد حملات دورية ضد الشعوب التـي كانـت

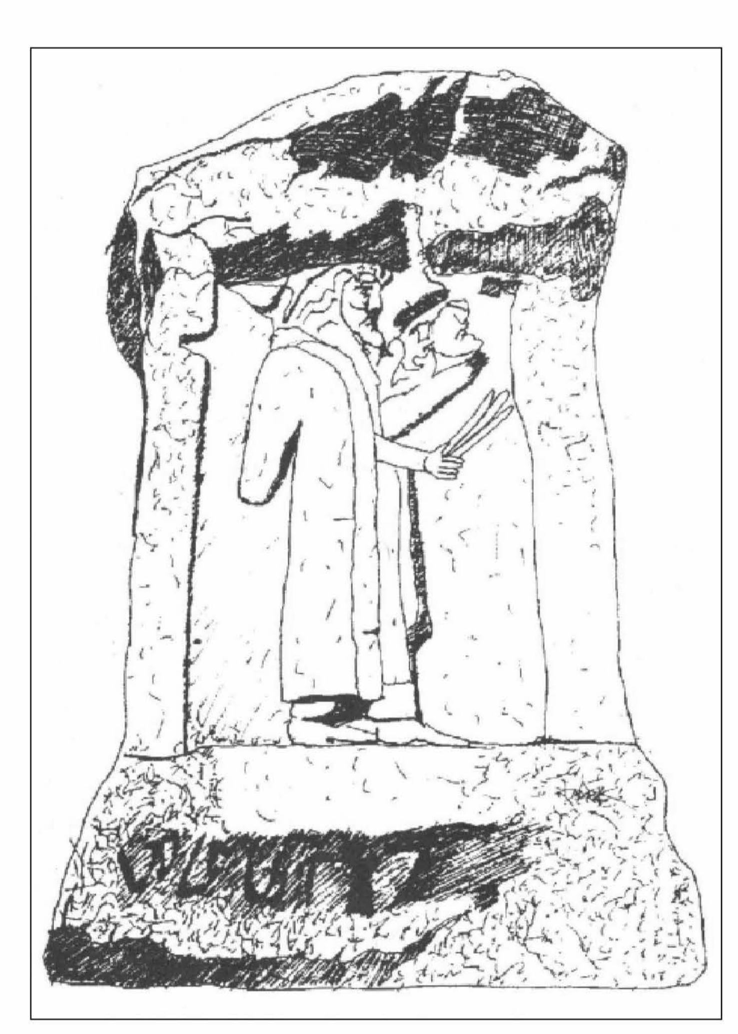
تستغل قوة مواقع جبالهم لتحرير أنفسهم من سيطرة السلطة المركزية، وكانت هذه في الواقع إحدى المهام المؤكدة من الإسكندر Alexander لبالاكروس، والذي قاد حملة غير ناجحة ضد إيشورا ولارنادا ديودورس Diodorus 18.22.1 ، فوجود الفرس على أية حال، شهد عليه في الدولة الكبرى في موقعة ميدانسيكالي، حيث اكتشفت المقاطعة التي كانت مثالاً نجده في بيرسيبوليس Persipolese ، كما عثر على نقشين آراميين هناك أيضاً، ويرجع تاريخ واحد منهما -وهو متهالك بشكل كبير- إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويتضمن كلمة داتاه، ومن الجيد أن نعرف أن الموقع كان محتلاً منذ زمن مبكر؛ لأنه كان مصدقاً عليه من العصر البابلي الجديد تحت اسم كيرسو وجد في النص الآرامي، وكان هذا هو الحال بالنسبة إلى الكنوز الملكية في سييندا على الساحل الكيليكي .

ومن ضمن المجموعات السياسية الثانوية، يجب دراسة المعابد المقدسة العظيمة، والتي عرفت خاصة من جهة سترابو Strabo ، وعلى الأخص المعبد المقدس لأرتاميس Artamese الفارسي بكاستابالا، والتي سميت بعد ذلك هييرابوليس، وكانت تقع في وادي بيراموس، كما وجد هناك نقش آرامي يرجع تاريخه إلى العصر الأخميني، ويصف هذا النقش حدود أرض المعبد المقدس، حيث تم التعرف على السلطة المحلية لسلالة تارخونديمونتوس الحاكمة على مدى العصر الروماني، ويذكر اسم السلالة الحاكمة بأصولهم اللوفيانية المختلفة، مشابهة لاسم تاركوماوا الذي -طبقاً للنظرية الأكثر قبولاً- يظهر في الآرامية على عملات كيليكيا Cilicia المنسوبة لداتاميس، ويحدد سترابو Strabo موقع كاستابالا-هييرابوليس في قطونيا 12. 2. 2. 7، وهي منطقة وصفت حدودها الجغرافية والإدارية بشكل ضعيف في العصر الأخميني «سهل متسع مفرغ، ينتج كل شيء»، وتسقى قطونيا ببيراموس، وهو نهر

ملاحي يصل إلى البحر في كيليكيا Cilicia وبكارمالوس، والإقليم محاط بالجبال، ويوجد به القليل من المدن، ولكنهم يملكون حصوناً منيعة على الجبال، وهذا ما قد تأكد من نيبوس Nepos : «كانت البلاد كثيفة الأشجار، ومغطاة بشبكة ثقيلة من الكاستيلا دات 4. 2، ومن ضمن حصونها، سمى سترابو Strabo نورا، «حيث تحمل إيومينيس الحصار لفترة طويلة» 12. 2. 6، وعرفت نورا بقوة مكانتها في بداية العصر الهليني، وبالتأكيد كانت تحتل تلك المكانة أيضاً منذ العصر الأخميني، مثل العديد من القلاع الأخرى التي -مثل حاميات ميسيا زينوفون Xenophon ، أناب Anab 7.8.15 - كانت تستطيع بسهولة مساعدتها ديودورس Diodorus .19.16.3

وبعد فترة طويلة، أنشأ إقليم كاستابالا إدارة مقسمة لأهالي كاستابالا، ونعرف بوجود ستراليجوس والقس الأكبر بقطونيا»، وهو بناء منظومي يمكن مقارنته بالمنظومة الموصوفة عدة مرات من قبل سترابو Strabo في «ولايات المعبد» لأناطوليا اليونانية-الرومانية 12. 2. 3، وللعصر الأخميني الحقيقي فإن أكثر نص مثير للأحداث هي قطعة في نيبوس Nepos التي تصف الأراضي في أسبيس، والتي أرسل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني داتاميس لمواجهتها «آمراً إياه بالهجوم على أسبيس حاكم قطونيا، حيث تقع هذه البلدة خلف كيليكيا Cilicia بجانب كابادوكيا» دات 4. 1، وأظهرت عواقب القصة أن البلدة قد قطعت بطرق رئيسة منذ استغلال أسبيس لموقعها لحصر الجزية التي كانت قد بعثت للمكل العظيم 84. 2، ويجب أن نظهر أهمية أحد هذه الطرق، وهو الطريق الذي يقود من قطالونيا إلى البوابات الكيليكية من خلال تيانا سترابو Strabo 7-9 .12.2 ؛ زينوفون Xenophon ، أناب Anab 20 .20 .2 .1 دانا، وكان من المحتمل اختيار داتاميس كعميل لأرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ لأن والده كوميساريس نصب نفسه

لمنصب رسمي، ففي الواقع حكم كاميساريس ذلك الجزء من كيليكيا Cilicia الذي يربط كابادوكيا، وكان مسكوناً من قبل السوريين البيض 1. 1، ومن الواضح أن هذا الإقليم هو قطونيا، والذي كان يقع في المنطقة الأمامية بين كابادوكيا وكيليكيا Cilicia ، ومن الواضح أنه كان في هذا الوقت تابعاً لمرزبانية كيليكيا Cilicia ، على الرغم من أن القطونيين كانوا من ضمن الفرق الواقعة تحت سلطة دارا Darius الثالث في جوجاميلا، وهذا حيث كانت تقع البلدة الرئيسة ومازاكا والتي سميت فيما بعد إيوسيبيا بجانب أرجوس بعد البركان الذي ارتفع لمسافة 3900 متراً فوقها سترابو Strabo 12.2.7 ، وتبعد 35 كيلومتراً من شمال شرق القيصرية المستقبلية، وربما كانت ماكازا في العصر الأخميني موقع نائب حاكم قطونيا الذي يدعى كاميساريس، ولاحقاً أسبيس .



الشكل 60

وليس بعيداً عن مازاكا، وجدت قاعدة مذبح كنيسة، وكانت على أوجهها الأربعة مشاهد فارسية تقليدية منحوتة عليه: «التضحية بماجي»، وهو مشابه إلى حد كبير للمشهد على أحد الأعمدة الحجرية من داسيليوم شكل 60، فمن المحتمل أن يكون الفرس قد أنشأوا عبادة النار على أرجوس البركاني، وبالتالي، استيعاب عبادة المرتفعات لصالحهم، نظرية تستدعي العقل بمعبد أنايتيس بارزوكارا المقدس، ويدل الاسم

الإيراني المقدس على جبل عالٍ معروف بجانب كابادوكيا، وبالجوار ببلدة من هانيسا، والتي بنيت على موقع كانيش الأثري يعطي نقشاً -عثر مؤخراً عليه- الدليل على السلالة الحاكمة للشعب الإيراني، ويشبه كثيراً التي في كابادوكيا المجاورة، كما عرف «الحاكم والقس الأعلى» لقطونيا أيضاً من نقش عثر مؤخراً عليه، والذي يحمل اسماً إيرانيًّا هو أرساميس، وعلى اسم أسرة محلية هي لازيميس، وفي داخل حدود كابادوكيا وقطونيا، صدق نقش إغريقي عثر مؤخراً على الاسم الشخصي لكاستاباليان، وهو تاركونديايوس، وكان هنا عندما أعيد نسخ نقش إريقي آرامي على شرف ساجرياس ابن مايفيرنيس، القائد/ رئيس الحامية الأرميني، الذي أصبح مجوسيًّا «ميثرا»، وتوضح هذه المادة بقاء الأسماء الإيرانية مايفيرنيس الذي وجد أيضاً في هانيسا وسيلاينا، وخلطهم بالأسماء المحلية ساجاريوس الذي عرف أيضاً في سارديس Sardis ، بالإضافة إلى استمرار اللغة الآرامية والديانة الإيرانية، كل مكون يعود -من الواضح- إلى العصر الأخميني .

وتوضح كل هذه الأدلة أن احتلال الأراضي الأخمينية كانت أكثر كثافة من المطالب به عامة على أسس ملائمة، ولكنه انقسام خادع جزئي بين السهل والجبل أو الساحل والداخل، فبداخل كيليكيا Cilicia هناك تقسيمات سياسية محكومة من قبل نواب الحكام، مثل كاميساريس وأسبيس في قطونيا، والتي يمكن أن تقارن مع اسم شخص في نقش آرامي للعصر الأخميني، وجد في هيميت، والتي كانت قريبة لكاستابالا-هيرابوليس، ويمكن أن يشير لقب المرزبان إلى أن الشخص الذي يحمل اسم لوفيان يملك -نوعاً ما- منصب سياسي في الإقليم، وحتى إذا كان الاسم مجرد تعريف لحاله فقط، فإنه يرمز إلى الشخص بتحسن حالته الاجتماعية باستخدام كلمة فارسية، ويوضح دليل آخر، على الرغم من دوام صعوبة إثبات التاريخ أن هناك دياسبور فارسي في مختلف

الأقـاليم المعرفـة لكيليكيـا Cilicia واسـتعارة أسـلوب الحيـاة الفـارسي: «وتـريح اليونانية-الفارسية نقش آرامي في سارايدين: 35 رقـم جيبسـون 2، حيـث يتفـاخر شخص مـا بشـجاعته في الصـيد في الجنـة: نيبـوس Nepos ، دات 5. 4، ولم يصـدق سابقاً نقش إغريقي عثر عليه مؤخراً الذي يذكر لقب ديني إيراني سـاتـابـارا، وأخيراً يمكـن أن نؤكـد عـلى أن عمليـة كيليكيـا Cilicia مشـوقة ومعزولـة وغـير مؤرخـة تكشف عن ملك بستاني .

7- من طرسوس إلى ساماريا من خلال سيدون وأورشليم:

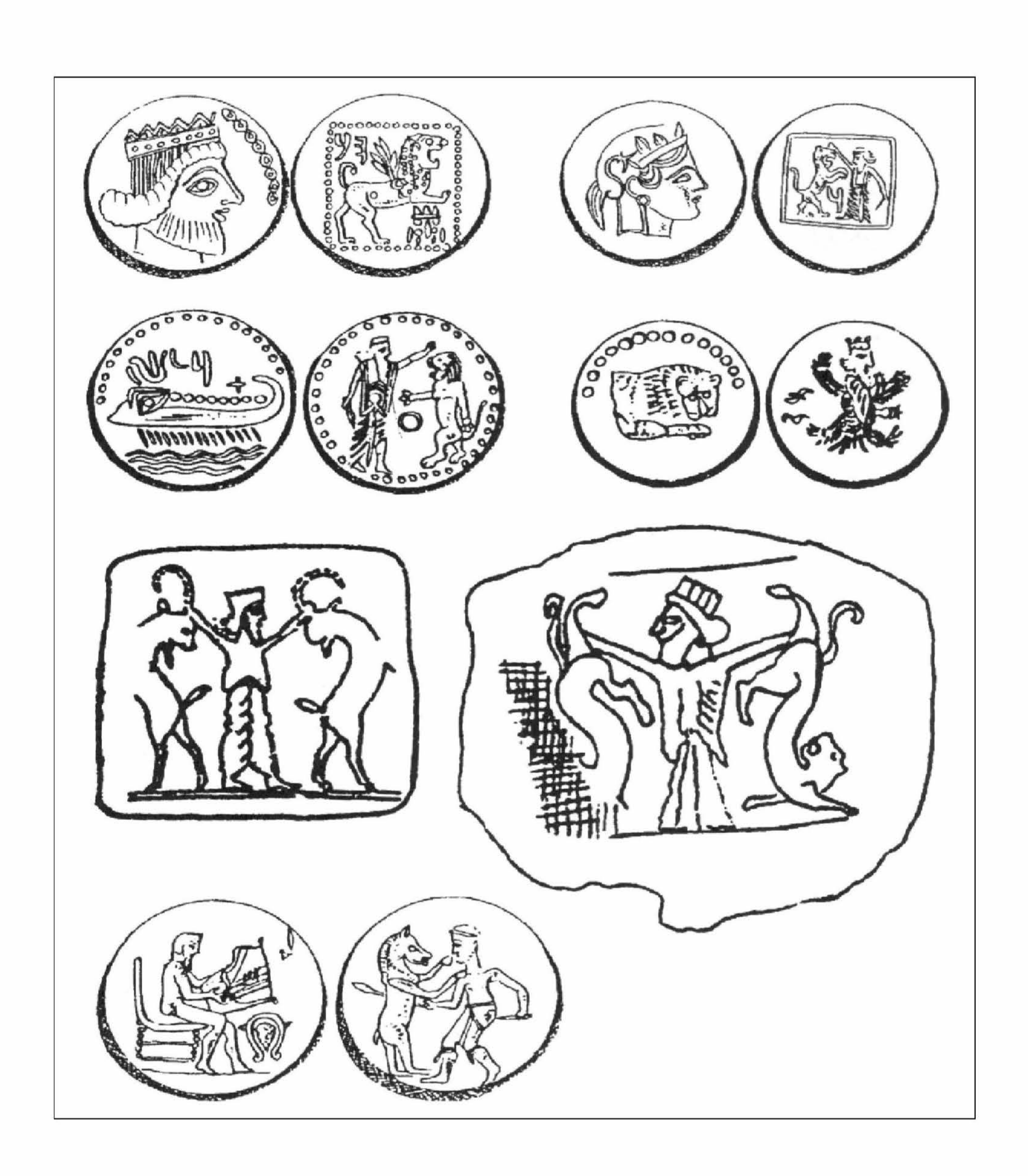
إن إعادة غزو أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث لمصر قـد أدى إلى إعـادة تنظيم إدارة أخرى في إيوفراتيس، وبالتالي، فقد امتدت أيضاً سلطة مازاروس جنوبـاً من قاعدته الأساسية في كيليكيا Cilicia إلى الحدود المصرية بعد أخـذ قـبرص مـرة أخـرى، سـمحت لجـزر الملـوك ومـن ضـمنها سـالاميس بالحفـاظ عـلى مـواقعهم ديـودورس Diodorus 1-3 .16.46، ولكـن بالتأكيـد طلـب مـنهم تجديـد عهـود الحلف 15. 9. 2، وهذا سؤال يبحث في مشكلة سيدونيون بالتضـاد مـع مـا جعلنـا ديـودورس Diodorus نفهمـه 16. 45. 4. 6 بتأييـد موضـوع روائي معـروف جيـداً هـيرودوت Herodotus 1.176 ؛ ديـودورس Diodorus 8 .4 .22 .18، فلـم يـتم محو سيدون من الخريطة، ولم تتم إزالة شعبها بالكامل، وقد أكد ببسـاطة ترحيـل النساء السيدونيين إلى «القصر الملكي ببابل»، والـذي يشـار إليـه في التـاريخ البـابلي المسلسل كرونيكي 9. ص114 حقيقة نوع المعايير الثأرية المعتادة في تلك الظـروف، وبعد كـل شيء، فبالكـاد لـيس هنـاك أدنى شـك في أنـه طلـب مـن المدينـة إمـداد الأسطول المصاحب لأرتاكسركسيس Artaxerxes إلى الـدلتا بفرقـة بحريـة، وتمنعنـا قداسـة الـدليل المبـاشر مـن الوصـول إلى اسـتنتاج قـاطع بخصـوص الحالـة

الممنوحة لسيدون أو المفروضة عليها، والسؤال يكون: هل أديرت البلدة مباشرة بالفرس بعد إعادة الغزو من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث؟ أم بقيت على استقلالها النسبي الذي نعمت به قبل التمرد؟ من المعتقد دائماً أن الملك العظيم ألغى منح واحد من أسلافه لقب مستشار الملك فصل 12/3، ولكن بقي التوثيق موجزاً بشكل كبير، وعلى الجانب الآخر لا يوجد شك في أنه بعد عدة سنوات 341-342 تمت قيادة سيدون مرة أخرى من قبل ملك يدعى ستراتون الثاني، حيث عثر على عملاته، ونعرف أيضاً أن مازاروس سك عملات في سيدون، واستمرت عملاته بدون انقطاع بين عامي 333، 343، ولكن ليس هناك ما يثبت أننا يجب علينا تفسير هذا كدليل على تحديد عنيف للامتيازات السيدونية، فقد أوضحت تقارير مؤلفي الإسكندر Alexander أن ستراتون -ملك سيدون المعين من قبل الملك العظيم- كان مخلصاً تماماً للفكرة الفارسية كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.1.16 ؛ ديودورس Diodorus 17.47.1 ، وفي التخطيط الاستراتيجي الأخميني شكل دائم للساحل الفينيقي، بالمشاركة مع قبرص، وكيليكيا Cilicia كقاعدة إمداد وتموين بحرية مهمة، كما أكدت بتشكيل بحرية فارسية في عامي 332، 334 آريان Arrian 1.19.7 ؛ 2. 16. 7؛ 2. 20. 1، وتم الاعتراف بشيبياردس في تريبوليس 2. 13. 3-4، وقريباً سيتم الاعتراف بغابات لبنان كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.2.18، وأهمية هذه المنطقة للعمليات البحرية أجلت تقدم الإسكندر Alexander إلى حيث تمركز أسطوله الإندوسي من معدات فينيقية وقبرصية وكارية ومصرية آريان Arrian 6.1.6 ، وعندما كان الإسكندر Alexander يخطط لحملته ضد العرب استولى على مواقع السفن الفينيقية مثال، 7. 19. 3، وبقيت هذه المواقع التي امتدت من غابات لبنان، وظلت نشطة خلال عهد ديادوتشي ديودورس Diodorus 19.58.2-5.

وكانت السلطة الأخمينية مؤسسة جيداً في ساماريا، على الرغم من عدم وجود معلومات رسمية لدينا بعد اتهام اليهود لسابالات وأولاده دالاياه وسيليمياه في نوفمبر عام 407 داي 102-3؛ 31/31-32، وتضيف البرديات والعلامات على الأختام والعملات الآرامية تفاصيل مهمة، فقد عثر على تلك البرديات وبعض العلامات في عام 1962 في أحد الكهوف بوادي دالياه بجانب زيريكو، وقد تم اكتشاف العملات في مؤنتين، واحدة في نابلس بددت حاليًّا، والأخرى في ساماريا، وذكرت العديد من هذه العملات مازايوس Mazaeus : ليست إليّ من مؤنة ساماريا من الواضح أنها مؤرخة في تاريخ سابق عام 345، ولكن على أربعة عملات في مؤنة نابلس نوس 14 و16 و21 و48، ويرجع تاريخها إلى ما بين 333-343 و345، كما عثر أيضاً على عملات سيدونية مسكوكة باسم مازايوس Mazaeus في مؤنة نابلس، ومن ضمن المواد التي من دالياه عملة من طرسوس مختومة باسم مازايوس Mazaeus ، وسجلت البرديات من وادي دالياه أعمالاً خاصة يرجع تاريخها لفترات حكم عدة ملوك عظماء، ويسمى أيضاً حاكم ساماريا تمتلك إحدى البرديات الأكثر إمتاعاً، والأفضل حفظاً الافتتاحية الآتية: «اليوم العشرون من شهر آدار، السنة الثانية، سنة تتويج الملك دارا Darius على العرش بساماريا القلعة، والتي في ساماريا الإقليم»، وبعد ذلك، ومع بنود الضمانات والتصديق، تظهر صيغة قبل ييشورا ابن سانبالات حاكم ساماريا وحنانيا، الحاكم، وللبداية، فإن الوثيقة ميزة فريدة لكونها مؤرخة لكل لحظة انتقالية بين أرتاكسركسيس Artaxerxes السنة 2، ودارا Darius الثالث السنة، والتي هي 19 مارس عام 335، وهي آخر الوثائق، حيث إن أغلبهم يعود تاريخهم إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، والأقدم تعود إلى عام 375، بالإضافة إلى أننا لاحظنا أن ساماريا المصطلح الذي يشير إلى البلدة والقلعة والإقليم على التساوي، كانت تظل تدار بواسطة حاكم يساعده مدير، وأخيراً، من

الواضح أن خط سانبالات الأول قد ظل في مكانه على الأقل منذ دارا Darius الثاني يوشوا، في كل الاحتمالات، وهو حفيد سانابالات الأول من ابنه سانابالات الثاني 41-45، أو من خلال دالياه 49، وكان الحاكم حنانيا شقيق سانابلات 2، والذي نجح كحاكم ساماريا 7، 9، 29-30 طبقاً لزوسيفوس أنت 11. 302، وقد مثل سانابالات آخر مرزبان لسماريا -إذا كان له وجود- كان سوف يجب اعتباره سانابالات الثالث ابن حنانيا، وبالتالي نرى هنا تتويج عدة أجيال، والتي ستكون إلى حد ما مذكرة لنا بهيكوميديس كاريا، وفي هذه الحالة سيرث أفراد العائلة الواحدة لقب حاكم، على الرغم من عدم وجود شك في أنه في كل تتويج كان يمنح اللقب الجديد مباشرة من السلطة الملكية، والتي دائماً ما استبقت الحق الملكي لفرض السلطة على من تشاء إذا ما بقيت العائلة الواحدة على هذا التفوق، فإنه من الواضح أنها أثبتت ولاءها المتصل بالملك العظيم من على الأقل دارا Darius الثاني إلى دارا Darius الثالث، كما تأتي المعلومات عن جوده من العملات أيضاً، حيث كانت تسك العملات باسم ياهيزقياه الحاكم»، وأخرى باسم «جاهانان القس الأكبر»، ولسوء الحظ استمرت التواريخ القريبة للعملات والعلاقة المسلسلة بين الحاكم والقس الأكبر اللذان استخدما نوعاً واحداً من العملات في كونها مشكلة كبيرة، ولكن الجدير بالذكر أن هذه الإدارة المشتركة كانت مؤثرة؛ لأنه في عام 407 و410 يعث يهود إليفانتين مظلمتين متتاليتين، واحدة لمواطني جوده القياديين وواحدة أخرى لجوهانان «القس الأكبر»، والثانية لباجوهي الحاكم داي 102؛ 30-31 .

وما يجب علينا توضيحه هو انتشار الموضوعات الفارسية الواسع على العملات والرموز شكل في 612، وأحياناً وبطريقة الإلهام من العملات السيدونية وقد ذكرت السفينة السيدونية عدة مرات: 16-17، 44-45، 49-54، وأحد أكثر المشاهد المشتركة هو البطل



الشكل 61

الملكي، والذي عرف جيداً من بيرسيبوليس Persipolese ، وفي مكان آخر: وهو يواجه الأسود 16، 44-48، 51-59، 60، وأحياناً أسوداً مجنحة 4، 17، أو ثور 19، 31-33 .

ونجد أيضاً مثلما على العملة الملكية رامي السهام أو الملك الرماح أو كليهما 17، 21، 22، 56-57 صوراً متعلقة ببعضها على الوجه والظهر 52، وأيضاً الملك على عرشه 18، 21 أمام مبخرة ذات أرجل 33 في مركبته 35، 48، أو واقفاً مع صولجانه 37، فالموضوعات الفارسية أسد يصطاد وأخرى تكون أحياناً مجمعة على عملة واحدة 18، 21، 31، 36-38، 48، 52، 57 في حالة واحدة 50 مشهد ملكي ملك يقتل أسداً مضمناً مع رأس أثينا شكل 61 ب، وهذا يذكر بانتشار الأمثلة اللاتينية في نظام العملات، ودليل التأثير الإغريقي على الأخص في الرموز اليونانية الفارسية من وادي دالياه شكل 61 ح-خ، كما تتضمن عملات أورشليم الخاصة بيحييزكيياه وجوهانان أنفسهم موضوعات نادراً ما تكون يهودية، بومة أو قناع أنثى، وهناك بعض الموضوعات أصعب في تعريفها «عرقيًّا»، مثل رجل يقتل خيلاً يصهل أمامه 58، ومن الجائز أن تعزي لرؤية هذا كمرجع للتضحية بالخيل في عبادة ميثرا، إذا كان الرجل يرتدي زيًّا فارسيًّا، وهذه ليست الحالة شكل 61 د .

8- من غزة إلى بيترا:

بعد سقوط تاير سقطت فلسطين في يد الإسكندر Alexander -ما عدا غزة التي قاومت بشدة من سبتمبر إلى نوفمبر 332- والتي وصفت من قبل جميع المؤرخين القدامى -من ضمنهم بوليبيوس- الذي منح إخلاص المخلصين للنفوذ الإمبراطوري عائدين بكل الطرق إلى غزو قمبيز Cambyses 16.22 ، فقد أظهرت التقارير أن غزة كانت محصنة بشكل جيد جدًّا، وأن لدى حاكمها باتيس حصن كبير يتضمن كلاً من الفرس والعرب آريان Arrian 2.25. 4-26 ؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.6.7، وبعد أخذ المدينة أرسل الإسكندر

Alexander -كما قالوا- 500 وحدة من البخور و100 وحدة من المر الصمغ لمعلمه بلوتارخ Plutarch ، أليكس Alex 24.6 ، كما قادنا وجود المرتزقة العرب، ووجود قوائم البخور والمر والعثور على العملات إلى تذكر أن هيرودوت Herodotus قد قارن رخاء غزة بثروة ساردیس Sardis 3.5 ، وكانت المدينة في ذلك الوقت هي المركز الرئيس لجميع الأسواق التي -طبقاً لهيرودوت Herodotus مرة أخرى 3. 5- كانت «ملكاً للملك العربي»، وكان ملك العرب هذا لا يختلف عن الموجود في عصر قمبيز Cambyses ، فقد سيطر على الطريق الصحراوي المؤدي إلى مصر من غزة 3. 7، ويوضح دليل آخر أن سلع مينونوس التجارية للجنوب العربي وجدت منفذاً لها في غزة، فقد عرفنا طويلاً في النقش المينيني ريس 3022 الذي يشير إلى القافلة التجارية العائدة من التجارة بمصر وسوريا وإيقوراتيس، فيخبرنا هذا النقش أن تجار مينين «قد أنقذوا بضاعتهم من قلب مصر خلال الصراع الذي شب بين الميديين والمصريين»، وإن كان النص مؤرخاً في العصر الأخميني -والذي يمكن أن يكون محتملاً- فإنه لحسن الحظ، يشير إلى إحدى الحملات ضد مصر، والتي لسوء الحظ، لا نستطيع أن نؤرخ بدقة أكثر أنها كانت في الفترة بين قمبيز Cambyses وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث .

ونعرف أيضاً من هيرودوت Herodotus مرة أخرى أن قمبيز Cambyses قد دخل في اتفاقية مع ملك العرب 3. 7، 9، وبالتالي فإننا من الممكن أن نرجح أنه بسبب تلك الاتفاقية استنتج هيرودوت Herodotus أن العرب من ضمن الشعوب المعطاءة: «يجلب العرب الآلاف من العطور كل عام» 3. 97 على الرغم من كونهم رسميًّا من ضمن سكان إيفراتيس Euphrates ، كما أعفيت أرضهم من الجزية 3. 91، ومن حسن الحظ، أن ملك العرب استبقى حالته الامتيازية خلال

العصر الأخميني، ولكن في الفترة ما بين هيرودوت Herodotus والإسكندر Alexander ، فإنه يوجد لدينا بالكاد معلومات مباشرة، فقد ذكر هيرودوت Herodotus ببساطة أن «ملك العرب» كان منضماً إلى الفرعون وحلفائه ضد الفرس في حوالي عام 410، فقد جعل نفسه حليفاً مع أميراتوس 13. 46. 6، وفي حوالي عام 382 أرسل تعزيزات لإيفاجوراس قبرص 15. 24.

وسنكون قد ابتعدنا للغاية إذا استنتجنا من هذا أن الفرس قد اختاروا متعمدين هجر الإقليم، فقد سمجت لنا مقاومة غزة أن نفكر بأنه -على الأقل- بعد إعادة غزو مصر عام 343، حيث أصبحت البلدة مرة أخرى مكاناً محصناً ذا أهمية كبيرة، والذي كان مسيطراً عليه مباشرة الملك العظيم، بالإضافة إلى ذلك، قد صرح كوينتوس كيرتس Quintus Curtius أن الباتيس كانوا استثنائيًّا مخلصين لدارا Darius الثالث، فهناك مجموعتان آراميتان من بير شيبا وتل أرود مكانين في آيدوميا يرجع تاريخهم إلى القرن الرابع، وربما ترجع إلى فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، كما يعكسوا استقرار الأخمينيين في المنطقة، أما المجموعة الثانية فتتضمن جزئيًّا ملخصات لتوزيع نسب الطعام للمواطنين والحيوانات الخيول، القرود، كما نظم العمال في مجموعات، ونجد شيئاً قد صدق عليه جيداً في إليفانتيس مشابهة للوحات الموجودة في بيرسيبوليس Persipolese ، وتوضح الأوستراكا جيداً أن الأرض كانت منظمة الأسواق حول المراكز الأساسية التي أمرت المراكز الأصغر التي لها مخازن وحصون، ولا شك أن حالي بير سيبا مختلفة، حيث إن وجود الحصن لم يصدق عليه، واحتياجات الطعام المذكورة في الأوستراكا يمكن أن توصل من المزارع في المناطق المحيطة إلى مركز تجميعي، فالاكتشاف الحديث الذي ظل غير معلن لمئات الأوستراكا من النوع نفسه من القرن الرابع أيضاً، والذي يمكن أن يؤكد

أن استقرار الأخمينيين سواء كان عسكريًّا أم لا في إقليم آيدونيا، حيث كـان غزيـراً إلى حـد مـا، وهـي المنطقـة التـي سـماها ديـودورس Diodorus في بدايـة الـعصر الهليني بمقاطعة أوبراشياس آيدونيا» 19. 95. 2، والذي يبـين في الحـال أن الأسـماء الشخصـية تـنم عـن خلـط شـامل لتجمعـات الأهـالي في هـذه المنـاطق العـرب، إيدوميتيس، اليهود، وبعض الفرس.

والجغرافية السياسية للشـمال العـربي في ذلـك الوقـت كانـت لهـا مشـكلات أخرى استمرت لتكون مناقشات ساخنة، ولا نستطيع الخوض في تفاصـيل المناقشـة هنا، وأحـد أكـثر النصـوص تشـويشاً هـو الفقـرة الطويلـة التـي أهـداها ديـودورس Diodorus للمجتمع 19. 94-97 للناباتيس في سياق وصفه للحملة التـي قـام بهـا ديمتريوس الملازم الأول لأنتيجونس ذي العـين الواحـدة ضـدهم مـن آيـدونيا 95.2، فقد كانوا رعاة بدو الجمال، الغنم: «بينما يوجد العديد من القبائل العربية الـذين يستخدمون الصحراء كمرعـى يتفـوق النابـاتيس إلى حـد بعيـد عـلى العديـدين في الثروة .....؛ لعدم اعتياد القليل منهم على جلب البخور والمر، وأقـيم أنـواع التوابـل للبحر، والتي يجهزونها لمن يرسلونها لهم ممن يسمون بـالعربي المحظـوظ» 94. 4-5، وبالتالي، فقد ربحوا من دورهم كوسطاء بين الجنـوب العـربي ومـوانئ المتوسـط وفي الأساس غزة، فقد قـام ديمتريـوس بهجـوم ضـد حصـن طبيعـي، حيـث أنشـأت المواقع التجارية 95. 1.

وبعد إرسال خطاب لأنتاجوناس في الآراميـة 96. 1 عـرض النابـاتيس عـلى ديمتريـوس الصـفقة التاليـة: «يسـحب ديمتريـوس جيشـه، وسـيعطي للنابـاتيس الهدايا دوريا 97.4، وحدث هذا وتوقف العـداء 97.6، فنسـتطيع أن نتخيـل أن الموقف المنتشر في ذلك الوقت لا يختلف عن الموقـف المنـتشر في نهايـة الـعصر الأخميني، فلم يكن الناباتيس يدفعون الجزية فورولوجومينوي 94. 10، ولكنهم قدموا الهدايا إلى الإدارة الفارسية، مثلما فعـل ملـك العـرب في زمـن هـيرودوت

Herodotus ، ومن الجائز أن يكون ملك الناباتيس هو الملك الذي أشار إليه كيوما عندما كان يذكر أنه كان «مستقلاً وليس منقاداً عبداً لأحـد» أثينيـوس Athenius 12.517 ب-ج، ولكن إذا كانت تلك النظرية صـالحة بالإشـارة إليـه كحـاكم للبلـدة «حيث كان ينتج البخور»، وسيكون الأثينيـون مـدانين بخلـط إنتـاج وتوزيـع هـذه السلعة.

9- مصر من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى دارا Darius الثالث:

لقد أخبرنا بشكل ضعيف وقليل عن تاريخ المرزبانية المصرية بعد إعادة غزو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ولم يشر نقش واحد كلاسيكي إلى هـذا الإقلـيم في هـذا الوقـت، فكـل مـا نعرفـه هـو أن مرزبـان مصر في عـام 333 كـان يسـمى ساباسيس، ولكننا لا نعرف متى أو كيف حل محل المرزبان الـذي تـم تعيينـه قبـل ذلك بعشر سنوات من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أيضـاً، وعنـد هـذه النقطة، لا نستطيع تجنب اللجوء إلى وثيقة واحدة معروفة تسمي المرزبان سـتيلا، والتي يرجع تاريخها إلى السنة السابعة لحكم الإسـكندر Alexander الرابـع 311-312، على الرغم من استمرار قراءاته وتفسيراته لتدريب الدارسين الجـدد، ويصـف هذا العمود الحجري الهيروغليفي الأعمال الحسنة للمرزبان بطلميوس Patolmy ، وعلى الأخص تبرعاته التـي شرف بهـا معبـد إيجـو بجانـب بوتـو في الـدلتا، فهـو لم يجلب معه من آسيا صور الآلهـة والكتـب التابعـة للمعابـد في مصر فقـط، ولكنـه جدد أراضٍ كثيرة لم يكن قد تم تجديدها من قبـل إلا فـيما سـبق بواسـطة شـخص يدعى خاباباش، وقد جاء هذا الشخص ليتفحص الدلتا «ليتعرف عـلى أفـرع النيـل جميعها التي تتدفق في البحر»، وبالحصول على هذه المعلومة، يذكر كتـاب الـنقش أن «العدو القديمكسركسيس Xerxes قد ألغى الهبة السابق منحها».

وتشير بعض التفاصيل إلى أن نقش الدلتا حدث في اللحظة نفسها، عندما هددت بغزو أسطول من سوريا-فلسطين، ويظهر المصطلح وتاريخ العمود الحجري خوف خاباباش من حملة على رأسها الأسطول الأخميني؛ لأن اهتماماته هي تفحص وتحسين وتدعيم حاميات الدلتا، التي كانت تمثل مدخلاً للنيل وممفيس، أسوة بأسلافه عندما واجهوا موقفاً مشابهاً لذلك في الماضي انظر: فصل 15/9، ولكن ما تاريخ خاباباش المبهم؟ لا تسمح لنا الوثائق القليلة التي تذكره بالإجابة عن هذا السؤال، فكل ما نستطيع قوله إنه كان فرعوناً بكل المعاني، على الرغم من عدم إمكاننا القول بأنه قد سيطر على مصر كلها، فقد قادنا سياق النص إلى اقتراح أن فترة حكم خاباباش لم تكن قبل فترة حكم بطلميوس Patolmy بوقت طويل، والنتيجة أنه قد كانت هناك العديد من المحاولات لوضعه في حوالي عامي 338-342، أو بين عامي 336-338، واقتراح أن كسركسيس Xerxes قد أشار حقيقة إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أو إلى وريثه أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أرسيس، ومهما كانت هوية كسركسيس Xerxes ، فيجب أن نستنتج أنه من المؤكد أن الجيوش الأخمينية قد قامت بحملة لإعادة الغزو في تاريخ ما لا نستطيع نشره أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أو دارا Darius الثالث، ومع ذلك، فإننا لا نستطيع قول أي شيء عن مدى قوة ثورته؛ لأنه بعد ظهوره السريع اختفى خاباباش تماماً من السجل التاريخي، لإضافة إلى أننا لا نستطيع التأكيد على أن فارانداتيس -المرزبان المعين من قبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث- قد مات إثر هذه الانتفاضة الثورة .

ولدينا القليل من المعلومات عن منظومة مصر عند مجيء الإسكندر Alexander ، وبعيداً عن تقدير القياسات الإدارية المأخوذة في عامي 331، 332، والتي تضمنت تعيين رئيسين، هما: دولوسبيس وبيتيسيس

رفض هذا الأخير العرض، وفروراتش في ممفيس، كما نبه على حاكم نوقراطيس بالسماح للبدور بحكم مقاطعاتهم طبقاً للممارسات القديمة، ولكنه سيحصل منهم على الجزية بنفسه، حيث أمرهم بدفعها له آريان Arrian 3.5.4، كما اتضح أن أحد البدو وهو دولاسبيس يحمل اسماً إيرانيًّا، فهل كان فارسيًّا أم مصريًّا من أصل فارسي؟ وعلى الرغم من حمل اثنين من المواطنين اسم نومارتش إلا أنه قد حدث ارتباك حول معنى الاسم عند ظهوره في النصف الثاني من النص، حيث صنفت مصر إلى 42 إقليماً إداريًّا أساسيًّا، ومن الواضح أن هذه السلطات القضائية لم يتم تغييرها من قبل الفرس، ولم يتم تعديلها أيضاً من قبل الإسكندر Alexander ، وكان حكام هذه المقاطعات هم الذين يسلمون عوائد الجزية إلى كليمونيس أريست، أوكون 2. 33أ [1352أ]، وأخيراً من الممكن أن نلاحظ أنه عند وصول الإسكندر Alexander ظل الإليفانتين مفتوحاً للتجارة؛ لأن الملك قد قام بنفي بعض مستشاريه السياسيين إلى هناك آريان Arrian 3.2.7.

10- من أربيلا إلى صوصا Susa :

عاد دارا Darius إلى ميديا بعد هزيمته في جوجاميلا، تاركاً الطريق الذي يؤدي من أربيلا إلى بابل وصوصا Susa مفتوحاً آريان Arrian 3. 16. 1-2 ، وساعد على تقدم الغزاة أن الطريق كان مزوداً بمحطات لإعادة التموين، كما نعرف أن السلطات المازايوسية Mazaeus والبابلية قد سلمت البلدة للإسكندر Alexander آريان Arrian 3.16.3 ؛ كوينتوس كيرتس Quintus 5.1. 17-23 Curtius، وأصاب صوصا Susa المصير نفسه، فبعد مسيرة عشرين يوماً من بابل استسلمت للإسكندر Alexander من قبل المرزبان دارا Darius ، وكون أبيوليتيس الفارسي -الذي أبقى على مركزه 3. 16. 6، 9؛ كوينتوس كيرتس

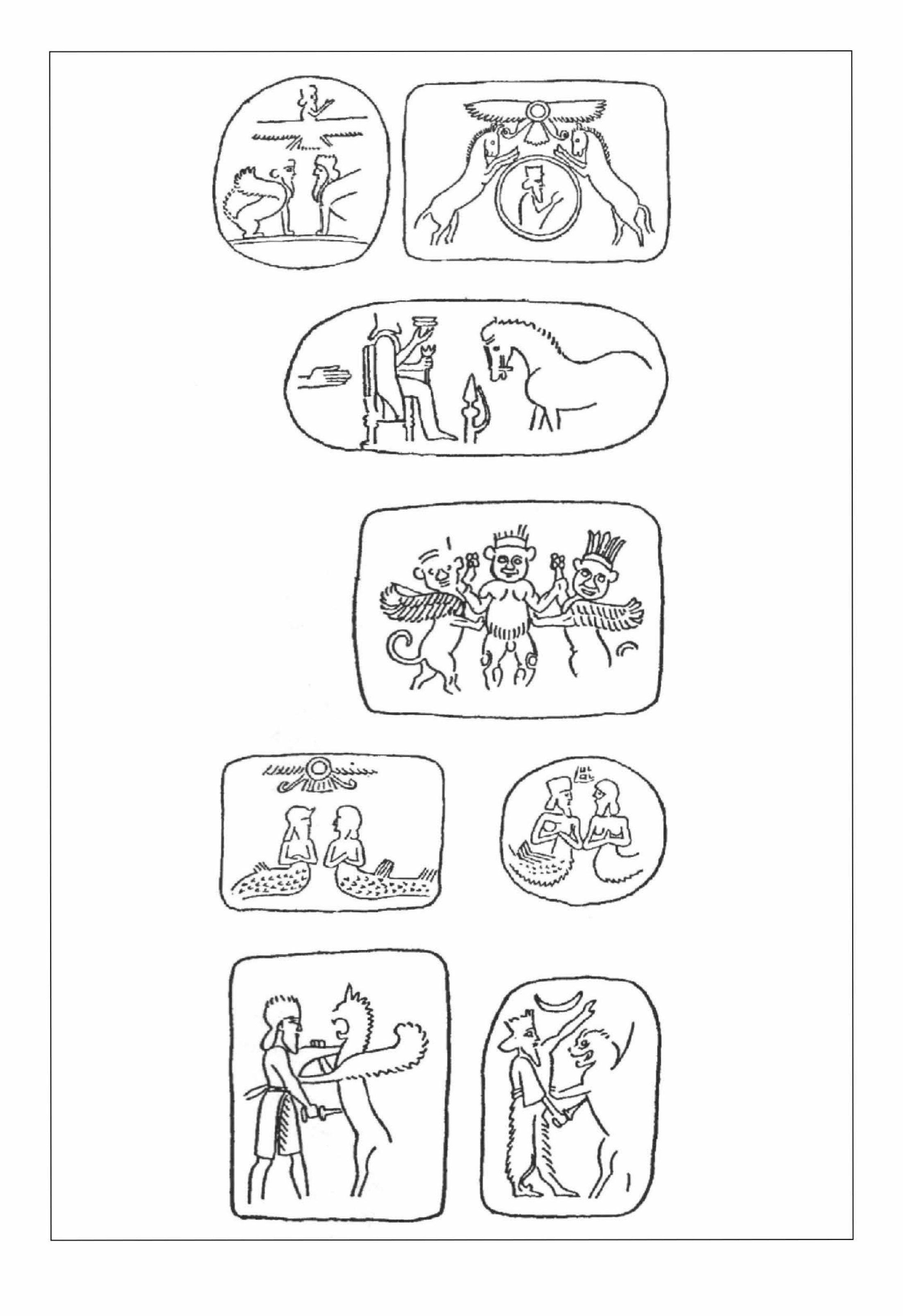
آريـان Mazaeus كمرزبان لبابل- مثـل مـازايوس 17 ، 5.2.8 Quintus Curtius Arrian 3. 16. 4 ؛ كوينتوس كيرتسQuintus Curtius 5.1.44، وكان ذلك ببابل عندما اجتمع دارا Darius مرتين بقواته قبل دخول كيليكيـا Cilicia في عـام 333، وجنوب ميسوبولانيا في عام 331، وفي عام 331 قاد أوجزاثـريس Oxathres -وهـو ابن أبيوليتيس- الجنود إلى صوصـا Susa ويجزيـان، بيـنما كـان بيوبـاريس مرزبـان بابل فيما بعد؟ هو المسؤول عن المرتزقة البابليين آريان Arrian 3.8.5 ، ونعرف أن بابل وصوصـا Susa كانـت اثنتـين مـن أهـم المراكـز الأخمينيـة الموجـودة في ذلـك الوقت، فقيام المشروعات هناك من قبل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني يؤكـد هذه الحقيقة فصل 8/15 .

ولدينا تفصيل صغير للغاية عن الإدارة المرزبانية لبابل وصوصا Susa مثلما كانت في وقت دارا Darius الأول فصل 2/12، حيث كان هناك كنـز ببابـل يـدار بواسـطة خـازن كوينتـوس كـيرتس Quintus Curtius 20 .1 .5 ؛ باجوفـانيس، أركـيس، وبالمثـل كـان -بالتأكيـد- الوضـع نفسـه في صوصـا Susa ديـودورس Diodorus 19.18.1؛ زينوفيلوس جازابورا 48. 6، ومن المرجح أن مرزبانية بابـل كانت مقسمة إلى عدة مقاطعات فرعية -كـما في السـابق- ونعـرف القليـل عـن هذه المقاطعات، وبعيداً عن ذكر الانفصالات الواضحة مـن سيتانسـيس، و» زرع الكآريان Arrian س» ضمن الجنـود في وحـدة بقيـادة بيوبـاريس آريـان 3.8.5 Arrian ، وقد كان هؤلاء الكوريانس المزروعين ضـمن الجنـود مقيمـين في قـرى تدعى كارا، والتي يضعها ديودورس Diodorus 17.110.3 على الطريـق المـؤدي من صوصا Susa إلى إكباتانـا Ecbatana عـلى طـول الضـفة الشرقيـة لتيجـريس القريبة من سيتاسين، والتي مـن المحتمـل أن تكـون مقاطعـة فرعيـة في سـتيفن البيزنطي تسمى سيتاسين «مدينة فارسية»، وباتباع خط سـيره، اتصـل الإسـكندر

Alexander بالإريتريين المزروعين أيضاً في الجيوش الفارسية وليس البيوتانيين كـما يمثلهم ديودورس Diodorus ، والذين كانوا يقيمون -من خـلال دارا Darius - في المجتمـع الأخمينـي بكردسـتان، والتـي كانـت قريبـة مـن آبـار الـنفط هـيرودوت Herodotus 119-120 .6.

ومن المحتمل أن يكون هؤلاء هم الأشخاص الذين أسماهم كوينتوس كيرتس Quintus Curtius الجورديانيين، والذين أرسلوا أيضاً كفرقة لدعم دارا Darius في جوجـاميلا 4. 12. 11؛ سـترابو Strabo 16.1.25 ، ويجـب أن نـذكر أيضـاً أنـه بعـد الانقسام في عـام 323، كانـت ميسـوبوتانيا ومرزبانيـة بابـل منفصـلتين ديـودورس Diodorus 18.3.3 ، بعد الانقسام في عـام 320، حيـث اتحـدت ميسـوبوتانيا مـع أربيليتس 18. 39. 6، ومن المـرجح أن هـذا الترتيـب راجـع للـعصر الأخمينـي، وأن الإقليم حول أربيلا في ذلك الوقت كون انقساماً فرعيًّا إداريًّا محدداً، وضمنه سترابو Strabo فيما أسماه في ارتباك بأسيريا 16. 1. 3، فإيصال السفر المعطى مـن أرسـاما لخادمه عندما أرسله ليعود إلى مصر من بابل يوضح أن إقليم أربيلا كان من ضمن الأقاليم الميدية التي يقطعها الطريق الملكي داي 67، فالأهمية الاستراتيجية للإقلـيم حيـث بقايـا البلـدات الأسيـرية القديمـة المتبقيـة زينوفـون Xenophon ، أنـاب Anab 3.4. 6-9 موضـحة باتصـالاتها السـهلة ببابـل كوينتـوس كـيرتس Curtius Quintus ، 4.9.8 وبوجود المستعمرات الأخمينية التي كانت جـزءاً مـن المنظومـة الإمبراطورية العسكرية، وأخيراً، فمن الجائز أن جزء المستنقعات الجنـوبي مـن أدني وديان تايجريس وإيفراتيس Euphrates كون أيضاً إقليماً يسمى مـاتتومتين «أرض البحر» بداخل مرزبانية بابل .

وتمدنا المصادر من وقت الإسكندر Alexander بمعلومات مهمـة حـول الملاحـة وإدارة الميـاه، وتسـتحق بعـض منهـا اختبارهـا بحـرص إذا مـا استخدمت كدليل للادعاء بأن السيطرة الإقليمية الفارسية على بابل كانت



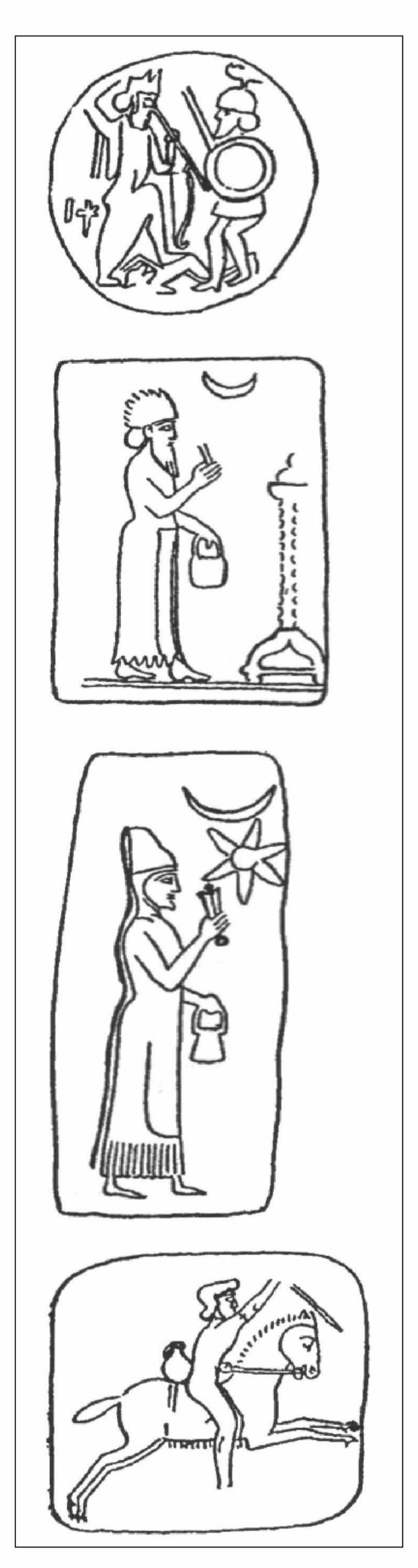
الشكل 62

ضعيفة، ويمكن أن نبدأ بالقطعة المعروفة من آريان Arrian «فقد أبحر الإسكندر Alexander إلى أعالي تيجريس بأسطوله كما فعل مع أوبيس: في رحلة إلى أعلى النهر، رفع السدود عن النهر، وجعل مستوى التيار المائي واحداً في كل مكان، تلك السدود التي صنعت من قبل الفرس لمنع أي شخص من الإبحار إلى بلادهم وغزوهم من ناحية البحر، والسيطرة عليها بأسطول بحري، فقد سيدها الفرس لعدم امتلاكهم قوة بحرية، وجعلت السدود المبنية على فترات محددة الرحلة إلى أعالي تيجريس غير عملية، ولكن الإسكندر Alexander قال: إن الاختراعات من هذا النوع هي أعمال أناس يفتقدون التفوق الحربي، وبالتالي اعتبر هذا الاحتياط لا يمثل فائدة له، وأظهر موقفه بتحطيمها سهولة الأعمال التي أفنى فيها الفرس طاقاتهم هباءً» 7. 7. 7 .

ووجدت المعلومة نفسها كما رويت في سترابو Strabo 16.1.9 ؛ 15. 3. 4، وإذا كانت صحيحة فسنستنتج أن الفرس لم يتحكموا في جنوب بابل، والتي ستكون باستمرار على المحك من أي عدو أجنبي قادر على تشكيل أسطول قوي يكفي للإبحار في الأنهار البابلية، ويتحدى القوات الأخمينية في قلب الإمبراطورية، ولكن تقديمات آريان Arrian وسترابو Strabo والتي فيها شك كبير، ويجب تمييز حقيقتين، هما: الحقائق المقدمة تشييد سدود مصطنعة والتعليق التاريخي، فمن الواضح احتواء قطعة آريان Arrian على جميع القوالب الأدبية التقليدية عن ضعف الفرس مثل فراعنة القرن الرابع المصريين انظر فصل 9/15، فقد وثقوا في البداية في المواقع الدفاعية لصد الغزوات منذ أن كان الملوك العظام غير قادرين على إظهار أي نوع من التفوق العسكري، بالإضافة إلى أن الادعاء بأن فرس القرن الرابع لم يكونوا بحارة يكون تقييماً ليس له أي صدى، فنشك أن آريان Arrian قد اقتبس تقريباً كل كلمة من الأسلوب المستخدم من قبل هيرودوت Herodotus عندما

وصف الفرس في بداية حكم قمبيز Cambyses 1.143 ، وأخيراً، فإنه من الصعب تخيل أي الأعداء من إقليم الخليج الفارسي كان قويًّا بما فيه الكفاية ليهدد أراضي بابل الغنية، ويضع الإقامة الملكية بصوصا Susa وبابل في خطر في ذلك الوقت، وفي الحقيقة، كل المؤشرات توضح أن الملاحظات المعتمد عليها من آريان Arrian وسترابو Strabo قد أخذت أعمالاً دفاعية دائمة، والتي لم تكن شيئاً أكثر من الفيضان، ففي الواقع، فإن التكوينات في هذه الفترة قد عرقلت مؤكداً حركة المرور في النهر بين الخليج وصوصا Susa سترابو Strabo 15.3.4 ، ولكنها لم تمنعها ديودورس Diodorus 17.67.3؛ كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.9.8؛ 15. 3. 5 .

كما وصف آريان Arrian وسترابو Strabo المشروعات المائية الأخرى المقامة في مبادرة الإسكندر Alexander في ذلك الوقت، وصرح سترابو Strabo نقلاً عن أرسطوبوليس Aristobules أن الملك ذهب إلى إيفراتيس Euphrates فاتحاً أحياناً ومغلقاً أحياناً أخرى السدود المحولة للقناة 16. 1. 11، فقد أعطى



الشكل 62أ

آريان Arrian تفاصيل عن القناة معروفة جيداً من التاريخ البابلي، وقال إن الملك قد أقام مشروعات متحركة لصنع منفذ جديد 7. 21، ومرة أخرى، تظهر العبقرية الإغريقية المتناقضة بوضوح مع الممارسات الأخمينية: «تعود مرزبان بابل على سد منافذ إيفراتيس Euphrates بجهد كبير، على الرغم من كونه سهل الفتح، حيث إن الأرض موحلة وأغلبها طمي ناعم، وهذا ما يجعله ليس سهلاً من خلال ماء النهر، وقد استغرق أكثر من شهرين عمل لكل عشرة أفدنة.

وطبقاً لسترابو 16.1.10 Strabo، تم وصف أفعال الإسكندر Alexander بـ «الأحكام الجيدة»، وهو قد استخدم المياه في ري الأراضي الصالحة للزراعة، كما أن آريان Arrian قد قال الشيء نفسه: «عندما أبلغ هذا للإسكندر Alexander ، حثه على تحسين أرض أسيريا» 7. 21. 6، فكف منهما تبنى أقوى العقائد للأيديولوجية الملكية الميسوتوبانيين، وجعلوا الإسكندر Alexander الوريث لهذا التقليد وأبعدوا الفرس عنه بغض النظر عن كل من تيجريس وإيفراتيس Euphrates ، ومرة أخرى كان التقديم مشكوكاً فيه بشكل كبير، وذلك لسبب واحد، فيشير نص آريان Arrian بوضوح إلى أنه في بداية العصر الأخميني على مدار التاريخ، حيث قامت السلطات المرزبانية بإنشاءات أساسية ومشروعات صيانة متعلقة بإدارة المياه، وهذا ما جعل استخدام العمالة المحلية ضروريًّا، والذي عرف بنظام السخرة ألسبليني 6. 30. 120، وكان هناك بالتأكيد تبادل بين الأخمينيين والإسكندر Alexander ، ولكن ليس هذا ما ادعاه كل من آريان Arrian وسترابو Strabo ، وقد قام الإسكندر Alexander بعمل مثل هذه المشروعات؛ ليس لتحسين الري، وإنما ببساطة لأنه في ذلك الوقت كان شاغله الرئيس هو الاستعداد للحملة العربية، وبالتالي امتلك ميناءً جديداً ببابل ليخدم كموقع حيث تتجمع السفن، ومن ضمنهم هؤلاء الذين تم نقلهم

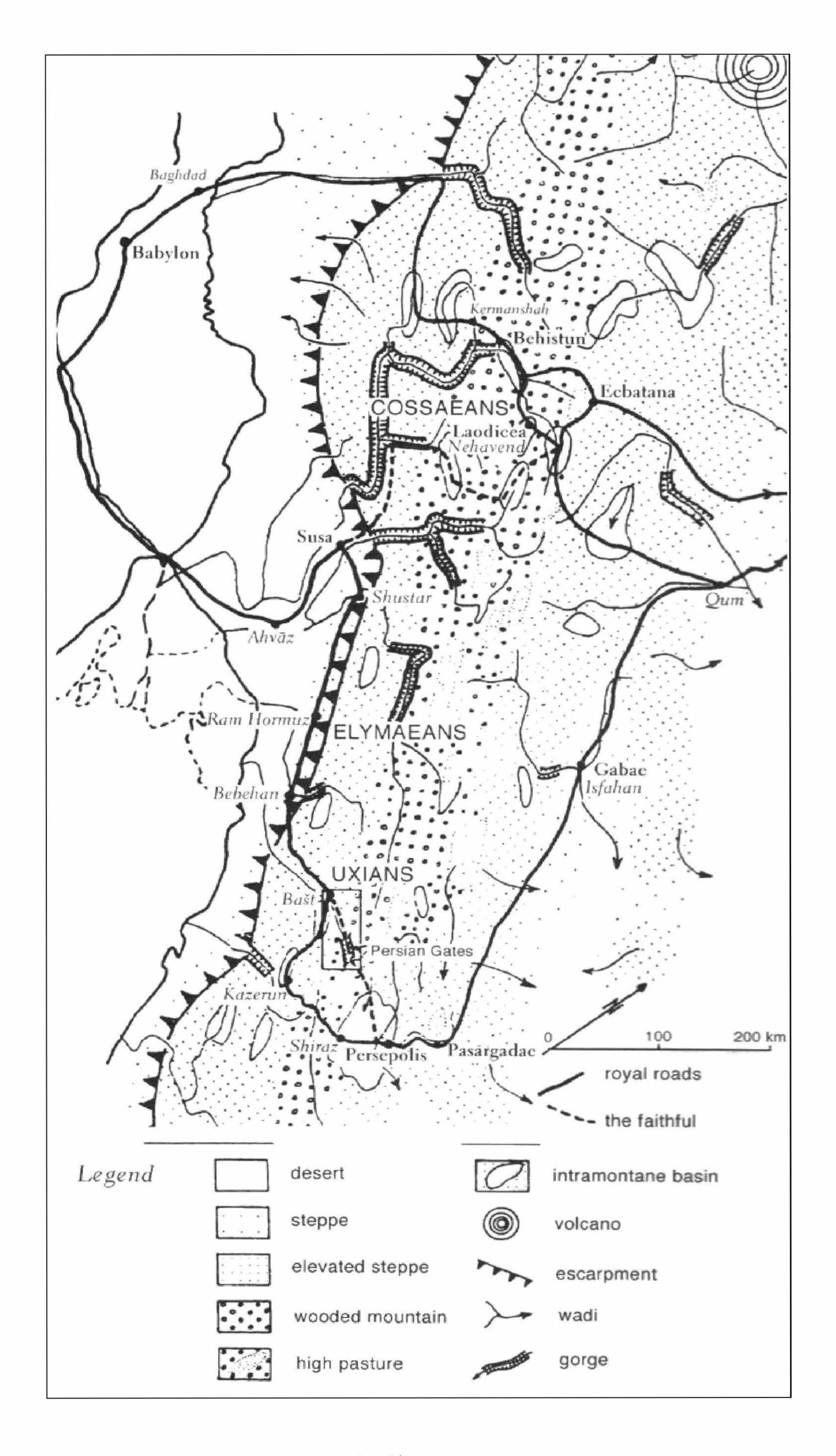
كقطع من فينيقيا إلى ثابسوكوس في لإيفراتيس Euphrates ، وهذا كان يظهر بوضوح أنه الهدف الذي حدده سترابو Strabo للإسكندر Alexander 16.1.11 وآريان Arrian على حد سواء، فقد ذهب أسفل قناة البالاكوباس في اتجاه العرب على امتداد البحيرات، ووجد مدينة هناك 7. 21. 7، والفرق في التغيير بين الأخمينيين والإسكندر Alexander هو استخدام الأخير للقنوات والأنهار البابلية لأغراض عسكرية، وكانت أعمال المياه التقليدية الري الموجه إما غير ملائمة لإبحار أسطوله البحري من بابل إلى الخليج من خلال قناة بالاكوباس، أو أعاقت تحركات سفنه الحربية، وفي جزء أصغر، كان على الغازي فقط الإمداد بأقل الضروريات للري، فكل ما نستنتجه من هذا هو أن الملوك العظام لم يبحروا بأسطولهم من تيجريس إلى أوبيس أو من قناة بالاكوباس إلى بابل، ولكن: لماذا يفعلون ذلك؟ فعلى المدى الطويل جعلت سيادتهم وإلزامات الجزية الهائلة على بابل هيرودوت Herodotus 1.192 أمراً ضروريًّا إلزاميًّا على المرزبان، الذي كان يتعين عليه الانتباه أولاً إلى جميع مشروعات الري، وهذا هو الواضح في النصوص الأيديولوجية والعسكرية، وقد أثبتت هذه الملاحظات لآريان Arrian وسترابو Strabo بالتحديد أن هذا كان هو الحال خلال زمن دارا Darius الثالث، وأيضاً خلال السنوات الأولى من السيادة المقدونية أمونج وآخرين، أدرتب ADRTB نوس، 332 ب - 328 - 329 أ .

11- الملك الأكبر، الإسكندر Alexander ، وشعوب جبال زاجروس:

وبعيداً عن هذه المناقشات، فإن المصادر منذ زمن الإسكندر Alexander ، والمتعلقة ببابل بعيدة عن الوضوح، وبعيدة أيضاً -إلى حد ما- عن أزمة العلاقات بين الغازي المقدوني والسلطات المقدونية

خلال الإقليمين المؤقتين في عام 331 وعامي 323-325 فصل 3/18؛ ولـذلك، فـنحن نحتاج إلى أن نجمع كل ما نستطيع جمعه مـن المعلومـات مـن المصـادر المتعلقـة بالمعابد البابلية، بالإضافة إلى حادثة ذكر معبد مقدس لم يتم ذكر اسـمه في صوصـا Susa آريان Arrian 6.27.5.

وذكرت قطعة تالفة في أرسطو دفع ضريبة صغيرة على البضائع الموردة لبابل، والتي من الواضح أنها قد أصابها الإهمال، ولكن النص كان مليئاً بالتلميحات بشكل زائد وهش أيضاً ليمدنا بصورة كاملة عن الموقـف؛ ولـذلك، فمـن الضروري إعطـاء اهتمام مبدئي بالجداول المسمارية وهي الحروف البابلية والآشورية القديمة، فعـدم صلاحية الأدلة والترتيب الزمني غير المؤكد المتعلق بمختلف الفترة الأخمينية جعلهـا صعبة لأخذها كدعامة للموقف في بابل وصوصا Susa في زمن دارا Darius الثالث، ومع ذلك، تدعم الإصدارات الحديثة للنصوص الهائلـة بعـض المعلومـات الإضـافية المهمة، وكمثال على ذلك، يعطـي السـجل البـابلي صـورة مـن الاسـتمرارية الثابتـة، وهـذا بـالأخص يبـدو واضـحاً في الـدين والاقتصـاد وتنظـيم إدارة المعبـد المقـدس العظيمة، التي من الواضح أنها استمرت لتعمل مثلما كانت في الماضي، ويمكن أيضـاً ملاحظة استمرار هيبة الساجيين العالية، وهم الـذين لاحظـوا الكواكـب والعـرافين والمنجمين، والذين أسماهم المؤلفـون الكلاسـيكيون بالكلـدانيين المنجمـين، والـذين يقولون إن لديهم عضوية جامعية في يوروك بورسـيبا وبابـل وسـيبار مثـال سـترابو Strabo 16.1.6 ؛ بليني ن.هــ 6. 123، ولكـن هـذه الصـورة -مهـما كانـت دقتهـا- تفتقد لعناصر التنمية والتغيير، فقـد لـوحظ -عـلى سـبيل المثـال- أن في سيلوسـيد يوراك يظهر الإله آنو بأهمية جديـدة، وهـذا مـن المحتمـل أنـه يرجـع إلى الـعصر الأخميني، ولكن التفسير التاريخي لهذه الملاحظـة يحتـوي عـلى مشـكلات لم تحـل بعد.


Baghdad
Babylon
Kermanshah
Behistun
Ecbatana
COSSAEANS
Laodicea
Nehavend
Susa
Shustar
Qum
Ahvāz
Ram Hormuz
ELYMAEANS
Gabae
Isfahan
Bebehan
UXIANS
Bašt
Persian Gates
Kazerun
Shiraz
Persepolis
Pasargadae
0
100
200 km
royal roads
the faithful
Legend
desert
steppe
elevated steppe
wooded mountain
high pasture
intramontane basin
volcano
escarpment
wadi
gorge

خريطة رقم 5

وتشير المصادر الكلاسيكية والجداول البابلية إلى وجود العديد من المجتمعات الأجنبية في الإقليم، وإلى عمق العلاقات الداخلية الثقافية، فتأتي الصورة الأولية من وصف جميع مؤرخي الإسكندر Alexander للشعوب الإغريقية المقيمية في بابليون أو ميسوبوتانيا منذ عهد دارا Darius الأول، بينما يستطيع هيرودوت Herodotus الكتابة عن الإريتريين الأخمينيين في حوالي عام 450، قائلاً: «إنهم يظلون يتكلمون لغتهم الأصلية» 6. 119، وهذا لم يعد الوقت المناسب لذلك في عهد دارا Darius الثالث، وفي هذا الوقت كانوا قد وضعوا جذوراً، ولكنهم «قد فسدوا الآن» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.12.11، فهم ثنائيي اللغة، ويتحدثون مثل السكان الأصليين باللغة نفسها، بينما في الأخرى يحتفظون بأغلب الكلمات الإغريقية، ويحافظون على بعض الممارسات الإغريقية ديودورس Diodorus 17.110.5.

وهذا يشير إلى التطور السهل والمفهوم لشعب انقطع طويلاً عن جذوره كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.5.13، 19؛ 7. 5. 29؛ سترابو Strabo 11.11.4، وقد استقر الفرس أنفسهم في أعداد كبيرة، وبالإضافة إلى الدليل من الجداول، توجد قطعة لبيروشوس عن تشييد تمثال مقدس لأناهيتا ببابل في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، على الرغم من بقاء الشكوك فصل 8/15، فمن الواضح تصديق كل الأدلة لأهمية الشتات الفارسي ببابل، ماذا يقول هذا الدليل عن العلاقات بين الشتات الفارسي والبابلي؟

فقد صدق على الاتصالات بين البابليين والفرس من خلال الرموز والأختام، فأهم جسد هو المجموعة المجمعة من الجداول لموراسو النصف الثاني من القرن الخامس، حيث تتضمن الموضوعات التي هي على الأخص فارسية البطل الملكي - الجنود الفرس، بجانب الموضوعات الفارسية شكل 62، ويمكن أن نلاحظ في الدلالة أن

الرمزين على جداول بيرسيبوليس Persipolese يظهران مراكب السفن الفينيقية في موقعة بابل رمزت إليها بأشجار النخيل شكل 50 وص606، ويعتقد أن هذا النبات البابلي التقليدي قد أدخل على التقليد الفارسي، وطبقاً لسترابو Strabo 16.1.14، عددت أغنية فارسية لـ 360 فائدة لشجرة النخيل، والعديد من الرموز المتميزة تشهد على نشاط الفنانين الإغريق ببابل، بالضبط كما هو الحال في داسيليوم وساردیس Sardis وسيدون وساماريا، وعلى النقيض، نأخذ الانطباع بأنه على الأقل -وعلى هذا المستوى- الفنانين الإغريق الفنانين العاملين على الطراز الإغريقي قد خلقوا نوعاً من نقاط الالتقاء بين الفرس والبابليين، ومن هذه النقطة، نجد أن أختام صوصا Susa مختلفة على نحو واضح من جهة البابليين، حيث إن «الانطباعات التي وجدت في صوصا Susa أظهرت بالكاد أي تأثير إغريقي، ويوجد دليل واحد فقط هو الذي يمكن اعتباره يواني-فارسي» ب. أميت .

كما نتجت دراسة الأسماء الشخصية من عدة ملاحظات مشوقة، حتى عندما أخذ المؤلفون القدامى مذهباً غير مبال تجاه الأسماء، أو مقابلة مختلف الصعوبات في نسخ الأسماء البابلية التي يعرفونها بسماعها تنطق فقط إلى الإغريقية، فعلى سبيل المثال، يقول بلوتارخ Plutarch شكل 19، 2 أن أحد المخصيين التابعين لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كان يدعى بيليتوراس طبقاً لستيسياس Citicias ساردیس Sardis 1. 1. 7 ، ولكن ميلانتاس طبقاً لدينون تكيف إغريقي للقب؟، والنتيجة، أنه أحياناً نجد أسماءً شخصية مكتوبة بأشكال متشابهة تثير الفضول، مثل بيليفانتيس الذي طبقاً لديودورس Diodorus 17.112.3 كان رئيساً لمدرسة السحرة التي حاولت أن تثني الإسكندر Alexander عن دخول بابل، وهذا القول يستحق فيه ذكر إن أبيوليتيس مرزبان صوصا Susa في عام 331 على الرغم من أنه يدعى فارسيًّا من

قبل آريان Arrian 3.16.9 ، إلا أنه يحمل اسماً بابليًّا، بينما اسم ولده أوجزاثريس Oxathres فارسي -بدون نزاع 3. 8. 5 .

فالوضع الخاص بأحد أبناء مازايوس Mazaeus الذي كان فارسيًّا، وبالعكس، فإن هذا الابن وهو الثاني في القيادة بسوريا كان يدعى بروخيوبيلوس Belos كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.11، واثنين آخرين من أبنائه حملوا أسماء بابلية آريان Arrian 4.21.1 وأرتيبيلوس Belos 7.6.4، بينما حمل آخر -بدون نقاش- اسماً فارسيًّا وهو هيدرانيس 7. 6. 4، ولكن باجيستانيس الذي كان يدعى «بابليًّا ونبيلاً» آريان Arrian 3.21.1 قد حمل اسماً فارسيًّا تقليديًّا كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.13.3، وليس من المؤكد أن هذه التناقضات الواضحة يجب إلحاقها تلقائيًّا بأخطاء أو تخمينات المؤلفين الرومان والإغريق، وفي الواقع، يشير الدليل البابلي إلى أن الأشخاص المنتمين إلى مجتمعات أجنبية، والمقيمين عادة في البلد أعطوا أبناءهم أسماءً بابلية وسيميتية، وبين عامي 331 و482، نجد أربعة أشخاص بأسماء بابلية وألقاب أسر إيرانية، وأحد عشر شخصاً بأسماء سيميتية وألقاب أسر إيرانية، وثمانية أشخاص بأسماء إيرانية وألقاب أسر بابلية، وتؤكد السجلات الموراسية أن الأسماء الشخصية ليست المرشد الأكيد على الأصل العرقي، ففي سجلات عام 463 71% من الرموز مملوكة من قبل أناس بأسماء بابلية، حيث يملك 80% منهم ألقاب أسر بابلية أيضاً و14% رجال من أصل غرب سيميتي و3% من أصل مصري، و7% 48 من الرموز تنتمي إلى شخص يحمل اسماً إيرانيًّا، ولكن الثلث فقط من كل هؤلاء لديهم أسماء وألقاب أسر إيرانية، وهذا يعكس بوضوح كلاً من الزيجات المختلطة، والرغبة في التعريف بالمجموعة العرقية السائدة، وفي الوقت ذاته يوضح توزيعات الرسومات على الرموز تفضيلاً خاصاً من جانب كل مجموعة ذات ثقافة

عرقية، فقد فضل الإيرانيون مشاهد الصيد والتمثيلات الروائية من النوع الذي قدم في بابل في وقت الغزو الأخميني .

وإذا قبلنا بحكم آريان Arrian عن العرقية «الفارسية» لأبيوليتيس مرزبان صوصا Susa 3.16.9، وإذا أخذنا بعين الاعتبار اسم ولده أوجزاثريس Oxathres 3.8.5، فيمكن أن يكون في الحقيقة فارسيًّا، والذي مثل أريوراتا بمصر بوسينير رقم 34 تبنى اسماً مزدوجاً فارسيًّا - بابليًّا، وإذا أمكن إثبات هذه النظرية، فستضيف إلى فهمنا عن اتساع تلاقي الثقافات الداخلية الفارسية-البابلية، ولكن، وحيث إن هذه النظرية لا يمكن إثباتها، فإن التفسير يختلف: حيث إنه من الواضح تقريباً أن عدداً محدداً من الفرس -أصحاب المقام الرفيع ببابل وصوصا Susa في نهاية العصر الأخميني- كانوا من أصل فارسي، ولكن، وبعادة تعدد الزوجات في هذا السياق، فالزوجات كن فارسيات أو بابليات، واللاتي يحمل أبناؤهن أحياناً أسماء فارسية، وأحياناً أسماء بابلية، وعلى النقيض، فإن أصحاب المقام الرفيع الحاملين لأسماء بابلية كانوا في الأغلب بابليين حقيقيين ربما نتاجاً من الزيجات المختلطة، والذين يكونون ناتجين عن الزواج من امرأة فارسية، أو لأسباب سياسية، ومن الجائز إعطاء بعضاً من أبنائهم أسماء فارسية، فيذكرنا مثال بيلسونو ابن بيليوسورسو فصل 1/14 أن البابليين كانوا قادرين على الوصول إلى المراكز العالية في الترتيب الإمبراطوري، فالقضية صادمة أكثر إذا ما عرفنا أن بيليسيسس الذي كان مرزباناً لسوريا في حوالي منتصف القرن الرابع ديودورس Diodorus 16.42.1 كان في الحقيقة ابن بيلسونو، ففي كل حالة نستطيع أن نتخيل أن هناك اتصالات حميمة بين الأرستقراطيين الفرس في الإمبراطورية الدياسبورية ببابل، وصفوة قواد المرزبانية، وهذا ما يفسر - في جزء على الأقل- موقف مازايوس Mazaeus في عام 331 فصل 3/18، 5/18 .

ومـن الواضـح أن أمثلـة مثـل هـذه تصـدق لتنشـيط التبـادلات بـين الدياسبورية الفارسية لبابل والصفوة البابلية، والتـي مـن المؤكـد أنهـا تضـمنت الزيجات أيضاً، وعلى الأقل فهي ترجـع إلى القـرن الخـامس، ويمكـن أن نـذهب بعيداً لنتحدث عن بابليون لفري بابل بوضـوح وبسـاطة حتـى إذا مـا وجـدت المؤشرات التي تشير إلى هـذا الاتجـاه، فيجـب أن تؤكـد -عـلى جانـب مـا- أن الاستعارات الثقافيـة قـد حـدثت في كـلا الاتجـاهين سـترابو Strabo 16.1.20 ، وعلى الجانب الآخر، فإنه على عكس الإغريـق المنفيـين المبعـدين اسـتمر فـرس بابل بوضوح في الحفاظ على العلاقات القريبة بوطنهم الأم، حيـث يسـتطيعون دائماً العودة إلى أصولهم، ولكن البابليونيين من السلالة الحاكمة، والذين أحيانـاً يقترح وجودهم على أسس التراث البابلي لدارا Darius الثاني من خلال والدته، تشعل خلافات شائكة، وبالأخص على الصعيد السـياسي، ويمكـن أن نؤكـد قبـل كل شيء أن النظرية متعلقة ضمنيًّا بنظرية أخرى، من أن الملوك العظـام كـانوا يفقـدون الحـماس في بيرسـيبوليس Persipolese وفـارس في القـرن الخـامس، وكـانوا يوجهـون أنفسـهم أكـثر لبابـل، ولكـن لا يوجـد أي شيء يؤكـد المنظـور التخطيطي الفصول 1/14، 12/16، كما صورت قطعة لبلوتارخ Plutarch شكل 102أ بابل كأرض خلف المياه مستخدمة للنفي، بعيداً عن بلاط أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث، وفي حالة دارا Darius الثالث، فإن القطعة الوحيدة التـي من المحتمل أنها قد ساعدت على الاستعارات البابلية الحديثة هـي مسـتخرجة من وصف طويل لكوينتوس كيرتس Quintus Curtius للموكب الملكي قبـل معركة إيشوس، فقد قال إن: «كـلا جـانبي المركبـة كـان مزينـاً بصـور الآلهـة، وكـان الفـدان ثـوران يقـرن بيـنهما بنـير قـد زيـن بجـواهر متلألئـة، وعليهـا سطعت صورتان ذهبيتان بطول ذراع لأسلاف الملك، واحد لأنيروس Aneros والآخر لبيلوس Belos 3.3.16، فالمرجع غـير الـترابط يكفـي عـلى نحـو

مفاجئ، ولكن هذه المادة ليست في مكانها على الإطلاق في وصف أعلام كاملة برمز أخميني على نحو لا يمكن إزالته طبقاً لمحرر النسخة الكلاسيكية اللوب والقراءة المزدوجة أنيروس Aneros وبيلوس Belos هو تصحيح مقترح غير ملموس من قبل جوزيف سكاليجر الدارس بالقرن السادس عشر - مترجم، ففي الصلوات التي قدمها دارا Darius الثالث بانتظام خلال حملاته، لا يوجد مكان يمكن أن يقترح تقديماً لإله بابلي بيل للبنتايون الملكي، والعكس بالضبط هو الصحيح كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 4.13. 12-14؛ 14. 24؛ بلوتارخ Plutarch ، أليكس Alex 12-30.

كما عرض كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 5.1.22 مثالاً آخر من هذا النوع من المقابلات بين عناصر فارسية وأخرى بابلية، فالموكب الذي حيا الإسكندر Alexander ببابل كوينتوس كيرتس Quintus Curtius مختلفاً -على سبيل المثال- عن جوتين 12. 3-5، الذي أربكهم، ميز بوضوح جدًّا السحرة من المجوس «آخذين في الغناء بمديح للملوك»، لم توجد في آريان Arrian 3.16.3 ، ولكن لامي هو الموازي لمثال كوينتوس كيرتس Quintus Curtius الأول الموكب قبيل إيشوس، حيث إنه في الحالة الثانية كانت الملامح الفارسية هي التي طغت على النص البابلي ببابل، والذي من الواضح أن له رمزاً سياسيًّا مختلفاً عن الذي يمكن أن يستنتج من المثال الأول، وفي هذه الحالة فإن مشاركة المجوس والسحرة هي في سياق منظومة الموكب، حيث ظهرت السلطات الأخمينية والبابلية جنباً إلى جنب ومن ثم غياب المجوس فس آريان Arrian ، والذي يشير فقط إلى الموكب البابلي، فالرواية الكاملة تاهم ببساطة في تذكيرنا أنه في نهاية العصر الأخميني، شغل الذين يشير إليهم المؤلفون القدامى بالسحرة مكاناً دائماً في المعابد المقدسة، وبلدان بابل، فكان السحرة «دارسين .....»

والذين اكتسبوا صيتاً هائلاً في علم الفلك، وتاعودوا على تنبؤ الأحداث المستقبلية بطريقة تعتمد على ملاحظات العمر الطويل لهيئة النجوم ديودورس Diodorus 17.112.2.

وعلى النقيض، فقد ظهر المجوس في الموكب الملكي لدارا Darius الثالث، فكانوا بجانب المركبة المكرسة للنار وهم «ينشدون ترانيمهم التقليدية» كوينتوس كيرتس Quintus Curtius 3.3.10، وبالإشارة إلى نيروس وبيلوس Belos ، فقد سنحت لهما كل الفرص للتفسير المتأخر، ومن الجائز أن نندهش سواء أكان هنا أم في منطقة أخرى وصف بابل، فمن المحتمل أن يكون كوينتوس كيرتس Quintus Curtius معتمداً من خلال كليتارشوس على المنظور البابلي المركزي بابليون لبيروشوس، حيث إن بيلوس Belos هو مؤسس بابل والحضارة الحصرية عامة.

ومن المحتمل أيضاً، وعلى الرغم من عدم وجود دليل نصي، أنه حتى نهاية السلالة الأخمينية الحاكمة حمل ممثلوها لقب «ملك البلاد»: في لوحة يرجع تاريخها إلى 331، حيث لقب دارا Darius الثالث بـ «ملك العالم» أدرتب ADRTB رقم 330، وفي الوقت ذاته -كما هو واضح من المنحوتات الملكية- فإن خصائص الأيديولوجية للقرابة الأخمينية لا يمكن أن تكون مقتصرة على عناصرهم البابلية، فهذا يصنع مشكلة حقيقية، ماذا كان حال الملك عندما أدى مهمته ببابل بما يلائم التقاليد البابلية، دعونا بالتحديد نعتبر أن شعائر الملك البديل والتي قد تمت ممارستها في عصركسركسيس Xerxes -وفقاً لهيرودوت Herodotus 7. 15-18 - والتي ألمح إليها بشكل واضح جدًّا بعد ذلك بكثير من قطع معروفة جيداً، والتي من الواضح من نص السنة الأخيرة للإسكندر Alexander ببابل، ومن الممكن أن نعلم على هذه النقطة أنه عند أخذ بديل للعرش، فمخصيي حاشية الإسكندر

Alexander لم ينتزعوها؛ لأنه -طبقاً لآريان Arrian 7.24.3 - كانوا يحترمون «بعض العادات الفارسية»، وهذه عبارة مفاجئة فنحن نتوقع ذكر «عادات بابلية» في البديل، ولكن غموضها مميز بالضبط مثل الانقطاع الظاهر بين الأسماء البابلية والعرق الفارسي، وأحياناً تكون منسوبة لأحد أو للشخص ذاته، بالإضافة إلى أننا نلاحظ الغموض نفسه في بعض المؤلفين المتحدثين عن العيد الغامض لساكايا التي ينسبها سترابو Strabo -خلال عملية إنيمولوجية دراسة تعنى بأصل الكلمات وتاريخها مشكوك بها لقورش Cyrus ، الذي من المرجح أنه قد أنشأ احتفالاً في المعابد المقدسة لأناهيتا ليحيي ذكرى الانتصار على ساكا 11. 8. 4-5، وذكر ستيسياس Citicias أيضاً الساكايا أثينيوس Athenius 14.639 ج، ولكن المعلومة الأكثر صدقاً المعطاة من بيروشوس غير مبهمة: كان العيد البابلي هو الذي يحتفل به كل عام بنهاية شهر أغسطس وبداية شهر سبتمبر أثينيوس Athenius 14.639ج، ومهما كان الاتصال مشكوكاً به للغاية في هذا الاحتفال بالعام الجديد، فمن الواضح للعديد من المؤلفين الإغريق أن أي زي يقابل في الإمبراطورية الأخمينية كان يوصف تلقائيًا بـ «الفارسي»، وربما كان هناك أيضاً «عيد الحمقى» في التقاليد الفارسية مثل الذي وصف من قبل بيروشوس وديوكريسوستوم 4. 66-68 وعلى أية حال، لا يوجد خيار إلا ملاحظة أنه لا توجد لدينا قطعة واحدة تصلح كدليل على مشاركة الملك العظيم في الاحتفال البابلي بالعام الجديد.

وهذه هي إحدى الأفكار الجيدة التي يمكن أن نتوقف عندها لنحلل السياسة التي اتبعها الإسكندر Alexander في التعامل مع هذا الشعب، وللتعليق على التفسيرات السياسية التي يتم استنتاجها منها فيما يتعلق بضعف سلطة أباطرة فارس وانعدام سيطرتهم على الشعوب التي توجد عند بوابات برسيبولس.

ومن بين كل الروايات التي تم تقديمها حول هـذه النقطـة نجـد أن روايـة أريـان Arrian هي الرواية الأكثر تفصيلاً الكتاب الثالث، فقرة 17، ولكن الروايات الموازية التي قـدمها كـل مـن كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius الكتـاب الخـامس* 3*1-16 وديودورس Diodorus الكتاب السـابع عشر، فقـرة 67 توضـح بعـض النقـاط المشـوبة بـالغموض في روايـة أريـان Arrian ؛ ولقـد بـدأ أريـان Arrian بتوضـيح التمييـز بـين مجموعتين من الأوكسيين، تعيش المجموعة الأولى منهم في السهل: ولقد كانت مجموعة الممرات الضيقة الموجودة في أوكسـيانا تـتحكم الطريـق الأول الـذي سيسـمح للمسـافر بالدخول إلى بلاد فارس من سوسيانا سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر *3*4؛ أريان Arrian ، إنديكا، فقـرة 40-1، ولقـد ذكـر كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius في وصفه لأراضي الأوكسيين: «تجاور هذه الأراضي صوصا وتمتد عبر الجزء الأول مـن أراضي فارس» الكتاب الخامس، فقرة 3-3، بينما قال ديودورس Diodorus إن بلاد فارس تبـدأ عند الجانب البعيد الكتاب السابع عشر، فقـرة 68-1، أي المنطقـة التـي يسـيطر عليهـا الحصن الذي يقوده ماداتيس Madates : «ولقد أطاعوا مرزبـان فـارس واستسـلموا إلى الإسكندر Alexander » فقرة 17-1، ويقول كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius إن الإسكندر Alexander قد «ترك المدينة سالمة دون أن يمسها بسوء، وسـمح لأهلهـا بـأن يقوموا بزراعة حقولهم دون أن يفرض عليهم جزية» سينى تريبوتو، ثم قام الملك بدمج شعب الأوكسيين في مرزبانية سوسيانا» الكتاب الخامس، فقرة 3*15-16، ومن المحتمـل أنه قبل قيام الإسكندر Alexander بفعـل ذلـك كانـت أوكسـيانا تمثـل مقاطعـة فرعية خاصة تحت حكـم مـاداتيس Madates كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 3-4، برافكتـوس ريجيـونيس، أريـان Arrian ،

الكتاب الثالث، 17-1: مرزبان، ويمكننا أن نبرر قيام الإسكندر Alexander بربط هذه المنطقة بسوسيانا بسهولة أكبر، وذلك راجع إلى حقيقة مفادها أن ألواح برسيبولس تظهر هذه المنطقة على أنها متأثرة بشدة بالعادات والثقافة الإيلامية، وهذا يفسر أيضاً لقب «البوابات السوسيانية» الذي استخدمه ديودورس Diodorus لوصف ما يسمى عادةً بـ «البوابات الفارسية» الكتاب السابع عشر، فقرة 68-1، ولقد تبدت لنا الروابط القديمة بين أوكسيانا وصوصا أيضاً من خلال قيام مرزبان صوصا بقيادة كل من الفرق العسكرية الأوكسية والسوسيانية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 5-8.

أما المجموعة الثانية من الأوكسيين فكانت تعيش في الجبل؛ ولقد اضطر الإسكندر Alexander إلى أن يقود حملة ضدهم وهي الحملة التي انتهت بإخضاعهم، وهذه هي رواية أريان Arrian عما حدث الكتاب الثالث *17*1-6، 2: «أما الأوكسيون من سكان التلال -كما كان يطلق عليهم- فلم يكونوا خاضعين لبلاد فارس، ولقد قاموا الآن بإرسال رسالة إلى الإسكندر Alexander بأنهم لن يسمحوا له بعبور الطريق المؤدى إلى بلاد فارس مع جيشه إلا إذا حصلوا منه على ما كانوا يحصلون عليه نفسه من ملك فارس عند عبوره لهذا الطريق هوسا كاى باراتون برسون باسيليوس إيبى تاى بارادوى، ولقد أخبرهم الإسكندر Alexander أن ينتظروه في الممر-الذي جعلتهم سيطرتهم عليه يعتقدون أنهم يسيطرون على الطريق إلى بلاد فارس- ليحصلوا على ما طلبوه منه؛ ولقد كانت الهزيمة والذبح هي الهدايا الشرفية تاجيرا التي حصل عليها الأوكسيون من الإسكندر Alexander ، ولم يتمكنوا -إلا بصعوبة- من نيل موافقته على الإبقاء على الأراضي التي يملكونها تحت أيديهم كما هي مقابل دفع جزية سنوية له، ولقد كانت هذه الجزية تتمثل في 100 من الخيل بالإضافة إلى 500 من حيوانات النقل و30 ألف من

قطعانهم حيث إن الأوكسيين لم يكن لديهم أي مال أو أراضي قابلة للزراعة، ولكنهم كانوا بشكل عام شعب رعوى نوميس».

وقد أكد سترابو Strabo على أن الأوكسيين قاموا -عندما انتقل الملك الأكبر من صوصا إلى برسيبولس- بانتزاع بعض من المبالغ والهدايا منه الكتاب الخامس عشر، 3-4: مستوى؛ ولكن بالسبة إلى نيرخوس Nearchus راجع إنديكا، 40-1 - والذي استشهد به سترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-6- فقد كان الأوكسيون مجرد شعب واحد في سلسلة من الشعوب التي قامت بعقد اتفاقات غريبة مع أباطرة فارس، ولقد قام نيرخوس Nearchus بذكر أسماء أربعة من القبائل التي كانت تعيش على السلب والنهب: «قبيلة المارديين والذين كانوا يعيشون بجوار الفرس مباشرة، ثم شعبي الأوكسيين والإلميين والذين كانوا يعيشون مباشرة بجوار المارديين وسكان صوصا، ثم أخيراً قبيلة الكوساى والتي كان يعيش أهلها بجوار الميديين»: «وفي حين إن هذه القبائل الأربعة كانت تحصل على جزية فوروس براتيستاي من ملوك فارس، كان الكوساي يحصلون هم الآخرون على هدايا دورا في المرات التي كان يتوجه فيها ملوك الفرس إلى بابل بعد قضائهم الصيف في إكباتانا، ولكن الإسكندر Alexander قام بوضع حد لجراءتهم عندما قام بمهاجمتهم في وقت الشتاء».

ونحن لا نعرف الكثير من التفاصيل عن الإلميين وهو الاسم الذي عرفناه من إحد الفترات التي تلي هذه الفترة بوقت طويل، كما أنه لا توجد لدينا سوى معلومات ضيئلة للغاية عن الماردين باستثناء ما ذكره كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عن الحملة التي قادها الإسكندر Alexander ضدهم في شتاء عامي 330-331 والتي شنها انطلاقاً من باسارجاداى الكتاب الخامس، فقرة 6* 17-19؛ ومن الواضح أنهم كانوا الشعب الذي وصفه هيرودوت Herodotus بأنه أحد «قبائل البدو»

التي كانت توجد ضمن مجموعة القبائل الفارسية الكتاب الأول، فقـرة 125، ولقد زعمت إحدى تلـك الأسـاطير التـي تـم نسـجها حـول المؤلـف أن أبـوي قورش Cyrus كانا من الماردیین البؤساء الذين كرسوا كل وقـتهم لتربيـة عـدد قليل من الماعز وكانوا يعيشون كقطاع طرق؛ ومن الواضح أن الماردیین كانـت لهـم هـذه السـمعة في عـام 330، حيـث إن كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius يصفهم قائلاً: إنهم «كانوا شعباً محباً للحـرب ويختلـف كثـيراً عـن بقية الشعوب الفارسية في طريقة حياته» الكتاب الخـامس، فقـرة 6-17؛ وفي الحقيقة فقد مارس الماردیون أيضـاً الزراعـة وحتـى زراعـة الأشـجار ولكـن في حدود المزارع الصغيرة التي تملكها الأسر إليان Aelian ، الكتـاب الأول، فقـرة 34، وكانوا يقومون بالإسهـام في الجيـوش الفارسيـة بوحـدات مقاتلـة بصـورة منتظمـة هيرودوت Herodotus ، الكتـاب الأول، فقـرة 84، بمـا فيهـا جـيش دارا Darius الثالث أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقـرة 11-5، وفي معركـة جوجاميلا تم وضعهم في المركز بالنسـبة لتشـكيلة المعركـة بجانـب الكوسـيين ديـودورس Diodorus ، الكتـاب السـابع عشر، فقـرة 59-3؛ أمـا الكوسـيون فتوجد لدينا معلومات أكثر عنهم، حيث أشـار ديـودورس Diodorus إلـيهم مرتين في سياق حديثـه، حيـث قـام الإسـكندر Alexander في إكباتانـا وبعـد وفاة هفسـتيون Haephestion بقيـادة حملـة ضـد الكوسـيين الـذين كـانوا شعباً شجاعاً ومحباً للقتال والذين حافظوا أيضـاً عـلى اسـتقلالهم عـلى مـدار تاريخ المملكـة الفارسـية، ولقـد اسـتولى الإسـكندر Alexander عـلى الطـرق المؤدية إلى بلادهم وتمكن من إخضاعهم لسلطته الكتاب السابع عشر، فصـل 3، فقرات 4-6؛ في عـام 317 -عنـدما أراد أنتيوجـونس Antiogonus السـفر من سوسيانا إلى ميديا- اختار ألا يسافر عبر الطريق الملكي الذي كانت تلفحـه الشمس ويتسم بالحر الشديد، وأن يسلك بدلاً من ذلك أحد الطـرق الجبليـة

الأكثر هدوءاً، وهذا الطريق الجبلى كان يمر عبر أرض الكوسيين والتي توصف بأنها إحدى البلاد المعادية أي غير الخاضعة بولميا خورا: «ليس من السهل على أحد الجيوش القيام بسلوك هذه الطريق دون أن يحصل مسبقاً على موافقة أنيو توبيساى رجال القبائل الذين يسكنون السلاسل الجبلية المحيطة به؛ وهؤلاء الرجال الذين ظلوا مستقلين منذ الأزمان الغابرة أوتونومى جار أونتيس إيك تون بلايون خرونون كانوا يعيشون في الكهوف ويقتاتون على الفطريات وجوز البلوط وأيضاً لحم الوحوش البرية المدخن، لقد اعتبر أنتيوجونس Antiogonus أن استخدام أسلوب الإقناع مع هؤلاء الأشخاص أو تقديم هدايا لهم دورودوكين -مع وجود هذا الجيش الضخم تحت تصرفه- سوف يحط من شأنه ويسيئ إلى كرامته، ولكن -وبعد الصعوبات التي تعرض لها الجيش- ندم على أنه لم يلتفت إلى بيثون عندما نصحه بشراء حق العبور بالمال خريماتون برياستاي تن بارودون» الكتاب التاسع عشر، فقرة 19 *3-8، 4.

وهكذا فإن المؤلف يجد مجموعة من الروايات المتجانسة حول هذا الشعب، والتي تتفق على أن جبال فارس كانت تسكنها مجموعة من الشعوب التي تتميز بأسلوب حياة معين يعتمد على تربية الحيوانات وقطع الطريق على المسافرين مع عدم الاعتماد على الزراعة إلا في حالات قليلة؛ وهذا ما قد يفسر النظام الغذائى الغريب الذي كان يتبعه الكوسيون والذين يبدو أنهم كانوا يقتاتون فقط على ما يحصلون عليه من خلال الصيد أو الجمع والالتقاط؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الشعوب لم تعترف قط بسيادة ملوك فارس عليها، وعندما كان يقوم الموكب الملكي بعبور أراضيهم كان على أباطرة فارس أن يدفعوا «رسماً للمرور» والذي تمت الإشارة إليه باستخدام مصطلحات عديدة مستوى، فوروى، وبالإضافة إلى ذلك، فلقد كان الكوسيون معتادون على

الحصول على هدايا بدلاً من ذلك من الملك الأكبر عند عبوره دورا؛ ولكنهم لم يكونوا هم الوحيدين الذين يفعلون ذلك، حيث إن الأوكسيين قد وافقوا على الحصول على هدايا شرفية تي جارا من الإسكندر Alexander ؛ ولقد كان على أباطرة فارس أن يدفعوا رسوماً لهذه لشعوب في كل مرة كانوا يعبرون فيها هذه الجبال؛ وذلك لأنهم كانوا يسيطرون على ممرات منيعة يستحيل اقتحامها، ومثال الأوكسيين هو بوجه خاص أحد الأمثلة الجديرة بالذكر بشكل خاص؛ لأنه يعنى أن ملوك فارس لم يكونوا مسيطرين حتى على الطريق بين صوصا وبرسيبولس؛ ولا يمكننا أن نطلب توضيحاً أكثر من ذلك على ضعف الملوك الفرس والذي من المؤكد أنه كان هو الرسالة التي نقلها مراسلو الحرب الهلينية.

وهذه المشكلة هي ذات أهمية أكبر من ذلك بكثير؛ لأن هذه الشعوب الأربعة التي حددها نيرخوس Nearchus يمكن أن تتم إضافتها بسهولة إلى قائمة أطول من الشعوب، ونحن نعرف عن العرض الذي قدمه كليرخوس Clearchus إلى تيسافرنيس Tissaphernes بعد معركة كوناكسا والذي كان نصه كالتالي: «أعرف أن الميسيين يثيرون الكثير من المشكلات لك، وأعتقد أننى أستطيع بما لدى من قوة أن أجعلهم عبيداً خاضعين لك؛ وأعرف أيضاً أن البيسيديين يسببون الكثير من القلاقل لك، ولقد بلغنى أيضاً أن هناك العديد من القبائل الأخرى إثنى بولا التي تنتمي إلى هذا النوع المشاغب نفسه؛ وأعتقد أننى قادر على وضع نهاية إلى هذا الإزعاج المستمر الذي تمثله هذه الشعوب إلى رفاهية واستقرار شعبك». زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الثاني، فقرة 5-13.

ولقد عاد زينوفون Xenophon إلى هذا الموضوع في مكان آخر: «إن الميسيين والبيسيديين -نتيجة لكونهم يسكنون في أقاليم وعرة

ومسلحين بأسلحة خفيفة- يخططون للتغلب على الأراضي الخاضعة للملك الأكبر وإلحاق الضرر بها والمحافظة على حريتهم» ميمورابيليا، الكتاب الثالث، فقرة 5-26.

أما فيما يتعلق باللايكونيين «فقد استولوا على معاقل في السهول، وكانوا يأخذون حصاد أراضي الفرس» الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 2-23؛ ولقد تميزت الشعوب الجبلية على الدوام بأنها مستقلة عن السلطة الملكية، ولقد كان هذا ينطبق على الميسيين هيلينيكا، فقرة 16-22، والكاردوتشيين والتوخيين والخالديين من سكان أرمينيا؛ زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الخامس، فقرة 5-17؛ «ولم يكن الكاردوتشيين مواطنين خاضعين للملك» الكتاب الثالث، فقرة 5-17 «بل كانوا أعداءً للملك وكانوا شعباً مستقلاً» ديودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، فقرة 27-4، كما أنه لم يتم مطلقاً غزو أراضي المارديين التي تقع على بحر قزوين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 24-2، وهذا ينطبق أيضاً على الأيبريين «الذين لم يخضعوا أبداً إلى الميديين أو الفرس، وتمكنوا بالمثل من الإفلات من سيادة المقدونيين» بلوتارخ Plutarch ، بومبي، 34-7، ولقد تجلت حالة عدم الخضوع الدائمة للبيسيديين من خلال -على سبيل المثال- الهدف الزائف الذي أعلنه قورش Cyrus الأصغر إلى المرتزقة التابعين له الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 2-1؛ وهذه الحادثة تذكرنا بذلك الخوف من البيسيديين الذي نسبه ديودورس Diodorus إلى القادة الفرس قبل ذلك بستين عاماً في معركة نهر يوريميدون، ولا يبدو أن حملة الإسكندر Alexander تؤكد أن هذه الشعوب قد استمرت في القيام بغاراتها مستخدمة المعاقل التي تسيطر عليها كقواعد تشن هجماتها منها أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 24-6، 27-28؛ ولقد تجلى عدم تمكن الفرس من إخضاع هذه

الشعوب من خلال بعض المعارك الفاشلة: فتبعاً لزينوفون Xenophon الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-16، تمت إبادة جيش هائل قوامه 300 ألف جندي خلال أحد الحملات على الكاردوتشيين؛ ومن الواضح أن الحروب العديدة التي تم خوضها ضد الكادوزيين قد انتهت هذه النهاية المهينة نفسها انظر بالأسفل مباشرة وفصل 16-18.

وتبدو هذه الأمثلة في البداية على أنها توضح حدود الاحتلال العسكري لأراضي الإمبراطورية، حيث إن السيطرة على بعض المناطق لم يمكن أن يتم ضمانه فقط من خلال إنشاء العديد من الحاميات العسكرية فقط إلا على الأقل إذا تم زيادة عددها بشكل مطرد ومستمر؛ ولكن وفي الوقت نفسه، فإننا يجب أن نقيد ونلطف من الروايات التي قدمها المؤلفون القدامى -والذين كانوا منبهرين بفكرة العجز العسكري الفارسي- إلى أدنى حد ممكن؛ فمن ناحية -وكما أكدنا للتو- فيما يتصل بإقليمي ميسيا وبافلاجونيا فصل 15-5، لم تكن كل أراضي هذه الشعوب تقع خارج نطاق سيطرة وإشراف المرزبانات الفرس، كما أن وجود مقاطعة ميسيا هو من الأمور شبه المؤكدة حتى بغض النظر عن الإشارات إلى «مرزبان بافلاجونيا» الغامض؛ وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم دمج كل هذه الشعوب -كما يقول هيرودوت Herodotus - في قائمة الشعوب الدافعة للجزية الكتاب الثالث، فقرة 90-92، بما فيهم الموسخيين، التريبارينيين، الماكرونيين، الموسينيسيين والماريين الكتاب الثالث، فقرة 94؛ وبالطبع لا توجد لدينا إشارات مباشرة عن الجزية التي كانت تأتي من هذه المقاطعات، ولكن دعونا نذكر ببساطة أن ستيسياس Ctesias في مؤلفه حول «جزيات آسيا» الذي كان يتكلم في الواقع عن الضرائب التي كان يتم تحصيلها من أجل مائدة الملك أشار إلى الخمر الذي يرسله التابيريون؛ وأخيراً فإنه -بالنسبة لشعوب كانت على هذه الدرجة من الاستقلال- كانت هذه الشعوب تسهم بصورة

منتظمـة بوحـدات عسـكرية في جيـوش الملـوك الفـرس، ولكـن في العـادة كمرتزقـة فصل 17-3؛ ولقد شـاركت الفـرق العسـكرية الكادوزيـة في كوناكسـا وكـان يقودهـا أرتاجرسيس Artagerses الذي انتهز هـذه الفـرصة ليظهـر ولاءه إلـى أرتـاكسركسيس Artaxerxes الثـاني بلوتـارخ Plutarch ، أرتاكسركسـيس Artaxerxes، 10-9، ولقـد كانوا موجودين أيضاً في موقعة جوجاميلا بجوار الألبان والساسيسينيين والـذين كـانوا جميعاً يحاربون تحت قيادة فراتافرنيس Phratapharnes مرزبان ميديا راجع أريـان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4* 3: 11-4.

وفي الوقت نفسه، فلقد كان المؤلفون القدامى مدانين بشـكل واضـح بسـبب تبسيطهم الشديد للحقائق، ففي البداية فإن الأوصاف العرقية لهذه الشـعوب تـأتي ضـمن الإطـار السـائد في الروايـات التاريخيـة القديمـة والتـي تميـل إلى اختـزال الديناميكية الاجتماعيـة في «قـانون الحاجـة»: فالمجموعـة التـي تعـيش عـلى أرض فقيرة سوف تكون فقيرة بالضرورة هي الأخـرى، ولـكي تبقـى فـإن هـذه المجموعـة تعتمد على نتائج الصيد والجمـع والالتقـاط، ويصـبحون أشـد صـلابة بفضـل هـذه الأسـباب نفسـها التـي أدت إلى فقرهـا التربـة والمنـاخ؛ وتتصـف هـذه المجموعـة بالعدوانية «بشكل طبيعي» وتستفيد أو تستمر في البقاء بفضل شن الغـارات عـلى الشعوب المجاورة والقيام بأعمال السلب والنهب، ولكن هذا المنظور يبسط الوضع بصورة غير عادية؛ ففي الواقع تمتلك شعوب جبال زاجروس التي كنا نتحـدث عنهـا هذه حقولاً وقرى أيضاً، حيث إنهم كانوا يمارسون الزراعة بجانب تربيـة الحيوانـات على نطاق واسع راجع، الجزية التي فرضها الإسكندر Alexander عـلى الأوكسـيين، ويمكن أن نفسر أسلوب الحياة الذي نسبه المؤلفون الكلاسيكيون إلـيهم مـن خـلال الظروف: حيث إنه عندما تعرضت هذه الشعوب التي تسكن الجبال للهجـوم مـن جانـب جـيش قـوى قـاموا بـالفرار مـن قـراهم؛ ولـكي يسـتمروا في البقـاء في تلـك

الجبال الوعرة لجأوا إلى اتباع أسلوب حياة استثنائي وغريب وانتظروا حتى ينتهي هذا الهجوم.

ولكن تبقى هناك مشكلة «الجزية الملكية»؛ حيث تشير النصوص إلى أن اللقاءات بين الملك الأكبر وبين الأوكسيين والكوسيين كانت تحدث بصورة منتظمة حيث إن تقديم الهدايا/ الجزية كان مرتبطاً بعملية التنقل الدورية للبلاط من مقر إلى الآخر؛ ولكن الشيء الجدير بالذكر بشكل خاص هو أنه لا الكوسيين ولا الأوكسيين كانوا يسيطرون فعلاً على الطريق من صوصا إلى برسيبولس أو من صوصا إلى إكباتانا، حيث إن الأراضي التي يسكنوها كانت بعيدة عن هذه الطرق، ولذلك يجب الاعتراف بأن الملك الأكبر أو ممثلين شخصيين عنه كانوا يقومون كل عام بالانحراف بشكل متعمد عن الطريق الملكي لمقابلة ممثلين عن الأوكسيين والكوسيين، ومن الواضح أن الأوكسيين قد انخدعوا بوعود الإسكندر Alexander وانتظروا المقدونيين في الممر الضيق ظناً منهم أنهم سوف يحصلون على المقدار الموعود كما كان يحدث في عهد دارا Darius ، ولقد خالف الإسكندر Alexander هذه العادة؛ ومنذ هذا الوقت فصاعداً قام بفرض جزية على الأوكسيين من سكان الجبل وطالب الكوسيين بأن يعلنوا خضوعهم له، ولكن ما فعله الإسكندر Alexander لم يكن له أثر دائم، حيث إنه بحلول عام 317 كان كل من الكوسيين والأوكسيين قد استعادوا استقلالهم «بشكل كامل» ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 17-2؛ وبالرغم من النصيحة الحكيمة التي قدمها بايثون Pithon فلقد أظهر أنتيوجونس Antiogonus التغافل نفسه وعدم الإنصات الذي أظهره الإسكندر Alexander من قبل: حيث إنه كان هو أيضاً عاجزاً عن فهم أية لغة أخرى سوى لغة القوة العسكرية، ونظر إلى هذا التقليد المتمثل في تقديم الهدايا استرضاءً لهذه الشعوب على أنه سيكون وصمة عار وإساءة لا يمكن تحملها لكرامته

العسكرية حيث إنه كان ينظر إلى تلك الهدية على أنها إتاوة من أجل الحصول على حق المرور؛ وفي الحقيقة فإن العلاقات المعتادة والمنتظمة بين هذه الشعوب وبين الملك الأكبر لم تكن قائمة على الحرب، ولكنها بدلاً من ذلك كانت قائمة على «حالة من العداء المسيطر عليه» والتي بدورها كانت قائمة على سياسة الهدايا والهدايا المقابلة دورا، دورادوكين، جيراس، وهو ما ضمن استمرارية هذه الهدايا إلى أجل غير مسمى؛ وتمكننا رواية أريان Arrian من إعادة بناء هذه العملية: ففي كل عام كان الملك أو ممثل عنه يقوم بمقابلة القادة الأوكسيين عند مدخل الممر وكانت تقام مراسم معينة يقوم كل طرف من الطرفين فيها بقطع التزام على نفسه تجاه الطرف الآخر، ومنح الهدايا الملكية لم يكن يشير هنا ولا في أي مكان آخر إلى «ضعف» الملك، بل على العكس فلقد أدى ذلك إلى خلق علاقة بين المانح والمستقبل، ومن خلال هذه المراسم عبر الأوكسيون بشكل ما عن ولائهم للملك؛ ولقد كان هذا الاتفاق يصب في مصلحة الملك الأكبر، حيث إنه تمكن بواسطته من إخضاع الكوسيين والأوكسيين له دون الحاجة إلى شن أية حملات عسكرية وإنفاق مواد هائلة على ذلك؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من المحتمل أن كلا الجماعتين كانتا ترسلان جنوداً إلى الملك في أي وقت يأمر فيه بحشد الجنود .

وهكذا فإنه من المؤكد أن الأوكسيين لم يكونوا منعزلين عن العالم الأخميني، كما أن حجم إنتاجهم الحيواني الخيول، الأغنام، الماشية - والذي يفترض بشكل مسبق أنهم كانوا قادرين على تسويق إنتاجهم الحيواني- يشير إلى أنهم كانوا متصلين بأقاليم الإمبراطورية الأخرى، ولقد قدم لنا أريان Arrian معلومتين مهمتين تحتاجان إلى تفسير: المعلومة الأولى هي أن الأوكسيين لم يكن لديهم مال خريماتا، أما الثانية فهي أن الجزية التي فرضها الإسكندر Alexander عليهم كانت

تتكون من 100 من الخيل + 500 من حيوانات النقل الماشية محدبة الظهر + 30 ألف رأس من الغنم؛ ويقودنا حجم هذه الجزية إلى استنتاج أنه من ناحية كان مرتبطاً بقدرة الأوكسيين على الدفع، وأن هذا المقدار لم يقم الإسكندر Alexander بتحديده في بضع ساعات وإنما كان يعود تاريخه إلى الفترة الأخمينية؛ وفي ذلك الوقت لم يكن ينظر إلى هذه الضرائب التي يتم دفعها في صورة عدد معين من رؤوس الحيوانات على أنها جزية، وإنما كانت تعتبر نوعاً من العقود أو الاتفاقات، حيث إن المال الذي كان يدفعه الملك الأكبر بغض النظر عن الهدايا كان يقابل «سعر الشراء المحدد لشيء ما» راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 19-8: برياستاي؛ وربما كان هذا هو نوع المبادلة الذي كان يقصده زينوفون Xenophon عندما كتب يقول عن الكاردوتشيين: «في كل مرة كانوا يقومون فيها بعقد معاهدة مع المرزبان الذي يسيطر على السهل كان يوجد لبعضهم تعاملات مع الكاردوتشي، وكان يوجد لبعض الكاردوتشي تعاملات معهم» الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-16 .

وعلى الرغم من ذلك فسوف يكون من الخطير جدًّا القول بأن العلاقات بين الملك الأكبر وبين «الشعوب التي تسكن الجبل» كانت تحكمها عادات مشابهة في كل حالة من الحالات، لأنه لم يتم في الواقع توثيق سوى العلاقة بين الملك الأكبر وبين شعبى الكوسيين والأوكسيين، وتوجد شواهد كثيرة على اللجوء إلى القوة في حالات الشعوب الأخرى، لكن ولسوء الحظ لم نتمكن من تحليل الأسباب التي أدت إلى وقوع ذلك هل كانت راجعة لمخالفة الاتفاقات القائمة بين الطرفين؟ ولا الطرق التي تم اتباعها في ذلك؛ حالة واحدة فقط وهي حالة الكادوزيين تقدم لنا أساساً يمكننا استخدامه في التأمل وصياغة بعض النظريات، وتكرارية الحروب التي تم خوضها ضد الكادوزيين هو أحد الأشياء الجديرة بالذكر بشكل خاص حيث إن هذا الموضوع قد ظهر

في الأساطير التي تم نسجها حول المؤسس نيكولاس Nicolaus الدمشقى؛ ولا توجد لدينا أية تفاصيل حول مهمة دارا Darius الثاني زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثاني، فقرة 1-13؛ ولقد قام العديد من المؤلفين بذكر الحملة التي شنها عليهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن يصعب التوفيق بين هذه الروايات؛ وتبدو إشارات ديودورس Diodorus إلى هذه الحملة كما لو كانت تريد القول بأن هذه الحملة قد استمرت لبعض الوقت الكتاب الخامس عشر، فقرة 8-10، 5-1، ولقد قال تروجوس بومبيوس Trogus Pompeius بشكل محدد أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني خسر هذه الحرب، ومن المحتمل أن كاميساريس Camisares قد لقي حتفه في هذه الحرب، وأن ابنه داتاميس Datames قد تمت مكافأته من قبل الملك بسبب الأعمال العظيمة التي قام بها خلالها نيبوس Nepos ، داتاميس Datames ، فقرة 1-2؛ ومن ناحية أخرى فإن بلوتارخ Plutarch لم يذكر وقوع أي قتال: حيث قال إن هذه الحملة الملكية قد انتهت بتوقيع معاهدة تقوم على «الصداقة والتحالف» والتي توصل إليها تيريبازوس Tiribazus مع اثنين من الملوك الكادوزيين بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes، 6-24، وبناءً على هذه المعاهدة قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بمغادرة هذا الإقليم، ومن الواضح أنه كان مسروراً بالنتائج التي أسفرت عنها الحملة فقرة 24-9، وتشير هذه المعاهدة بوضوح إلى أن الملك لم يكن يهدف إلى تحدى وجود شيوخ القبائل المحليين؛ فعلى سبيل المثال قام أرتاكسركسيس Artaxerxes -بعد وفاة أرتاجرسيس Artagerses في موقعة كوناكسا- بإرسال «هدايا فخمة وحسنة للغاية إلى ابنه» فقرة 14-1، ومن الواضح أن هذه كانت طريقة أخرى لإضفاء الشرعية على خلافة الملك الكادوزي انظر فصل 16-18 بالأسفل.

ونحن نعرف أيضاً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد قاد حملة ضد الكادوزيين؛ ولقد ذكر جوستين Justin بعد الروايات حول هذه الحملة الكتاب العاشر، 2: 3-5 وكذلك أيضاً ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، 1: 6-2 في الرواية الرسمية التي قدموها حول خلافة دارا Darius الثالث، ولقد اختزل هذان المؤلفان تلك المواجهة في مبارزة فردية مينوماخيا والتي قام بها دارا Darius الثالث رداً على التحدى الذي قدمه أحد العمالقة الكادوزيين، وتوجد شواهد كثيرة على مثل هذه المبارزات الفردية وخاصةً في القصص التي ذكرها ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، فقرة 4: 88-6 وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب السابع، فقرة 33: 4-38 حول صراع ساتيبارزانيس Satibarzanes مع المقدونيين في إقليم أريا، حيث إنه نظراً لإحتمال استمرار المعارك دون أن يتحدد فائز، اقترح ساتيبارزانيس Satibarzanes حسم نتيجة هذه الحرب من خلال المنازلة الفردية، ولقد قبل إريجيوس Erigyius هذا الاقتراح وكان هو الفائز في المنازلة والتي استسلم بعدها جنود ساتيبارزانيس Satibarzanes دون مزيد من القتال؛ وتذكرنا هذه النزالات الفردية بما كتبه إم. ماوس Mauss : «إن الشعوب المذكورة في العقد هي شعوب فانية: عشائر، قبائل وأسر، والذين يواجهون ويعارضون بعضهم البعض، إما كمجموعات توجه بعضها على اليابسة أو في شخص قوادها أو بكلا الطريقتين في وقت واحد»؛ ويمكننا أن نتساءل عما إذا كانت منازلة كودومان Codoman الفردية للكادوزيين تعكس ممارسة «العداء المنظم» سواء أكانت تتكون من مواجهة بين جيشين أو كانت بسيطة وخالصة، أو وه الإحتمال الأكثر رجحاناً سواء أكان هذه النزال الفردى يلى معركة بين الطرفين تبعاً لهذه النظرية، دارت معركة وفق التقاليد المتعارف عليها، ولقد قام الكادوزيين بعد هذه المعركة بتجديد ولائهم للملك الأكبر في

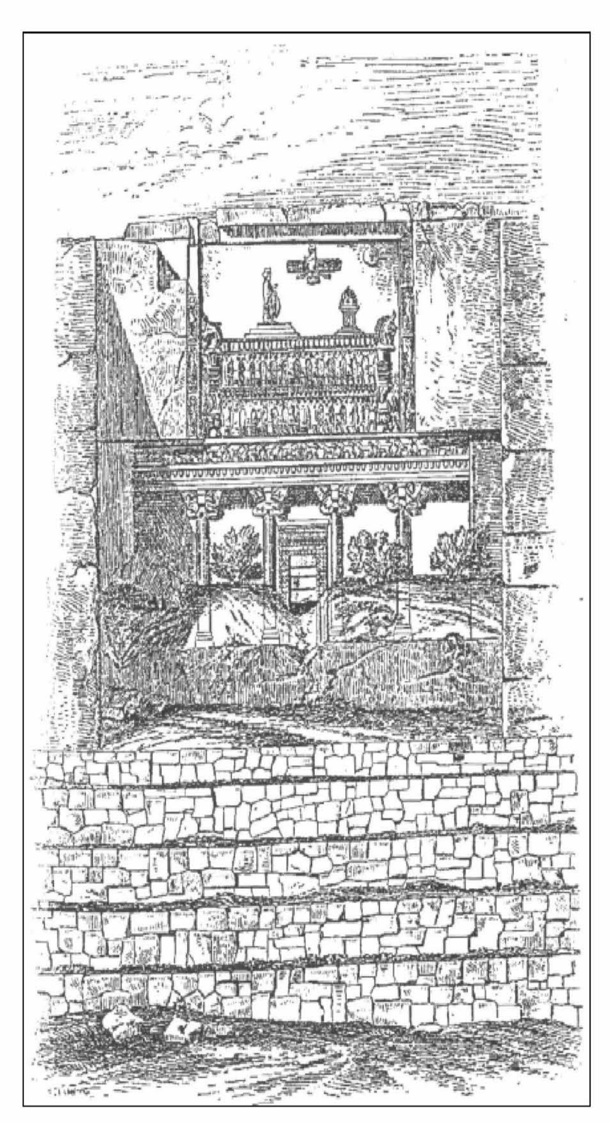
معاهدة كانت شكليًا تتسم بالمساواة، ولكننا يجب أن نكون حذرين: حيث إن هذه النظرية يجب أن تأخذ في الاعتبار حقيقة أن قصص ديودورس Diodorus وجوستين Justin تم بناؤها في الأساس اعتماداً على مجموعة من الأفكار الملكية المتكررة راجع فصل 17-1 والتي نجدها بصورة جزئية في اللوجوس الميدي الذي تحدث عنه ديودورس Diodorus الكتاب الثاني، فقرة 33: حيث لجأ رجل فارسي اسمه بارسونداس Parsondas - والذي كان مقرباً من الملك الميدي أرتيوس Artaeus - إلى الكادوزيين «والذين كان قد زوج أخته إلى رجل منهم والذي كان الرجل الأكثر نفوذاً في هذه الأجزاء»، ولقد تمكن بارسونداس Parsondas - بالاستعانة بجيش مكون من 200 ألف رجل- من هزيمة الملك أرتيوس Artaeus والذي كان يقدر جيشه بـ800 الف جندي: «وبسبب هذا العمل البطولي، أُعجب به شعب هذه الأرض لدرجة أنهم اختاروه ملكاً» 33-4؛ ويختم ديودورس Diodorus قصته بهذه الطريقة: «لقد كانت تربط الكادوزيين على الدوام علاقة عداء متأصلة بالميديين، ولم ينجح الملوك الميديون مطلقاً في إخضاعهم لسيادتهم، وحتى عندما قام قورش Cyrus بالاستيلاء على ممتلكات مملكة الميديين ونقلها إلى السيادة الفارسية» 33-6؛ ومن الواضح أن ديودورس Diodorus كان يعتمد على الرواية الموجودة في مؤلف نيكولاس Nicolaus الدمشقي وكلاهما كانا من المؤكد يعتمدان على ستيسياس Ctesias ؛ ومن الصعب فهم لماذا كانت توجد كل هذه القصص العديدة حول العلاقة بين الفرس والكادوزيين في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

12- برسيبولس، باسارجاداي، بلاد فارس:

بعد أن تمكن الإسكندر Alexander من الاستيلاء على الحصن الذي

كان يدافع عنه ماداتيس Madates ، قام بإرسال بارمنيون Parmenion مع قافلة الإمدادات عبر طريق العربات الذي يخترق السهل هاماكسيتوس، إتر كامبستري والمؤدى إلى برسيبولس أريان Arrian ، الكتاب الثالث، 18-1؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس، فقرة 3-1؛ ولقد قام هو نفسه بسلوك الطريق الجبلية؛ وبعد أن قام بهزيمة الأوكسيين سكن الجبال وإشاعة الفوضى في صفوف القوات التي تم حشدها عند البوابات الفارسية، انضم الإسكندر Alexander إلى بارمنيون Parmenion في برسيبولس؛ ولقد كانت إقامة الإسكندر Alexander الطويلة في بلاد فارس نهاية عام 331 حتى ربيع عام 330 إلى ظهور عدد كبير من الروايات القديمة التي تمدنا بقدر كبير من المعلومات المهمة للغاية، ويمكننا أن نعود إلى المسار الذي سلكه الإسكندر Alexander من صوصا ونذكر أن أوصاف ديودورس Diodorus في البداية وقبل كل شيء تؤكد على التقابل الموجود بين السهل بحره وقيظه الذي يطاق والهضبة بمناخها المنعش وهو الفارق الذي يدركه على الفور أي زائر لهذه المنطقة، وتصور الأوصاف التي قدمها بشكل خاص مدى الروعة والخضرة التي تتميز بها منطقة فاهليون والتي تكثر فيها الأنهار والينابيع والرياض وجميع أنواع المزارع الكتاب السابع عشر، فقرة 67-3؛ الكتاب التاسع عشر، فقرة 2: 21-3، ولقد كانت هذه هي المناظر الطبيعية التي أبهرت نيرخوس Nearchus أيضاً إنديكا، فقرة 40-4؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-1، وهذه الوفرة التي يتسم بها الريف والخصوبة التي تتميز بها أراضيه - والتي أكد كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عليها أيضاً فيما يتعلق بالأراضي المحيطة ببرسيبولس الكتاب الخامس، فقرة 4-20، فقرة 5-4- تكملها قوة الشعب الذي يسكن تلك المنطقة؛ فلقد ذكر ديودورس Diodorus اعتماداً على رواية شهود عيان هييرونيموس

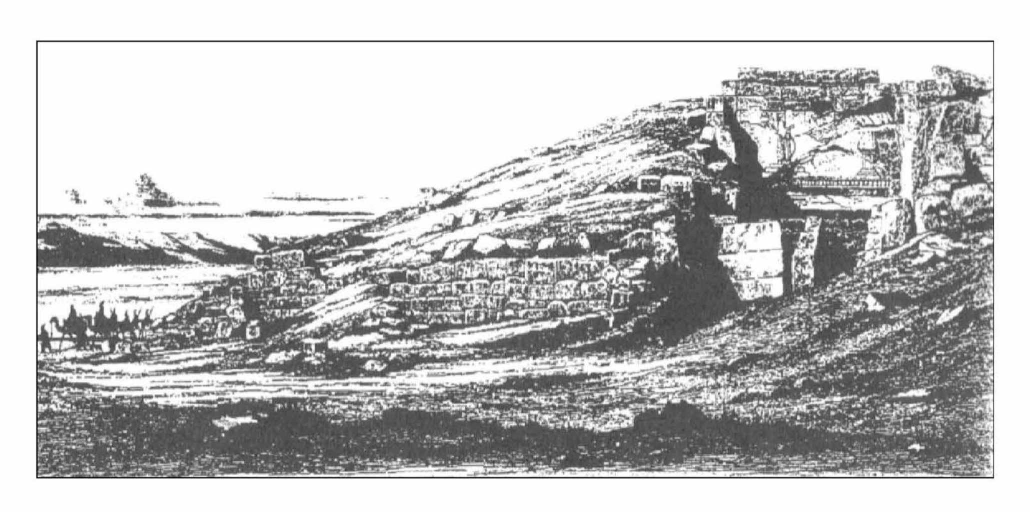
Hieronymus المنتمى إلى كارديا متحدثاً عن المنطقة التي تقع بين فاهليوم وبرسيبولس: «هؤلاء الذين يسكنون هذه المنطقة كانوا من بين أشد الشعوب الفارسية ولعاً بالحرب، وكان كل رجل منهم يجيد الرماية بالأسهم والحجارة، كما أن هذا الإقليم كان يتفوق على جميع المرزبانيات الأخرى من حيث كثافة سكانه» الكتاب التاسع عشر، فقرة 21-3 وتفسر هذه الملاحظة قوة النمو السكاني والمحافظة على الموارد العسكرية للدولة؛ ويمكننا أن نتصور أن «سياسة الملوك الفرس في تحفيز معدل المواليد» راجع هيرودوت Herodotus ، الكتاب الأول، فقرة



الشكل 63

136؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-17 كانت فعالة للغاية؛ ويذكر بلوتارخ Plutarch أيضاً أن الإسكندر Alexander قد حافظ على هذه العادة -التي كان أباطرة الفرس هم أول من طبقوها- والمتمثلة في تقديم قطعة ذهبية إلى كل إمرأة من النساء الحوامل، وذلك عند كل زيارة يقوم بها إلى بلاد فارس الإسكندر Alexander 1:29-2.

ومهما كان الجدل شديداً حول مدى اتساع وأهمية سياسات الإسكندر Alexander وأنشطته، إلا أنها تظهر أن كل من باسارجاداى وبرسيبولس ظلتا مراكز أيديولوجية رئيسة للسلطة الفارسية ومصادر قوة رئيسة للملك الأكبر الفارسي وهي المكانة التي لم تفقدها في أي وقت من



الشكل 64

الأوقات على الرغم من الملاحظة الغريبة والبسيطة التي ذكرها بلوتارخ Plutarch : الإسكندر Alexander، 2-69، ولقد أقر الإسكندر Alexander مرة أخرى بهذه المكانة عندما أمر بدفن دارا Darius الثالث في المقابر الملكية الموجودة في برسيبولس شكل 63 كما كان يحدث من أسلافه السابقين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 22-1؛ والدليل على أن برسيبولس وباسارجاداى كانتا لا تزالان من المراكز الرئيسة في الإمبراطورية تمثل في الأعمال التي استمرت فيهما على مدار القرن الرابع بما فيها الأعمال التي نفذت خلال فترة حكم دارا Darius الثالث، هذا إذا كان من الممكن نسبة المقبرة غير المكتملة إليه، شكل 64، كما أنه تمثل أيضاً في المحافظة على تقديم القرابين بانتظام حول مقبرة قورش Cyrus في باسارجاداى الكتاب السادس، فقرة 29-7؛ ويشير تكرار استخدام الأنماط التصويرية نفسها بما فيها الصور الموجودة على الأختام -من البدايات الأولى لهذه الدولة وعهد دارا Darius الأول وحتى الفترة المتأخرة في تاريخها والمتمثلة في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث- إلى ثبات الأيديولوجية الملكية الأخمينية في مركز الإمبراطورية؛ وفي الوقت نفسه تشير الرسوم البارزة الموجودة على مقبرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى أن عمليات الاستعارة التي تمت

كانت انتقائية: ففي حين أننا نجد الشعوب التي كانت تسكن في أطراف الإمبراطورية النوبيين، الليبيين على جميع المقابر، إلا أن الرسوم والنقوش البارزة الموجودة على مقبرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث لا تظهر تشتمل على الأرمينيين، الليديين، المصريين أو الهنود؛ وهذا الأمر يرجع لأسباب من الواضح أنها لا علاقة لها بحقائق السيادة الإقليمية، ولا تزعم هذه الصور أو القوائم -التي تم إنتاجها في أواخر أيام الإمبراطورية- أنها تقدم مقتطفاً إحصائيًّا عن الإمبراطورية بدرجة أكبر، مما كانت تفعل الصور والقوائم المماثلة في الفترات السابقة من تاريخ الإمبراطورية فصل 5-3؛ وبشكل أساسي فإن هذه الشعوب المذكورة أسمائها هي مجموعة ممثلة تماماً بتلك المجموعة التي شاركت في مأدبة أوبيس Opis : «جاء بعد الفرس الأشخاص المنتمون إلى الشعوب الأخرى الذين كانوا الأسمى منزلة كاتاكسيوسين أو الأسمى في الصفات الأخرى» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 8-11 .

وبالإضافة إلى ذلك فإن إستمرار عمليات البناء وإعادة البناء أثارت مشكلة محددة؛ ففي خلال عهد كل من دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول كان المصدر الرئيس لأنشطة البناء تلك هو العمل الإجبارى الذي كان يؤديه العمال الكورتاس ومنظمة الورش الحرفية والمزارع الإنتاجية، حتى ولو أن هذه المزارع كانت تلعب دوراً أكبر بكثير من مجرد إطعام العمال في ساحات البناء؛ ومن الواضح أنه لا يمكننا أن نعزو «الاختفاء المفاجئ «للألواح التي تسجل هذه العمليات إلى القضاء على الاقتصاد الملكي في فارس والتي هي فكرة سخيفة في حد ذاتها؛ ولكن يبدو أن ألواحاً أخرى من عهد الإسكندر Alexander تزودنا بمعلومات من الممكن أن تثرى هذه المناظرة، فعندما وضع الإسكندر Alexander نفسه في موقف حرج عند البوابات الفارسية، التمس المساعدة من الأسرى الذين قد ألقى جنوده

القبض عليهم للتو؛ ولقد تم تقديم أحدهم على أنه قادر على التحدث بلغتين، حيث كان يتحدث اليونانية والفارسية وربما الليسية أيضاً؛ وفي الحقيقة فلقد جاء والد هذا الرجل في الأساس من ليسيا بعد أن أسره الفرس هناك وجلبوه إلى بلاد فارس؛ ولأنه كان يعرف هذه الجبال مثل راحة يده، حيث إنه كان يعمل كراعٍ في هذه الجبال كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، 3: 4-4، 12-10؛ ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 4: 68-6؛ بلوتارخ Plutarch ، الإسكندر Alexander، 1-37؛ وبعد ذلك ببعض الوقت، وبينما كان الإسكندر Alexander يقترب من برسيبولس أسرع إليه اليونانيون الذين «حملهم ملوك فارس السابقين من بيوتهم إلى هنا»، وكان عددهم حوالي 800 شخصاً تبعاً لديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر، 69-4 وجوستين Justin الكتاب الحادي عشر، 14-11، و4000 تبعاً لكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس، 5-5، ولقد تعرض هؤلاء الأشخاص للتشويه والبتر وتبعاً لديودورس Diodorus حدث ذلك لزيادة قدرتهم على تنفيذ المهام اليدوية الموكلة إليهم، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-4، ولقد تم أيضاً «وسمهم بالحروف البربرية» كوينتوس كورتيوس، الكتاب الخامس، فقرة 5-6؛ ولقد كانوا يعملون في «الإرجاستولا» أي ورش العبيد الكتاب الخامس، فقرة 5-13؛ ولقد جاء بعض هؤلاء الأشخاص من سايمي، بينما جاء بعضهم الآخر من أثينا الكتاب الخامس، فصل 5، فقرات 9، 17؛ ويعود استقرارهم وتوطنهم في فارس إلى بعض الوقت، حيث إن بعضهم قد تزوج وأنجب أطفالاً ورفض العودة إلى موطنه الأصلي الكتاب الخامس، فصل 5، فقرات 13، 20، ويبدو أن هذا كان هو حال الراعي، حيث إن بلوتارخ Plutarch يقول إن: «أبوه كان من ليسيا، أما أمه فكانت فارسية» الإسكندر Alexander ، فقرة 37-1 .

وإذا تـم تجريـد هـذه النصـوص الكلاسـيكية مـن لغتهـا العاطفيـة فإنهـا لا تستحق أن يتم رفضها أساساً؛ ومن المحتمل بدرجة أكبر أنه يجب أن تتم -بطريقـة أو بأخرى- المقارنة بين اليونانيين والليسيين الموجودين في هذه القصص وبين عـمال الكورتاس الذين تتحدث عنهم الألواح؛ وتبعاً لهذه النظريـة فـإن التوجـه المتمركـز على الثقافـة الهلينيـة والـذي تتسـم بهـا المصـادر يـدفعنا إلى الإعتقـاد بـأن هـؤلاء المغتربين اليونانيين والليسيين لم يكونوا سوى عينة من السـكان الـذين بعـد أن تـم تحريرهم من الأسر اختاروا ألا يتركوا مستوطناتهم الموجـودة في بـلاد فـارس والتـي نتجت عن الترحيـل واسـع النطـاق للشـعوب المهزومـة، ولقـد اسـتخدمتهم الإدارة الملكية للعمل في الحقول والمراعي والورش وساحات البناء؛ ونحن لا نزعم أن شـيئاً لم يتغير منذ عهد دارا Darius الأول، ولكننا مقتنعين بالفكرة المعقولـة المتمثلـة في أن الإدارة التي أنشأها الملوك الفرس الأوائل لم تختفِ بشـكل مفـاجىء؛ ولقـد تـم تأكيد ذلك من خلال الفقرة التـي حـدد فيهـا أريـان Arrian بدقـة شـديدة كميـة المؤن والأقوات التي كانت مخصصة للكهنة المجوس المسؤولين عن تقـديم القـرابين حول مقبرة قورش Cyrus بالإضافة إلى عدد الخيول التي يجب عليهم التضحية بها الكتاب السادس، فقرة 29-7، وهي المعلومات التـي كـان قـد تلقاهـا مبـاشرة مـن المديرين الملكيين راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 69-8 كـما في وقت ألواح التحصينات .

وفي الوقت نفسه، فإن المعلومات التي توجد لدينا حول الإدارة التي كانت تشرف على هذه المنطقة وحول المسؤولين الذين كـانوا يشـغلون المناصـب هنـاك في عهـد دارا Darius الثالث تجعلنا نتساءل حـول احـتمال حـدوث تغـيرات في المكانـة التـي كانـت تحتلها فارس على مر التاريخ الأخميني؛ ففي معركة جوجـاميلا كـان هنـاك ثـلاث قـادة يتولون قيادة الفرق التي تم حشدها من «القبائـل التـي كانـت تعـيش بمحـاذاة البحـر

الأحمر الخليج الفارسي»، وكان هؤلاء القـادة هـم أورونتوبـاتيس Orontobates ، أريوبـارزانيس Ariobarzanes وأوركسـينيس Orxines أريـان Arrian ، الكتـاب الثالث، فقرة 5-8؛ راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتـاب الرابـع، فقرة 12-7؛ ولم يتم ذكر الفرس بهذه الطريقة في سياق هذه المعركـة، عـلى الـرغم من أنهم قد شاركوا ككل بصورة منفصـلة عـن القبائـل المحليـة التـي تعـيش عـلى ضفاف الخليج الفارسي أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فصل 3، 11-7؛ ومرة أخرى نجد أريوبارزانيس Ariobarzanes وقد أوكلت إليـه مهمـة الـدفاع عـن البوابـات الفارسية، ويلقبه أريان Arrian هذه المرة بـ «مرزبان فارس» الكتاب الثالث، فقرة 18-2، ومـن بـين الأشـخاص المعـروفين الآخـرين الـذين ذكـرت أسـماؤهم نجـد تيريداتيس Tiridates -أمين الخزانة جانزا في برسـيبولس- والـذي أرسـل رسـالة إلى الإسكندر Alexander يعرض عليـه فيهـا تسـليم المدينـة لـه كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقـرة 5-2* 6-11؛ ولقـد جعلـه ديـودورس Diodorus في روايته «حاكماً على المدينة»، الكتاب السابع عشر، 69-1؛ ويمكننا أن نجد أيضاً اسم جوباريس Gobares والـذي لقبـه كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius بـ «حاكم مدينة» برافكتوس باسارجاداى الكتـاب الخـامس، فقـرة 6-10؛ وإذا كانت معلومات أريان Arrian صحيحة فيجـب أن نسـتنتج مـن ذلـك أنـه في تاريخ غير محدد وفي ظل ظروف غير محددة تم تحويـل بـلاد فـارس إلى مرزبانيـة وهو الوضع الذي لم يكن موجوداً في عهد دارا Darius الأول.

ولكن لا تزال هناك العديد من الأمور غير المؤكدة فيما يتعلق بهـذه النقطة؛ وذلك لأن أريان Arrian هو الوحيد مـن بـين مـؤرخي الإسـكندر Alexander الذي لقب أريوبارزانيس Ariobarzanes بهذا اللقب، الذي وعلى الرغم من ذلك لا توجد عليه أدلة مؤكدة إلا بعد الفتح عنـدما قـام

الملك بتعيين الفارسي فراسورتيس Phrasaortes -ابن ريـومثريس Rheomithres- «مرزبانـاً عـلى فـارس» أريـان Arrian ، الكتـاب الثالـث، فقـرة 18-11؛ وتبعـاً لبوليانوس Polyaenus - والذي جعـل مـن فراسـورتيس Phrasaortes هـذا قائـداً للقـوات الفارسـية المدافعـة عـن البوابـات الفارسـية- فلقـد كـان فراسـورتيس Phrasaortes «أحد أقربـاء دارا Darius المبـاشرين» الكتـاب الرابـع، فقـرة 3-27؛ وتبعاً لكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius يمكننا أن نذكر أيضاً أنه كـان يوجـد شـخص بـارز بجـوار أريوبـارزانيس Ariobarzanes وهـو أوركسـينيس Orxines والذي كان «مسؤولاً عن كل شيء، وكان ينحـدر مـن الفـرس السـبعة ويمتـد نسـبه أيضاً إلى قورش Cyrus الملك الأكثر شهرة» الكتاب الرابع، فقرة 12-8؛ ولهذا السبب وبعد مصرع فراسورتيس Phrasaortes خـلال حملـة الإسـكندر Alexander عـلى الهند، قام أوركسينيس Orxines بإعلان نفسه مرزباناً على فـارس «لأنـه شـعر أنـه الشخص المناسب -فى غياب أي حاكم آخر- الذي لديه القـدرة عـلى السـيطرة عـلى الفرس لصالح الإسكندر Alexander » أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقـرة 29-2؛ وهذه هي النقطة التي يمنحه عنـدها كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius لقب «مرزبان» الكتاب العاشر، فقرة 1-22 وهذا مـا يعنـى ببسـاطة أننـا يجـب أن نفهم من ذلك أن أوركسينيس Orxines كان هو زعيم قبيلة الباسارجاداى برسـيكا جنس، كويوس سترابيس أورسينيس إيرات؛ ويظهر هذا المثال على الأقـل أن النظـام الطبقى القبلى والاجتماعى كان لا يزال قائماً في فارس؛ ومن الواضح أن رؤسـاء الأسر العريقة حافظوا على كونهم أصحاب المنزلة الأعـلى بلوتـارخ Plutarch ، الإسـكندر Alexander، 1-37؛ وبالإضـافة إلى ذلـك -فتبعـاً لكوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius - كان أوركسينيس Orxines هو الذي قاد الفرق الفارسية، ولكن لو كـان

هذا صحيحاً فماذا كان دور أريوبارزانيس Ariobarzanes بالضبط؟ وهل كان لقب مرزبان راجعاً فقط لمنصب القيادة الذي شغله عند البوابات الفارسية؟

إن المشكلة أصعب من ذلك بكثير؛ لأنه -باستثناء تعيين مرزبان على بلاد فارس- نجد أن عرض القرارات الإدارية التي اتخذها الإسكندر Alexander في برسيبولس كان وجيزاً للغاية، سواء في رواية كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius أو أريان Arrian ؛ وكل ما ذكره الإسكندر Alexander هو أن تيريداتيس Tiridates قد احتفظ بوظيفته كأمين للخزانة جازوفيلاكس حتى بعد أن تم تسليم القلعة إلى المقدوني نيكارخيديس Nicarchdes الفصل الخامس، فصل 6-11؛ ومن ناحية أخرى لم يذكر أي من المؤلفين أي شيء حول الجزية التي كان يتم تحصيلها من هذه المرزبانية، على الرغم أنه كان يتم تقديم هذه المعلومة بصورة منتظمة في الحالات الأخرى؛ وكل ما يمكننا عمله عند هذه النقطة هو ذكر ثلاث معلومات من الصعب أن نربطها ببعضها: الأولى هي أن الأوكسيين من سكان السهول كانوا معفون من الجزية كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثالث، فقرة 15-3، والثانية هي أن الأوكسيين من سكان الجبل كان عليهم أن يدفعوا جزية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 17-6، والثالثة هي أن الكورتاس اليونانيين قد تم إعفائهم من دفع الجزية بمجرد أن تم تحريرهم أتيليس باسيليكو فورو ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-8؛ ولكن ما الذي يمكننا أن نستنتجه من هذا حول الموقف السائد قبل قدوم الإسكندر Alexander ؟ إن الحقيقة الوحيدة الواضحة التي توجد لدينا انظر بالأعلى هي أن الأوكسيين من سكان الجبال لم يكونوا يدفعون جزية إلى الملك الأكبر، ولكنهم أصبحوا مضطرين الآن إلى دفعها إلى الإسكندر Alexander ؛ وبالإضافة إلى ذلك يقودنا السياق إلى

اعتقاد أن الإعفاء الذي تم منحه إلى الأوكسيين من سكان السهول كان تأكيداً لمكانة سابقة ولقد كان من الغريب جدًّا أن الإسكندر Alexander وافق على عدم فرض الجزية ولكن لا تزال هناك حالة اليونانيين الذين كانوا موجودين في برسيبولس: هل تشير ملاحظة ديودورس Diodorus إلى أنه كانت هناك جزية مفروضة عليهم قبل عهد الإسكندر Alexander ؟ أم هل تشير إلى أن الإسكندر Alexander قام بعد الفتح بفرض الجزية على بلد كانت -كما يقول هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث، فقرة97- معفاة منها في عهد دارا Darius الأول؟ إن هذا السؤال صعب إلى حد ما؛ ودعونا نتذكر أن اليونانيين قد حصلوا على البذور والماشية من الإسكندر Alexander «حتى يستخدموها في حرث وزراعة الأراضي التي تم منحها لهم أجير أتريبوتوس» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 5-24؛ وهذا يمدنا بالسياق الذي تم فيه الإعفاء من الجزية الملكية ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 69-8 والذي يتصل فقط بحالة شديدة الخصوصية: فلقد قام الإسكندر Alexander بوصفه الفاتح بأخذ أراضي من العزب الملكية أو من عزب النبلاء وخصصها لأحد المجتمعات؛ ولقد شكل هذا الأساس لإنشاء مستعمرة هناك، وهي العملية التي ارتبطت بشكل متكرر في الفترة الهلينية بتوزيع البذور والإعفاء المالي المؤقت من دفع الضرائب؛ وهكذا فإنه يبدو من الصعب صياغة استنتاجات عامة حول وضع فارس فيما يتعلق بدفع الجزية سواء قبل أو بعد قدوم الإسكندر Alexander من خلال هذه البيانات؛ وإذا كان اليونانيون -كما هو مفترض- مجرد جزء من صغير من مجتمع أكبر من الكورتاس، فإنه من المؤكد أن الإسكندر Alexander لم يكن ينوى تحريرهم جميعاً؛ لأنه إذا كان الاقتصاد الملكي لا يزال حيويًّا وفعّالاً في عامي 330-331، فإنه لن يكون هناك

داعٍ للقيام بعمل سوف يؤدى على الأرجح إلى إضعافه؛ وتوضح النصوص القليلة التي تعود إلى فترة الإقامة الثانية للإسكندر في بلاد فارس بشكل عام استمرارية الممارسات الأخمينية أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 29-7؛ بلوتارخ Plutarch ، الإسكندر Alexander، 2-9 1:6 .

13- من برسيبولس إلى إكباتانا:

في ربيع عام 330 تقدم الإسكندر Alexander مسرعاً بجيوشه على طول الطريق الرئيس للهضبة المؤدى إلى ميديا والذي قطعه في 12 يوماً أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-3؛ وهي الرحلة التي يمكن أن يقطعها الجيش الذي يتحرك بمعدل طبيعي في مدة 20 يوماً ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 46-6؛ ولقد عبر وأخضع أراضي البراتاكاي وجعل منها مرزبانية أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-2؛ ولقد عبر الإسكندر Alexander أيضاً أراضي الجابينى والتي يحدد سترابو Strabo موقعها بأنها كانت تقع على الأطراف الشمالية لبلاد فارس وهي أيضاً المكان الذي يوجد فيه أحد القصور الملكية باسيليون في جاباى/تاباى سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-3؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 13-2؛ ولقد كانت هذه المنطقة إحدى المناطق القوية التي يمكن أن يستخدمها الجيش في إعادة التزود بالمؤن ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 26-2؛ ثم وصل الإسكندر Alexander بعد ذلك إلى إكباتانا، وفي جوجاميلا كانت الفرقة الميدية بالإضافة إلى الفرق الآتية من إكباتانا: الكادوزيين، الألبانيين، الساسيسينيين تحت قيادة أتروباتيس Atropates الميدي أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4، وهو الذي سيؤسس في المستقبل الدولة الأتروباتية في ميديا سترابو Strabo ، الكتاب الحادي

عشر، فقرة 13-1، هل كان في ذلك الوقت مرزباناً على ميديا؟ لا يمكننا أن نجزم بذلك؛ ولكن كل ما نعرفه هو أن الإسكندر Alexander قام بتعيين الفارسي أوكسيداتيس Oxydates في هذا المنصب بعد ذلك ببعض الوقت أريان Arrian ، الفقرة الثالثة، 20-3 قبل أن يستبدله بأتروباتيس Atropates نفسه الكتاب الرابع، فقرة 18-3؛ وعلى أية حال فإن هذا هو أول دليل نقابله على وجود منصب مرزبان ميديا منذ عهد دارا Darius الأول وفي ذلك الوقت كان ميتورنا Miturna/ هيدارنيس Hydarnes هو المرزبان هناك لوح التحصينات أ 18، والمرة الأخيرة التي تمت فيها الإشارة إلى طريقة إدارة المدينة كانت تتمثل في الإشارة في رسالة عزرا Ezra إلى دور المحفوظات الملكية التي توجد في حصن إكباتانا 1: 6-2، هجماتانا ديدا؛ ولأن ميديا كانت تقع بعيداً عن مسارح العمليات الفارسية اليونانية، فإنها نادراً ما كانت تجذب انتباه الكتاب اليونانيين القدماء وهذا على الرغم من أنهم كانوا على علم بالفخامة والروعة الإسطورية التي كانت تتميز بها إكباتانا، كما أنهم كانوا يعلمون أيضاً أنها واحدة من أماكن الإقامة الدورية للملك الأكبر وبلاطه، ولقد قام مؤرخى الإسكندر Alexander بسد هذه الفجوة في المعلومات بشكل جزئي فقط، وذلك لأن المقدونيين لم يقوموا سوى بزيارات قصيرة إلى إكباتانا.

ومن ناحية أخرى، فلقد ترك بوليبيوس Polybius أوصافاً متحمسة لميديا وإكباتانا في العديد من المناقشات التي تناول فيها تاريخ الدولة السيلويسية؛ ولقد أكد على الموقع الاستراتيجي غير العادي الذي تتميز به هذه المنطقة وضخامة ما لديها من موارد: «يمكن أن يتم تصنيفها كمملكة» الكتاب الخامس، فقرة 44-45؛ وكما يقول فلقد «كانت ميديا هي المقاطعة الأبرز في آسيا كلها من حيث اتساع مساحة أراضيها وعدد الرجال وأيضاً جودة الخيول التي تنتجها؛ حيث إن توفر الإمدادات

التي تحتاجها آسيا بأكملها» الكتاب العاشر، فقرة 27؛ ولقد كان رفاق الإسكندر Alexander يعرفون جيداً مدى خصوبة ووفرة المراعي الميدية وهي الوفرة التي أكد عليها بوليبيوس Polybius ، وكانت مزارع استيلاد الخيول النسائية الشهيرة تبعد مسيرة ستة أيام من إكباتانا مقاطعة نيسايا؛ وفي خلال عهد أباطرة فارس كان تحتوي هذه المزارع على 150 ألفاً من الخيل والتي كانت ترعى بحرية ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 110-6؛ أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 13-1؛ وعلى الرغم من المناخ الرطب، كانت تحتوي ميديا على مقاطعات غنية كان يقوم الفلاحون الذين يعيشون في مئات من القرى بزراعة سهولها وحقولها ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، 1: 32-2* 37-2* 39-1؛ وكما يقول سترابو Strabo فلقد كانت ميديا وحدها في عهد أتروباتيس Atropates في ذلك الوقت كانت منفصلة عن ميديا الكبرى تسلم إلى الملك الأكبر بالإضافة إلى مال الجزية عدداً مذهلاً من الماشية في كل سنة: 4000 بغل + 3000 حصان + 100 ألف خروف؛ وقد أكد سترابو Strabo مرة أخرى على ضخامة حجم الموارد العسكرية التي كانت تمتلكها هذه المنطقة، حيث كان بإمكانها أن تحشد بسهولة 10 آلاف من الفرسان + 50 ألف رجل من المشاة الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-2؛ وتعني ملاحظة سترابو Strabo هذه أن المقاطعة التي سوف تصبح فيما بعد مملكة ميديا الأتروباتية كانت تمثل بالفعل مقاطعة إدارية فرعية دافعة للجزية خلال الفترة الأخمينية؛ ونلاحظ أيضاً أن ديودورس Diodorus قد استخدم كلمة إيبارخية: ولقد كانت راجاى واحدة من الإيبارخيات التابعة لميديا، وبسبب تاريخ الأحداث التي يصفها ديودورس Diodorus بداية عصر الديادوكي، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا المصطلح يعود إلى أحد التنظيمات الإدارية الأخمينية والتي ربما كانت وحدة مماثلة لـ «المدينة»

والتي تشير في الوثـائق الآراميـة الموجـودة في مصر إلى تقسـيمات فرعيـة داخليـة للمرزبانية انظر ديـودورس Diodorus ، الكتـاب التاسـع عشر، فقـرة 95-2، التـي تشير إلى إدوميا.

وقد كان بوليبيوس Polybius هـو مـن قـدم أفضـل وصـف لإكباتانـا، فلقـد وصفها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ببسـاطة عـلى أنهـا عاصـمة ميـديا كابوت ميدياي الكتاب الخامس، فقرة 8-1، بينما قدمها ديودورس Diodorus على أنها مدينة كبيرة للغاية يبلغ محيطها 160 مقياس بعدى = 30 كم تقريباً، وأنها كان بها أحد المقار الدورية للبلاط باسيليون وأيضاً خزينة مكدسة بالثروات فلقـد أحضر الإسكندر Alexander بعض خـزائن صوصـا وبرسـيبولس إلى إكباتانـا؛ بيـنما يقـول بوليبيوس Polybius الكتاب العاشر، فقرة 27 إن هذه المدينة على الرغم من أنها لم تكن محصنة إلا أنها كانت تحتوي على قلعة أكرا تحيط بها أسوار قوية، ولقـد قـام دارا Darius بتعليـق الأجسـاد المشـوهة للمتمـرد فرافـارتيس Fravartis ومـن ساعدوه على أسوار هذه القلعـة في عـام 521، ولقـد وصـف بوليبيـوس Polybius أيضاً الثروات الهائلة التي كانت توجد في القصر المقام هنـاك: حيـث كـان السـقف والعوارض الأفقية والأعمدة -والذين كانوا مصنوعين إما من خشـب الأرز أو السرو- «كانوا مبطنين إما بالـذهب أو بالفضـة»؛ وحتـى بعـد أن قـام الجنـود المقـدونيون بنهبهم كانت لا تزال الأعمدة الموجودة في البهو المعمد لمعبد أنيس مذهبة وكان لا يزال هناك عدد من ألواح الفضة متراكماً فيه»، ومن المؤكد أن الإلهة أنيس هـذه لم تكن سوى الإلهـة أناهيتـا Anahita التـي أمـر أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني بعمل تمثـال طـقسى لهـا في إكباتانـا، والتـي أرسـل أسباسـيا Aspasia لهيكلهـا «حتى تكون كاهنة لـديانا إلهـة إكباتانـا» -والـذين يسـمونها أنـايتيس- ولـكي تقضى بقية حياتها في عفة» بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ،

فقرة 27-4؛ ولقد تحدث إيسيدور Isidore المنتمى إلى كاراكس عن هذا المعبد فيما بعد المحطات البارثية، ومن المحتمل أن هذه الإلهة هي الإلهة التي يسميها أحد النقوش الهلينية بأرتيميس الميدية فصل 16-3 بالأعلى، ومن المؤكد أنه كان توجد العديد من الهياكل في إكباتانا وباقى أجزاء ميديا راجع أريان Arrian ، الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 27-4؛ ومن ناحية أخرى فإننا نتساءل حول الهوية الإيرانية للإله المسمى بـ «إسكليبيوس» والذي من المفترض أنه كان يوجد له معبد في ميديا أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 14-5؛ وكما يشير بوليبيوس Polybius فإنه من المؤكد أن العديد من المبانى قد تم بناؤها في عهد أباطرة فارس، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه توجد شواهد على الأنشطة الإنشائية لهم في العديد من النقوش والتي يعود ثلاثة منها إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؛ ولكن نتيجة لعدم وجود حفريات منظمة في تلك المنطقة فإننا لا نستطيع تقديم أية تفاصيل؛ وأخيراً فلقد حذى المرزبانات والنبلاء حذو زملائهم وقاموا بزعة مجموعة من الرياض الخلابة بالقرب من المدينة» والتي كانت تسحر الناظر إليها بمنظر البساتين المزروعة بها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، 22: 2-23، ولقد كانت هناك ضيتع إضافية مخصصة لخدمة المحطات الملكية ستاثموى باسيليكوى التي توجد على طول الطرق الملكية بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقرة 25-1؛ ومن المؤكد أن أشهر تلك الضياع كانت هي تلك الموجودة في بيهستون، ولقد جعلت شهرتها الإسكندر Alexander ينحرف عن الطريق من بابل إلى إكباتانا ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 90-5، ولقد كانت بيهستون تقع في مقاطعة كامباندا ولقد كان هذا الاسم هو نفسه اسم «جامبادينى» الذي ذكره إيسيدور Isidore المنتمى إلى كاراكس المحطات البارثية، فقرة 5، ويحتمل أيضاً أنه كان هو اسم

جاداملا الذي ذكره ديودورس Diodorus الكتاب التاسع عشر، فقرة 37-1.

ومن وجهة نظر بوليبيوس Polybius الكتاب الخامس، فقرة 44، فإن إكباتانا كانت تدين بشهرتها وثرواتها تلك إلى موقعها الذي كان يوجد عند مفترق طرق؛ ففي جهة الشرق يوجد ما يسميه كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius بـ «فيا ميليتاريس الطريق العسكري» وهو طريق خراسان المؤدى إلى باكترا وآسيا الوسطى عبر منطقة راجاى الغنية، وبوابات بحر قزوين وهيكاتومبيلوس راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 1: 19-2* 20-2؛ ويمكن الذهاب إلى كل من أرمينيا وكبادوكيا بسهولة من إكباتانا بلوتارخ Plutarch ، فقرة 1: 16-2، كما يمكن أيضاً الوصول إلى برسيبولس بسهولة عبر جابينى، ويستطيع المسافر أيضاً أن يصل إلى أعالي بلاد ما بين النهرين من سلوك أحد الطرق الجبلية والذي لا يحتوي سوى على فرص ضيئلة لإعادة التزود بالمؤن أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 16-1، ويعبر هذا الطريق الأرض التي يشير إليها أحد الألواح الفلكية الذي يعود إلى عام 331 بالاسم المبتذل «أرض جوتى»، كما يمكن للواحد منا أيضاً أن يسلك الطريق الذي وصفه هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس، فقرة 52، والذي كان عند ساردیس ونهر The Halys ويمر عبر جزء من كبادوكيا، ولهذا الطريق 15 محطة ستاثموى في أرمينيا، ثم يسير بعد أربيل بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة ماراً في خلال ذلك بالعديد من روافده وذلك عبر كباري عائمة الكتاب الخامس، فقرة 52؛ ومن الطبيعي جدًّا أن دارا Darius الثالث قد توقف في إكباتانا بعد هزيمته في جوجاميلا، حيث كان يأمل في أن يحشد هناك المزيد من الجنود القادمين من مرزبانيات الهضبة الإيرانية فصل 18-4؛ ولقد كانت إكباتانا أيضاً هي المكان الذي قام فيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بحشد الجنود من

المرزبانيات الشرقية ثم أمرهم بعد ذلك بالزحف على بابل ديـودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، فقرة 22-1، ولقد تكرر هذا الـدور الاسـتراتيجي الـذي لعبتـه إكباتانا راجاى على مدار التاريخ الأخميني، ولقد اتضح بشـكل خـاص في الحـروب التي خاضها دارا Darius الأول في عامي 522-521 حيث إنه قد مكث هناك عـدة أشهر ليقوم بتنظـيم الهجـمات المضـادة عـلى كـل مـن بارثيـا وراجـاي، ولقـد كـان الإسـكندر Alexander هـو الآخـر ينظـر إلى هـذه المدينـة عـلى أنهـا ذات أهميـة مصيرية: وقد استنتجنا ذلك من قيامه بترك بـارمنيون Parmenion وبعـض القـادة الآخرين هناك ومن قيامه أيضاً بنقل بعض الخزائن التي كانت موجودة في كل من برسيبولس وصوصا إليها، ولدينا كل الأسباب التي تدفعنا إلى الاعتقاد بأن العاصـمة الميدية كانت أكثر من مجرد السكن الصيفى لأباطرة فارس حيث إنها كانت تعمـل دائماً كنقطة التقاء لشطري الإمبراطورية الشرقي والغربى، فلقد كان يتم نقل السلع الواردة من آسيا الوسطى -مثل اللازورد الذي يأتي من باداخشـان البعيـدة باكتريـا- عبر إكباتانا؛ وتكشف الألواح من عهد كل من قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses عن أنشطة التجار البابليين في العاصمة الميدية، وهناك أيضاً بعض الوثائق المشابهة التي تعود إلى عهـد دارا Darius الثـاني بمـا فيهـا نقـش يفـترض أنـه مـن همـدان؛ ويرجح أن المنشآت التجارية البابلية كانت تتبع عمليـات إعـادة التمركـز السـنوية للبلاط الملكي .

وقد قام الميديون -مثلهم مثل العديد من شعوب الإمبراطوريـة- بتقـديم فـرق عسكرية، والتـي اسـتقرت بشـكل دائـم في مسـتعمرات الحاميـات الفارسـية في آسـيا الصغرى أو مصر ديودورس Diodorus ، الكتـاب السـابع عشر، فقـرة 19-4؛ ويظهـر العديد من الميديين في الألواح البابلية التي تعود إلى القرن الخـامس ق.م؛ وفي المقابـل فإنه يمكننـا أن نسـتنتج وجـود مجموعـة مـن الفـرس المغتربـين المقيمـين هنـاك مـن

نص بيروسوس Berossus الذي ناقشناه بالأعلى فصل 15-8؛ ومـن ناحيـة أخـرى فنحن لا نعرف عمليًّا أية معلومات حول المكانة التي كان يحتلها النبلاء الميـديون في الإمبراطورية أو حول طبيعة العلاقات التـي كانـت تـربطهم بـالفرس؛ وبـالطبع يمكننا أن نتصور أن العائلات الميدية العريقة صاحبة المال كانت مضطرة بطريقـة أو بأخرى إلى التعـاون مـع السـلطات الفارسـية برنسـيبيس: كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 1-3، ولكن مـا السـبب الـذي دفعهـم إلى ذلك؟ وماذا كانت الواجبات المكلفين بها؟ إنه من الصـعب التعامـل مـع هـذه المشكلة؛ لأنه يستحيل أن نجد رجالاً يوصفون بأنهم ميديين بين كبار الشخصـيات الموجودة في الدولـة وذلـك منـذ عهـد ملـوك الفـرس الأوائـل؛ ولقـد قـام مؤرخـو الإسكندر Alexander بتحديد ثلاثـة أشـخاص بالضبط يـتم وصـفهم بـأنهم مـن الميديين، وهؤلاء الأشخاص هـم: أتروبـاتيس Atropates أريـان Arrian ، الكتـاب الرابع، فقرة 18-3، بارياكسيس Baryaxes الكتاب السـادس، فقـرة 29-3، ورجـل ثالث يسمى إمـا كوبـاريس Cobares كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتاب السـابع، فقـرة 4-8 أو بـاجوداروس Bagodaros ديـودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 83-7؛ وعلى العكس من ذلك، فإننـا نجـد أن الإشـارات إلى أنيربرسيس هي شائعة وكثـيرة إلى حـد مـا؛ ومـن التحليـل الأولي يبـدو لنـا أن هناك تقابلاً واضحاً بين مكانـة الفـرس ومكانـة الميـديين في عهـد كـل مـن قـورش Cyrus وقمبيـز Cambyses وحتـى في عهـد دارا Darius وكسركسـيس Xerxes واللـذان كانـا يمـيلان إلى وضـع الميـديين وميـديا في الـدائرة الأولى مـن الأشـخاص المقربين منه فصل 5؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فـنحن لا نعـرف مـا إذا كـان لقـب «ملك الفرس والميديين» - والذي كـان معروفـاً في عهـد كسركسـيس Xerxes - قد تم الإبقاء عليه أم لا، وذلك على الرغم من أن هـذا اللقـب -وتبعـاً لأريـان

Arrian الكتاب الحادي عشر، فقرة 29-3- كان هو اللقب الذي لقب به الميدي بارياكسيس Baryaxes نفسه خلال فترة غياب الإسكندر Alexander في الهند؛ وأخيراً فإن الدور الذي كان يلعبه الميديون في جيش دارا Darius الثالث يبدو أقل أهمية وبروزاً مما كان عليه الحال في جيوش كل من دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes ؛ ولكن ما الذي يمكننا استنتاجه من هذه الملاحظات سيئة التوثيق؟ هل يجب أن نستنتج من ذلك انحطاطاً نسبيًّا لمكانة ميديا والميديين في إطار الإمبراطورية ككل؟ من الصعب تحديد ذلك، حيث إن اسم ميديا استمر في الورود أولاً في قائمة البلاد التابعة للإمبراطورية، ولكننا يجب أن نتذكر أن هذه القائمة كان يتم نسخها بشكل روتيني؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن غياب الميديين عن قائمة الشخصيات البارزة في الإمبراطورية خلال القرن الرابع ليست سوى انعكاساً مضللاً للفجوات الموجودة في الأدلة وعدم تأكدنا من الأسماء الشخصية.

وتستمد السجلات التي لدينا معلوماتها من عدد قليل من النصوص التي تعود إلى الفترة من عهد دارا Darius الثاني وحتى عهد الإسكندر Alexander ؛ ويمكننا أن نبدأ بالمعلومات التي يقدمها لنا أحد التفسيرات الموجودة في مؤلف زينوفون Xenophon المسمى «هيلينيكا» الكتاب الأول، فقرة 2-19، والذي يقول إن دارا Darius الثاني قد تمكن من إخضاع الميديين الثائرين إلى سيطرته مرة أخرى في نهاية عامي 409-408، ولكننا لا نعرف شيئاً عن أسباب أو نطاق مثل هذه الثورة لدرجة أنه من المستحيل تحديد مكان هذا الفصل التاريخى في التاريخ الطويل للأخمينيين؛ ولا يوجد ما يدفعنا لافتراض أو نفى أن ميديا قد تعرضت للدمار بصورة مؤقتة في الفترة ما بين 521-520 بسبب النزعات الانفصالية التي ظهرت هناك؛ ولكن يمكننا أن نسترجع أن أحد الألواح الفلكية من عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني رقم 369

يتحدث عـن شـن حملـة عـلى أرض رازونـدا التـي توجـد في ميـديا وأن بارياكسـيس Baryaxes قد ارتدى العمامة المنتصبة وأعلن نفسـه «ملكاً عـلى الفـرس والميـديين» أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 29-3؛ ولكن ما أهمية هذا الادعاء بـالنظر إلى التاريخ الطويل للعلاقات بين الفرس والميديين وخاصـة في هـذه اللحظـة التـي حـاول وأحد أو أكثر من الفرس أن يحول مسار التـاريخ الفـارسي إلى بـلاد فـارس مـرة أخـرى الكتـاب السـادس، فقـرة 27-3؛ كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتـاب التاسع فقرة 10-19؟ وفي النهاية يمكننا أن نسترجع أن بيسوس Bessus قد تم إرسـاله إلى إكباتانـا بعـد أن أصـدر الإسـكندر Alexander حكمـه عليـه بالإعـدام كوينتـوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 10-10، «وذلك ليتم إعدامه في مجلس الفرس والميديين سـيلوجوس» أريـان Arrian ، الكتـاب الرابـع، فقـرة 7-3؛ ونميل بصورة واضحة إلى استنتاج وجود نوع ما من الحكم الفارسي الميدي المشترك في الفترة الأخمينية السابقة من هذه الفقرة، والتي تفترض أن هذه الممارسة التي قام بها الإسكندر Alexander كانت تحذو حذو الممارسة الأخمينية السابقة؛ ولكن وكما هـو الحـال فإنـه مـن المـرجح بدرجـة أكـبر أن مـا لـدينا هنـا هـو مثـال نمـوذجى عـلى «الاستمرارية الزائفة»؛ لأننا لا يوجد لدينا دليل على أن كـان هنـاك في أي وقـت مـن الأوقات مجلس للنبلاء الفرس والميديين يجتمع بصورة منتظمـة في الفـترة الأخمينيـة، كما أنه من غير المرجح أيضاً أن الإسكندر Alexander كان يقصـد أن يرمـز إلى محـو مكانة بلاد فارس وبرسيبولس من خلال اختيـاره لإكباتانـا وأنـه فعـل ذلـك ليعيـد إلى ميديا سابق تألقها وبهائها؛ وفي الحقيقة فلقد وافق -من ناحية- وبشكل غـير متعمـد على تزويد بعض القصور بالمشـاعل أريـان Arrian ، الكتـاب السـادس، فقـرة 30-1، ومن الناحية الأخرى قام بإرسال رفاة دارا Darius الثالث إلى برسـيبولس ليـتم دفنهـا

«فى المقبرة الملكية» تماماً كما كان هو الحال مع أسلافه السابقين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 22-1؛ وبفرض أن رواية أريان Arrian حول وفاة بيسوس Bessus كانت دقيقة، فإن اختيار إكباتانا - والتي كانت تستخدم في ذلك الوقت كقاعدة خلفية- يمكن إرجاعه إلى سهولة الاتصال بين إكباتانا وباكتريا، حيث كان يوجد الفاتح المقدوني في ذلك الوقت، وفي التحليل الأخير فإننا نميل بدلاً من ذلك إلى تقديم تفسير مختلف تماماً: ففي الوقت الذي كان يرغب فيه الإسكندر Alexander في تقديم نفسه على أنه المنتقم من دارا Darius ، قام رمزيًّا بتسليم الملك إلى هؤلاء الذين بإمكانه أن يعتمد على تعاونهم في الإمبراطورية الجديدة، وبهذه الطريقة قام بإنشاء «مؤسسة» كانت جديدة بقدر ما كانت انتقالية.

14- من إكباتانا إلى نهر The Halys :

كانت أرمينيا تجاور ميديا من ناحية الغرب، وكان يحدها بدورها إقليم كبادوكيا، ولقد كان نهر الفرات يمثل الحد الفاصل بين البلدين، كما أن نهر The Halys كان هو الحد التقليدى بين كبادوكيا وفريجياس؛ وتبعاً لسترابو Strabo الكتاب الثاني عشر، فقرة 1-1، «كانت كبادوكيا هي الأخرى تتكون من العديد من الأجزاء ميرى، كما خضعت أيضاً لتغيرات عديدة»؛ ولقد كان الفرس هم من قسموها إلى مرزبانيتين هما كبادوكيا الكبرى كبادوكيا الطورية وكبادوكيا التي تقع على البحر الأسود الكتاب الثاني عشر، فقرة 1-4، ولكن هذه العبارة التي قدمها سترابو Strabo يجب أن تخضع إلى قليل من التمحيص، لأنه يحتمل أنه قد اختار هذا التعبير ليحدد في الماضي البعيد تاريخ نشأة مملكتي كبادوكيا اللتين كان يعرفهما؛ ومن الصعب الوصول إلى استنتاج لأننا لا نعرف أي شيء تقريباً عن هذا البلد بعد التعليق الذي ذكره ستيسياس Ctesias فقرة 16 والذي

يقول إن أريـارامنيس Ariaramnes مرزبـان كبادوكيـا قـد تلقـى أوامـر مـن دارا Darius الأول تدعوه إلى شن حملة على الشواطىء الشمالية للبحر الأسود، وذلـك قبل عام 513 بفترة قصيرة راجع فصل 4-2، حتى مغامرات داتـاميس Datames لم تقدم الكثير من المعلومـات حـول المنـاطق الكبادوكيـة؛ وفي عـامي 331-330 كـان يقود الفرق الكبادوكية قائد واحد اسمه أرياسيس أريان Arrian ، الكتاب الثالـث، فقرة 5-8؛ وعلى العكس من ذلك، فلقد كانت القوات الأرمينيـة تحـت قيـادة كـل مـن أورونتـيس Orontes ومثروسـتيس Mithraustes ، ومـن المحتمـل أن هـذا الترتيـب يعكـس وجـود تقسـيم داخـلي معـين في أرمينيـا: حيـث يقـول زينوفـون Xenophon إن أورونتيس Orontes -الذي كان ينحدر نسبه مـن المرزبـان الـذي عينه دارا Darius الثالث هنـاك- سـيطر عـلى الحكـم في أرمينيـا في عـام 400 ق.م الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-17، حيـث كـان يوجـد لـه قصر رسـمي باسيليون هناك، وضيعة الكتاب الرابع، فقرة 4-2؛ بينما كان تيريبازوس Tiribazus يشغل منصب الهيبـارخ في غـرب أرمينيـا الكتـاب الرابـع، فقـرة 4-4؛ ولقـد حصـل كودومـان Codoman دارا Darius الثالـث عـلى حكـم هـاتين المقـاطعتين اللتـان كانت تتكون منهما أرمينيا بعد المغامرة التـي قـام بهـا في الحـرب الكادوزيـة التـي خاضها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث جوستين Justin ، الكتاب العاشر، فقـرة 4-3؛ ولكن العبارات التـي اسـتخدمها زينوفـون Xenophon تـترك بـاب الاحـتمال مفتوحـاً فـيما يتعلـق بوجـود مرزبانيـة واحـدة كانـت تشـتمل عـلى العديـد مـن المقاطعات الفرعية الهيبارخيات .

ويجب علينا أن نقـول إننـا لم نكـن نعلـم سـوى القليـل عـن هـذه المقاطعات الأرمينية والكبادوكية في عهد أباطرة فارس؛ ويمكن للمعلومات المتفرقـة التـي لـدينا أن تؤيـد قـراءات متناقضـة حـول وضـع هـذه

المقاطعات؛ حيث إننا يمكن أن نستنتج وجود إدارة مرزبانية وإمبراطورية من قطع الأدلة البسيطة، ويجب أن نعترف أنه -إلى أن ظهرت بعض الاكتشافات مؤخراً- كانت الأدلة الموجودة لا تساعدنا في الوصول إلى أي شيء؛ حيث إن هاتين البلدين كان يتم إدراجهما بشكل منتظم في قائمة الشعوب الخاضعة للفرس، وكانتا تحملان في هذه القائمة اسمي أرمينيا وكاتباتوكا، ولكن تظهر أرمينيا في النسخة البابلية من هذه القائمة تحت اسم «أورارتو«؛ وفي الحقيقة فإن إقليم أورارتو الأصلي الذي يقع بالقرب من بحيرة فان يقدم الدليل الرسمي الوحيد على الوجود الملكي هناك، وهذا الدليل يتمثل في النقش الذي أمر كسركسيس Xerxes بحفره على وجه أحد الصخور: وفي هذا النقش يسترجع الملك أنه قد أكمل العمل الذي قد بدأه والده دارا Darius ، ومن المحتمل أن هذا النقش يعبر عن الأهمية المحددة لهذه المقاطعة التي تمثل عاصمة؟ المرزبانية؛ ومن الشواهد الأخرى أيضاً على القيمة الاستراتيجية لكل من كبادوكيا وأرمينيا هو الطريق الملكي يوجد خلاف حول التفاصيل التي وصفها هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس، فقرة 52 والأمر الذي أصدره كسركسيس Xerxes بأن يتم حشد الجنود في كريتالا في إقليم كبادوكيا الكتاب السابع، فقرة 26؛ ولقد تم دمج كل من أرمينيا وكبادوكيا مثلهم مثل باقي البلاد الأخرى في مخطط البلاد الدافعة للجزية، ولكن قد تم دمج مجموعات السكان لهذا الغرض بطريقة لا تتوافق مع الحدود المرزبانية هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 93-94 التي يمكننا أن نعيد بناءها بشكل غير واضح للفترات التالية؛ وتبعاً لسترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 13-8: «كانت كبادوكيا تدفع للفرس في كل عام 1500 حصان + 2000 بغل + 50 ألف رأس من الغنم، وهذا كله بالإضافة إلى الضريبة التي يتم دفعها في صورة فضة»؛ وتوجد شواهد في رواية زينوفون Xenophon

على وجود جزية داسموس ملكية كان يتم دفعها في صورة خيول الزحف العسكري، الكتاب الرابع، فصل 5، فقرة 24* 35، وتتركز الشواهد على الوجود الفارسي في كل من كبادوكيا وأرمينيا بشكل أساسي في النصوص المتأخرة والتي توضح في حد ذاتها مدى قوة المستوطنات التي أقامها الفرس المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية المختلفة؛ ويتضح هذا بشكل خاص من الكثافة التي كانت توجد بها الأسماء الإيرانية في كبادوكيا، وأيضاً من استخدام اللغة الآرامية في المراسلات الرسمية راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 23-3: مرزبان أرمينيا والمذكرات الخاصة، ويتضح فوق كل شيء من انتشار الآلهة والديانة الفارسية في هذه الأقاليم وخاصة عبادة الإلهة أناهيتا Anahita في كل من زيليا سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 8-4 ومقاطعة أسيليسين الأرمينية سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 14-16، ويمكننا أن نضيف أنه في القصة التي أعادها ستيسياس Ctesias فقرات 40-41 كانت السلطة المركزية تنظر إلى أرمينيا على أنها مكان نفى وترحيل بالإضافة إلى كونها مكاناً لإنشاء المستعمرات هناك .

وعلى العكس من ذلك، فإن هناك أدلة أخرى سوف تدفعنا -على الأقل عند النظرة الأولى- إلى التأكيد على ضعف السيادة الإقليمية الأخمينية في هذه المناطق؛ فأولاً توجد لدينا رواية زينوفون Xenophon حول مغامرات المرتزقة اليونانيين في أرمينيا، وعلى الرغم من أن زينوفون Xenophon لم يَفُتهُ بشكل كامل أن يذكر أن المسؤولين المرزبانيين أورونتيس Orontes ، تيريبازوس Tiribazus كانا موجودين، وكان تحت أيديهما عدد كبير من الجنود إلا أنه يركز روايته على المعارضة التي أثارتها سلسلة كاملة من الشعوب التي يقوم بتحديدها عادة من خلال الخصائص العرقية التي تعرض بوضوح

همجيتهم وبربريتهم؛ ولقد كان هذا هو حال الكاردوتشيين والكولخيين والماكرونيين والموسينوسيين؛ ولكن هنا كما في المكان آخر فصل 16-11 يجب أن نتناول ما يقدمه المؤلف بالفحص والتمحيص: حيث إن هذه الشعوب كانت تقدم أيضاً حاميات فرق عسكرية إلى الجيوش المرزبانية والملكية كما حدث على سبيل المثال في حملة جوجاميلا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 4-8: الشعوب الفرعية التابعة لميديا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فلقد وُجد عدد كبير من السلع الأخمينية الفاخرة في كولخيس، ومن المحتمل أن وجود هذه السلع في المقابر هو نتيجة عملية تبادل للهدايا بين النبلاء الكولخيين وبلاط الملك الأكبر؛ وفي النهاية فلقد تحدث هيرودوت Herodotus بشكل صريح عن هذه المبادلات في مناقشته للشعوب المقدمة للهدايا الكتاب الثالث، فقرة 97؛ والحجة الثانية التي يتم تقديمها لتأييد الزعم القائل باستمرارية استقلال هذه المناطق تعتمد على الاستقلال المفترض لجميع أجزاء أو بعض من أجزاء كبادوكيا وأرمينيا عندما وصل الإسكندر Alexander إلى هناك، بالإضافة إلى علاقاتهم مع السلطة المركزية خلال الحملة المقدونية، وعلى مدار تاريخ ملوك الديادوكي؛ ولكن الحذر مطلوب في هذه الحالة أيضاً كما يجب أن يتم وضع النصوص والروايات التي لدينا في سياقها؛ وبالنسبة لكل من كبادوكيا وأرمينيا يوجد لدينا بشكل رئيس أساطير التأسيس التي تدور أحداثها في الفترة الهلينية والتي كانت تهدف إلى تبرير إنشاء أسر حاكمة مستقلة تتصل كل واحدة منهم بشكل زائف بواحد من السبعة، وهكذا فإنه من الواضح أن هذا الجنس الأدبي يجب أن نتعامل معه بقدر كبير من الحذر فصل 3-4؛ وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن المرزبان القديم أورونتيس Orontes قد استمر في شغل منصبه في أرمينيا في عام 323 ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 23-3؛

بوليانوس Polyaenus ، الكتاب الرابع، فقرة 8-3، كما كانت كبادوكيا -بالإضافة إلى بافلاجونيا والأراضي المجاورة- من بين المناطق التي لم يتم فتحها بعد والتي تم منحها ليومينيس Eumenes حاكم كارديا؛ ولكن لا يوجد سبب يدفعنا إلى أن نستنتج من ذلك أن هذا الوضع كان مماثلاً للوضع الذي كان موجود في عهد دارا Darius الثالث والذي -كما رأينا- قام بتجنيد العديد من الفرق من هذه المناطق، ولقد ظلت هذه المناطق خارج سيطرة المقدونيين لأن «الإسكندر Alexander ببساطة لم يقم بغزوها، حيث منعته من ذلك بعض الأمور الملحة الأخرى عندما كان على وشك إنهاء الحرب التي يخوضها ضد دارا Darius الثالث، أما أرياراثيس Ariarathes مرزبان كبادوكيا فقد تغاضى عنه الإسكندر Alexander بسبب انشغاله بالصراع الذي كان يخوضه ضد دارا Darius ، ونتيجة لذلك فقد استمتع هذا المرزبان بفترة راحة طويلة جدًّا قضاها ملكاً على كبادوكيا» ديودورس Diodorus ، الكتاب الثامن عشر، فقرة 3-1؛ ولقد اكتفى الإسكندر Alexander المقدوني بتحديد بعض المرزبانات الفرس: سابيكتاس Sabicatas/ أبستامينيس Abistamenes في كبادوكيا أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقرة 4-2؛ كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثالث، فقرة 1-4 ومثرينيس Mithrenes في أرمينيا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 5-16؛ ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 64-6؛ ومن الواضح أن سلطة هؤلاء المرزبانات كانت خيالية إلى حد كبير أو أنها كانت مقتصرة على أحد المقاطعات الفرعية؛ وعلى أية حال، فلقد كانت كبادوكيا هي إحدى قواعد التجنيد التي استخدمها القادة الفرس الذين هربوا بعد معركة إسوس وحاولوا شن هجوم مضاد على مؤخرة الجيش المقدوني منها راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الرابع، فقرة 1-34؛ ولقد كان

هذا أيضاً هو التاريخ الذي قام فيه بعضهم بسك عملات في سينوب Sinope .

نحن نرحب بشدة بظهور عدد كبير من الأدلة الجديدة سواء تلك المتمثلة في النقوش أو الأدلة الأثرية التي تعود على وجه الخصوص إلى أرمينيا القديمة، ويبدو أن التحقيقات الأثرية والخزفية الأخيرة تؤكد وجود مستوطنات أخمينية متطورة للغاية في وخاصة في المواقع الموجودة بالقرب من بحيرة فان؛ ولقد وجد في «ألتنتيبى» المثال الوحيد على وجود الأبدانا في إحدى العواصم المرزبانية، ولقد تم اكتشاف بعض اللوحات الجدارية النادرة للغاية في أحد المبانى الأخمينية في «أرين-بيرد»؛ أما الاكتشاف الأكثر أهمية فكان يتمثل في العثور على بعض قطع من ثلاث ألواح إيلامية في موقع «أرمافير-بلور»؛ وتبعاً لأحدث التفسيرات -ولكنه يدور حوله بعض الجدل الآن- فإن هذه القطع من الألواح الإيلامية تشبه كثيراً ألواح برسيبولس وتتناول مسألة تحصيل الضرائب ضريبة العشر؟ المفروضة على السلع رؤوس الماشية، الحبوب وإيداعهم في مخازن أمين الإمدادات في الجيش؛ وتشهد هذه الوثائق على وجود سجلات إمبراطورية في الموقع الذي تم إجراء الحفريات به وأيضاً على وجود إدارة إقليمية متطورة من المحتمل فراتاراكا؛ وإذا أضفنا إلى ذلك أن موقع أرمافير-بلور الذي كان يسمى في الفترة الأورارتية «أرجستيهينيلي» ظل محتلاً من الفترة الأورارتية وحتى الفترة الهلينية، وأن طبعات الأختام الهلينية من أرتاسات تشهد على كل من الميرات الأخميني وما يسمى بالتأثير «الفارسي-اليوناني»، وأنه قد تم منذ وقت قريب جدًّا اكتشاف قواعد الأعمدة في موقع آخر، فإننا يجب أن ندرك عند نقطة ما أن التصور الذي كوناه عن أرمينيا الأخمينية حتى الآن يخضع لعملية إعادة تنظيم كاملة.

15- من إكباتانا إلى مدينة قورش Cyropolis :

لقد استخدمت الفرق العسكرية المرسلة من الشعوب الإيرانية الشرقية الطريق الحربي للانضمام إلى قورش Cyrus في الإعداد للمعركة التي كانت على وشك الحدوث في جوجاميلا؛ وكما أكدنا للتو، فباستثناء عدد قليل من الملاحظات المتفرقة التي تعود إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ستيسياس Ctesias ، فقرة 31؛ بلوتارخ Plutarch ، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-3 وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 5-18 حول الإمبراطورية، فإن الروايات التي ذكرها مؤلفو الفترة الهلينية قد قطعت فترة الصمت الطويلة فيما يتصل بأراضي الهضبة الإيرانية؛ ويجب أن نؤكد مرة أخرى أنه قبل وصول الإسكندر Alexander إلى باكترا بلخ الحالية، فإن البيانات التي كانت لدينا حول مرزبانيات الهضبة الإيرانية كانت تقتصر على بعض الملخصات؛ لأن زحف الإسكندر Alexander وتقدمه كان سريعاً للغاية؛ وباستثناء اسم المرزبان الذي كان يحكم كل واحدة من هذه المرزبانيات، حصلنا على معلومات ضئيلة حول حدود هذه المرزبانيات وأسماء مقرات الإقامة الرسمية باسيليا التي كانت غالباً محصنة زادراكارتا في هركانيا؛ أرتاكوانا في أريا؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن الحفريات الأثرية التي جرت في قندهار القديمة -حيث تم اكتشاف لوح إيلامي يتبع طراز ألواح برسيبولس نفسه- وفي داهان-إ-غولمان سستان تشهد على الوجود الأخميني في هذه الهضبة؛ ولكن، ولسوء الحظ فإن الأوصاف التي تم تقديمها لهذه البلدان لم تكن كاملة: حيث إنه لم يقدم أيًّا من هؤلاء المؤلفين أدنى إشارة إلى شبكة القنوات الباكترية التي اكتشفها علماء الآثار؛ والسبب وراء ذلك بسيط: فأولاً، كانت مسيرة الإسكندر Alexander إلى باكترا سريعة إلى حد ما، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هؤلاء المؤرخين العسكريين كانوا مهتمين فقط



خريطة رقم 6

بتصوير ملامح الريف لدرجة أنهم قاموا بإضفاء على حملات الإسكندر Alexander بعض الخصائص «الغريبة» التي قد تثير خيال قرائهم؛ ونتيجة لكونهم كانوا يتبعون الإسكندر Alexander خطوة بخطوة فلقد قام هؤلاء المؤلفين القدماء بتسليط أضوائهم على شعوب معينة التي كانوا يميزونها على أساس النظام البيئى الذي تتسم به بلادهم و/أو المقاومة التي أبدوها ضد المقدونيين؛ ويفسر هذا على سبيل المثال المناقشات الطويلة لشعب

الماردين من سكان بحر قزوين، وعلى العكس من ذلك، المحسنون/ الأرياسابى من سكان دلتا هلمند، ولقد قام الإسكندر Alexander مكافأة الأرياسابى لتخليد ذكرى «الأعمال العظيمة» التي قاموا بها تكريماً لقورش Cyrus وبسبب المساعدة التي قدموها إلى الإسكندر Alexander نفسه؛ أما الروايات التي تم ذكرها حول سوجديانا وباكتريا فلا تتسم أي تفاصيل تزيد عن التفاصيل التي قدمتها الروايات السابقة؛ ويبدو أن الأوكسوس أمو داريا كانت هي الحد الفاصل بين المنطقتين أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-9؛ الكتاب الرابع، فقرة 15-7، كما يبدو أن نهر ياكسارتيس سر داريا كان يمثل آخر حدود الإمبراطورية الفارسية هوريون تيس برسون أرخيس، كما أن مدينة قورش Cyrus -وهي آخر المدن التي أسسها قورش Cyrus - فكانت تمثل آخر حدودها في الريف سترابو Strabo ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 11-4؛ وفي الحقيقة فلقد كانت مدينة قورش Cyropolis شديدة التحصين هذه هي أيضاً أكبر المدينة الأكبر من بين سبع مدن محصنة تقع على نهر ياكسارتيس، ولقد اضطر الإسكندر Alexander هو وجنرالاته إلى إخضاع هذه المدن بصعوبة واحدة تلو الأخرى أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 1-3؛ ولقد تحدث المؤلفون القدماء وعلماء الآثار عن عدد كبير من المدن المحصنة أو القلاع غير المعروفة في كل من سوجديانا وباكتريا.

في البداية، تسمح لنا النصوص التي تعود إلى عهد الإسكندر Alexander والديادوكى أن نقوم ببناء قائمة بما يسميه المؤلفون الهلينيون وخاصة ديودورس Diodorus -ولكن ليس بدون بعض الخلط- بالمرزبانيات العليا؛ ولقد قام ديودورس Diodorus في عام 323 بتحديد الأسماء التالية: باروباميساداى، أراخوسيا، وجيدروسيا، أريا ودرانجيانا، باكتريا وسوجديانا، بارثيا وهركانيا، كارمانيا الكتاب

الثامن عشر، فقرة 3-3، معظمهم في صورة أزواج؛ وهناك اختلافات ضئيلة جدًّا في القائمة التي تم تسجيلها في عام 320 الكتاب الثالث عشر، فقرة 39-6: كارمانيا، بارثيا، أريا ودرانجيانا، باكترا وسوجديانا، باروباميساداى؛ ولقد تم تقديم لائحة مشابهة في عامي 317-316 الكتاب التاسع عشر، فقرة 14-6: كارمانيا، أراخوسيا، باروباميساداى، أريا ودرانجيانا، باكترا؛ وتتوافق هذه المعلومات إلى حد كبير مع الوضع الذي كان سائداً في عهد دارا Darius الثالث وذلك بقدر ما يمكننا إعادة بنائه وتصوره من خلال الروايات القديمة: بارثيا-هركانيا بما فيهم التابيريين، أريا، درانجيانا، أراخوسيا، باكترا، سوجديانا، كارمانيا، جيدروسيا؛ وفي معركة جوجاميلا، سرد أريان Arrian الكتاب الثالث، فصل 3: 8-4 الشعوب التالية: الباكتريون والساكيون تحت قيادة مرزبان باكتريا بيسوس Bessus ، الأراخوسيين و«الهنود من سكان التلال» تحت قيادة بارسنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا والآيين تحت قيادة ساتيبارزانيس Satibarzanes مرزبان أريا والبارثيين والهركانيين والتابيريين تحت قيادة فراتافارنيس Phratapharnes والذي سنعرف لاحقاً أنه كان مرزبان الكتاب الثالث، فقرة 23-4* 28-2 .

ومثل هذا السرد للفرق التي كان يشتمل عليها الجيش يمكن أن يخبرنا بشكل غير دقيق حول التنظيم الإداري الفارسي لهذه المناطق؛ والمشكلة الرئيسة في التفسير تنبع من السياق الذي حدثت فيه الحملات المقدونية على باكتريا وسوجديانا؛ ودعونا نراجع هذه الحملات بشكل موجز؛ فلقد كان بيسوس Bessus -وهو أحد أقرباء دارا Darius الثالث والذي كان يشغل منصب مرزبان باكتريا- هو القوة المحركة وراء المؤامرة التي أدت إلى مقتل دارا Darius الثالث في يوليو من عام 330 بالإضافة إلى نابارزانيس Nabarzanes -قائد الفرسان الملكيين-

وبارسنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا ودرانجيانا الكتاب الثالث، فقرة 21-1؛ ولقد ارتد بيسوس Bessus عائداً إلى باكترا ليقود المقاومة ضد الهجوم المقدوني، ولقب نفسه بـ «ملك آسيا» الكتاب الثالث، فقرة 25-3 أي الملك الأكبر متخذاً الاسم الملكي أرتاكسركسيس Artaxerxes ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، 1: 74-2؛ ولقد نجح في كسب ساتيبارزانيس Satibarzanes -الذي كان الإسكندر Alexander قد تركه مرزباناً على أريا- إلى صفه الكتاب الثالث، فقرة 25-1: وسرعان ما لقى ساتيبارزانيس Satibarzanes حتفه في الهجوم المضاد الذي شنه المقدونيون، ولقد كان هذا أيضاً هو مصير بارسنتيس Barsaentes الذي تم إعدامه بعد أن سلمه الهنود سكان التلال إلى الإسكندر Alexander ؛ وفي خلال ذلك -وفي البداية على الأقل- استمرت الاضطرابات والمنغصات عند مؤخرة جيش الإسكندر Alexander : حيث إن مرزبان أريا الجديد لم يظهر أي ولاء للمقدونيين الكتاب الثالث، فقرة 29-4، ويحتمل أنه ظل على اتصال ببيسوس Bessus ؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن بيسوس Bessus الذي تولى مهام الملك ولكن بشكل زائف قام بتعيين مرزبان في بارثيا الكتاب الرابع، فقرة 7-1 .

هل يجب أن نستنتج من ذلك أن سلطة مرزبان باكترا قد امتدت لتشمل المرزبانيات العليا بالكامل، وأن سلطته أصبحت هكذا تمتد من إكباتانا شرقاً وحتى آخر حدود الإمبراطورية؟ نحن متأكدون أن هذا كان صحيحاً في الفترة السيلويسية، ولكن هل كان هذا هو الحال أيضاً قبل ذلك في عهد الحكام الأخمينيين المتأخرين؟ من الصعب تقديم إجابة يمكن الدفاع عنها على هذا السؤال، حيث إن النصوص تحتمل تفسيرات متضاربة؛ والدليل الوحيد الموجود في هذه السطور هو فقرة من مؤلف ديودورس Diodorus كورتيوس الكتاب السادس عشر، فقرة 50-8

والتـي تبـدو فيهـا المعلومـات -التـي تقـول بـأن بـاجوس قـد عُهـد إليـه في عهـد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بحكم المرزبانيات العليا- مشـكوك في صـحتها؛ ولكن هذا لا يعني أننا يجب ألا نلتفت إليها مطلقاً؛ ويجب أن نذكر أنـه باسـتثناء هذه الفقرة لا يوجد أي شيء قد يكون جسراً بين الفترة الأخمينية والعهـد الهلينـى بأية درجة من التأكيد؛ وحتى تتكشف لنا المزيد من الأدلـة يمكننـا أن نؤكـد فقـط على أن الابتكار السـيلويسى يعـود إلى عهـد ملـوك الـديادوكى؛ لأن أقـدم الشـواهد الموجودة لدينا تعود إلى عام 316 عندما قام بيثـون بتـولى مهـام كـل مـن مرزبـان ميـديا و«قائـد سـتراتيجوس المرزبانيـات العليـا» ديـودورس Diodorus ، الكتـاب التاسع عشر، فقرة 14-1؛ ولقد قام مرزبانات هذه المناطق بجمع فرقهم العسكرية مع بعضها البعض وعقدوا مجلساً مشتركاً الكتاب التاسع عشر، فقرة 14-15، ولكن الإطار السياسي لذلك معارضتهم المشتركة ليـومينيس Eumenes محـدود للغايـة؛ وحقيقـة أنهـم قـاموا بضـم قـواتهم في كيـان واحـد لا يعنـى بـالضرورة أن هـؤلاء المرزبانات بفعلهم ذلك كانوا يتبعون سابقة أخمينية ما؛ فمن ناحية كانـت الفـرق العسكرية المرسلة من الشعوب الإيرانية الشرقية في عام 331 تحت قيادة مجموعة متعددة من المرزبانات بيسوس Bessus ، بارسنتيس Barsaentes ، سـاتيبارزانيس Satibarzanes ؛ أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ ومن ناحية أخـرى لأن دوافع المرزبانات الذين تحالفوا مع بيسوس Bessus لا تبدو أنها كانت نابعـة مـن حقيقة أن مرزبان باكترا كان يتم منحه بشكل منتظم السلطة على تلـك المنطقـة بأكملها، ولكنها كانـت نابعـة في الأسـاس مـن دوافـع شخصـية أقلهـا رغبـتهم في الحفاظ على المناصب التي يشغلونها راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقـرة 21-5؛ وعلى أية حال، فـإن مـوت دارا Darius الثالـث قـد أدى إلى خلـق وضـع جديد تماماً، ومن الواضح أن إعلان بيسوس Bessus بأنه الملك لم يؤدِّ إلى تحسـين

الموقف على الإطلاق؛ وأخيراً فإنه بعد وفاة دارا Darius الثالث كانت سلطة بيسوس Bessus الشخصية تقوم في الأساس على فرسانه الباكتريين الكتاب الثالث، فقرة 21-4، وعلى تحالفه مع بعض زعماء قبائل الساكين الكتاب الثالث، فقرة 8-3 .

والشيء الوحيد الذي يبدو واضحاً هو أن المسؤوليات العسكرية لمرزبان باكترا كانت تتخطى الحدود المعتادة لباكترا؛ حيث إنه في موقعة جوجاميلا كان هذا المرزبان هو الذي يقود جميع الفرق الباكترية والسوجديانية والساكية، بالإضافة إلى إحدى الوحدات التي قدمها الهنود المجاورون لإقليم باكترا الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ وتجعلنا الروايات المتناقضة نعتقد أنه في عهد دارا Darius الثالث امتدت سلطة مرزبان باكترا لتشمل سوجديانا أيضاً، حيث لم يتم مطلقاً تعيين تعيين مرزبان منفصل هناك لا قبل الإسكندر Alexander ولا بعده؛ ويبدو أن مرزبان باكترا كان قد أنشأ علاقات نشطة مع بعض قادة الساكا بسبب هذا الدور الرسمي الذي كان يلعبه: وهكذا كان هو القائد الأعلى لهم عندما انضمت كل من الفرقة الباكترية والقوات الساكية تحت قيادة زعيمهم مواسيس Mauaces إلى دارا Darius الثالث في عامي 332-331؛ على أساس التحالف الذي كان يربطهم بدارا Darius أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3؛ وعلى مدار الحرب التي شنها الإسكندر Alexander على باكترا-سوجديانا، كان بيسوس Bessus وسبيتامينيس Spitamenes من بعده قادرين على الحصول على المعونة من بعض الساكين؛ وهذا التعاون بين الساكين والفرس - والذي كان معروفاً حتى قبل الهجوم الذي شنه الإسكندر Alexander على المنطقة التي تقع فيما وراء نهر ياكسارتيس سر داريا- كان ينتمي وبشكل واضح إلى العلاقة طويلة الأمد بين السلطات الأخمينية وبين الساكا والذين كانوا منقسمين عادة إلى عدة مجموعات ولكنهم كانوا يشكلون جبهة موحدة

في وجه الهجمات التي يشنها عليهم أعداؤهم؛ وإذا كان نهر سرداريا -كما يكتب سترابو Strabo الكتاب الحادي عشر، فقرة 11-4، وتبعاً لدارا Darius الأول- كان يمثل آخر حدود السيادة الفارسية المباشرة، فإننا لا يمكننا أن نستنتج وجود حالة عامة من العداء الدائم بين الفرس والساكيين؛ وفي الحقيقة يجب أن يتم وضع المعلومات التي قدمها مؤرخو الإسكندر Alexander القدامى في الإطار الخاص بها؛ ولقد كتب أريان Arrian مسترجعاً ما أخذه على أنه نوايا الإسكندر Alexander عندما كان يخطط لتأسيس مدينة جديدة على نهر سرداريا: «لقد كان ذلك الموقع مناسباً لجعل المدينة ترقى إلى منازل العظمة، وسوف تكون مكاناً مناسباً لأى غزو محتمل لأراضي سكيثيا وموقع حصين بروفيلاكيس يستخدم للدفاع عن هذه البلاد ضد غارات الشعوب البربرية التي تعيش على الضفة الأخرى من النهر» الكتاب الرابع، فقرة 1-4؛ ومن المؤكد أن الأعمال العدائية كانت تندلع بشكل متكرر بين القوات الفارسية وبعض القبائل الساكية؛ والحملة التي قادها دارا Darius الأول ضدهم هي دليل لا يقبل الدحض على هذه الحقيقة، ويوضح الإجراء الذي اتخذه دارا Darius في تلك الحالة استبدال أحد الملوك الساكيين بملك آخر ممارسة عامة كان يقوم بها الفرس؛ ولكن أن نستنتج من ذلك أنه كانت هناك أعمال عدائية مستمرة بشكل دائم يعنى ذلك أن ننسب إلى كلمة «حد» معنى معاصر وأن نفترض فاصلاً واضحاً وتاماً بين الشعوب المستقرة وبين الشعوب البدوية وهو من المؤكد ما لم يكن عليه الحال؛ وبعض القبائل الساكية التي أصبحت مستقرة بشكل جزئي كانت على اتصال شديد بشعوب سوجديانا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-8؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعبئة قوى القبائل الساكية ضد الإسكندر Alexander كانت رداً على موقف جديد تماماً خلقه كل من «الفراغ في السلطة الأخمينية» والهجوم

المقدوني وهما الظاهرتين اللتين تصادف حدوثهما في الوقت نفسه؛ وعلى عكس مما سيجعلنا أريان Arrian والعديد من المؤلفين الآخرين نعتقده، فإن تلك المدن المحصنة التي أنشأها قورش Cyrus على نهر ياكساريس لم تكن تهدف فقط للدفاع عن أراضي الإمبراطورية ضد «عدوان» الساكين؛ حيث إن هذه القلاع عملت أيضاً كمأوى «للشعوب البربرية التي تعيش بالقرب من النهر» الكتاب الرابع، فقرة 1-4* 2-6* 3-1، ويبدو من المرجح إلى حد ما أنه كان هناك أيضاً العديد من اللاجئين الساكين/ السكيثيين؛ لاحظ أيضاً أنه كان يحتشد في مدينة قورش Cyrus وحدها 15 ألف مقاتل الكتاب الرابع، فقرة 3-4: ماخيموى، وفي هذه الحالة -ومرة أخرى- فإن نظرية اشتراك الساكين في الدفاع عن المدينة تبدو معقولة، فمن المحتمل أنهم كانوا يشبهون بعض الشيء المرتزقة العرب الذين ساهموا في الدفاع عن غزة بجوار الحاكم باتيس والجنود الفرس أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقرة 25-4؛ وهذا هو الإطار الذي تم فيه عقد التحالف بين دارا Darius وبين مواسيس Mauaces .

ومن المؤكد أن هذا «الحد للسلطة الفارسية» الذي كان يمثله نهر سرداريا لم يكن حداً منيعاً، فلقد كانت المدن التي أسسها قورش Cyrus تعمل أيضاً كنقاط تجارية بين قبائل الساكا التي تسكن السهول وبين مرزبانية باكتريا-سوجديانا؛ وهذا ما يفسر السجاد الذي يحمل أشكالاً وصوراً أخمينية، والذي تم اكتشافه في إحدى المقابر الأورالية في بازيريك، ومن المحتمل أن هذا السجاد قد جاء من النساجين الموجودين في باكتريا-سوجديانا؛ ومن هذا المنظور فإن السياسة التي اتبعها الإسكندر Alexander تمثل خروجاً على -وليس استمراراً لـ - السياسة التي يمكننا أن ننسبها إلى أباطرة فارس؛ ومهما كانت الأهداف التي كان يرمى الإسكندر Alexander إلى تحقيقها على المدى البعيد من

وراء ذلك، فإنه كان يحركه شاغل مباشر وهـو عـدم تـرك جيـب واحـد للمقاومـة خلفه أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقـرة 3-5؛ أمـا أبـاطرة الفـرس -عـلى الجهـة الأخرى- فقد تعلموا على مدار التـاريخ الطويـل لإدارتهـم لتلـك المنـاطق أنـه مـن الأفضل لهم أن يحافظوا على النظام على «حدود الإمبراطورية»، وأن القيـام بإنشـاء علاقات تعاون مع قادة القبائل الساكية سوف يكون مفيداً جدًّا لهم؛ ولقد تم منح بعضهم حكـماً ذاتيًّـا والـذي كـان مرتبطـاً بالالتزامـات العسـكرية الإمبراطوريـة أن يقوموا بتقديم فـرق عسـكرية خـلال فـترات التعبئـة المرزبانيـة والملكيـة؛ وتظهـر الروايات التي ذكرهـا هـيرودوت Herodotus أن الفـرق السـاكية كانـت مـن بـين صـفوة القـوات في الجيـوش الملكيـة بالإضـافة إلى الفـرق الإيرانيـة مثـل البـاكتريين أنفسهم والفرس والميـديين وحتـى الهنـود الكتـاب الثـامن، فقـرة 113؛ وفي معركـة جوجاميلا، قاتل الفرسان الساكيون إلى جـوار الفرسـان البـاكتريون أريـان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 13-3، ونحن نعلم أيضاً أنه بعد فـرض الأخمينيـين لسـيادتهم على الساكيين، استقر العديد من الساكيون في بابل كجزء من نظام الهاترو .

ولكن ما السلطات التي كان يملكها المرزبان على الأراضي التي تقع مبـاشرة تحت سلطته بسبب هذا المنصب الـذي منحـه الملـك الأكـبر إيـاه؟ توجـد لـدينا إشارات مترابطة نسبيًّا -ولكنها غـير مبـاشرة- حـول هـذه النقطـة؛ ولقـد نشـأت بعض المحاولات العامة لمقاومة تقدم الإسـكندر Alexander والتـي قادهـا عـلى التوالي كل من بيسوس Bessus وسبيتامينيس Spitamenes ، ولكن كانت هناك أيضاً بعض عمليات المقاومة التـي تـم تنظيمهـا محليًّـا مـن قبـل مجموعـة مـن الأشخاص رفيعي المنزلة الذين يحددهم أريان Arrian غالباً بـأنهم كـانوا حكـام الهيبارخيات؛ وتبعاً لأريان Arrian فلقد كان عدد حكام الهيبارخيات هؤلاء كبير إلى حد ما؛ ولقد كان هذا متضمناً في روايته، حيث ذكـر -عـلى سـبيل المثـال- أن

«العديد من حكام الهيبارخيات الآخرين قد لجأوا إلى صخرة خـورينيس» الكتـاب الرابع، فقرة 21-1؛ ويبدو أن هذه العبارة تشير أيضـاً إلى أنـه كـان يوجـد تسلسـل داخلي في هذه الطائفة، ولكننا نعرف أيضاً أن كلمـة هيبـارخ هـي كلمـة متعـددة المعانى، فقد استخدم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius كلمة «مرزبان» عدة مرات للإشارة إلى هؤلاء الأشـخاص أنفسـهم: «كـان المرزبـان في مقاطعـة نوتاكـا في سوجديانا هو سيسمثريس Sismithres » الكتاب الثـامن، فقـرة 2-19، «لقـد كـان أوكسيارثيس Oxyarthes الباكتري مرزباناً بارزاً» الكتـاب الثـامن، فقـرة 4-21، وفي مكان آخر، استخدم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius نفسه كلمة «مرزبان» لوصف أوركسينيس Orxines على الرغم من أنه يتضح من السياق في هذه الحالة أنه يستخدم هذا المصطلح لوصف شيخ قبيلة باسارجاداي الكتاب العاشر، فقرة 1-22، وهكذا فإن الكلمات المستخدمة لا تساعدنا بمفردها في إحداث أي تقـدم نحـو معرفة العلاقة بـين الهيبارخـات والمرزبانـات أكـثر مـما يسـاعدنا اسـتخدام كـلمات «المرزبـان» في صـورة الفعـل و«مرزبانيـة» عنـد زينوفـون Xenophon هيلينيكـا، الكتاب الثالث، فقـرة 10: 1، 12 بمفردهـا في تحديـد طبيعـة الـروابط التـي كانـت توجـد بـين فارنابـازوس Pharnabazus ، زينـيس Zenis ومانيـا Mania في إقلـيم أيوليا.

وتشير هذه المفردات في كل حالة من الحـالات إلى سـلطة تـتم ممارسـتها عـلى أراضٍ معينة؛ ولقد أكدت ذلك بوضوح شديد جميع النصوص التي تتناول الهيبارخات: حيث إن كل هيبارخ كان توجد تحت يديه مساحة شاسعة من الأرض منظمة حول مسكن فخم يقـع عـلى قلعـة محصـنة، ولقـد تـم التعبـير عـن سـلطة الهيبارخـات بطريقتين: الكميات الهائلة من مخزونات الطعام التي كان يخزنها عنـده تظهـر أنـه كان يفرض رسوماً على المحاصيل الزراعية راجع بشـكل خـاص كوينتـوس كورتيـوس

Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-1؛ أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-1؛ وثانياً كان يقوم بتجنيد الأشخاص الذين يعملون في أراضيه في فرقة مسلحة، وأحد الشواهد أيضاً على السلطة الإقليمية الإقليمية التي كان يتمتع بها هؤلاء الأشخاص هو الخطوات التي تم اتخاذها بعد استسلامهم ضد هؤلاء الذين يسميهم أريان Arrian بـ «الهيبارخات» أو الذين يسميهم كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius بـ «المرزبانات»: فلقد تم تسليم الأراضي التي كانت خاضعة إلى أريامازيس Ariamazes وسكانها إلى المدن الجديدة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29؛ ويؤكد مثالا سيسيمثريس Sismithres وأوكسيارثيس Oxyarthes صحة هذه النقطة: ففي كلا الحالتين كانت تسمى سلطتهما بـ «إمبريوم» = أرخى ويجعل السياق من الواضح جدًّا أن سلطتهم كانت إقليمية كوينتوس كورتيوس، الكتاب الثامن، فقرة 2-32* 4-21؛ وينطبق هذا أيضاً على الهيبارخات الذين ذكرهم أريان Arrian راجع أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-9؛ ومن الواضح أن جميع الأراضي كانت تحت تصرف الحكام المحليين راجع كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثامن، فقرة 1-1 .

ولكن يبقى هناك سؤال مهم للغاية: هل كان هؤلاء الهيبارخات مستقلون تماماً عن المرزبانات؟ يمكننا أن نبدأ إجابتنا عليه بأحد الفقرات الشهيرة الموجودة في مؤلف أريان Arrian الكتاب الرابع، فقرة 1-5: بعد أن قام سبيتامينيس Spitamenes بتسليم بيسوس Bessus إلى المقدونيين عمد إلى تحريض سكان سوجديانا محاولاً بذلك إثارة التمرد في باكترا خلف جيش الإسكندر Alexander ، ولقد أحرز بعض النجاح في تحقيق ذلك، «حيث إن الذريعة التي استخدمها في إثارة التمرد كانت تتمثل في أن الإسكندر Alexander قد أمر هيبارخات هذا الإقليم هوى

هيبارخوى تيس خوراس إيكينيس أن يحضروا إلى مؤتمر مشترك سيلوجوس في زارياسبا كبرى المدن هناك وأن هذا المؤتمر لم يكن في مصلحتهم»؛ وتمثل كلمة «سيلوجوس» مشكلة واضحة: هل تشير إلى مؤسسة استعارها الإسكندر Alexander من الفترة الأخمينية، أم هل تشير ببساطة إلى اجتماع خاص؟ ويمكننا أن نلاحظ أن أريان Arrian يستخدم كلمات مشابهة لوصف إحدى الحوادث التي وقعت في الهند: فلقد قام الإسكندر Alexander عبر إرسال مبعوث بإبلاغ تاكسيلاس Taxilas والهنود الآخرين أن يأتوا لحضور أحد الاجتماعات «كل في أقرب فرصة ممكنة، ولقد تجمع تاكسيلاس Taxilas والهيبارخات الآخرين كاي هوي ألوي هيبارخوي وأحضروا الهدايا التي يقدرها الهنود إلى أقصى مدى» الكتاب الرابع، فقرة 22-6؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن كلمة «سيلوجوس» لا تظهر هنا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن السياق ليس هو نفسه تماماً: ففي الحادثة التي وقعت في الهند، أعلن الإسكندر Alexander تبعاً لما هو معتاد أن القادة الهنود يجب أن يأتوا ليعلنوا خضوعهم له وليقدموا هدايا طقسية له، وبالنسبة لموقف باكترا كان الهيبارخات قد استسلموا بالفعل إلى الإسكندر Alexander كما أن الأمور في باكترا كانت قد هدأت إلى حد كبير أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-1؛ وفي حين أننا قد نتصور أن الإسكندر Alexander ربما أراد الحصول على أدلة جديدة تثبت ولاء الهيبارخات الباكتريين له، ويوجد لدينا انطباع قوى أيضاً بأن الإجتماع في ذلك السيلوجوس كانت له دوافع إضافية.

ونحن نعلم أن كلمة سيلوجوس هذه قد تم استخدامها عدة مرات للتعبير عن الاجتماع الذي كان يُعقد بصورة دورية في أماكن عديدة للتجمع في الإمبراطورية سيلوجوس؛ كما أنه كان يتم أيضاً في السيلوجوس هذه تفقد القوات الإقليمية، ولقد قام زينوفون Xenophon

بشرح هذا بوضوح إلى حد ما: «لقد كان الملك يقوم كل عام بتفقد المرتزقة والقوات الأخرى وهم بكامل أسلحتهم، والذين كانوا يحتشدون كلهم ما عدا الرجال الموجودون في القلاع المقامة في مكان التجمع أو سيلوجوس كما يسمونها»؛ من الواضح أن هذه الكلمة تحمل معنى تقني وآخر مؤسسي في هذا المقتطف، وتؤكد فقرات أخرى عند زينوفون Xenophon أن هذه العروض العسكرية كانت تُعقد بشكل منتظم قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، فقرة 6-15، كما أنه ذكر بعض المواقع التي كانت تعقد فيها: كاستولوس هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 4-3 أو كاستولو بيدون في ليديا الكتاب الأول، فقرة 9-7، وثيمبارا في سوريا/ إبيرنارى قورش Cyrus ، الكتاب السادس، فقرة 2-11، ومن المؤكد أن نقاط التجمع هذه كانت توجد في كل مرزبانية أو منطقة عسكرية والتي قد تشتمل على عدة مرزبانيات؛ ونكاد نجزم بأن هذا كان هو السياق الذي تمت فيه كتابة النصوص البابلية التي تتحدث عن الضرائب العسكرية في أور وأوروك؛ وكلمة «أنديسو» المستخدمة في الوثائق المصرية - والتي تظهر في الشكل الآرامى «هندز»- قد تمت استعارتها من الكلمة الفارسية القديمة «هندايسا» والتي تعنى «دعوة إلى التجمع» في مكان حددته الإدارة .

هل توفر هذه المعلومة الخلفية للسيلوجوس الذي انعقد في زارياسبا؟ للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نعود إلى النصوص التي تتناول العلاقات بين بيسوس Bessus والفرسان الباكتريين والذين -كما نعرف- لعبوا دوراً مهمًّا مع بيسوس Bessus في المؤامرة التي تمت ضد دارا Darius وذلك تبعاً لما يرويه أريان Arrian الكتاب الثالث، فقرة 21-4؛ فلقد كان الباكتريون هم من اعترفوا بسلطة بيسوس Bessus المطلقة ونتيجة لذلك كان لديه سبعة أو ثمانية آلاف باكتري يقاتلون في صفه الكتاب الثالث، فقرة 28-8، كوينتوس كورتيوس Quintus

Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 4-20؛ وعندما قرر بيسوس Bessus عبور نهر الأوكسوس أمو داريا، تخلى عنه معظم فرسانه؛ وهاتين الفقرتين المتوازيتين عند كل من أريان Arrian وكوينتوس كورتيوس Quintus Curtius متماثلتين تماماً، حيث كتب الأول: «انسل الباكتريون كل إلى قريته» إن سوس كويسكى فيكوس ديلابسى: الكتاب السابع، فقرة 4-20، بينما كتب الثاني يقول: «لقد تفرق الفرسان الباكتريون في اتجاهات مختلفة عائدين إلى بيوتهم» ألوس ألاى إيبى تا سفون: الكتاب الثالث، فقرة 28-10؛ ومن الواضح أن العبارات المستخدمة هي عبارات متصلة بإجراءات تجنيد الجنود: «لقد كانت الفرقة العسكرية المرزبانية التي يقودها بيسوس Bessus تتكون من مجموعات فرعية، ولقد كان يتم حشد كل مجموعة منها من إقليم معين» قارن ذلك مع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-2، الكتاب السابع، فقرة 15-2؛ وهذا يعنى أن بعضاً من أراضي المرزبانية كانت مقسمة إلى «وحدات» والتي شكلت الأساس للتنظيم الإداري للمرزبانية، والتفسير الأبسط هو أن عملية التجنيد كان يتم تنظيمها محليًا في كل وحدة من هذه الوحدات من قبل هؤلاء الذين يسميهم أريان Arrian بالهيبارخات، ولقد تم تأكيد ذلك من خلال الفقرة الموازية التي قدمها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius حول اجتماع زارياسبا؛ ولقد أشار أيضاً إلى الإشاعات التي نشرها سبيتامينيس Spitamenes وحلفاؤه عن باكترا، حيث كتب يقول إنهم: «قد نشروا شائعات في الخارج مفادها أن الملك قد أرسل في طلب الفرسان الباكتريون باكتريانوس إكويتس أومنيس حتى يذبحهم» الكتاب السابع، فقرة 6-15؛ وهكذا فإنه يبدو من الواضح أن السيلوجوس الباكتري كان مثالاً على إحدى المؤسسات الأخمينية المعروفة في أماكن أخرى: حيث كان يقوم كل هيبارخ من الهيبارخات بإحضار الفرقة العسكرية التي حشدها من أرضه راجع أيضاً أريان

Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-10، ومن المحتمل أن كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عندما استخدم عبارة «كل الفرسان الباكتريين» كان يشير حقيقة إلى مدى ثراء هذا الإقليم، والذي تحدث عنه في أماكن أخرى: «لقد بلغ عدد الفرسان الباكتريون 30 ألف فارس» الكتاب السابع، فقرة 4-30؛ ومهما كانت درجة صحة هذا الرقم، إلا أنه يوجد لدينا انطباع بأن هذه المعلومات تفترض وجود أرشيف، والذي كانت تعتمد عليه الإدارة في باكترا كما في باقي الأماكن في إصدار أوامر التجمع في «مكان الاحتشاد»، وبالإضافة إلى ذلك، -ومن هذا المنظور- كانت سوجديانا تمثل مقاطعة فرعية خاصة على الرغم من أنها كانت تتبع المقاطعة نفسها: وفي رواية أريان Arrian الكتاب الثالث، فقرة 28-10 «تم تمييز الفرسان القادمين من سوجديانا هوى إيك تيس سوجديانيس هيبيس عن الفرسان الباكتريون»، ومهما كانت الظروف، فإن النتيجة تبدو مؤكدة: فمن ناحية، كان الإسكندر Alexander يقصد من وراء عقد سيلوجوس للهيبارخات الباكتريين في زارياسبا أن يقوم بتدعيم جيشه في الوقت الذي كان يعد فيه لشن حملة عبر نهر الأوكسوس، ومن ناحية أخرى كان السبب الآخر هو أنه كان قد عين مرزباناً جديداً للتو على باكتريا الكتاب الثالث، فقرة 29-1؛ وكل ما كان عليه فعله لتحقيق هذا الهدف هو الاستفادة من إحدى المؤسسات الأخمينية والتي من المؤكد أن بيسوس Bessus نفسه قد استخدمها عندما صدر إليه الأمر من دارا Darius الثالث بحشد كل الفرق من جميع المقاطعات الباكترية راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-3 .

وإذا كان هذا التفسير صحيحاً، فإنه يشير إلى عدد من الأفكار وهذه الأفكار بدورها تحفزنا للقيام بمزيد من التحقيق والبحث، فأولاً: لم تتمكن باكترا من الإفلات من الطاقة التنظيمية للسلطة المركزية، والتي يمكن

ملاحظتها في مرزبانيات أخرى، ونظام التجنيد يشبه -ولو شكليًا على الأقل- الطريقة التي وصفها زينوفون Xenophon في أحد فقراته، والتي استشهدنا بها عدة مرات قبل ذلك قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، فقرة 8-20: «في الأزمنة التي سبقت ذلك كانت من عاداتهم الوطنية أنه يجب على هؤلاء الذين يملكون الأراضي أن يقوموا بتقديم الفرسان من ممتلكاتهم، وأن هؤلاء الفرسان يجب أن يشتركوا مع الجيش في حالة الحرب»؛ وهكذا فعندما كان يصدر المرزبان أمراً بالاحتشاد، كان لزاماً على الفرسان المنتشرين في جميع أرجاء الإمبراطورية -والذين حصلوا على أراضٍ من الملك- أن يقوم كل واحد منهم بتقديم فرقة الخيالة التابعة له راجع زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثالث، فقرة 4-10؛ وبشكل عام كان كل فرد يمتلك «دوريا» خاضعاً لهذا الالتزام ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 19-4، ولقد كان هذا ينطبق أيضاً على الفرس وحتى على اليونانيين المستفيدين من هذا النظام والموجودين في آسيا الصغرى وهذا يفسر وجود الجونجيليديين في جيش قورش Cyrus الأصغر؛ زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الثاني، فقرة 1-3، وهكذا فإن السيلوجوس الباكتري كان مجرد مثال واحد على ممارسة عامة، ومن الواضح أن الشيء الوحيد الذي كان يميزه عن بقية هذه التجمعات هو أنه وبقدر ما تمكننا من تحديد ذلك، كان دور الهيبارخات راسخاً وأساسيًا على مدار التاريخ الطويل لباكترا؛ فلقد جاءوا من الأسر الثرية المحلية والتي كانت من المؤكد تملك سلطة إقليمية أوسع من تلك التي كان يتمتع بها هؤلاء الذين حصلوا على منح الأراضي، ولكن في الوقت نفسه-وكما هو الحال مع أي تابع- فإنه من المؤكد أن هؤلاء الهيبارخات أنفسهم كانوا مقيدين بالتزامات تفرض عليهم الولاء التام للملك؛ ولذلك فإن بعض توجيهات الإسكندر Alexander قد تعكس ممارسات لم تكن خاصة بالمقدونيين وحدهم.

ودعونا نتذكر -على وجه الخصوص- كيف أنه قد تمت معاقبة أريامازيس Ariamazes وشعبه، فقد تم إعدامه هو والمقربين منه، «ثم تم إعطاء عدد كبير من هؤلاء الذين استسلموا والمال الذي اغتنم إلى المستوطنين في المدن الجديدة، ولقد تُرك أرتابازوس Artabazus ليحكم هذه الصخرة والمنطقة المجاورة لها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29؛ والشيء الوحيد الفريد في هذه الرواية يتعلق بالمستفيدين من عمليات التخصيص هذه: أي المستوطنون الجدد في المدن التي تم تأسيسها حديثاً؛ ويتفق باقي القصة مع الأمثلة العديدة المأخوذة من التاريخ الأخميني، والتي تظهر أنه في أي وقت وخاصة في حالة التمرد، قد يقوم الملك الأكبر بتجريد أحد هؤلاء المستفيدين بمنح الأراضي من الأرض التي منحها له، ولم يكن أحد يضمن أن عمليات تخصيص الأراضي هذه سوف تكون دائمة، سواء إذا ما كانت هذه الأراضي هدية أو حقًّا إقليميًّا قد يعود إلى ما قبل الغزو؛ حتى الضرائب المالية التي كان يفرضها الهيبارخات على الأراضي التابعة لهم لم تكن في الحقيقة جديدة على الإطلاق، كما كانت الالتزامات المفروضة على الأشخاص الذين حصلوا على منح من الأراضي مماثلة تماماً لما كانت عليه في الماضي، حيث إنه إذا لم يكن هذا هو الحال فعلاً فمن كان إذاً يقوم بدفع الجزية المقررة على باكترا؟ ومن المؤكد أنه لكي نكون قادرين على الوصول إلى نتيجتنا، سوف يتوجب علينا أن نعرف لماذا كان النبلاء المحليون متحمسين للتحالف مع الملوك الفاتحين قورش Cyrus ودارا Darius ؛ ولكن لا يبدو أن هناك سبباً يدعونا لافتراض أن هذه العملية كانت فريدة تماماً في باكترا، وبدلاً من ذلك فنحن نميل إلى الاعتقاد بأن تصرف الأباطرة الفرس بعد الفتح لم يكن مختلفاً على الإطلاق عما فعله الإسكندر Alexander بعد الفتح؛ فبعد خضوع شورييني Chorienes له، «عهد الإسكندر Alexander له بهذا

المعقل الحصين تو خوريون وجعله هيبارخاً على الأشخاص الذين كان يديرهم قبل ذلك» أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 21-9؛ كوينتوس كورتيوس، الكتاب الثامن، فقرة 4-21 [أوكسيارثيس Oxyarthes]، في تفكير الإسكندر Alexander وعمله لم يكن هذا الفعل نابعاً عن أية رغبة للدعوة إلى إنشاء سلطة محلية مستقلة، ولكن بدلاً من ذلك كان مجرد تأكيد للمركز الذي كان يشغله شورينيس Chorienes بالفعل في الفترة الأخمينية؛ وفي إحدى الحالات الأخرى قام الفاتح المقدوني بمصادرة أراضي أحد الهيبارخات وأعطاها لسكان المدن الجديدة كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 11-29 كتعبير عن الحقوق التي كانت يملكها الفاتح على الأرض وطبقة الزراع؛ وفي الحقيقة فإنه بالنسبة للإسكندر كانت الفتوحات عبارة عن «أراضٍ تم فتحها بنصل الرمح» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 6-1؛ ومن المؤكد أن تصرف أباطرة الفرس لم يكن مختلفاً عن ذلك في شيء، أم هل من المفترض أن نعتقد أن أراضي باكترا كانت هي الأراضي المفتوحة الوحيدة التي لم تكن تخضع لنظام التاج راجع الفصل 10-7* 11-10؟

وتشير الأدلة المتوفرة -ولو بشكل ضمني- إلى بعض الطرق الأخرى التي كانت تتدخل بها السلطة المركزية في شؤون هذه المرزبانية؛ ففي البداية، من الواضح أنه كانت يوجد هناك مجموعة من الفرس المغتربين الذين يقيمون في هذه المرزبانية، ولقد استنتجنا ذلك من حديث بيروسوس Berossus عن تشييد تماثيل للإلهة أناهيتا Anahita في باكترا فصل 15-8، ولقد كان أيضاً جميع المرزبانات الذين يديرون باكترا من الفرس، كما أن بعضهم كان من أقارب أسرة الملك الأكبر الفارسي؛ وعلى الرغم من ذلك، فإنه من الصعب المضى لما هو أبعد من ذلك في الحديث عن هذه النقطة وذلك بسبب التشابه النسبى بين

الأسماء الشخصية الإيرانية؛ وباستثناء حالة الهيبارخات الذين عارضوا الإسكندر Alexander ، نجد أنه من الصعب تمييز الأشخاص الذين يوصفون بأنهم باكتريون، حيث إننا لا نعرف تقريباً سوى أورونتيس Orontes والذي -تبعاً لتاريخ برجاموم- كان من أصول باكترية توجينوس باكتريوس؛ وحتى هذا المثال نجد أنه يثير أسئلة أكثر من تلك التي يجيب عليها، ودعونا نقول فقط إنه من المؤكد أن الباكتريين قد استقروا في مرزبانيات أخرى إما مستقلين أو كجنود مستعمرين ضمن الحاميات الفارسية؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن باكترا نفسها لم تفلت من نظام الاستيطان الذي تم إنشاؤه في أماكن أخرى من الإمبراطورية؛ فبعد عام 479 قام كسركسيس Xerxes بإعادة توطين كهنة بلدة ملطية في سوجديانا؛ ولقد كانوا يعيشون في ذلك الوقت في مدينة محصنة، وكانوا يملكون الأراضي، ولقد تم دمجهم في السكان المحليين كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، 28: 5-35؛ ولقد ذكر هيرودوت Herodotus في فقرته التي خصصها للحديث عن الحملة الفارسية على برقة وبلدة قورنائية في عام 513 أن البرقيين -الذين تم إحضارهم إلى صوصا كأسرى حرب- قد حصلوا من دارا Darius على قرية كومى في باكترا كهدية إيدوكى، وأنهم كانوا لا يزالون يعيشون في هذه القرية في أيام هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، فقرات 202-204؛ ولقد كان اليونانيون ينظرون إلى باكترا مثلها مثل باقي المناطق الحدودية إسخاتياى على أنها مكان كان يتم نفى الأشخاص إليه هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 9، وهو ما يعنى من وجهة نظر الأخمينيين أرض الاستعمار .

الشيء المؤكد هو أن هذه الحفنة من الأدلة تبدو مثيرة للشفقة؛ ولكن من الواضح إلى حد ما أن كل ما تعرضه المصادر القديمة لا يتعدى أن يكون مجرد عينة شديدة التحيز من الأوضاع السائدة في

الإمبراطورية الأخمينية، وذلك بسبب توجهها الهلينى، كما أن المعلومات الموجودة بهم لا تكون ذات معنى إلا إذا تم وضعها في الإطار العام للإمبراطورية؛ وعلى الرغم من أنه لا يمكن إثبات ذلك إلا أنه من المحتمل أن النمط التالي من المرحلين الذين تم توطينهم في بابل كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 1-2، والخليج الفارسي هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 93، الكتاب السابع، فقرة 80، والمرحلين المستعمرين الذين كانوا في سوجديانا وباكتريا في العصر الأخميني قد تم دمجهم جميعاً في التنظيم العسكري وتنظيم الجزية الخاص بالمرزبانية التي تم توطينهم فيها؛ ولم يعد هناك أدنى شك في أن المدينة المحصنة التي تم بناؤها لكهنة ملطية كانت جزءاً من شبكة من المدن والحصون والقلاع التي تجمع الروايات القديمة على أنها كانت تحتوي على عدد كبير جدًّا من السكان؛ ويؤكد العمل في موقع سمرقند القديمة أفراسياب على وجه الخصوص مدى قوة وحصانة موقع القلعة خلال الفترة الأخمينية؛ ومن المحتمل أنه كما في ميسيا زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب السابع، فقرة 8-15، وكاتونيا-كبادوكيا ديودورس Diodorus ، الكتاب التاسع عشر، فقرة 16-3، ومارجيانا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السابع، فقرة 10-15 فلقد حافظت هذه القلاع على اتصال سهل مع بعضها البعض .

ويجب علينا الآن أن نتعامل مع إحدى الصعوبات التفسيرية الكبيرة التي أثارها أحد الاكتشافات الأثرية الجديدة والذي تمثل في اكتشاف شبكة كثيفة للغاية من القنوات في شرق باكترا -وهي المشكلة التي لم نتحدث عنها حتى الآن سوى بشكل مختصر فصل 2-5- ومن المنظور الأثرى لم تكن للإدارة الإمبراطورية الأخمينية أية علاقة لا بفكرة ولا بتطوير قنوات الرى هذه؛ وتقوم هذه النتيجة على سلسلة من

الاستنتاجات والملاحظات التي ربما نراجعها باختصار فيما بعد؛ فأولاً، هـذا العمـل الذي يعود تاريخه إلى النصف الأول مـن الألفيـة الأولى ينتمـى إلى فـترات التـاريخ الباكتري الطويلة، حيث تعود قنوات الري الأولى إلى الـعصر البرونـزي؛ وثانيـاً، فـإن الأواني الفخارية مصنوعة بشكل مميز لباكتريا فقط دون غيرها ولا تظهر أية ملامح للتأثير الأخميني؛ وعند هذه النقطة سنقوم بتقديم أدلة أخـرى، حيـث سنشـير إلى ديودورس Diodorus : ففي قصته التي ذكرها حـول أعـمال سـميراميس، ذكـر أن الحملة التي وجهتها هذه الملكة ضد باكترا واجهت مقاومـة عنيفـة مـن البـاكتريين الذين كان يقودهم شخص يسمى أوكسيارثيس Oxyarthes والذي كان هو ملكهم الكتاب الثاني، فقرة 6-2؛ وبدون الحديث مطولاً عـن المؤسسـات الملكيـة التـي تـم إنشاؤها بعد الفتح الأخميني، إلا أن علماء الآثار يعتقدون على الرغم من ذلك أنـه كان هناك ما يسمونه «كيان باكتري» قبـل وبعـد الفـتح الأخمينـي؛ ولكـن الـدليل الوحيد على وجـود دولـة مركزيـة باكتريـة يظهـر مـن خـلال الضرائـب العسـكرية والمالية؛ ويرى علماء الأثار هؤلاء أن ممثلى هذه الوحدة كانوا هـم المسـؤولين عـن شق القنوات ومشروعات الـرى الأخـرى التـي تمـت في جميـع أجـزاء الإمبراطوريـة الأخمينية؛ وكلمة «الأخمينية» التي توصف بها هذه الفترة كانت تستخدم لتحديـد نقطة إشارة تاريخية ولكنها لا تعبر عن أية حقيقة سياسية على الإطلاق؛ وتبعاً لهذا التفسير فإن الانفصال الحقيقي قد حدث بعد الفتح اليوناني ومن الواضح أنـه ظـل موجوداً حتى بعد عهد الإسكندر Alexander ، وتظهر المعلومات الأثرية مـن كـل الأنواع بما فيها الأواني الفخارية أنه عند نقطـة الانقطـاع هـذه، تـم إنشـاء سياسـة استعمارية حقيقية؛ ولا يوجد أي دليل على أن هذه السياسة كانت تعـود إلى فـترة سابقة؛ وأخـيراً، واسـتجابة للاعتراضـات ذكـر علـماء الآثـار أن وضـع بـاكترا لم يكـن يختلـف تمامـاً عـن وضـع المنـاطق الأخـرى في الإمبراطوريـة، حيـث إن عـدم

تسجيل الوجود النشط والحقيقي للسلطة المركزية في الأقاليم لا يعنى على أية حال أن عملية استيلاء وسيطرة فعلية على الأرض والشعوب قد تمت باستثناء تلك التي كانت تتمثل في الجزية والمقررات العسكرية الأخرى، وإنشاء الحاميات، وتولية عدد صغير من المديرين، أما أساسيات السلطة فقد استمرت «الكيانات» المحلية في ممارستها.

ونلحظ على الفور أن هذه النظريات تؤيد وتوجه المناقشة العامة حول تطور الإمبراطورية الأخمينية والذي تواصل بشكل خاص في السنوات القليلة الأخيرة؛ ولكن يمكننا أن نجيب قائلين بأنه سوف يكون من غير الحكمة على وجه الخصوص القيام بإجراء مقابلات ومناظرات مع المرزبانيات الأخرى في الإمبراطورية بدون أن يتوفر لدينا تحليل إقليمي قبل ذلك؛ ونجد فقرة عند بوليبيوس Polybius تشير إلى أن أباطرة الفرس كانوا مهتمين بمشروعات نقل المياة والرى في هركانيا الكتاب العاشر، فقرة 28، وبالإضافة إلى ذلك تظهر الألواح البابلية بشكل قاطع أن عملية إدارة القنوات كانت تقع على عاتق فرع معين من الإدارة الأخمينية، وتثبت كل هذه الأدلة عدم صحة التعميمات والتي هي في الحقيقة نابعة من رؤية متحيزة ومتمركزة على باكترا وهو الشيء الذي يمكن تأكيده من خلال إجراء سرد دقيق للاكتشافات الأثرية التي تمت في جميع أجزاء الإمبراطورية على مدار العقدين الماضيين تقريباً انظر فصل 16-18 بالأسفل، ويمكننا أن نضيف -دون أن تكون هناك حاجة إلى مزيد من التأكيد- أن ما قاله ديودورس Diodorus هو دليل لا يمكن الدفاع عنه تماماً، ولكن هذه الانتقادات لا تستنفد الموضوع تماماً، بل هي بعيدة عن ذلك، وتكمن المشكلة الحقيقية في أنه من الصعب جدًّا بناء جسور بين الأدلة الأدبية والأدلة الأثرية، والتي تدعم كل مجموعة منهما صورة مناقضة للصورة التي تدعمها المجموعة الأخرى، أو بشكل أكثر تحديد صور لم يتمكن كل من المؤرخ وعالم الآثار من التوفيق بينهما؛ وإذا كانت

هذه «الوحدة الباكترية» نشطة بالفعل في عام 330، فإنه لا يوجد دليل على ذلك في النصوص التي وصلت إلينا؛ ولكن يشير أحد العروض التي ظهرت مؤخراً حول الاكتشافات الأثرية التي تمت في هذه المنطقة إلى باكترا على أنها «إحدى الوحدات التي لا تزال معلوماتنا عنها ضيئلة والتي لم يتم تحديدها بشكل جيد حتى الآن، وأنها كانت موجودة قبل سيطرة الفرس عليها بفترة من الزمان» ب. ليونيت؛ وعلى الرغم من ذلك -وكما رأينا- فإن الأدلة القديمة تظهر باكترا على أنها بلدة كانت مقسمة أساساً بين «الهيبارخات» والذين اشتقوا سلطتهم من سلطة المرزبان وبمجرد أن يتم عرض نموذج ويتفوجل وهو ما يفعله علماء الآثار دائماً، فإننا لا نستطيع فهم كيف أن المرزبانات الهيبارخات الرئيسين والثانويين في باكترا كانوا مسؤولين عن مثل هذه العمليات، والتي كانت تحتاج إلى تعاون فيما بين المناطق المختلفة وتجنيد آلاف من العمال .

وبالإضافة إلى ذلك، التناقض بين الفترتين الأخمينية والهيلينية - والذي يبدو واضحاً جدًّا بحيث لا يمكن إنكاره إذا نظرنا إلى الأدلة الأثرية- يجب ألا نمضى في التأكيد عليه إلى حد بعيد؛ ويجب أولاً أن نذكر أن الوجود المادى للإدارة الأخمينية في الأقاليم باستثناء الاستراتيجوى وقادة الحاميات نعرف به غالباً من خلال الاكتشافات العرضية التي تتم عن طريق الصدفة مثل اكشاف أحد الألواح الإيلامية في تحصينات قندهار القديمة؛ وإذا نظرنا إلى بلاد فارس نفسها، فإن اكتشاف سجلات برسيبولس قد أدى وبصورة كاملة إلى تغيير النظرة السابقة عن قوة التقاليد البيروقراطية والإدارية في مركز الإمبراطورية؛ وكما شرحنا بالتفصيل من قبل فصل 11/6-7، فإن نقل الممارسات الإدارية إلى الأقاليم تم إثباته في بعض الحالات ومحتمل إلى حد كبير في حالات أخرى حتى إذا كانت توجد شواهد عليه فقط في الألواح التي

تتحدث عن الأسفار الرسمية بين العواصم الإمبراطورية والمرزبانيات الإيرانية الشرقية بما فيها باكترا، هل من الممكن أن تكون باكترا قد أفلتت من الاتجاه إلى دمج المرزبانيات في التنظيم الإمبراطوري؟ هناك اكتشاف واحد فقط -وهو الاكتشاف الذي يبدو إحصائيًّا غير محتمل إلى حد ما- سوف يسمح لنا بالإجابة عن هذا السؤال بشكل قاطع، وهو اكتشاف السجلات المرزبانية في باكترا؛ والنظرية التي تم اقتراحها هنا هي أن الإدارة ربما تكون قد اشتملت كما في حالة بابل على قسم خاص مسؤول عن إدارة شؤون المياة والقنوات؛ ومن الصحيح أننا في حالة بابل لم نعرف بوجود هذا القسم سوى عن طريق بعض الإشارات التي ظهرت في الملفات الخاصة سجلات أسرة موراسو؛ وفي غياب مثل هذه الأدلة في حالة باكترا، يجب أن نكتفي بملاحظة واحدة: إن اللوح الأخميني واللوح الذي يشتمل على كتابات بلغتين هما اليونانية والآرامية الذي تم اكتشافه في قندهار يظهران أنه كانت توجد محفوظات في عاصمة أراخوسيا، وأن اللغة المستخدمة في الإدارات الأخمينية قد انتشرت في جيع أنحاء الهضبة الإيرانية: «وبعد انتهاء عصر أباطرة الفرس بقرنين من الزمان، نجد [في قندهار] ذلك النوع نفسه من الوثائق الذي وجدناه قبل ذلك في مصر الأخمينية، وبالمثل فلقد كانت هذه اللغة نفسها مليئة بالكلمات الإيرانية، وفي الحقيقة فإن استخدام اللغة الآرامية يظهر أننا في أحد الأقاليم الإيرانية والذي تمت المحافظة فيه على تقاليد الإدارات الأخمينية» إيه. بنفينيست؛ وفي أيخانوم نفسه يظهر أوستراكون آرامي كأثر باقي على ذلك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن نقوش الخزانة المكتوبة باللغتين اليونانية والآرامية تعبر عن إدارة مالية معقدة والتي لا بد أنها كانت تدين بالكثير إلى الإدارة الأخمينية السابقة، وهكذا فإننا سوف نود التأكيد مرة أخرى على أن صمت المصادر الأخمينية في هذا الجانب يجب أن يتم تفسيره بحذر شديد؛ ومن الواضح أن هذه الملاحظات لا تسمح لنا

باقتراح أنه كان هناك قسم في الإدارة المرزبانية مسؤولاً عن شؤون المياه والقنوات في مرزبانية باكترا الأخمينية، ولكن كل ما تفعله هو أنها لا تجعلنا نستثنى هذه الفرضية.

وهكذا دعونا نعود إلى الدليل التي تقدمه الأدوات الفخارية والتي يبدو أنها تقضى تماماً على فكرة تدخل الإدارة الإمبراطورية هناك؛ وإذا تخيلنا أن هذه الحجة هي قاطعة في حد ذاتها، فإنه لا يوجد أي داعٍ لإكمال المناقشة؛ وفي المقابل يجب أن يتم شرح الانفصال الذي لا يمكن إنكاره والذي حدث على المدى الطويل عن الإمبراطورية الأخمينية عندما جاء الفاتح المقدوني؛ ويعكس تعدد الأدلة الأثرية على الوجود اليوناني تبنى سياسة استعمارية تتعارض مع السياسة الأخمينية السابقة وتنطبق هذه الملاحظة على مصر أيضاً؛ ولكن هذا الفارق الواضح للغاية لا يعنى بالضرورة أن هذه الأقاليم قد انتقلت -مع انتهاء الفترة الأخمينية وبدء العصر الهلينى- من حالة من السيطرة الرخوة والسطحية للفاتح عليها إلى إدارة دقيقة من قبل الفاتح للأراضي والمياه، وفي الحقيقة فلقد تمت صياغة السلطة الإمبراطورية في الفترة الأخمينية على غرار النماذج والتقاليد المحلية وخاصة على المستوى التقنى، ولذلك فإننا لا نستطيع التعرف عليها مباشرة بالنظر إلى مخططات شبكة القنوات أو أشكال الأدوات والأواني الفخارية لدرجة أننا نتعجب من الغياب التام لأى مظهر من مظاهر التأثير الأخميني في هذه الأشياء؛ وإذا سلمنا بهذه المقدمات المنطقية، فإننا يجب أن نسلم أيضاً بأن استخدامات الأواني الفخارية الباكترية والتدخل المرزباني ليسا استثنائيين بشكل متبادل؛ ويتميز هذا التفسير -على الأقل من وجهة نظر المؤرخ- بأنه يلقى الضوء على السلطة الوحيدة التي عبرت عنها النصوص سلطة المرزبان، ويبعد إلى الأجنحة «الوحدة الباكترية» والتي لم نجد أدنى أثر عليها على الرغم من أن الوقت الذي لقى فيه الملك الأكبر مصرعه قدم الظروف التي كانت

مناسبة بشكل خاص للقيام بعملية تأكيد سياسي وإحياء للأدلة على وجود مثل هذه «الوحدة»، ومن الآمن أن نقول إن المناقشة لم تنته بعد .

16- من إقليم البنجاب إلى دلتا نهر الإندوس الهندوس:

على الرغم من هذه الحالة الصعبة للأدلة الخاصة بباكترا-سوجديانا، إلا أنها تصبح أكثر صعوبة في وادى نهر الهندوس؛ فبعد كل تلك القوائم الملكية التي تشتمل على معلومات عن الأقاليم التابعة للإمبراطورية قوائم بأوصاف الشعوب الإمبراطورية والإشارات العديدة التي تم تقديمها في ألواح برسيبولس وفي تاريخ هيرودوت Herodotus ، نجد أنه بالكاد قد تم ذكر أراضي نهر الإندوس في الوثائق التي وصلت إلينا؛ ولكن دعونا نذكر أن بعض النصوص من عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني تشير إلى أن الملوك الهنود في ذلك الوقت كانوا لا يزالون يعبرون عن ولائهم عبر إرسال الهدايا والجزية فصل 15-8 وأن هذه البلاد قد أرسلت أيضاً فرقاً عسكرية إلى جيش دارا Darius الثالث راجع أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-4* 6؛ وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى البنجاب، لم تقدم المصادر القديمة أية إشارة إلى وجود سلطات محلية هناك كانت قد عينتها السلطة المركزية السابقة، ونميل إلى أن نستنتج من ذلك أن الأخمينيين قد فقدوا السيطرة على هذه المناطق، ولكن هل هذا مؤكد؟ سوف يكون من الأفضل أن نبقى حذرين؛ فمن ناحية -وكما قد أكدنا للتو- لم يعد هناك وجود للدولة الأخمينية، ومن ناحية أخرى، فإنه من الصعب إدعاء أن السلطات التي لم تصلنا أية معلومات عنها بعد عهد دارا Darius الأول قد اختفت ببساطة؛ وبدون الخوض في التفاصيل والتي غالباً ما تفوتنا على أية حال، فإنه من الواضح أن شعوب ومناطق وادى نهر الإندوس والتي توجد أيضاً بين نهرى الإندوس وهيداسبيس كانت تتمتع بمجموعة

متنوعة من أشكال التنظيم الداخلي والعلاقات الخارجية؛ ويتجلى لنا ذلك من تنوع المفردات، فبالإضافة إلى كلمة ملك ومليك «ريجولى» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 1-1، نجد أيضاً كلمة إثنى، مدن، الخ على الرغم من أننا لم نتمكن دائماً من التمييز بوضوح بين حجم سلطة كل منهم؛ ولقد ذكر أريان Arrian غالباً الهيبارخات والذين قد يديرون مساحات شاسعة من الأراضي «خورا» قلت أو زادت الكتاب الرابع فقرة 22-8* 24-1* 25-5؛ وتتمثل المشكلة هنا كما في الأماكن الأخرى في فهم وتحديد الجزء من مراسيم الإسكندر Alexander الذي يعبر عن التواصل مع ممارسات الإدارة الأخمينية، حيث إن تحديد ذلك ليس بالأمر السهل؛ وكل ما نستطيع فعله هو تقديم عدد قليل من الملاحظات العرضية.

لقد قام الإسكندر Alexander -وحتى قبل عبور ممر خيبر- بإرسال رسول إلى أومفيس زعيم قبيلة تاكسيلا آمراً إياه بأن يأتي إليه، ولقد قام أومفيس هو وبعض الهيبارخات الآخرين بإطاعة ذلك الأمر، ولقد أحضروا معهم هدايا كانوا ينظرون إليها على أنها قيمة إلى الإسكندر Alexander أريان Arrian ، الكتاب الرابع، فقرة 22-6؛ الكتاب الخامس، فقرة 5: 3-6؛ ولقد تكررت هذه المراسم نفسها طوال مسيرة الإسكندر Alexander : حيث كان تقديم الهدايا دورا عند حدود البلد إلى أحد الملوك هو أكبر دلالة على الخضوع له راجع، الكتاب الخامس، فقرات 8-3* 20-5* 29-4، ويعكس هذا بوضوح تراثاً تمت وراثته عن الأخمينيين: فعندما يقوم الملك الأكبر بالانتقال للإقامة في أحد أقاليم إمبراطوريته ومع أحد شعوبه، كان من التقليدى أن يقوم المرزبان والسلطات المحلية بتحية القافلة الملكية بالهدايا عند حدود ذلك الإقليم الكتاب الخامس، فقرة 29-2؛ وتذكرنا هذه الهدايا أيضاً بما كتبه ستيسياس Ctesias حول الهدايا القيمة التي كان يقوم الملوك الهنود

بإرسالها بصورة منتظمة إلى الملك الأكبر في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولقد ذكرت الأفيال بشكل متكرر كإحدى الهدايا التي كان يتم تقديمها إلى الإسكندر Alexander ؛ ومن المؤكد أن هذه هي الطريقة التي حصل بها دارا Darius على الاثني عشر فيلاً أدارو إكس إنديا أكسيتى، والذين كانوا من ضمن الهدايا التي قدمها مرزبان صوصا إلى الإسكندر Alexander كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الخامس، فقرة 2-10؛ ويجعلنا السياق نعتقد أنهم كانوا حيوانات مراسمية مأخوذة من إحدى الضياع في صوصا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن مراسم الخضوع لدى الأخمينيين لم تكن تقتصر فقط على الهدايا من هذا النوع، حيث إن المبعوث الذي أرسله الإسكندر Alexander إلى أبيساريس Abisares قد أُمر بأن يستدعي الملك الهندى ليدفع الجزية ستيبنديوم بنديري، وليقابل الإسكندر Alexander عند حدود الأراضي التي يحكمها» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب الثامن، فقرة 13-2؛ ولقد قام الإسكندر Alexander فيما بعد بتحديد مقدار الجزية الذي كان يتوجب على أبيساريس Abisares سداده إليه أريان Arrian ، الكتاب الخامس، فقرة 29-5؛ ومن المحتمل أن هذا كان هو الحال أيضاً في الفترة الأخمينية: فلقد أصبحت الهدايا ترسل إلى البلاط بشكل منتظم مثل الجزية نفسها بالتماشى مع الممارسات السائدة فصل 10-3 .

ولا يوجد شك في أن السلطة الأخمينية كانت قائمة في البلدان التي تقع على الضفة الغربية لنهر الإندوس، وفي إحدى الفقرات التي تناولت بلاد الهضبة الإيرانية أريان Arrian قدم لنا سترابو Strabo قائمة بأسماء الشعوب والتي كما يقول كانت تسكن من الشمال إلى الجنوب في غرب نهر الإندوس وهم: الباروباميساداي، الأراخوسيين، الجدروسيين، «مع القبائل الأخرى التي كانت تقيم على شاطىء البحر»، ولقد أضاف التفصيل

التالي: «يوازي نهر الإندوس طوليًا كل هذه الأماكن، وبعض هذه الأماكن التي تقع على طول نهر الإندوس كان يسيطر عليها الهنود على الرغم من أنها كانت مملوكة للفرس في السابق» الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-9، ونستنتج من النسخ البابلية من هذه القوائم الملكية أن الباروباميساداى كانوا يقيمون في البلد التي تعرف بـ «جانداهارا» في النص الفارسي، ولقد كان شعب الباروباميساداى هذا يسكن في وادى كابول بالكامل حتى نهر كوفين؛ وقد قام الإسكندر Alexander في عام 327 بتعيين الفارسي بروكسيس Proexes مرزباناً على هذه المنطقة، ولقد خلفه ترياسبيس في شغل هذا المنصب بعد ذلك بفترة قصيرة أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 28-4؛ الكتاب السادس، فقرة 15-3 .

ثم وصلنا بعد ذلك إلى حدود تلك البلد التي كان يسكنها هؤلاء الذين وصفهم أريان Arrian بطريقة غامضة قائلاً إنهم: «الهنود الذين يسكنون على هذه الضفة من نهر الإندوس» الكتاب الرابع، فقرة 22-6، والذين يعدد من بينهم «التاكسيليون والهيبارخات الآخرين» فقرة 22-6، بما فيهم هيبارخات مدينة بويسيتيس فقرة 22-8، والأسباسيين فقرة 24-1؛ وفي نهاية هذه «الحملة الجبلية»، قام الملك بتعيين نيكانور «مرزباناً على المنطقة التي تقع على هذه الضفة من نهر الإندوس» فقرة 28-6؛ كما قام أخيراً في مدينة تاكسيلا بتسمية فيليب Philip ابن ماخاتاس Machatas «مرزباناً على الهنود الذين يسكنون في تلك المنطقة» الكتاب الخامس، فقرة 8-3 أي «البلد التي تقع غرب نهر الإندوس باتجاه باكترا» الكتاب السادس، فقرة 2-3؛ ويبدو من الواضح أن الملوك والحكام المحليين - والذين أعاد الإسكندر Alexander ممالكهم إليهم- قد خضعوا إليه الكتاب السادس، فقرة 27-2؛ تاكسيلا ويوداموس؛ ومن المحتمل إلى حد ما أن هذا كان هو الحال أيضاً -بشكل جزئي أو كلى- خلال الفترة الأخمينية، وتركيبة الفرق

العسكرية التي أحضرها كل من بيسوس Bessus مرزبان باكترا وبارسنتيس Barsaentes مرزبان أراخوسيا إلى جوجاميلا كانت متماثلة إلى حد ما؛ فلقد كان بيسوس Bessus هو قائد «الهنود الذين كانت تقع أراضيهم بجوار الباكتريين»، بينما كان يقود بارسنتيس Barsaentes «الهنود من سكان التلال كما كان يطلق عليهم» الكتاب الثالث، فقرة 3: 8-4؛ ولقد كان كلاهما ينتميان إلى ما كان يعرف في الفترة البارثية بالهند البيضاء .

ولقد ظهرت العلاقة بين هذه البلاد من خلال بعض التفاصيل الأخرى؛ فنحن نعرف أن قبيلة تاكسيلا كانت على اتصال بالإسكندر Alexander عندما كان في سوجديانا، وأنها وعدت الفاتح المقدوني بأنها ستنضم إليه في حملته على أعدائه الموجودين بين الهنود ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 86-4؛ ولقد كان سيسيكوتس Sisicottus -الذي من الواضح أنه جاء من منطقة الأساسينيين- كان أحد هؤلاء الهنود الذين قدموا الجنود إلى بيسوس Bessus ، ولقد انضم إلى الإسكندر Alexander في باكترا الكتاب الرابع، فقرة 30-4، الكتاب الخامس، فقرة 20-7؛ كما توجد أيضاً شواهد كثيرة على العلاقة بين مرزبان قندهار و«الهنود من سكان التلال»؛ وفي الحقيقة فنحن نعرف أن الإسكندر Alexander عندما وصل إلى درانجيانا، هرب بارزنتيس Barzaentes إلى الهند كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب السادس، فقرة 6-36؛ وفيما بعد وخلال إقامته في تاكسيلا تسلم الإسكندر Alexander «بارزنتيس Barzaentes الذي حرض على الثورة في أراخوسيا، بالإضافة إلى ثلاثين فيلاً تم أسرها في الوقت نفسه معه، وسماكسوس Samaxus والذي كان ملكاً على جزء صغير من الهند» الكتاب الثامن، 3: 13-4؛ ويبدو أن الإسكندر Alexander قد عفا عن هذا الملك، هذا إذا كان هو الشخص

نفسه الذي يسمى سامبوس Sambus والذي عينه الملك «مرزباناً على الهنود من سكان التلال» أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 16-3، ولقد كان يسيطر على الممرات الرئيسة بين وادى الإندوس الجنوبي وأراخوسيا بما فيهم ممر بولان والذي لا بد أنه كان هو الممر الذي استخدمه كراتيروس الكتاب السادس، فقرة 15-5؛ ولقد أدرج أريان Arrian هاتين المجموعتين ضمن تلك المجموعات التي يسميها «الهنود الذين يتمتعون بالحكم الذاتي» الكتاب الخامس، فقرة 1: 22-2* 24-8؛ ويبدو أن هذه العبارة تشير إلى دول مكتملة التشكيل والتي تحتوي على مدن وقادة هيجيمونيس وحكام نومات وطبقة أرستقراطية حاكمة الكتاب الخامس، فقرة 22-1؛ ونحن نعلم أن الإسكندر Alexander قد عين مرزباناً على الماليين والأوكسيدراساى أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 14-3؛ وعلى الرغم من ذلك فقد اعتبر الموفدون الأوكسيدراكاى أنهم مستقلين ذاتيًا، حيث إنهم لم يكن يحكمهم مرزبان، ولم يكونوا يدفعون جزية أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 14-3؛ ولكن هذا لا يعنى أن سلطة الدولة الأخمينية لم يكن لها أي وجود هناك وخاصة أن مفهوم الحكم الذاتي هنا تم تعريفه من منظور الملوك الهنود وليس من منظور الملك الأكبر؛ ودعونا نتذكر على وجه الخصوص أن الفرس كانوا يقومون بصورة منتظمة باستئجار مرتزقة بالمفهوم الأخميني، انظر فصل 17-3 من الأوكسيدراكاي الكتاب الخامس عشر، فقرة 1-6، وأن كلا الشعبين كان يدفع الجزية إلى أراخوسيا كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، الكتاب العاشر، فقرة 7-14، وهو ما يبدو أنه يشير إلى أن الماليين والأوكسيدراكاي كانا خاضعين لسلطة مرزبان قندهار وهي علاقة التبعية التي ربما كان سماكسوس/ سامبوس هو الوسيط فيها؛ وتبعاً لهذه النظرية، فإن سامبوس كان بمثابة وكيلاً للفرس في منطقة الوادى الأدنى لنهر

الإندوس، وأنه كان يقوم باستئجار المرتزقة وتحصيل الجزية والضرائب العسكرية الأخرى مثل الأفيال التي أحضرها «الهنود الذين يعيشون على هذا الجانب من نهر الإندوس» إلى جوجاميلا أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 8-6؛ بالإضافة إلى كلاب الحرب الشهيرة ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 92 والتي كان الملك الأكبر يربيها على نطاق واسع في بابل هيرودوت Herodotus ، الكتاب الأول، فقرة 192 .

وعموماً، فعلى الرغم من أن المصادر الأدبية تجعلنا نعتقد أن الوصاية الأخمينية كانت لا تزال موجودة في وادى نهر الإندوس خلال عهد دارا Darius الثالث، إلا أنه من الصعب تحديد مدى وعمق تأثير هذه الوصاية في غياب الأدلة الأثرية والنقوش؛ ودعونا نتحدث ببساطة -فى نهاية هذا الجزء-عن إحدى العملات الهندية المتأخرة التي تم الإعلان عنها مؤخراً، وتحمل هذه العملة أسطورة مكتوبة بالكتابة الخاروستية وصورة لشخص يحمل العديد من الخصائص الفارسية/ الإيرانية: «من المحتمل أنه كان مرزبان المنطقة مصوراً بالأسلوب الأخميني مع بعض التأثير اليوناني، وذلك بعد مضى قرن ونصف على سقوط الإمبراطورية الأخمينية وبين الهنود الذين يعيشون بين نهر الإندوس ونهر جهيلام، ولقد كانت لا تزال الصورة الرسمية للشخص الذي يمارس السلطة العليا في الإقليم هي صورة المرزبان الذي يتبع الأسلوب الفارسي» ب. برنار؛ ولا يوجد أدنى شك في وجود مجتمع من الفرس المغتربين في تاكسيلا، ويمكننا أن نجد صدى هذا الوجود في الأختام المصنوعة على الطراز «الفارسي-اليوناني» التي كانت توجد في هذا البلد والتي تشبه أختام وجدت في أماكن أخرى .

17- من باتالا إلى صوصا وبابل: الفرس والخليج الفارسي:

تقدم روايات نيرخوس Nearchus بعض المعلومات -إلا أنها غير مؤكدة وزائلة- حول الساحل الفارسي من الخليج العربي؛ فبعد أن هرب الحاكم الفاريى لباتالا، قام الإسكندر Alexander بالاستيلاء على القلعة والمدينة أريان Arrian ، الكتاب السادس، فقرة 17-5* 18؛ ومن باتالا انطلق صوب بالوشستان وذلك قبل مغادرة الفصيلة التي يقودها نيرخوس Nearchus بفترة قصيرة؛ ولقد كان الغرض من مذكرات نيرخوس Nearchus هو «تسجيل الطريقة التي وصل بها أسطول الإسكندر Alexander إلى فارس من الهند» أريان Arrian ، إنديكا، فقرة 17-7؛ وواضعاً هذا الهدف في تفكيره، قام نيرخوس Nearchus بتقديم معلومات حول الأسطول الذي كان الملك قد بناه والذي كان يتكون طاقمه من الفينيقيين والقبارصة والمصريين إنديكا، فقرة 18-1؛ أريان Arrian ، الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 1-6؛ ولقد ذكر نيرخوس Nearchus بوضوح في عدة مرات أن المهمة التي تم تكليفه بها كانت تتمثل في: استكشاف السواحل التي كانت تمتد على طول خط الرحلة والمناطق الغنية والجزر الصغيرة وأن يستكشف بشكل كامل كل خليج يجده في طريقه، وأن يجمع معلومات عن جميع المدن التي تقع على ساحل البحر، وأن يكتشف الأراضي المثمرة، والأراضي القاحلة» إنديكا، فقرة 32-11، الزحف العسكري، الكتاب السابع، فقرة 20-10؛ ولتحقيق ذك سار الجيش والأسطول في موكب، ولقد كان على الإسكندر Alexander توفير الماء والإمدادات للبحارة على أحد السواحل الذي لم تكن عليه أية إمدادات راجع الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرات 18-1* 4: 20-5* 21-3* 22-3؛ وفي الجزء الأول من الرحلة، مر الإسكندر Alexander ونيرخوس Nearchus على بعض الشعوب البربرية «المتوحشة»؛ وعلى الرغم من

أن الرواية التقليدية المتداولة في جدروسيا تقول بأن هذه المنطقة كان قد عبرها بالفعل كل من قورش Cyrus وسميراميس الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 2: 24-3؛ سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-5، إلا أنه لم تكن هناك أية إشارة على وجود السلطة المركزية هناك حتى وصلوا إلى بورا والتي تمثل المقر الرسمي الذي يوجد فيه قصر حاكم جدروسيا باسيليوس الكتاب السادس، فقرة 24-1، وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى جدروسيا قام بتعيين مرزبانات على كل من جدروسا وكارمانيا الكتاب السادس، فقرة 1: 27-2؛ ويصف نيرخوس Nearchus في روايته التقدم الموازي للمناطق المتحضرة والتي كانت تتميز بظهور مناطق مزروعة بها، والظروف الملاحية التي كانت تواجهه في جدروسيا والتي ذكر فيها للمرة الأولى وجود «بعض الأشجار المزروعة والسكان»، والذين لم يكونوا يشبهون الحيوانات إلى حد ما» إنديكا، فقرة 27-2، ولقد تمكن نيرخوس Nearchus من استئجار ربان -وهو هدراسيس- والذي وعد بأن يرشد الأسطول حتى يصل إلى كارمانيا فقرة 27-1، ولم يدرك بحارة نيرخوس Nearchus -كما لم يدرك جنود الإسكندر Alexander - أنهم عادوا إلى المدنية مرة أخرى إلا بعد أن وصلوا إلى كارمانيا والتي لم تكن تبعد كثيراً عن رأس ماسيتا فقرة 4: 32-7؛ وفي هرموزيا مضيق هرمز والذي كان يحتوي على «وفرة من المنتجات من كل نوع» فقرة 33-2، اتصل نيرخوس Nearchus بـ «هيبارخ المنطقة» هيبارخوس تيس خوريس توتيس؛ فقرات 33-8؛ 36-1، وهذه هي الإشارة الأولى إلى أحد المسؤولين، والذي من المؤكد أنه كان يتلقى أوامره من مرزبان كارمانيا؛ وبعد ذلك بفترة قصيرة علمنا بحاكم آخر هيبارخوس وهو مازينيس Mazenes والذي من المؤكد أنه كان الفارسي المسؤول عن جزيرة أوراكتا، ولقد قام السكان المحليون هناك

بإرشاد نيرخوس Nearchus إلى مقبرة «إريثراس» والذي كانت الروايات التقليدية هناك تقول عنه إنه يمثل البحر فقرة 2: 37-3؛ ولقد عمل مازينيس Mazenes كربان للأسطول بداية من ذلك الوقت فقرة 37-2؛ وبعدما ترك كارمانيا ذكر نيرخوس Nearchus أن «الناس هناك يعيشون مثل الفرس حيث إنهم جيرانهم ويمتلكون المعدات العسكرية نفسها التي لدى الفرس» فقرة 38-1، ولقد أكد أريان Arrian على أن شاطىء بلاد فارس نفسه كان -حتى في وسط الشتاء- «كان مشمساً بشكل خاص ومزوداً بشكل جيد بجميع الإمدادات اللازمة» الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 28-7؛ ثم وبعد رحلة إبحار صعبة على طول ساحل محفوف بالمخاطر، رسى الأسطول في ميناء «توسى الذي يقع على نهر جرانيس وفي الداخل من هذه المنطقة كان يوجد قصر ملكي على بعد 200 ستاديا من مصب النهر» إنديكا، فقرة 39-3؛ ولقد انضم نيرخوس Nearchus إلى الإسكندر Alexander في مكان لا يبعد كثيراً عن صوصا والذي كان يسمى الجسر العائم إنديكا، فقرة 7: 42-10 .

ولكن ما الذي يمكننا استنتاجه عن السيطرة الفارسية في الخليج بداية من الساحل الإيراني من هذه المعلومات الضيئلة؟ يبدو -من خلال الجزء الأول من الرحلة وحتى حدوث أول اتصال بين نيرخوس Nearchus والإسكندر Alexander في كارمانيا- أن الساحل لم يكن مضيافاً ومرحباً باليونانيين: فلم يكن هناك لا مراسٍ ولا موانئ، وذلك على الأقل حتى رأس ماسيتا رأس موسندام؛ والملاحظات التي تم تقديمها حول التجارة كانت أيضاً نادرة؛ ولقد أكد هؤلاء الذين كانوا يعيشون بالقرب من رأس ماسيتا لنيرخوس Nearchus على أن «القرفة والسلع الأخرى المشابهة القادمة إلى آشور كانت تدخل من ذلك المكان» فقرة 32-7؛ ولكن ميناء أبوستانا الفارسي هو أول مكان

يلاحظ فيه أبوستانا وجود العديد من السفن التجارية وسفن النقل فقرة 38-5؛ بلويا؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن مهمة نيرخوس Nearchus تشير إلى أن الإسكندر Alexander لم تكن لديه أية معلومات بعد حول هذه المنطقة، وهذه الملاحظات تدفعنا إلى أن نستنتج أن الفرس كانوا يسيطرون فقط على جزء من الشاطىء الإيرانى على الخليج، ونقصد بذلك السواحل الكارمانية والإيرانية، ولكن يجب أن نفسر صمت المصادر بحذر؛ فإنه من غير المحتمل إلى حد كبير أن يكون الإسكندر Alexander قد ألقى بنفسه في هذه المهمة بدون أن تكون عنده معلومات سابقة عن هذه المناطق؛ ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال أن الفارسي باجوس ابن فارنوخيس كان من بين قادة السفن ثلاثية المجاديف إنديكا، فقرة 18-8، وأن الأسطول لم يبدأ في الاستعانة بربابنة آخرين سوى بعد الوصول إلى جدروسيا والذي يبدو من اسمه هدراسيس أنه مشابه للأسماء الإيرانية إلى حد ما فقرة 27-1؛ وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان نيرخوس Nearchus يعمل بوضوح على انتقاء واختيار أوصافه للشعوب والأراضي بالتوافق مع اهتمامات قرائه حيث قارن بعض المناطق بالمناطق اليونانية ومن خلال الاستعانة بالنماذج الثقافية التقليدية عن الدرجات المختلفة للبربرية وعدم التحضر؛ وبجانب ذلك فإنه من المؤكد أن الروايات التي ذكرها نيرخوس Nearchus كانت أكثر تفصيلاً من الملخص البسيط الذي قدمه أريان Arrian والمؤلفون الآخرون؛ حيث ذكر بلينى Pliny على سبيل المثال أن نهر أناميس إنديكا، فقرة 33-2 كان صالحاً للملاحة، وكانت مياهه معكرة بسبب الذهب الكتاب السادس، فقرة 107؛ ولقد ذكر سترابو Strabo أيضاً -آخذاً ذلك عن نيرخوس Nearchus - أن الروايات التقليدية حول المؤسس إرثيراس على جزيرة أوجيريس أوراكتا، والتي كان يحكمها الهيبارخ مازينيس Mazenes ؛ إنديكا، فقرة 2: 37-3 «قد ذكرها

مثروباستيس ابن أرستيس إلى قائد أسطول الإسكندر Alexander ، ولقد كان أرستيس مرزباناً على فريجيا، أما مثروباستيس الذي كان قد نفاه دارا Darius الثالث فقد اتخذ مسكناً في هذه الجزيرة» الكتاب السادس عشر، فقرة 3-5؛ وبالإضافة إلى وجود الهيبارخ مازينيس Mazenes ، فإن هذه الملاحظة تذكرنا بأن جزءاً من الخليج الفارسي كان لا يزال خاضعاً للفرس: فلقد كان ترحيل مثروباستيس مجرد حالة واحدة في سلسلة طويلة من الحالات والتي تعود إلى ترحيل الملطيين إلى رأس الخليج في أمبى هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرات 19-20، والتي من المؤكد أنها هي قرية «أجينيس» التي تقع عند مصب نهر دجلة إنديكا، فقرة 42-4، ونحن نعلم أيضاً بنفى ميجابيزوس إلى «كيرتا» والتي يحدد ستيسياس Ctesias موقعها بأنها كانت في الخليج الفارسي برسيكا، فقرة 40، ومن المؤكد أنه كانت هناك العديد من عمليات الترحيل هذه، حيث إن هيرودوت Herodotus قد «ذكر سكان الجزر الموجودة في الخليج الفارسي حيث كان يقوم الملك بإرسال السجناء والذين تم إبعادهم عن بيوتهم خلال الحرب أناباستوى» الكتاب الثالث، فقرة 93 من بين المقاطعات الفرعية الدافعة للجزية والملحقة بالقطاع الرابع عشر؛ ولقد ظهرت هذه العبارة مرة أخرى في وصف تكوين جيش كسركسيس Xerxes الكتاب السابع، فقرة 80، وتشير عبارة هيرودوت Herodotus إلى حدوث نشاط استعمارى فعلى، والذي لم يتوقف أبداً على مدار تاريخ الإمبراطورية الأخمينية.

ولكن بالتأكيد لا تسمح لنا هذه الملاحظات في حد ذاتها بادعاء أن سيطرة الفرس على الشاطىء الشرقي للخليج كانت فعالة في جميع المناطق، وبدلاً من ذلك يجب أن نقوم بعمل ترتيب لدرجات وطرق السيطرة الإقليمية هناك، ويبدو من الواضح أن النفوذ الفارسي كان قويًّا في كارمانيا بشكل خاص؛ ولقد ذكر أريان Arrian أن أسلوب حياة الناس

هناك مشابه لأسلوب حياة الفرس، حيث إنهم كانوا جيرانهم، وكانت لديهم المعدات العسكرية نفسها إنديكا، فقرة 38-1؛ وتذكرنا هذه الملاحظة بما كتبه سترابو Strabo الكتاب الخامس عشر، فقرة 2-14 عن هؤلاء الأشخاص أنفسهم: لقد استشهد بقول نيرخوس Nearchus إن «لغة ومعظم عادات الكارمانيين تشبه كثيراً لغات وعادات الفرس والميديين»، وعلى الرغم من أنه يذكر أنه كانت توجد بعض العادات الاجتماعية الإضافية المختلفة، إلا أنه يضيف أن ممارساتهم الزراعية كانت مماثلة تماماً لممارسات الفرس بما فيها زراعة الكروم حيث إن الخمر المنتج في كارمانيا ذا شهرة خاصة؛ ولقد تم توضيح هذه «الفرسنة» التي يتسم بها الكرمانيين ببساطة وبدرجة أكبر عندما أشار إليهم هيرودوت Herodotus الكتاب الأول، فقرة 125 باسم قبيلة الجرمانيين، وأدرجهم ضمن القبائل الفارسية «المرتبطة بالأرض وبالزراعة»؛ وأخيراً، أكد سترابو Strabo على غنى المناجم الكارمانية الفضة، النحاس، الملح، الخارصين، الزُنجُفر والتي من المؤكد أن هذه المعادن كان يتم استخراجها منها منذ قديم الأزل، ومن المؤكد أيضاً أن ذلك قد استمر على مدار تاريخ الإمبراطورية الأخمينية راجع بليني Pliny ، الكتاب الرابع، فقرات 36، 98؛ ولقد كان شاطىء بلاد فارس نفسه بالتأكيد تحت سيطرة شديدة من جانب الفرس، وكان هذا الساحل على اتصال جيد بالجزء الداخلي من البلاد؛ فعلى سبيل المثال سلك الإسكندر Alexander الطريق المؤدى إلى باسارجاداي والذي كان قريباً من الحدود مع كارمانيا الزحف العسكري، الكتاب السادس، فقرة 29-1، ولقد علق سترابو Strabo مستشهداً بنيرخوس Nearchus على واحدة من الملامح الجغرافية المهمة للساحل الفارسي وهو حجم نهر أرواتيس» والذي كان النهر الأكبر في ذلك الجزء من العالم» الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-1؛ ومن النموذجى تماماً قيام قورش

Cyrus بتشييد مسكن في «توسى» بجوار بوشير تماماً والتي قام السيلويسيون فيما بعد بزرع مستعمرة فيها أنتيوخ الفارسي، ومن المحتمل أن القناة التي اكتشفها علماء الآثار هناك كانت تعود إلى الفترة الأخمينية؛ وبإختصار، فإنه من المؤكد أن شاطىء كل من كارمانيا وبلاد فارس كان على ارتباط واتصال وثيق بالريف الفارسي القريب؛ ولقد كانت هذه المناطق الساحلية بالتأكيد هي الأماكن التي جاء منها الجنود الذين تم حشدهم من بين سكان الخليج الفارسي والذين أحضرهم إلى جوجاميلا بعض كبار المسؤولين الفرس الزحف العسكري، الكتاب الثالث، فقرة 5-8* 11-5، ولقد كانت السيطرة الفارسية في جدروسيا أقل وضوحاً بالتأكيد، ولكن لا يزال من المهم أن نتذكر أن الربان هدراسيس الذي استأجره نيرخوس Nearchus كان يحمل اسماً إيرانيًا.

وتأسيس قورش Cyrus لمرفأ توسى يثبت أن الاهتمام الأخميني بالخليج الفارسي وسواحله يعود إلى أمد طويل، كما أن ألواح برسيبولس تشير بشكل متكرر إلى الرحلات البحرية من وإلى تلك المناطق في عهد دارا Darius الأول؛ وعلى الرغم من أنه يمكننا أن نلاحظ تواصلاً دائماً على مدار التاريخ الأخميني فيما يتعلق بهذه النقطة والذي من المحتمل أنهم كانوا يدينون بالكثير في ذلك إلى من سبقوهم، إلا أنه من الصعب أن نصف أو نحدد الأماكن التي جذبت اهتمام الأخمينيين على أساس هذه المعلومات الضيئلة؛ والشهادة الأدبية الوحيدة التي تعود إلى فترة قريبة من عهد دارا Darius الثالث لم تقم بتوضيح الكثير: ففي خلال سعيه للحصول على التريفى، قام هاربالوس خازن الإسكندر Alexander «بإحضار كمية كبيرة من السمك عبر ذلك الطريق الطويل من البحر الأحمر الخليج الفارسي» ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 108-4؛ ومن المرجح أن التجارة البحرية مع الهنود كانت تتم على نطاق كبير خلال عهد الأخمينيين، ولكننا يجب أن نذكر

أن الأدلة المباشرة على ذلك هي أدلة ضعيفة باستثناء بعض الشذرات القليلة التي حصلنا عليها من ميثاق تأسيس صوصا؛ ومن المؤكد أيضاً أن الطرق البرية مثل الطريق التي سلكها كراتيروس كانت تمثل وسيلة اتصال مهمة؛ ومن الصحيح أيضاً أن البحارة الهنود ربما كانوا يقدمون خدمات النقل حتى رأس ماسيتا إنديكا، فقرة 7: 32-8؛ ولقد تحدث نيرخوس Nearchus عن «وجود إحدى القرى في بابل عند رأس الخليج الفارسي وبالقرب من مصب نهر الفرات والتي كانت تسمى ديريدوتيس، والتي كان يقوم فيها التجار إمبوري بجمع البخور من أرض «جرها» وباقى التوابل طيبة الرائحة التي تنتجها أراضي شبه الجزيرة العربية» سترابو Strabo ، الكتاب الخامس عشر، فقرة 3-5؛ وعلى الرغم من هذه الملاحظات، إلا أنه من الممكن أن تكون بعض هذه التوابل قد تم جلبها من الهند .

ولكن ماذا عن الشاطىء العربي؟ هل تعطينا أوصاف الحملات التي أرسلها الإسكندر Alexander من بابل أي توضيح حول إجابة هذا السؤال؟

«لقد كان الإسكندر Alexander يخطط إلى استعمار الساحل على طول الخليج الفارسي والجزر الموجودة هناك؛ ولقد كان ازدهار ورخاء هذه المنطقة أحد الدوافع الأخرى، حيث إنه سمع أن القرفة الصينية كانت تتم زراعتها في المستنقعات، وأن أشجارها كانت تنتج المر والبخور، وأن القرفة كان يتم قطعها من الأشجار، وأن الناردين كان ينمو من تلقاء نفسه في مراعيه، ولقد وصلته أخبار أن هناك العديد من الجزر في محاذاة هذا الشاطىء، وأن المرافىء كانت توجد في كل مكان على امتداد ذلك الشاطىء، والتي كانت تكفى لأن يرسو أسطوله بها وأن يتم بناء مدن حولها والتي من المرجح أنها ستزدهر؛ وقد اعتقد الإسكندر Alexander أن هذه البلاد سوف تكون في إزدهار فينيقيا نفسه» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 19-5* 20-2 .

والأشخاص الذين قدموا هذه المعلومات له هم قادة البعثات التي كان قد أرسلها من قبل إلى «كياس»، والذين لم يذهبوا إلى ما هو أبعد من تيلوس البحرين، ولقد كان من ضمن هؤلاء القادة أندروستينيس الذي أبحر «حول جزء من شبه الجزيرة العربية» وهيرون المنتمى إلى سولوى والذي كانت الأوامر الصادرة إليه تقضى بالإبحار حول شبه الجزيرة العربية بأكملها لاستكشاف البلاد التي تطل على المحيط، وسكان الساحل، والمرافىء الموجودة عليه، ومصادر التزود بالمياه»، ولم يتجاوز الركن الذي رفض نيرخوس Nearchus الإبحار تجاهه الكتاب السابع، فقرة 19-7؛ إنديكا، فقرة 43-8 أي رأس موسندام؛ وبالمثل فإن السفن قد رست في بعض المناسبات عند رأس البحر الأحمر خليج العقبة، ولكنها اضطرت إلى العودة ولا يمكننا تحديد المدى الذي وصلوا إليه أريان Arrian ، إنديكا، فقرة 43-7؛ ويفترض أن هذه الرحلات البحرية على طول الساحل العربي من الخليج الفارسي كانت تشبه اكتشاف الأراضي غير المعروفة، ولكن سوف يحتاج هذا المنظور إلى بعض التعديل بالتأكيد؛ فتبعاً لما ذكره كل من أريان Arrian وسترابو Strabo كان هدف الإسكندر Alexander من وراء ذلك هو هدف عسكري بالدرجة الأولى، وهو إخضاع العرب الذين لم يخضعوا له طواعية؛ وهكذا كانت مهمة الملاحين تتمثل في القيام بعمل حصر بالموانىء ونقاط التزود بالمياه للأسطول الذي كان سيشن هذه الحملة من بابل، ومن المؤكد أنه لم تكن هناك أية خطة فعلية للدوران حول جزيرة العرب والوصول إلى مصر .

ولسوء الحظ فإن الأدلة الأثرية لا تقدم لنا الكثير؛ وفي الحقيقة، كان الأخمينيون قد أنشأوا قواعد لهم في فايلاكا الكويت وفي البحرين وفي عمان، ولكن النتائج لا تسمح لنا في الحقيقة بالقول بأنه كان يوجد هناك تأثير أخميني كبير؛ ومن الصحيح أيضاً أن أعمال التنقيب عن الأدلة

الأثرية نفسها في هذه المنطقة كما في باقي المناطق أخرى كانت مسألة لا طائل من ورائها -حيث إن السيطرة الأخمينية على إحدى المناطق لم تكن تعني بالضرورة أن النماذج الفنية الفارسية قد تمت استعارتها؛ ونحن نعرف أنه عندما اقترب المقدونيون من فايلاكا وجدوا أحد الهياكل «ضريح أرتيميس»، أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 3: 20-4؛ ويثبت اكتشاف مجموعة من الأدوات والأواني الفخارية الأخمينية والبابلية أن الهيكل كان مقاماً في ذلك المكان منذ بعض الوقت، وعلى الأقل منذ عهد الدولة البابلية الجديدة، ويبدو أن أحد النقوش الآرامية التي تم اكتشافها في موقع تل الخزنة يقدم لنا صورة من القرن الخامس أو الرابع، ونميل إلى استنتاج أنه مثلما كان الحال مع الملوك البابليين الجدد نابونيدوس Nabonidus قد عين حاكماً على دلمون وبنوخذ نصر الثاني كان لديه سكن ومعبد في فايلاكا، فإن الملوك كانوا يحكمون دلمون أو -بشكل أكثر دقة- أنهم قد حافظوا على علاقات متكررة نشطة مع هذه المنطقة؛ ويتضح هذا التواصل الأخميني البابلى أيضاً عند رأس الخليج الفارسي؛ فمن المحتمل أن مدينة أمبى التي قام دارا Darius بترحيل الملطيين إليها هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 20 لم تكن سوى قرية أجينيس والتي حدد مكانها كل من أريان Arrian وسترابو Strabo بأنها تقع على بعد 500 مقياس بعدى من صوصا؛ ولا بد أن قرية أمبى هذه نفسها لم تكن تبعد كثيراً عن دورين، ويشير اسمها ووصفها أوربس ريجيا إلى أنها كانت تعود إلى الفترة الآشورية دور-ياكين، ومن المحتمل أن هذا الموقع لم يخدم فقط كقاعدة بحرية للملك الأكبر ولكنه كان يعمل أيضاً كمركز تجاري للتجارة مع العرب الذين يسكنون في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية؛ وفي نهاية الفترة الأخمينية قدم الجرهانيون عن طريق البحر وأيضاً عن طريق النهر للتجارة مباشرة مع بابل أرسطوبولوس، الذي

استشهد به سترابو Strabo ، الكتاب السادس عشر، فقرة 3-3؛ ولسوء الحظ فنحن لا نعرف الكثير عن العرب خلال الفترة الأخمينية، حيث إن تعليقات سترابو Strabo الأخرى تشير إلى فترة متأخرة كثيراً عن هذه الفترة؛ وعندما قام أنتيوخوس Antiochus الثاني بالاتصال بالجرهانيين، نعرف أن الطرفين قد عقدا معاهدة اعترف الملك بمقتضاها بـ «حكمهم الذاتي» لأنفسهم، بينما قام الجرهيون بإعطائه «هدية» تتكون من: 500 طالن من الفضة، 1000 طالن من البخور، 200 طالن من المر بوليبيوس Polybius ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 9؛ فإذا كانت هذه العلاقات تعود إلى الفترة الأخمينية -وهو الأمر الذي لسنا متأكدين منه- فإنه يمكن مقارنتها بسهولة بالعلاقات بين أباطرة الفرس و«ملوك العرب» في فلسطين انظر فصل 16-8 .

18- تقييم لبعض الأسئلة:

في نهاية هذه «الجولة الأخمينية الطويلة»، تظهر بعض الصور شديدة التعارض والتي قد تغذى بل هي تغذى فعلاً مجموعة متنوعة من التفسيرات التاريخية والتي كنا نقدمها بإيجاز منذ الصفحات الأولى لهذا الكتاب، والصور التي قدمتها ألواح برسيبولس ليست هي الصور الوحيدة التي تركت انطباعاً دائماً؛ وكذلك أيضاً فإن عدداً قليلاً من المصادر الهلينية والكلاسيكية -إذا تم تطهيرها من التشويهات الجدلية التي تحتوي عليها- تقودنا إلى تعقب العديد من أشكال التواصل منذ عهد دارا Darius الأول إلى عهد دارا Darius الثالث: الأيديولوجية الملكية، إدارة الجزية والإدارة العسكرية؛ ويشير تفقد الفرق العسكرية التي كان يتشكل منها جيش دارا Darius الثالث في إسوس وبعد ذلك في جوجاميلا إلى أن الملك الأكبر كان لا يزال في عام 334 مسيطراً على المنطقة من نهر الإندوس وحتى بحر إيجة، ولكن ماذا كان عمق

هـذه السـيطرة؟ هـل كانـت كـما يـزعم -غالبـاً- تقـتصر عـلى تعيـين المسـؤولين المرزبانيين والمحافظة عـلى شـبكة مـن المراكـز الخارجيـة والحاميـات التـي مكنـت الأخمينيين من السـيطرة عـلى الطـرق وعـدد قليـل مـن الأراضي؟ ويسـتدعى هـذا السؤال بدوره التفكير في الطرق الكامنة في أدواتنا التحليلية وقـد يبـدو غريبـاً أننـا أثرنا هذه المشكلة بعد عملية الإحصاء والجرد للأقاليم التي تخضـع لـدارا Darius الثالث وليس قبله، ولقـد كـان هـذا الاختيـار راجعـاً إلى ضرورة بسـيطة: وهـي أن المناظرة لا يمكن أن يتم تقديمها فعلاً ككل واحد بدون أن يكـون هنـاك أدلـة يـتم تحليلها بالفعل في الإطار الزمني والمكاني لها؛ وهكذا فإن الآراء التالية لـيس لهـا أي غرض آخر سوى الاستفادة من الأشياء غير الأكيدة والاحتمالات العديدة.

ولقد أوضحت مناقشة باكترا فصـل 16-15 أن تلـك الأدلـة التـي تمثـل تنظـيماً إمبراطوريًّا رخواً وغير راسخ قد أعطت فخـر المكـان إلى الأدلـة الأثريـة، ويظهـر هـذا الخط الجدلي بشكل متكرر: حيث يعتقد إن الكمية الصغيرة من الأدلة الأثريـة التـي تتصل بالفرس توضح مدى ضعف التغطية الإقليمية التي حققتهـا السـلطة المركزيـة؛ فقبل أكثر من عشرين عاماً من الآن قـام بى. أر. إس مـورى Moorey بتوضـيح هـذا التفسير كما يلي: «لا تزال الآثار الماديـة لفـترة الحكـم الفـارسي في الشرق الأدنى التـي دامت قرنين من الزمان محيرة بشـكل عـام؛ حيـث إن هـذه الفـترة -فى العديـد مـن المناطق التي تشتمل عليها إمبراطوريتهم المترامية الأطراف- كانـت مـن بـين الفـترات المجهولة أثريًّا؛ ويمكن أن يـتم شرح ذلـك بسـهولة كبـيرة مـن خـلال الفـن والثقافـة الهلينية اللتينن كانتا تتسمان بالوضوح والعمق، واللتين كانتا موجودتين في كل مكـان في المناطق التي كانت فيما مضى جزءاً خاضعاً لحكم الفرس؛ ولكن الأدلـة المتـوفرة لا تساند مثل هذا التفسير سوى بشكل جزئي فقط؛ ولقد كان التـأثير الفـارسي محـدوداً من الناحية الجغرافية وسطحيًّا من الناحية الاجتماعيـة في جميـع المنـاطق إلا عـدداً

قليلاً من المناطق التي كان الفرس يسيطرون عليها في هذا الوقت أو ذاك، وفي حكمهم أو إدارتهم كانوا يتبنون أنظمة هذه المناطق أو يقومون بعمل بعض التعديلات بدلاً من إحداث تغيير جذري في المناطق التي اكتسبوها إما عن طريق الفتح أو عن طريق الإضافة، ولقد تم تعزيز وتتويج التسلسلات الهرمية الموجودة بالفعل من خلال بعض الموظفين التابعين للإدارة الإمبراطورية والضباط العسكريين، ولكن لم يتم تحويلها إلى نمط قياسي؛ وبالنسبة للشؤون الدينية فإن الإدارة الفارسية كانت عادة متسامحة وموائمة بين الأديان والعقائد المختلفة، كما كانت متعاطفة أيضاً مع العادات والممارسات التقليدية، ولم يحدث أن سعت في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية إلى فرض ديانتها وطقوسها من خلال مرسوم رسمي؛ ولقد انحصرت المساهمة الفارسية بشكل عام في إعادة بناء المنشآت الإدارية القائمة فعلاً أو في إنشاء بعض الحدائق والقصور على الطراز الإيرانى وخاصة في عواصم المرزبانيات؛ وفي بعض المناطق -وخاصة مصر- كان التأثير الثقافي المصري ضئيلاً للغاية، حيث انحصر في بعض الملامح الزخرفية والتي تحتاج إلى تحقيق وفحص دقيق لاكتشافها 1980: فقرة 128؛ ويبدو أن هذا النوع من المناقشة يعكس الحقائق التي نجدها على الأرض تماماً؛ ويحتاج الواحد منا فقط إلى أن يمشى في موقع سارديس ليسأل: «ولكن أين كان الفرس؟»، وعلى الرغم من ذلك فإن الحقيقة هي أكثر تعقيداً مما تبدو عليه؛ لأنه توجد الكثير من الشواهد على الوجود الفارسي/ الأخميني بشكل خاص تحديداً حول وفي ساردیس والتي تتمثل في النصوص الأدبية والنقوش المتأخرة؛ وهكذا فإنه يوجد تناقض بين الأدلة الأثرية والنص، والقرار متروك للمؤرخ لحسم هذه القضية دون الاستسهال والاعتماد على هذا المنظور أو ذاك؛ ومن الضروري أيضاً أن ننتبه إلى المفردات المستخدمة؛ حيث إنه نتيجة لأن الفرس قد تقمصوا العادات والتقاليد المحلية بدرجة كبيرة في بعض

الحالات، نجد أنه من الصعب التمييز بين الأدلة حول الاتجاهات في أحد التصويرات الأيقونية أو الرمزية وبين ما قد يظهره وجود جهاز السلطة المركزية راجع حالة الآثار الليسية والفينيقية؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنه -ولعقود- لم تنجح فعلاً أعمال التنقيب الأثرى في المواقع الرئيسة مثل بابل على سبيل المثال في تحقيق هدفها المتمثل في الكشف عن الآثار الأخمينية، أو أن الآثار التي تم اكتشافها قد تم غالباً التقليل من أهميتها بسبب الافتراضات المشكوك في صحتها؛ وتخيل على سبيل المثال أن نشر النتائج الأولية للفحص العلمى للأواني الفخارية التي تم جمعها في عام 1955 من موقعين في أرمينيا ألتنتيبي، سيمن تيبي قد استغرق حتى عام 1993؛ ولقد أثبتت عملية إعادة فحص الأدلة أن الآنية الأخمينية التي كانت تسمى أورارتية كانت توجد في الموقع، كما اكتشفت الحفريات الأخيرة بعض المبانى الأخمينية التي قد تم بناؤها في بعض الأحيان فوق بعض البنى الأورارتية القديمة، ولقد وُجدت أيضاً قطع من الألواح الإيلامية في بعض المواقع انظر فصل 16-14 بالأعلى؛ وهذا هو مثال منفصل، وتخيل على سبيل المثال أن الاكتشاف الذي تمت الإشارة إليه للمرة الأولى في عام 1967 -والمتمثل في بعض الكرات الحجرية التي تعود إلى حصار الفرس لبافوس في عام 497- قد تم «نسيانه» عمليًّا، على الرغم من أن هذه الأدوات تدفعنا للتساؤل عما إذا كان المنجنيق قد تم اختراعه في بداية القرن الرابع ق.م على يد الفرس وليس على يد ديونيسيوس Dionysius ؛ ولقد تطلب الأمر لدمج هذه المادة الرائعة بصورة كاملة في المناظرة التقنية الاكتشاف الذي تم مؤخراً لهذا النوع نفسه من الكرات في فوقيا - والتي كانت إحدى بقايا الحصار الفارسي لها في عام 546- ويمكننا أن نذكر بعض الاكتشافات الأخرى المنسية لبعض الأشياء الأخمينية التي وُجدت في مواقع في آشور القديمة وفي أماكن أخرى؛ وتشير جميع الاكتشافات الجديدة إلى هذه الفكرة نفسها،

وهي أن الاحتلال الأخميني لأقاليم الإمبراطورية كان أكثر كثافة بكثير عما كما نتخيل في السابق اعتماداً على الأدلة المتفرقة والمتنوعة والقليلة.

وبسبب عمليات الترميم للبقايا الهلينية والرومانية على وجه الخصوص التي توجد في المواقع الأكثر قدماً وخاصةً التي توجد منها في آسيا الصغرى: مثل ساردیس، اختفت الطبقة الأخمينية من هذه البقايا؛ ولذلك فإن جُلَّ الآمال والتي تم تحقيقها بشكل جزئي تدور الآن حول النتائج التي يمكن الحصول عليها من المواقع البكر التي لم يتم فيها الكثير من أعمال الحفريات من قبل مثل داسيليوم؛ ويزودنا أحد الأمثلة الأخرى بالكثير من الفهم والتوضيح: الحالة والإطار اللذين تم فيهما اكتشاف النقوش البارزة في ميدانسيكالي في كيليكيا وهي الأشياء الوحيدة من هذا النوع التي تم اكتشافها في أراضي الإمبراطورية؛ وعلى الرغم من أن التقارير الأولية لا تحتوي على كثير من التفاصيل، إلا أنه يبدو أن هذه الكتل الحجرية قد أعيد استخدامها في الفترة الهلينية ربما في المبانى والتي قد تم بناؤها على أساسات الأبنية السابقة؛ وهكذا فإن المحافظة على هذه النقوش البارزة حتى يومنا هذا كان أمراً من قبيل الصدفة البحتة، وذلك ربما لأن بعض الفلاحين قد حاولوا -من دون تحقيق أي نجاح- أن يقوموا بتحريكها من الأكروبوليس، ومن المحتمل أن الكتلة الصخرية التي تحمل نقشاً باللغة الآرامية والتي عرفنا منها الاسم القديم للموقع قد تم نقشه مرة أخرى؛ وهذا مثال واضح على الطبيعة العشوائية لبعض الاكتشافات الأكثر أهمية التي تمت في السنوات الأخيرة؛ وتخيل معنا مثالاً آخر، وهو أحد الألواح الإيلامية من طراز ألواح برسيبولس نفسه، والذي تم اكتشافه في التحصينات الأخمينية في قندهار القديمة والتي تستطيع بمفردها أن تقضي على الحجة المتمثلة في صمت المصادر والتي يتم الإفراط في استخدمها أحياناً؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن الألواح الإيلامية التي تنتمي إلى طراز

ألواح برسيبولس نفسه قد تم اكتشافها حديثاً في الموقع الأرميني المسمى بـ «أرمافير-بلور»!

والتقييم الإحصائي للوجود الأخميني في الإمبراطورية - والذي بصورة مبدئية لا يمكننا الوثوق به بشكل كامل- يقدم لنا نتائج تتعارض مع الأدلة التي قدمتها الاكتشافات والإعلانات الحديثة؛ وفي الحقيقة فإن الأمثلة التي قد قابلناها للتو أعمال الحفريات في داسيليوم - المواقع الأرمينية - الصور والنقوش البارزة في ميدانسيكالي - الألواح الإيلامية التي وجدت في قندهار وأرمافير - بلور توضح حقيقة أساسية في حياة الباحثين: فعلى مدار العقدين الماضين تواصل ازدياد عدد الأشياء والآثار والمواد المكتوبة -أى بإختصار كمية الأدلة المتوفرة- التي تم اكتشافها في الأراضي التي كانت تتبع الإمبراطورية الأخمينية؛ وعلى الرغم من أننا نتناول فقط الأدلة الجديدة بما فيها الإعلانات الجديدة عن الأدلة المكتشفة من قبل، إلا أن لائحة هذه الأدلة تبدو مبهرة إلى حد ما؛ وتتناول الإعلانات جميع أنواع الأدلة: النقوش الألواح، أوراق البردى، الحفريات، أعمال المسح الأثرى، الصور والأيقونات، والعملات المعدنية؛ كما أنها تشمل جميع مناطق الإمبراطورية إلا أن فارس، إيلام، بابل، مصر، وغرب آسيا الصغرى لهم مكانة خاصة، بينما تظل آسيا الوسطى أدنى من باقي المناطق ولكننا لا نزال ننتظر النتائج الأخيرة للاستكشافات الفرنسية في شرق باكترا، كما أن أعمال التنقيب الجديدة في سمرقند تبشر بنتائج واعدة؛ وبدأت سوريا في الخروج من حالة من شبه النسيان، كما تزايدت الأدلة التي تتعلق بفلسطين وخاصة يهودا وسامراء بشكل كبير .

ولكن الأدلة التي تم ذكرها للتو لا يجب أن يتم تقييمها فقط من الناحية الكمية؛ والشيء الأكثر أهمية هو أن العديد من المواد والأدلة الجديدة لها أهمية تاريخية استثنائية: فمثلاً الألواح الإيلامية التي تم

اكتشافها في كل من قندهار وأرمافير-بلور، تمثال دارا Darius الذي تـم اكتشـافه في صوصا، النقش المكتوب بثلاث لغات الذي تم اكتشافه في زانثوس، والمـذكرة الآراميـة التي تتحدث عن رسوم الجمارك المصرية، وهذه هي خمسة أمثلة فقط والتي يمكن أن نضيف إليها الإعلانات عن الألواح البابلية التي تقضى تماماً في بعض الأحيـان عـلى بعض المفاهيم المقبولة؛ وحتى لو كانت هذه الاكتشافات لا تقدم إجابـات عـن كـل الأسئلة التي لدينا حيث إنه من الطبيعي أن الأشياء الأكثر أهمية تثير أسئلة جديـدة، إلا أن بعضها قد غيرت نظرتنا حول المناطق والأقاليم التـي كانـت تغطيهـا السـيطرة الإقليمية؛ فمثلاً من كان يصدق أن موقع ميدانسيكالي ذلك الموقع البعيد الذي يقـع في الجبال الكيليكية سوف نجد فيه نقوشاً بارزة من النـوع نفسـه الـذي وجـدناه في برسيبولس؟ وإذا كان هذا الموقع الثانوي قد احتوى على مثل هذه النقوش، ألا يمكن أن نفترض أيضاً وجود نقـوش مشـابهة في المراكـز الإقليميـة الكبـيرة مثـل سـارديس، داسيليوم، دمشق، باكترا، الخ؟ ومن الأدلة القاطعة على ذلـك أيضـاً الألـواح الإداريـة التي تتبع أسلوب ألواح برسيبولس نفسه، والتي تـم اكتشـافها في أراخوسـيا وأرمينيـا للأسباب التي ذكرناهـا للتـو؛ انظـر فصـل 11-6* 16-15؛ وبالإضـافة إلى ذلـك، فإنـه بالنظر إلى الوضع السائد منذ سبعينيات القرن العشرين 25 عامـاً، فإنـه مـن السـهل إدراك أن وتيرة الاكتشافات والإعلانات قد تزايدت بدرجة كبـيرة خـلال الثمانينيـات، كما أن حصيلة فترة التسعينيات تبدو ممتازة؛ وبوضع ذلـك في الاعتبـار، وبـالنظر إلى أن برامج البحث ورؤية الأثـريين وأمنـاء المتـاحف تحـدد جزئيًّا وفي بعـض الأحيـان تسيطر عليها الإتجاهات العامة للأبحاث؛ ولنـا الحـق في أن نأمـل أنـه سـوف يكـون هناك تأثير تراكمي ذو معنى مع تقـدم الدراسـات الأخمينيـة عـلى كـل مـن المـدى القصير والمتوسط؛ وتظهر من كـل هـذا ملاحظـة واحـدة والتـي تضـخم التحفظـات

التي تم التعبير عنها للتو بالأعلى: فتحديد نتيجة للتغيرات السريعة في مجموعة الأدلة التي لدينا، فإنه يجب على مؤرخى الإمبراطورية الأخمينية أن يتساءلوا بشكل أساسي حول مدى صحة الافتراض الإحصائي الكاذب الذي يقول بضآلة الوجود الفارسي وبعدم أهمية احتلال الفرس لأراضي الإمبراطورية، وذلك اعتماداً على مجموعة من الأدلة القديمة أو التي تم اختزالها في المنظور الإقليمي .

ولكن هذا التقييم شديد التفاؤل لا يجب أن يخفى بعض الصعوبات التفسيرية والصعوبات المتصلة بالطريقة؛ مثل ما «علامات» الوجود الإمبراطوري في الأقاليم والبلدان؟ وما المسارات التي يجب أن يسلكها التقييم النوعي؟ يتمثل أحد هذه المسارات المحتملة في التحقيق في كثافة وانتشار الأسماء الشخصية الفارسية والإيرانية وشواهد الهياكل المخصصة للآلهة الفارسية؛ ويقوم هذان النوعان من البيانات بصورة واضحة بتوضيح استيطان المستعمرين من الأنواع المختلفة والذي يعنى وجودهم بدوره السيطرة على الأراضي والسكان؛ ولأسباب تاريخية سوف يكون من الأفضل إجراء هذه التحقيقات في البلاد الناطقة باليونانية -أى في آسيا الصغرى بشكل أساسي- ولكن الألواح البابلية تلقى هي الأخرى ضوءاً مهمًّا على هذه المسألة؛ وللمضى في ذلك قدماً بعض الشيء فسوف يكون من المفيد إجراء بحث شامل حول توزيع الأسماء الشخصية والمفردات الإيرانية، بما فيها بالطبع وجودهم في الألواح التي تعود إلى الفترة الهلينية؛ وهناك عنصر آخر يجب أن يتم أخذه في الاعتبار: فبالإضافة إلى انتشار الأشكال والصور الأخمينية وهو الأمر الذي يمكن أن نرجعه إلى استقرار الفرس في الأقاليم، إلا أننا نحتاج أيضاً إلى التفكير في قيام طبقة النبلاء المحليين باستعارة هذه الأشكال؛ وبالطبع فإنه ليس من السهل الربط بين عمليات الاستعارة الثقافية والسيطرة السياسية؛ وتظهر حالة إقليم ليسيا، والتي تم ذكرها عدة مرات في كل من النقاط

المثيرة ونقاط القصور في هذه المناقشة وخاصة لأنه في بعض الحالات مثل مقبرة بيتوسيريس، استمر إعجاب السكان المحليين بالأشياء التي تتبع الطراز الأخميني حتى بعد السقوط السياسي لإمبراطورية دارا Darius الثالث؛ وفي حالات أخرى لا يوجد أدنى شك حول الطبيعة السياسية للأدلة؛ فعلى سبيل المثال، عندما قام ملوك صيدا بتبنى الصور الملكية واستخدموها على عملاتهم، فإنه لا يفوتنا أن نستنتج من ذلك أن هذه كانت هي طريقتهم في التعبير عن اتحادهم واندماجهم مع الإمبراطورية؛ وهل يمكننا حقًّا أن ننكر أن انتشار مثل هذه الصور في سامراء على سبيل المثال خلال القرن الرابع هو «علامة» على الأخمينيين؟ بالطبع إن هذه الصور لا تكفى بمفردها لأن تكون علامة، ولكن عندما نستطيع الإشارة إلى انتشار الصور الفنية وإنشاء المساكن الإدارية واستغلال الأرض -كل ذلك في منطقة واحدة- عندها سوف يكون من المعقول وضع هذه الملامح في إطارها الإمبراطوري؛ وفي الحقيقة، فإن هذه العبارة يمكن تطبيقها على مناطق عدة في إمبراطورية دارا Darius الثالث .

يثير تحليل النصوص -كما قلنا مراراً وتكراراً- عدداً مماثلاً من المشكلات التي تتعلق بالأسلوب والطريقة، وعلى سبيل المثال، دعونا نعود إلى الادعاء القائل بأن بعض أجزاء الإمبراطورية كانت السيطرة عليها ضعيفة مثل الأراضي التي كانت تسيطر عليها شعوب جبال زاجروس؛ ولا يوجد شك في أنه على الرغم من تقسيم جميع أجزاء الإمبراطورية إلى مرزبانيات، وما نتج عن ذلك من دمج طبيعي لهذه المناطق في الإطار العام للإمبراطورية، إلا أن إدارة دارا Darius الثالث -مثلها مثل إدارة دارا Darius الأول- استمرت في الاعتراف بوجود الشعوب إثنى؛ ولقد كان هذا صحيحاً خلال التفقد العسكري الذي جرى في دوريسكوس في عام 480 هيرودوت Herodotus ،

الكتاب السابع، فقرة60، وفيما بعد في كوناكسا زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 8-9؛ ولقد اصطفت الفرق العسكرية المختلفة في جوجاميلا تبعاً للأعراق التي تنتمي إليها كاتا-إثنى ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 58-1؛ ولقد كان دارا Darius قلقاً حول مسألة التواصل بين هذه المجموعات التي تتحدث مثل هذه اللغات المتنوعة فقرة 53-4؛ ويفسر هذا الاختلاف أيضاً الصيغة المتمثلة في «ملوك، مدن، حكام، شعوب»، والتي تم تقديمها بشكل متكرر في المراسلات الدبلوماسية التي جرت بين الملوك السيلويسيين، ولكنها كانت أيضاً حقيقة خلال الفترة الأخمينية راجع نيبوس Nepos ، أجيسيلوس، فقرة 3-7؛ حيث إن الفتح الأخميني لم يؤدِّ إلى سقوط هؤلاء الملوك والحكام مهما كان الشعب الذي ينتمون إليه، وسواء كانوا كادوزيين، ساكيين، هنود، أو حتى حكام الدلتا الغربية.

ولكن حتى هذه الفكرة لا يمكن أن يتم اختزالها في هذه الملاحظات؛ حيث إن جيش دارا Darius الثالث لم يكن سوى مجرد قطيع لا حصر له، وغير منضبط من البشر تماماً مثلما كان الحال مع جيش كسركسيس فصل 5-5 أو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 11-8، بغض النظر عما قاله مؤرخو الإسكندر Alexander ؛ حيث إنه بمجرد أن يتم حشد الجيش وإحصاؤه، كانت الفرق العرقية تتخلى جزئيًّا عن فرديتها، وكان يتم إعادة تنظيمهم في أفواج راجع كوينتوس كورتيوس، الكتاب الرابع، فقرة 12-7؛ ويكفى أن نقوم بمقارنة فقرتين عند أريان Arrian لتوضيح ذلك: إحصاء جيش دارا Darius الكتاب الثالث، فقرة 3: 8-6 وتشكيله القتالي الكتاب الثالث، فقرة 3: 7-11؛ ومن الواضح أيضاً أن بعض الفرق العسكرية التي كان يتم

تنظيمها بشكل عرقي، كانت تعتبر غير مفيدة راجع الكتاب الثاني، فقرة 8-8؛ ولقد كـان الملـك الأكـبر يعتمـد في الأسـاس عـلى فـرق الصـفوة في الجـيش مثـل الفـرس والساكيين والباكتريين، ومن بين الفرق الفارسية كان الملك يعتمد أكثر على مجموعة معينة من الأفواج التي يثق بهـا ويعتمـد عليهـا بشـكل خـاص مثـل أقـارب الملـك والميلوفوروي الكتاب الثالث، فقرة 16-1، ديـودورس Diodorus ، الكتـاب السـابع عشر، فقرة 20-2؛ وبالإضافة إلى الفرس، كانت هناك بعض الفـرق العرقيـة الأخـرى التي تمتعت بمكانة مميزة في الجيش الملكي؛ ولقد عكس تجنيد الفرق الأخرى والتي كانت غير ذي أهمية عسكرية كبيرة اعتبارات سياسية كوينتوس كورتيوس، الكتـاب الرابع، فقرة 12-9، حيث كان غرض الملك الأكبر من ذلك هو إعطـاء انطبـاع بمـدى ضخامة إمبراطوريته انظر فصل 5-5 أكثر مما كان الغرض من تجنيـدهم يتمثـل في ضرورة استراتيجية؛ ولقد قدم الإسكندر Alexander صورة حية عـن هـذا الترتيـب الهرمي للشعوب الإمبراطورية في مأدبة أوبيس Opis : فأولاً كـان المقـدونيون، ثـم بجانبهم جاء الفرس، ثم أشخاص من الشعوب الأخرى من أصحاب المكانة العالية» أريان Arrian ، الكتاب السابع، فقرة 11-8؛ ومن ناحية، فإنه يبدو من الواضـح أن الإسكندر Alexander كان يتبع تقليداً أخمينيًّا مثل بويسستيس فـيما بعـد، ومـن ناحية أخرى، فإن هذا الترتيب قد تم تحديده تبعاً لمنزلة وولاء الشـعوب المختلفـة للإمبراطورية قارن تاسيتوس، الكتاب الثالث عشر، فقرة 54-2؛ وهكذا فـإن تكـوين وطريقة عمل الجيش الملكي توضـح المكـونين اللـذين تتكـون مـنهما الإمبراطوريـة: الوحدة، والتنوع، ولا يتعارض المكون الثاني في الضرورة مع المكون الأول .

ولذلك، فإنه يجب أن يتم التعامـل مـع شـعوب جبـال زاجـروس وبعض الشـعوب الأخـرى بشيء مـن الحـذر، حيـث إن العلاقـات بـين

الملك الأكبر والكوسيين والأوكسيين كانت غير عادية، ولقد أظهرت بوضوح أن تركيبة السيطرة الإمبراطورية كانت مرنة للغاية؛ ولقد كان هذا التنوع بعيداً عن أن يشكل عقبة في وجه سيطرة الملك الأكبر، حتى إنه ساعد على تعزيز وحدة الإمبراطورية وأثبت في الحقيقة مدى حماقة هجمات الإسكندر Alexander وأنتيوجونس Antiogonus ؛ حيث إنه نتيجة لأن الأخمينيين قد أدركوا حقيقة المواقف المختلفة، لم يحاولوا على الإطلاق فرض نظام مركزي للإدارة من النوع الذي نجده في الدول المعاصرة والتي تقوم على المبدأ القومي وهي الفكرة التي كانت غريبة تماماً على إمبراطورية متعددة الأعراق ومتعددة الأجناس؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإنه على الرغم من أن الوحدات العرقية قد احتفظت تقريباً بكامل مضمونها أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 24-5، إلا أن التغيرات التي حدثت خلال القرن الرابع لم تؤدِّ إلى الدفع بها في اتجاه الانفصال عن السلطة المركزية، بل على العكس من ذلك تم «إضفاء الخصائص المرزبانية» على بعض البلاد مثل كاريا وكيليكيا وليسيا؛ وفي الحقيقة ففي بديات الحملة المقدونية كان يحكم كاريا للمرة الأولى مرزبان فارسي أورونتوباتيس Orontobates ؛ وتشير فقرة بيروسوس Berossus الشهيرة حول إدخال بعض التماثيل الطقسية للإلهة أناهيتا Anahita إلى العواصم الرئيسة لإمبراطورية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 15-8 والذي يشير إلى أنه كانت توجد مناطق إدارية كبيرة؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن وجود مقاطعات عسكرية -دافعة للجزية في سهل سارديس- يظهر مدى تقدم عملية تقسيم الإمبراطورية في نهاية الفترة الأخمينية سارديس، الكتاب السابع، فقرة 1-1؛ وهذا أيضاً هو ما اقترحه استخدام ديودورس Diodorus لكلمة «إيبارخية» في إطار حديثه عن ميديا وإدوميا، وهو ما قد يشير إلى الوحدة الإدارية المعروفة في اللغة الآرامية بالإقليم مدينة .

ماذا عن الملوك/ الحكام الذين تركهم الأخمينيون في مناصبهم؟ يجب أن نتساءل حول علاقات التبعية التي كانت تربطهم بالسلطة المركزية؛ ولا يكفى أن نقوم بالتركيز على الثورات التي قاموا بها لحل المشكلات التفسيرية التي تواجهنا، وتظهر الحروب التي شنها أباطرة الفرس عليهم أن التحالف بين الطرفين القائم بينهما قد يهتز أو يضعف في بعض الأوقات، كما أن تلك الحروب لا تثبت أن هذه الممالك الثانوية قد ظلت مستقلة أو معادية تماماً على مدار التاريخ الأخميني؛ ولقد كانت هذه الممالك تشبه كثيراً «الممالك العميلة» التي كانت موجودة في الفترة الأخمينية أو «الممالك الصديقة» التي ساندت الاستعمار الروماني في إحدى مراحل التاريخ؛ وعلى أية حال، فلقد كان «التحالف والصداقة» فيليا كاى سيماخيا هما الأساس الذي اعتمد عليه أرتاكسركسيس Artaxerxes في إعادة فرض سلطته بعد الحملة الكادوزية بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes، 9-24 :5؛ وتوجد شواهد على هذه السياسة المتمثلة في «التحالف والصداقة» في كل من إيفيسوس أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 19-1 وصيدا ديودورس Diodorus ، الكتاب السابع عشر، فقرة 47-1: فيليا في عهد دارا Darius الثالث؛ ولقد دخل دارا Darius الثالث هو الآخر في علاقات تحالف مع الكادوزيين والساكا، واعتماداً على قوة هذه التحالفات طلب منهم تقديم فرق عسكرية لجيشه أريان Arrian ، الكتاب الثالث، فقرة 19-3؛ ويمكننا أن نسأل عما إذا كانت معاهدة «فيليا كاى سيماخيا» هي الشكل اليوناني الذي يوازي قسم الولاء أدولي الذي كان يفرض به الملوك البابليون أو الآشوريون الجدد هيمنتهم أو سيادتهم والتي كانت تتسم بالمرونة والتنوع الكبير ولكنها مع ذلك كانت ذات وزن وأهمية كبيرين؛ وفي الحقيقة، فإن هذه النظرية تتوافق مع بعض من البيانات التي لدينا، ونقصد بذلك تلك التي تتعلق

بالاجتماع السنوى كما عرضناه بالأعلى في فصل 16-11 الذي كان يُعقد بين الملك الأكبر أو ممثليه وقادة المجتمعات الأوكسية والكوسية؛ وعلى أية حال، فإنه من المؤكد أنه في إطار هذه السياسة الإمبراطورية التي نقلها هيرودوت Herodotus دون أن يفهمها بصورة كاملة في الكتاب الثالث، فقرة 15، قد يتدخل أباطرة الفرس في مسألة خلافة هؤلاء الحكام والملوك حيث إنهم لم يكونوا يترددون في إضفاء الشرعية على خلفائهم راجع بلوتارخ Plutarch ، أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقرة 14-1 أو حتى تنصيب ملك جديد يتسم بالتفانى الشديد في خدمة الفرس في حالة تمرد أحدهم؛ وهذه هي كل الطرق التي رأينا بالفعل أنها كان يتم اللجوء إليها بشكل منتظم خلال الفترة الآشورية الجديدة؛ وكنتيجة لهذه السياسة فإن صديق الملك كان يمثل ترساً من التروس في الآلة الإمبراطورية، والذي كان يتم دمجه بشكل أكبر في بعض الأحيان من خلال بعض التحالفات الزيجية مع ممثلين عن الطبقة الاجتماعية والعرقية المسيطرة راجع نيبوس Nepos ، داتاميس Datames ، الكتاب الأول، فقرة 1-3؛ زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الرابع، الفقرة 1: 1-15 .

ولكي نفهم بشكل أفضل الطبيعة الثنائية لهذه القوى المحلية -وعن طريق المقارنة- يمكن أن نوضح أنه في النقش المكتوب بلغتين والذي يعود إلى القرن التاسع والذي وجد في تل فخريى والذي كان منقوشاً على تمثال أحد الملوك السوريين، قام هذا الملك بتقديم نفسه باللغة الآرامية كملك، ولكنه كان يسمى حاكم «ساكنو» في النص الآشوري، ويذكرنا هذا المثال بالمبدأ الذي حللناه للتو وبصورة أكثر تحديداً بنقش زانثوس المكتوب بثلاث لغات؛ وهناك وجهان للمقارنة بينهما؛ يتعلق الأول بالعلاقة بين المرزبان وزانثوس، والصورة التي يملكها أهل زانثوس عن أنفسهم: ففي حين أنهم قدموا أنفسهم بشكل صريح على

أنهـم مجتمـع مـدنى بـوليس، إلا أن النسـخة الخاصـة بالمرزبـان في هـذا الـنقش جعلت المدينة مجرد قلعة بـيرت والتـي عـين فيهـا المرزبـان بكسـوداروس حـاكماً إيبيمليتيس؛ ولقد كان هذا الحكم يمثـل بكسـوداروس هـو والمفوضـين الأرخـونين اللذين تم تعيينهما من قبل المرزبان هم أيضاً، واللذين كانت لـديهما مسـؤوليات في هذه المقاطعة الليسية؛ أمـا وجـه المقارنـة الثـاني فيتمثـل في المكانـة المزدوجـة للمرزبان؛ فلقد كـان مرزبانـات كاريـا ولمـدة طويلـة ينتمـون إلى الأسرة الحاكمـة نفسها: منذ بدايـة القـرن الرابـع حتـى قـام دارا Darius الثالـث بتعيـين شـخص فارسي وهو «أورونتوباتيس Orontobates »، والذي كان قد تزوج قبل ذلـك مـن إحدى بنات بكسوداروس أريان Arrian ، الكتاب الأول، فقرة 23-8؛ وهكذا فإنـه يمكننـا أن نفهـم لمـاذا قـام المؤلفـون فـيما بعـد بإثـارة التسـاؤلات حـول المكانـة السياسية لرجل مثـل ماوسـولوس، «فتبعـاً لتوليـوس شيشـيرون، كـان ماوسـولوس ملكاً على كاريا، أو كما تقول الروايات اليونانية حاكم إقليم كاريا وهو مـا يسـميه اليونانيون مرزباناً بروفنسياى برافكتوس ساترابن جراسى فوكانت»؛ وإذا قارنا هذا النص مع النقش الذي تـم اكتشـافه في «تـل فخريـى»، فسـنجد أن هـذه الكلمـة تقابل كلمة «ملك»، في حين تقابل كلمة «برافكتوس ساترابيس» كلمة سـاكنو؛ وفي الحقيقة كان ماوسولوس كلاهما سـترابو Strabo ، الكتـاب الرابـع عشر، فقـرة 2-17، تماماً كما كان ممثلو أسرة الملك سنبلات ملوكاً على سامراء وحكامـاً أخمينيـين باستثناء أن كليهما كان في الإطار الإمبراطوري للممثلين المفوضين للسلطة المركزيـة حيث إن الألقاب التي يحملونها في الوثائق الرسمية هي: «مرزبان»، «حاكم»؛ ولا يعنى بالضرورة وجـود بعـض الأمـراء والحكـام «المسـتقلين» في منـاطق أخـرى أن السيطرة الإقليمية للسلطة المركزية كانت محدودة، كـما أنـه لـيس مـن الصـحيح

أيضاً أن معاهدة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني مع الملوك الكـادوزيين توضـح مدى «الانحطاط الأخميني»، وانكماش الأراضي التابعـة للإمبراطوريـة مثـل كريبـى خلال القرن الرابع على العكس من التفسير الذي يطفـو عـلى السـطح في الكتابـات التاريخية من آن لآخر، وعلى العكس من الحجم المتزايد للأدلة؛ ولا يمكننا بعد الآن أن نفسر اختيار بركليز حاكم ليميرا للقب «ملـك الليسـيين» عـلى أنـه علامـة عـلى تمرده على السلطة المركزية؛ وكما ذكرنا للتـو فصـل 15-7، فلقـد كـان إعلانـه هـذا موجهاً ضد منافسـه الموجـود في زانثـوس ولـيس ضـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني؛ ويمكننا أيضاً بهذه الطريقـة أن نـترجم التقاليـد المرتبطـة بملـك ليـديا أريـان Arrian ، الكتــاب الأول، فقــرة 17-6، وكاريــا ديــودورس Diodorus ، الكتــاب الخامس عشر، فقرة 90-3، وفريجيا أريان Arrian ، الكتاب الثاني، فقـرة 3، والتـي تم تناقلها حتى عهد دارا Darius الثالث .

وباختصار؛ فإن السلطة المركزية ربما كانت راضية تماماً عن السماح لهـؤلاء الملوك والحكام بمواصلة شغل هذه المناصب وأداء هـذه الوظـائف، وربمـا حتـى إنها قد استعانت بهم في فرض سيادتها الإقليمية؛ ولقد تم توضيح ذلـك بصـورة ممتازة من خلال حالة حاكم هراقليا التي تقع عـلى البحـر الأسـود الـذي خلـف أخاه في عام 338-337: «لقد زاد ديونيسيوس Dionysius مـن نفـوذه الإقليمـي أرخـى بسـبب الهزيمـة التـي أنزلهـا الإسـكندر Alexander بـالفرس في موقعـة جرانيكوس وهي الهزيمة التي سمحت لكل من كان يرغب في توسيع نفوذه عـن طريق الاستفادة من هذا التراجع للقوة العسكرية الفارسـية والتـي كانـت حتـى ذلك الوقـت تحـول دون تحقـيقهم لـذلك» ممنـون؛ وهـذا الـنص -الـذي يقـدم التفسير الخـاص بأحـد المـؤرخين المحليـين- سـاند منظـوراً مناقضـاً تمامـاً للفكـرة التقليديــة عــن «الانحطــاط الأخمينــي»، حيــث إن ممنــون ذلــك المــؤرخ

المنتمى إلى هراقليا قد عزا بشكل صريح العملية التي حصلت بها الأقاليم على استقلالها إلى الصدمة التي سببها الغزو المقدوني، والتي تسببت في زعزعة السيادة والسيطرة الأخمينية بشكل خطير، وهي السيطرة التي اعتبرها المؤلف ضمانة دائمة على تحقيق التواصل الإقليمي والصلابة الإمبراطورية.

الفصل السابع عشر

الملك العظيم وجيوشه وكنوزه

1- تولي دارا Darius الثالث الحكم من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث إلى دارا Darius الثالث ديودورس Diodorus ، وباجواس Bagoas .

إن إحدى الأسباب التي تبرر إضعاف السلطة المركزية هي تعدد المدن التي تستقر بها العائلات الملكية، وكذلك الاغتيالات، وهناك مثال واضح، وهو اغتيال دارا Darius الثالث، ونبدأ ببحث هذه الفرضية السابقة من جهة صحتها أو عدمه، ومن أجل الوصول إلى حكم صحيح لا بد لنا من الرجوع إلى الماضي لسنوات عديدة ينقسم المؤلفون التقليديون في آرائهم بخصوص رصد وقائع فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ولكنهم أقل خلافاً بخصوص ظروف موته الوحشية، وهنا تظهر شخصية باجواس Bagoas كمحور للأحداث، تلك الشخصية التي قدمها ديودورس Diodorus في كتاب 26 كما يلي: «لقد ارتفع إلى هذه السلطة بسبب كونه شريكاً لمنتر Menter إلى درجة أنه أصبح سيداً للمملكة، ولم يجرؤ أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث على أن يقوم بفعل شيء دون مشورته، وبعد موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث فقد بسط باجواس كلمته في كل الأمور وتمتع بوضع الملك ماعدا اللقب فقط .

وقد التزم ديودورس Diodorus بالعودة إلى باجواس في الكتاب رقم 17 في بيان مخصص للتاريخ الحديث للأسرة الأخمينية المالكة، وقد أكد أن شخصية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث المعقدة العنيدة قد جلبت له الكراهية من الشعب الفارسي، ثم يقدم شخصيته كإنسان غير مكتمل الرجولة، ولكنه شرس في الناحية العسكرية، حيث قال: «لقد تم دس السم للملك بمعاونة طبيب، ثم أمر بقتل أولاد الملك المقتول ما عدا أرسيس Arses الذي من المحتمل تحول اسمه إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتبعاً لرواية ديودورس Diodorus ، فإن باجوس Bagos الوحشي قد افترض أن الشاب الملكي سوف يكون سهل الانصياع لأوامره ولكن لم يتم ذلك، وفي الوقت نفسه الذي كان الملك يخطط فيه للتخلص من باجوس Bagoas ، فقد لجأ مرة أخرى إلى الاغتيال، فقد قام بقتل آرسيس Arses وأولاده بينما كان لا يزال في السنة الثالثة من حكمه، فقد اختار أحد أفراد عائلة دارا Darius وهو أحد أفراد البلاط، وقام بتأمين العرش له، واستمراراً لطريقته الوحشية فقد حاول الإطاحة به عن طريق قتله بالسم لكن الخطة تسربت أنباؤها واستدعى الملك باجواس Bagoas وطلب منه شرب النخب الذي أعده هو مسبقاً للملك، وأجبره على أن يشرب سمه .

وغالباً ما توجد هذه الرواية بطريقة أقل دقة في التحديد، ولكن مازالت منسجمة مع الروايات الأخرى، واغتيال أرسيس Arses بعد سنتين من حكمه بدون تحديد الاسم هي نص بابلي مشهور فيما يسمى بالنبوءة الملكية الذي يحدد وجود الاغتيال .

2- عدم شرعية دارا Darius الثالث:

الرؤية المقدونية:

هناك تفسير في أحد الاتهامات الموجهة لدارا Darius الثالث وهو

متضمن في الخطاب الذي أرسله إلى الملك العظيم بعد المفاوضات الأولية الدبلوماسية الفارسية في أعقاب معركة إيسوس Issus وهذا التقرير -بصرف النظر عن درجة الشك فيه- يمثل بياناً رائعاً للدعاية المقدونية، حيث حاول الإسكندر Alexander ومديرو الاتصالات أن يشرحوا المظاهر الاستعمارية للملك المقدوني، وفي الحقيقة فإن المظهر الموجه للدعاية لهذا النص هو ما يجعله موضع الاهتمام، وفي نسخة أريان Arrian ، نجد الاتهام التالي ضد دارا Darius : «لقد قمت باغتيال أرسيس Arses بمساعدة باجواس، وقمت بالاستيلاء على العرش بلا حق، وقمت بانتهاك فعلي للقانون الفارسي وإيقاع الضرر بالفرس».

وبناءً على تصوير الدعاية المقدونية، فإن دارا Darius الثالث كان مُلكه غير شرعيا بناءً على ثلاثة معايير: 1 أنه قد سلب المُلك وخرق القانون الفارسي. 2 أن هذا كان على خلاف رغبة الفرس. 3 أن المعارضة الفارسية قد أثبتت من خلال سلوكها فيما بعد انحيازها للإسكندر Alexander بالقتال إلى جانبه، وبالإرادة الحرة، وهكذا فإن العيوب التي التصقت بدارا Darius قد نزعت منه الشرعية، وهكذا فقد دعم الآلهة، وهكذا وجد هذا الحوار توافقاً من نوع غريب، فدارا Darius الثالث له الحق في عرض فشله في اتخاذ الأسلوب القانوني الصحيح للوصول إلى السلطة بالطريقة الصحيحة، كما عبر عنها كل من بيهيستون Behistun ورستم Rustam ، وهذا الأسباب هي: 1 لم يستطع إثبات النسب الملكي لمن سبقه. 2 لم تثبت لديه فضيلة الجندية الصحيحة. 3 تخلى عنه أتباعه المخلصون وكذلك الآلهة، ومجمل ما سبق أن دارا Darius الثالث قد فقد شرعيته بالطريقة نفسها التي نفذها دارا Darius الأول مع جوماتا Goumata .

ويوجد الاتهام نفسه في خطبة أوردها كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius عن الإسكندر Alexander في 330، وكان نصها كالتالي: «لم

يقم حتى دارا Darius بتولي حكم الفرس بحق التتابع الملكي، ولكن سُمِح له بالحكم بفضل باجواس Bagoas الشرير حتى يخلو له الحكم».

وحتى بالرغم من أن هذه الخطبة وضعت في الكتب بعد موت دارا Darius ، فإن المغزى هو أن هذه الكلمات تتوافق مع ما سبق ذكره، وهذه الدعاية هي التي مهدت للإسكندر عندما حل باسترابو Strabo انظر: Diodorus XVII 17.2, Arrian 1.11.7 Justin XI5.7 .

حيث أشار مباشرة إلى عدم شرعية تولي دارا Darius الثالث للحكم كملك، ونضع في الحسبان أن حكم الفرس يتم بالتسلسل الوراثي الملكي، وقد واصل التأكيد نفسه بقوله: «1 إن خلفاء دارا Darius كان آخرهم أرسيس Arses الذي ذبحه باجواس الامخصي الذي عين ملكاً آخر وهو دارا Darius الذي لم يكن منتمياً إلى الأسرة الملكية، والمعنى نفسه نجده عند ديودورس Diodorus : «بعد اغتيال أرسيس Arses أصبح البيت الملكي خالياً، وانقرض أفراده، ولم يوجد من يرث أو يحتفظ بالمركز الملكي الأسري، وهذا هو مبرر باجواس لأن يحضر أحد أصدقائه وهو دارا Darius لتولي الحكم، وأخيراً فإنه من وجهة نظر بعض المؤرخين فإن الاتهام بعدم الأهلية الملكية يؤكد تواضع خلفية دارا Darius ، فقد كان عبداً وأحد أفراد حاشية البلاط الملكي.

3- تولي دارا Darius للملك:

الرؤية الفارسية:

لدينا فرصة سانحة نادرة لمناظرة رؤية مغايرة تستقى من المعسكر الفارسي من جوستين Justin وديودورس Diodorus وهو ما يقدم كلا المنظورين جنباً إلى جنب، وهما متعارضان تماماً: فقد تولى دارا Darius الحكم بسبب إظهاره لشجاعة غير مسبوقة، ففي أثناء إحدى حروب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ضد الكادوسيين Cadusians

كان دارا Darius الملقب بكودومان Codoman هو الجندي الوحيد حول الملك، والذي استطاع التصدي لتحدي أحد جنود هرقل الأقوياء، حيث تغلب عليه في المبارزة الفردية، واسترد لشعبه المجد والنصر الذي كاد أن يتلاشى، وبسبب أعماله العظيمة فقد كرمه الملك بالهبات السخية والعطايا، وبين الفرس كان أشجع الجنود، وحسب رواية جوستين فقد منح قيادة الإمارتين في أرمينيا، وفي رواية كل من جوستين وديودورس وبالألفاظ نفسها، قرروا أنه عندما مات أوكاس Ochus ارتقى دارا Darius العرش بسبب شجاعته الفائقة التي لا تنسى، حتى إن الشعب أعطاه لقب دارا Darius مكافأة له على هذه البسالة.

ومن السهل التوصل إلى أن الدعاية الفارسية تتوافق تماماً مع الدعاية المقدونية، أو أن الدعاية المقدونية لم تكن هي رد الفعل المناسب لدعاية دارا Darius بعد اعتلائه العرش كما سوف يتضح فيما بعد، ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة لهذا الموقف، وما نتناوله هنا هو إحدى السمات المشتركة لتبرير الملكية في الفترة الأخمينية وهي الشجاعة الشخصية في الحرب، وهي إحدى الأنماط المتكررة التي يقدرها الفرس -وخاصة الإيرانيون- كسبب لتولي الحكم؛ ولهذا لم يشر المؤرخون السابقون إلى مؤامرات باجواس، أو إلى عدم التسلسل الأسري الملكي بل قفزوا إلى قول: «عندما مات أوكس Ochus انتقلت السلطة بصورة عادية إلى دارا Darius كودمان Codoman .

دارا Darius الثالث والعائلة الملكية الأخمينية:

يمكننا بوضوح تفضيل رؤية عن أخرى من النسختين الفارسية والمقدونية السابقتين؛ لأن كليهما استهدفت الدعاية بأن شجاعة كودومان هي أحد أسباب توليه الملك، لكن سلسلة أعمال الاغتيالات واتساعها تعد حقيقة تاريخية، وبدلاً من ذلك، دعنا نبدأ بدراسة النصوص التي تمثل الأصول المتواضعة للملك الجديد، وهنا تبرز أهمية

نص Aelian ، وهي في الحقيقة تسلسل للقادة والملوك الذين ارتقوا السلطة من العدم، وهكذا تتوافق مع أحد الأغراض المتكررة لأدبيات الملك في الفترة الهلينية عندما يقوم المؤرخون بمقارنة أوضاع الملوك الذين يرثون الملك في مقابل الملوك الذين أتوا من عامة الشعب حتى إن أفلاطون Plato أكد أن دارا Darius الأول بالمقارنة مع قمبيز Cambysis وكسركسيس Xerxes استطاع أن يظهر الفضائل من الأعمال بسبب عدم كونه ملكاً ورث الملك، وبالمثل تحدث المؤرخ هيرودوت Herodotus Herodotus عن دارا Darius الأول قبل اعتلائه العرش، وأطلق عليه لقب الطيب .

وهذا لا يعني تماماً أن دارا Darius أتى من العدم تماماً؛ لأنه كان يعيش في مصر، وكان حامل الصولجان لقمبيز Cambysis ، ونجد أنه في قائمة Aelian لمن تولوا الملك بلا وراثة أنه كان أحد رعايا البلاط الملكي؛ لأنه كان أحد أفراد المراسلة، وهذا كان لقبه في البلاط، وكان يتمتع بمكانة اجتماعية بسبب الرداء الخاص الذي كان يرتديه انظر: Plutarch, Alex, Maralia .

والشك في أنه كان أحد أفراد البلاط أو أنه لم يكن شيئاً مهمًّا أتى من الدعاية المضادة، وباختصار فإن دارا Darius الثالث الذي ولد حوالي سنة 380 كان جزءاً من الدائرة الملكية الداخلية منذ نهاية حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأثناء حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وهكذا يخرج دارا Darius من دائرة المجهول إلى كونه صديقاً لباجوراس الذي أتى به إلى السلطة الحاكمة ومن ناحية أخرى، فإن عدم أهلية دارا Darius للحكم لانقطاع النسب الأسري الملكي ترجع فقط إلى الدعاية المقدونية، وهي مجرد روايات معظمها خيالي، حيث يقرر ديودورس نفسه أن دارا Darius كان «ابن أرسانيس Arsanes ، وحفيد أوستانيس Ostanes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes

الثالث، وهو بهذا كان ابن عم لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، حيث أن دارا Darius الذي تزوج أخته ولو أنه انتسب للأسرة المالكة والقانون الفارسي الذي أشار إليه الإسكندر Alexander يعكس تفسيراً منحازاً لأسلوب التسلسل الملكي للحكم، ذلك الذي كان سائداً في الحقبة الأخمينية، وفي الحقيقة فإن التسلسل الذكوري لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث يصل بنا إلى بيثانيس Bisthanes الأخ الأكبر غير الشقيق لأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، وعندما مات أرسيس وأولاده، لم يكن البيت الملكي محدوداً بأولاده، مما كان يماثل الموقف الذي ساد بعد أفول ملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، حيث قد اغتيل بعدها بوقت قصير، ومن أجل تحديد الملكية بالأسرة الحاكمة، انتقل الحكم إلى ابن غير شرعي للملك المتوفي أخ غير شقيق لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الذي استولى الذي استولى على الحكم من أخيه غير الشقيق سوجدينانوس Sogdianus ، واعتلى العرش، وقد سمى نفسه دارا Darius الثاني، وبالنظر إلى القانون الفارسي وبالتحديد إلى سلوك التتابع الملكي الأخميني، كان دارا Darius الثالث شرعيًّا تماماً.

العنف والمؤامرات:

هناك اتهام آخر مقدوني يشير إلى أن دارا Darius الثالث اعتلى العرش عن طريق العنف وضد رغبة الفرس، وفي الحقيقة فإن الألفاظ التي استخدمها أريان Arrian تعكس عدم اليقين منذ البداية، والتناقض بين العنف والمؤامرات في الحقيقة يتكرر دائماً في النصوص الهلينية التي تميل إلى نزع الشرعية من أي منافس للتقاليد المقدونية، وهذا الاتهام ليس يونانيًّا، فلنتذكر -على سبيل المثال- أن نابونيدوس القبرصي مدان بسبب سوء معاملة البابليين، وكذلك Nabonidus جاوماتا Gaumata لا يحظى بالشرعية في بيهيستام Behstum بسبب العنف ضد هذا

الغرض، ولكن -بقلم أريان- فإن الاتهام يأخذ اللهجة المقدونية لأنه في أثناء المناظرة هذه، وعن التسلسل الأسري الملكي تذكر كاليثينا Callisthenes أن ملك مقدونيا يجب أن يحكم ليس بالقوة ولكن بالتوافق مع عاداته ورضائه .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن المؤامرات الفارسية في هذه الفترة ليست ذات أهمية كبيرة حيث إن قليلاً جدًّا من ورثة الملك لم يظهروا على مسرح الأحداث بدون متاعب، كذلك فإن البلاط الملكي يشهد العديد من الخطط والمناورات من أجل ترشيح شخص وحيد ليكون هو من يتولى الملك.

فقد تم اغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وسبعة ملوك بارديا Bardia وكسركسيس Xerxes الأول وكسركسيس Xerxes الثاني سوجدينانوس Sogdianus وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، ودارا Darius الثالث، ويضاف لهم دارا Darius الابن الأكبر لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني الذي ادين بالتآمر على والده وتم اعدامه. والقسوة المفرطة التي تنسب إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث من قبل المؤرخين القدامى لا تبدو أنها منسوبة إليه فقط، ويتفرد بها حيث يجب أن نضع في الحسبان تواصل عمليات القتل التي تفشت في أسرة هايدرنيس Hydarnes التي بدأها كل من دارا Darius الثاني وبارياتيس Parysatis انظر: فصل 6/14.

وسواء كنا ندين هذا العمل أم لا، فإن هذه ليست قضية البحث، ولكن القضاء المادي على الخصوم والمنافسين المفترضين كان جزءاً لا يتجزأ من ممارسات الحكم في هذه الفترة، فقد أراد ستيسياس Ctesias بصفة خاصة أن يؤكد القسوة والوحشية للعقاب وعمليات الإعدام التي كانت بالفظاعة نفسها التي قام بها دارا Darius الأول ضد بعض من

كذبوا بادعائهم المُلك، وعلاوة على هذا فإن شرعية حكم الملك الذي استولى على العرش من خلال الدم والحديد لم تكن في الواقع محل شك بسبب هذا، كما وضح بمثال دارا Darius الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، ودارا Darius الثاني، وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، فقد كان لزاماً أن يقوم الملك بفعل ما ينبغي عليه لتأكيد ملكه، وهو أمر يقل فيه شأن المؤامرات، وتهم به النتائج المحققة في المجال السياسي والعسكري، وهذه السلطة يمكن فيما بعد منازعتها إذا لم يحط الملك نفسه بمجموعة مؤيدة له من الصفوة الفرس من الممكن أن يساندوه، وهذه خلفية عن التبرير الذي ساقه الإسكندر Alexander للطعن في شرعية حكم دارا Darius الثالث: «لقد قهرت في الحرب كل من قادتك ومن يتبعهم، وقهرتك أنت شخصيًّا، ونزعت منك قوتك، وأنا أتحمل المسؤولية عن كل جنودك الذين لم يقتلوا في ميدان المعركة، والذين استسلموا باختيارهم الحر، وتطوعوا بالخدمة تحت قيادتي» أريان 147 II ، وهذا يؤكد على أحد عناصر الدعاية المتكررة التي صاغها قورش Cyrus ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 2/15 والمقارنة بين الحدثين تؤكد شكنا في مقالة الإسكندر Alexander لصالح شرعيته الملكية، فلا بد أن نلاحظ أن الإسكندر Alexander ذاته لم يكن في وضع يسمح له باستخدام هذا السلاح نفسه؛ لأن توليه العرش كان مصحوباً بالتطهير الدموي لنبلاء مقدونيا، وعمليات التطهير تلك لم تكن أقل دموية مقابل السجل الفارسي في هذه الناحية حتى إن دارا Darius الثالث سعى لانتهاز هذه الدموية وعمليات القتل لحبك المؤامرات في معسكر أعدائه .

دارا Darius وباجواس:

تبقى إحدى النقاط التي سيقت ضد دارا Darius في حاجة إلى بحث، وهي أنه أصبح ملكاً بسبب رفع باجواس له إلى مقام العرش،

حيث وصف ديودورس Diodorus باجواس بأنـه الـوحش المقاتـل وغـير مكتمـل الرجولة المخصي XVIi5.3 ، وهي كلـمات تشـمل التصـوير والسـباب الشـديد لـه، وكما رأينا فإن لفظ غير مكتمل الرجولة يحرم الشخص المدعى عليه مـن أن يكـون إنساناً بمعنى الكلمة في نظر المؤلفين الإغريق، وتظهـر النبـوءة الملكيـة أن بـاجواس كان يحمل لقباً ترجمه المؤلفون اليونانيون تلقائيًا إلى هذا اللفظ السابق، ولكنه في الواقع كان شخصية مهمة في البلاط الملكي؛ لأن ديـودورس Diodorus Diodorus سـماه «الأكـثر إخلاصـاً مـن أصـدقاء الملـك»، وهكـذا كـان مستشـاراً مميـزاً لأرتاكسركسيس الثالث، وإذا كان ستيسياس Ctesias مضطراً لـذكر اسـم بـاجواس، فإنه كان سيستخدم الصفة التي يحسب أن تلصق بـه، وهـي «أكـثر شـخص مـؤثر وغير مكتمل الرجولة بالنسبة لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسـيس Artaxerxes الرابع»، ولكن على العكس من ذلك، فإن ديـودورس Diodorus قـد استخدم كلمات تصف ترقية باجواس بعد الحملـة المصريـة بطريقـة مغـايرة تماماً تشيد بقوته وشجاعته العسكرية، ويحدث التوازي بسـبب المصـدر الـذي لا يتسـم بالحيادية وهو بالتأكيد إلفوراس Ephorus الذي كان يميـل إلى المبالغـة في تصـوير مركز روديان مينتور Rodian Mentor وتقليل السلطة الملكية، حيث إن مينتور لم يكن أبداً القائد الأساسي المسؤول عن آسيا الصـغرى، وأن مركـز القيـادة في الجـيش غير مؤكد نسبه كذلك إلى باجواس .

والمركز الرسمي الوحيد الذي شغله بـاجواس هـو كونـه مستشـاراً، وفي هـذا المركـز فقد استقر في بابل، حيث سنحت له الفرصة لتنظيم وتنفيذ مؤامرة ضد الملـك، ولا يوجـد دليل يثبت أنه الوحيد المشترك في تلك المؤامرة في كل مرة، وعلاوة عـلى هـذا فـإن تقـديم ديودورس Diodorus له على أنـه يعطـي انطباعـاً بكونـه بالفعـل سـيد المملكـة وصـانع

الملوك لا يجب أن نبالغ فيه، وعند مقارنة بلوتارخ Plutarch بدوره المفترض مع دور أتوسا Atossa في تولي كسركسيس Xerxes للملك، وهي مقارنة تسبب تشتتاً للمؤرخ الحديث، وفيه يواصل قوله بأنه يواصل دوره كمتحكم في المملكة، حيث يستولي على المملكة الفارسية ويمنحها لكل من أوارسيس Oarses ودارا Darius Marakia 331 ، وهذا التقديم لا يكاد يوجد لدى المؤلفين القدامى الذين قرروا أن تولي كسركسيس Xerxes كان هو محور المؤامرة وقلبها، وهو سبب تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول للملك، ولكن يزعم بعض اليونانيون أنه شخصيًّا كان لديه الطموح للملك بالرغم من أن إدارة المملكة لصالحه الفصل 10/13، ولدينا انطباع بأن التفسير الذي نحن بصدده كان شائعاً في اليونان، وكان محدداً بسلسلة من الأنماط المتكررة، وأحد هذه الأنماط هو استخدام السم، فقد قام باجواس بتسميم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بمساعدة طبيب دارا Darius الثالث، حيث قدم له الكأس التي كان ينوي «الاملخصي» تقديمها له ديودورس Diodorus XBII503 ، وبناءً على تكرار طريقة ونمط تقديم السم في البلاط الملكي الأخميني، فإنه من المدهش أن ديودورس Diodorus يقدم الملابسات التي تجعل من التخلص من باجواس عملاً أخلاقيًّا، حيث عاقب المتآمر بقدر جريمته، وحتى باريساتيس Parysatis يقال إنها دست السم لأخت زوجها عندما قدمت لها الطعام انظر: بلوتارخ Plutarch 19-2 ستيسياس Ctesias .

إن اغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث يوحي لأول وهلة بوجود معارضة للملك، وهذا ما يقدمه ديودورس Diodorus بطريقته الخاصة بتأكيد الكراهية التي تفشت ما بين الفرس تجاه فظاعته، مما أوجد منافسة له داخل البلاط الملكي؛ ولهذا، ولسبب غير معلوم لنا، فقد اختارت إحدى هذه الجماعات تأييد أصغر الأبناء أرسيس Arses ،

وفي هذا الإطار نواجه أحد الأنماط المتكررة، للصراع الملكي داخل الأسرة الحاكمة وهذا سوف يتضح في نهاية حكم دارا Darius الثاني، وفي السنوات الأخيرة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وهناك احتمالات أخرى مفتوحة للتفسير، حيث يمكن أيضاً تصور أن أرسيس كان طموحاً للسلطة، وأظهر نفسه كمرشح لها في نظر باجواس تماماً مثلما فعل أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول عندما تلقى مساعدة المستشار أرطبانوس، ولكن في الحقيقة لا يمكن ترجيح أحد هذه الاحتمالات، حيث لم توثق فترة حياة أرسيس Arses قبل اعتلائه العرش، وهل كانت توجد معارضة لابن آخر قد يكون نال الترشيح للملك وكان وليًّا للعهد؟ وعلى أية حال، فإن القضاء على إخوة الملك الجديد لا يمكن أن يتحمل وزره باجواس فقط، حيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع أشرف على القضاء على منافسيه، ومهما يكن الأمر لم يثبت قطعيًّا أنه كان ألعوبة في يد مستشاره؛ لأن ديودورس Diodorus نفسه ذكر أن الملك الشاب كان لا يسمح لباجواس أن يحكم وحده حتى إنه قد خطط للتخلص منه، وهذه كانت الظروف التي جعلت من أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع نفسه ضحية لها.

وقد حمل ديودورس Diodorus المسؤولية لباجواس وحده، حيث قيل إنه يتسم بالوحشية المعتادة، وهذه الصفات تبدو مناسبة لما يتسم به هذا الشخص غير مكتمل الرجولة المحارب المتوحش بلوتارخ s3 ، وعلاوة على ذلك، فإن هذا الوصف ينطوي على صفة مشينة، حيث يوحي بفكرة الانحطاط، ولكن، ورغم اختصار الفكرة، فإنها غير مقنعة أكثر من ادعاء بلوتارح الذي يرع تولي العرش لكل من أوكاس Ochus الثالث [أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث] «للعنف والوحشية وامتزاج النزعة الدموية بالخيانة» في شخصية باجواس، ولكن في الحقيقة، أن ارتقاء أوكاس لأعلى المراكز كان نتيجة لاستراتيجية محكمة، حيث إنه

اعتاد اجتذاب المهرة وذوي الولاء، عند هـذه النقطـة نـذكر أن العبـارات الوصـفية التي ترتبط بأجداد وأقارب أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، والتـي تتمثـل في صفات شخصية دارا Darius الثالث .

حيث إن الابن الباقي عـلى قيـد الحيـاة بثرانـيس Bisthranes طبقـاً لأريـان يدعى «ابن أوكـاس وخليفة دارا Darius الثالـث» ولم يـذكر أرسـيس Arses في أي من هذه الحالات، حيث أصبح بوضوح ضحية لعنة النسيان في بلاط دارا Darius ، وهو الذي أراد -فيما يبدو- أن يرتبط مباشرة بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالـث، مما يوضح سبب نقل الرؤية الفارسية قبل جوستين X.3.5 ، وقـد خلـف كودومـان Codoman أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بدون القيام بحـل قضـية الخلافـة في الحكم، وفي الإطار نفسه، هناك دليل آخر معارض لذلك، وقبـل كـل شيء، وبنـاءً على حركة التطهير الواسعة التي قام بها أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث فـور خلافته جوستين Justin X.3.1 ، فإن الفرع الآري الذي انتمى إليـه دارا Darius لم يتأثر بذلك التطهير، ومما يجعلنا نميل إلى اسـتنتاج أن أصـول دارا Darius الأسريـة كانت تتماشى مع أوكاس جنباً إلى جنب، بالإضافة إلى أن أفرادها بما فيهم من سيأتي بعـد ذلـك ليكـون دارا Darius الثالـث، وقـد ظلـوا في قصر أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث كمؤيدين متحميسن للأمير أوكاس بلوتارخ 262، وهذا يـذكرنا بالأسـاطير الملكيـة التـي تخلـد دارا، ففـي أثنـاء إحـدى حمـلات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث أن دارا كودومـان قـد أظهـر الشـجاعة في مواجهـة القبارصـة، والتي كرم بناءً عليهـا مـن قبـل الملـك الحـاكم ديـودورس Diodorus XVII5.1 ، وهذا يقودنا إلى أن اللقب ذي المكانة الذي ناله في البلاط، والتميز الذي تمتـع بـه قبل اعتلائه العرش قبـل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث كـان بسـبب العـون الذي قدمه للملك عند وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني 359-358 .

لو صدق قول جوستين من أن دارا Darius الثالث كان مرزباناً لأرمينيا عند موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، فقد كان له أساس وأرض يستند عليها، وقوات عسكرية يسيطر عليها، ولو صدقت هذه النظرية فإن بإمكاننا مقارنة موقف أوكاس/ دارا Darius الثاني الذي كان حاكم إقليم هيدكانيا عند موت أبيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول تبعاً لرواية ستيسياس Ctesias ؛ ولذلك فإن مسألة وضع باجواس لدارا Darius على العرش مع دعمه ضد منافسيه تصبح محل شكل، وقد اعترف الإسكندر Alexander نفسه في خطابه بأن دارا Darius هو الذي قتل أرسيس، وأن دور باجواس كان التواطؤ لا التنفيذ الفعلي، وبالتالي لم يكن دارا Darius الثالث ألعوبة في يد باجواس كما كان أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول أداة في يد أرتابانوس، ومن الأفضل لديودورس Diodorus أن يقول إن ديودورس Diodorus كان صديقاً لدارا Darius كما كان قريب من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع، وهكذا، ولمدة 44 عاماً كان أحد أعضاء الدائرة الضيقة القريبة من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، بل كان الرأس المدبر لما يسمى بالمؤامرة، وعند نجاح المؤامرة، قام بالتخلص من الوسيط باجواس الذي ربما كان يمثل عبئاً زائداً عليه .

الملك العظيم الجديد:

إن التقليد الذي يقدمه ديودورس Diodorus XVII5.6 لا يقدم إلا تعزيزاً لمكانة دارا Darius ؛ لأن الملك نفسه هو الذي قام بقتل مستشاره وبلا شك، فإن هذه القصة الجميلة تم اختراعها من البداية إلى النهاية بواسطة أفراد الدعاية الملكية، وهكذا نفهم لماذا اعتقد دارا Darius أن هذا القتل سوف يكون بمثابة عمل أخلاقي؟ ولكن ديودورس Diodorus الذي كان يعتمد على التقاليد الفارسية تمسك بالعبارة الحرفية معتقداً أنه يضيف إلى ذكرى دارا Darius وليس لباجواس، والتزاماً بالقاعدة التي

تنص على أنه بعد الصراع على الملك، يتم ترويج قصة كلاسيكية في البلاط الملكي ونشرها تلك التي تصف كيفية التغلب على الخصوم والوصول إلى الحكم، وهؤلاء الدعائيون قد نسبوا إلى دارا Darius -كما فعلوا مع من سبقوه- المظهر الملكي الجسماني، حيث قالوا إنه كان أطول وأجمل إنسان في عصره بلوتارخ 21.6 .

أخيراً من المؤكد أن دارا Darius الثالث قد مر بالإعداد الملكي بالطريقة المعتادة، حيث ارتدى شخصية وعباءة الملك حتى قبل توليه الحكم كما فعل قورش Cyrus ، وهذا الحدث يفسر لنا مغزى الحكم الذي نسبه إليه بلوتارخ 18.7، وهذا ما يقوله بلوتارخ بالضبط، حيث يذكر إن باجواس «قد نزع عنه الإمساك بالحكم وتولى مسؤولية خدمة البلاط الملكي، وكذلك صيانة كل ما هو بالقصر «وهذا حدث عندما تخلى عن اسمه القديم واتخذ اللقب الملكي دارا Darius »، وبالرغم من أنه ينسب إليه اسم كودومان ولا نعرف لماذا؟ يقدم جوستين أيضاً هذه المعلومة: «لقد كرمه الشعب بلقب دارا Darius حتى لا ينقصه شيء من العظمة الملكية» X3.5 ، ومن الجدير بالملاحظة أنه لم يتخذ اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ لأنه طبقاً لديودورس Diodorus «أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كان حاكماً جيداً، وأن الفرس قد غيروا أسماء من خلفوه حتى يكونوا جديرين بحمل هذا الاسم النبيل، «ونتساءل هنا إذا ما كان الملك الجديد الذي يلي دارا Darius الثاني أراد أن يثبت باسمه الملكي أنه مثل دارا Darius الأول، كان يعمل على تأسيس نمط مستمر من الشرعية ينتسب إلى أسلافه السابقين وهم الأسرة الملكية، وأن له شرعية خاصة، ولكن لو حدث هذا تكون طموحات الملك محدودة.

تولي دارا Darius الثالث الحكم في التاريخ الملكي الأخميني:

وهكذا نرى أنه من المستحسن أن نتناول بحذر وبشك النصوص شبة الشرعية التي تسجلها كل من الكتابات الأخرى مع خطاب الإسكندر

Alexander لظـروف ارتقـاء دارا Darius العـرش، وبـالطبع لم يكـن أريـان هـو الوحيـد الـذي أشـار إلى الأصـول الفارسـية للحكـم، وكـذلك أشـار هـيرودوت Herodotus إلى هذه الأصول التي كانت تتطلب من الملـك أن يرشـح وليًّـا للعهـد قبـل الشروع في حملـة عسـكرية VII2 ، أشـار هـيرودوت Herodotus إلى أصـول الحكم الفارسية، ويدعى أن الامخصي له حـق المطالبـة بـالحكم III2 وتبعـاً لهـذه الأصول فإن ديمـاراطوس VIII3 وباريـاتيس بلوتـارخ S4.2 وأتبـاع دارا Darius أو الابن المنتظر للحكم أن يتولى العرش، وتوضح ظـروف تـولي العـرش لـدارا Darius الثاني وأرتاكسركسيس Artaxerxes المدى الذي تصبح عنـده تلـك المنـاظرات غـير ذات مغزى وعبثية، ويوجد وراءها طموحات متعارضة تنتهـي إلى تقريـر مـن هـو الملك الحـاكم، أو قـرارات الحـرب وصـمام الأمـان ضـد التهديـد بـانقلاب في الأسرة الحاكمة هو تسمية ولي العهد بلوتارخ 26 .

غالباً ما يحدث به انشقاق أو يحدث له تهديد بواسطة الطموح الشديد لأحد الأبناء الشـبان الـذي ينتابـه الغضـب لحرمانـه مـن هـذه القـوة والمركـز المطلـق مثـل بارديـا Bardiya وقـورش Cyrus الأصـغر وأوكـاس Ochus ، والسبب الأصلي لهذا الموقف لا يصعب على الفهم، فالمملكة الفارسـية لم تكـن عـلى النظـام الملـكي الدسـتوري دون التحديـد الـدائم المكتـوب لقواعـد تـولي السلطة التي تطبق بصرامة فيما يشـبه المحكمـة العليـا، وهـو مـا سـيجرنا إلى الأسلوب الروائي في سرد أحداث التاريخ: حيـث إن مـبررات دارا Darius الأول لسلطته كما رأينا في الفصل 1/3 لم تنبع من حق التتابع الملـكي المسـتقر طـوال العصور، ولكنه ينبع فقط من النصر الذي حققه والذي أسـس لادعائـه الملـك، تلك التي لا تحرك ساكناً بالنسبة لمن ألفها والشيء نفسه ينطبق أيضاً عـلى دارا Darius الثالث؛ لأنه كان ملكاً ينتمـي إلى البيـت الملـكي بـدون أن يكـون مـن

المتعين عليه إظهار أية مؤهلات لذلك، ولو كانت توجد معايير للملكية المطلقة كما ذكرها أرسطو Aristotle فلن تكن لها قوة قانونية فيما يتعلق بسلطة الحكم أو علاقات السلطة بالنسبة لمنافسيه، وهنا، وفي أكثر من موضع كما في الفصل 8/12 فإن تقديم المعايير كالقانون تعكس أثر نقل غير حيادي للأحداث، وبالنسبة لدارا Darius الثالث، فإن التفسيرات القانونية العادية للمؤلفين القدامى يتم تجاهلها تماماً لعدم حيادها.

والقاعدة الوحيدة الملزمة في هذه الفترة الأخمينية كانت هي نقل السلطة من خلال المولد الأسري، ولكن -كما قد رأينا- فإن هذه القاعدة لم تكن بمثابة القاعدة القانونية الملزمة، وعلى العكس فإن هذا الاعتقاد قد بني على النمط العائلي للمجتمع الفارسي كما تم في الزواج التبادلي داخل الأسرة الحاكمة نفسها ومثال واضح دارا Darius الثالث، ومن هذا المنظور فإن التاريخ الأخميني الملكي قد شهد توافقاً كبيراً، وعندما لم يعد يوجد ابن شرعي يرث الحكم، يتنازع أبناء الملك على الحكم فيما بينهم، ويقوم أحدهم بإحياء الأسرة المالكة بالزواج الداخلي مثل دارا Darius الثالث، وعندما يموت الابن الأكبر يتولى الحكم أحد الصغار مثل أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرسيس Arses ، وفي حالة موت الملك بدون وجود ابن ذكر يتولى العرش ويكون منافساً يتغلب على خصومه بقوة السلاح أو باختيار أحد أصحاب المقام الرفيع دارا Darius الأول، أو ينتقل الملك إلى أحد فروع الأسرة ويصبح وجوبيًّا كما لو كان ينتمي للأسرة الحاكمة دارا Darius الثالث، وإجمالاً فإن نسل دارا Darius الأول قد استطاع أن يحقق هذا التسلسل الملكي الذي قام أجداده بتحديده، لكن المعارك من أجل الحكم كانت تتم داخل الأسرة الملكية، ولم يتمكن أي دخيل من أن يفرض نفسه -كما سيتضح- ولذلك بقيت ما تشبه المعاهدة الملكية راسخة ومستقرة.

وقد يظن القارئ أن هذه الممارسات تضعف السلطة المركزية، وعلى الأقل عندما تكون النزاعات الداخلة مستمرة، ولا يوجد أدنى شك في ذلك، حيث اشتدت المنافسة مثلاً بعد إعدام بارديا Barrdyia ، وعلاوة على هذا يركز ديودورس Diodorus على أن المصريين قد انتهزوا فرصة القلاقل عند تولي الملك بعد كسركسيس Xerxes للقيام بالثورة، ولكن في الواقع فإن التهديد الأكبر لا يحدث من الرعية، لكنه يأتي من الطبقة الأرستقراطية التي تساند أحد المرشحين، حيث إن كل طامع في الحكم يقدم وعوداً لهم في مقابل هذا الدعم، وهل هذه الممارسات تضعف الحكم؟ هذا غير مؤكد تماماً.

وحتى لو حدث، فإنه سيكون لفترة مؤقتة، حيث تستدعي الأحداث ما قام به دارا Darius الثاني وباريستاتيس Parystatis بمحو كل من مثل أسرة هايدرانيس Hydranes ، وبالنسبة للمصادر الكلاسيكية الهلينية: فقد كان دارا Darius الثالث -بعكس ادعاءاتهم- فرداً لا نزاع عليه من الأسرة الملكية، وهو محارب متميز يؤيده قطاع عريض من البلاط الملكي والأرستقراطيين والجيش بالطبع، وهو بناءً عليه ملك عظيم بالتأكيد، ولكن في هذه المصادر فإن أسس عدم استحقاق السلطة الملكية للفرس توجد في اثنين من المصادر التي تظهر بدون الخلط بينهما في كتابات ديودورس Diodorus ، ويرجع أولها إلى اليونان البطالمة في القرن الرابع وخاصة يوقوراس Ephorus الذي كان مصدر إلهام ديودورس Diodorus في الكتاب 26، وهذه الاتهامات هي في كل أعمالهم طوال القرن الرابع، حيث كان ملوك الفرس ضعفاء، ولا يميلون للعمل أو الحرب، ولن نعير هذه النقطة اهتماماً، حيث نادراً ما يوجد دليل عليها فهو يوجد عند ستيسياس Ctesias الذي تبعه بلوتارخ Plutarch ، والمشكلة أن هدف هذه الدعاية هو تضخيم أعمال الفاتح المقدوني الذي كان مستعداً لأن يستغل أو يتظاهر باستغلال الحوار الفارسي حول الشرعية الملكية ضد دارا

Darius الثالـث، وفي الوقـت نفسـه، فـإن المناقشـات التـي خصصـت لتـولي دارا Darius الثالث للعرض تتم بأسلوب روائي، تمـت صياغته للتقليـل مـن قـدر آخـر الملوك العظام، وهناك واحد من الأمثلة العديدة لذلك عند إيديان الذي نقل حجج الإسـكندر Alexander المختلفـة ضـد دارا Darius الثالـث في خطبـة ألقيـت في جنازته، حيث أكد أنه كان مشيناً في معركة جوجافيلا Gaugamela تلك التي هرب في أثنائها، حيث إن حياته كلها كانت سلسلة مـن الكـوارث لشـعبه بسـبب عيوبـه الشخصية «ليس هناك أي رجل أقل منه روحاً أو إحساساً بمعنى الحـرب»، وهكـذا قام آريان بالتسليم بكل ما قاله «وفي الأمور الأخـرى لم يظهـر أيـة شـجاعة»، لكـن المقارنة الضمنية مع الملوك الآخرين وخاصة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالـث لم تكن في صالحه؛ لأنه إذا لم يقم بالهجوم فإن هذا يرجع إلى عدم وجود فرصة لذلك، لأنه لحظة أن اعتلى العرش قد تم الهجوم عليـه مـن قبـل اليونـانيين والمقـدونيين، ومن هنا يتضح أنه إذا كانت لديه الإرادة فهو ليس بإمكانه أن يلعب دور الطاغية على رعيته، وأن وضعه كان أخطر من وضع منافسيه، ولا بد لنا من التأكيد على أن نقض الهجوم أي الخدم لم يكن صفة ملكية، كما أكد رجال الدعاية التابعين لقورش Cyrus الأصغر وأوكاس أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في ذلك الـعصر، حيـث كانوا مستمرين في إدانة رقة أي ضـعف أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني وابنـه دارا Darius بلوتارخ .

ومن الواضح أن مهمة المؤرخ ليست المدح ودفع الـذرائع عـن ذكـرى الملك العظيم، ولكنها محاولة فهم لمـاذا خسر دارا Darius الحـرب، حيـث قام المؤلفون التابعون الممثلين للإسكندر في وضع السـيرة الذاتيـة التاريخيـة بلعب دور كارثي في تلـوين الوقـائع التاريخيـة، ومـن المغـري مـن الناحيـة البحثية أن نربط بين كلا الاتجاهين، وهما الضـعف المفـترض وعـدم شرعيـة دارا Darius ، والأول مـنهما يـفسر رغبـة الفـرس والعـرف السـائد فقـط

لأن دارا Darius وجد في العرش بسبب دفع المخصي باجواس له المنسوب إليه كونه من يدير أمور الملك، فإن التحليل للنص والظروف المحيطة أننا لسنا بصدد أحكام قاطعة، ولكن افتراضات ورثت من الدعاية المقدونية، وبالمثل يجب أن نفترض أن الشكوك المنهجية نفسها تحيط بالدعاية الفارسية التي تمجد شجاعة دارا Darius في مواجهة الإسكندر Alexander جوستين X36 ، والتي أكدت على الاستعداد على قدم وساق للمواجهة العسكرية التي تلوح في الأفق ديودورس Diodorus XV117-1 ، وفي الوقت نفسه ففي كل من القصر ومعسكر الجيش DNb27-3 لم ينتظر دارا Darius طويلاً لإثبات عكس هذه الادعاءات بالقضاء على باجواس، كما تأكدت سلطته بكون أن مؤامرة باجواس قد تمت إدانتها من قبل جميع الرعايا ديودورس XVII Diodorus .

4- الملك العظيم والأرستقراطية الصفوة الحاكمة الفارسية:

هناك فرصة أولية بأن اعتلاء دارا Darius للعرش في تلك الظروف قد حاز الدعم من قبل الأرستقراطية الفارسية، ولحسن الحظ لدينا معلومات هائلة قام كتاب الإسكندر Alexander بحفظها، مما يوضح هذا الأمر، وفي هذا المقام لن نقوم بمناقشة كل هذه المعلومات بالتفصيل من ناحية أنه ليس كل ما كتب يفيد البحث، ومن ناحية أخرى أن اهتمامنا هنا هو التحليل لوظائف وتكوين طبقات الأعراق الاجتماعية السائدة بصفة عامة وملاحظة التغير بها.

وتقع في قلب دائرة الاهتمام الملكي جماعة الأقارب، وكما رأينا في الفصل الثامن، فإن الكلمة ذاتها تشير إلى عنصرين متميزين، وهما موضحين في مسيرة دارا Darius قبل معركة إيسوس Issus وهي إحدى الجماعات التي تسبق الموكب الملكي، وهم ذوي القربى الملكية، وكانوا 1500 رجل و200 من صفوة الأقارب يحيطون به يميناً ويساراً انظر:

Quintus ، ويحدد ترتيب الموكب واختلاف المواقع درجة القرابة، حيث إن أولى المجموعات هم الأقارب، وهي طبقة حرفية في البلاط، والمجموعة الثانية هم الأقارب الفعليين، وفي معركة جوجاميلا كان المقربون موضوعين بجوار الملك أريان 503، وقد اختير عشرة آلاف منهم للشجاعة والولاء ديودورس XVIi59 Diodorus ومعهم أربعون يمثلون نبلاء الفرس من آسيا الصغرى، ومن بين المقربين جدًّا هناك من يلقب بـ «الصديق»، وهو ذو مكانة عالية في الترتيب الهرمي للحكم، وهو مازايوس الذي لم يكن مجرد صديق لدارا Darius ديودورس XVII55 Diodorus ، ولكن كان أكثر الأشخاص تأثيراً في البلاط بلوتارخ 39.9، وهذا الترتيب الهرمي يمثل الأكثر قرباً للملك، وهناك مراكز خاصة تمنح شرفيًّا للتكريم، وتمثل وجهة النظر الملكية لمن يستحقون التكريم، ومن السهل تمييز الدائرة القريبة جدًّا من الملك، وهم القادة الكبار أريان III23 ، ومنهم أرتبازوس Artavazus ، وكان حسب قول كوينتوس المؤرخ أنه كان رئيس البلاط، وكما يشير أيديان «إن الإسكندر Alexander حافظ على أرتبازوس وأبنائه بجانبه في موضع مشرف؛ لأنهم من أنبل الفرس بسبب ولائهم لدارا Darius » وهذه الأمثلة القليلة تثبت أن العلاقة بين الملك أو الطبقة الأرستقراطية مبنية دائماً على تبادل الهبات والخدمات أو الحظوة مقابل الولاء، وأن النبلاء يحددون موقعهم حسب درجة أصولهم والقرب من الدائرة الملكية، وقد كان أوريكسينيس Orxines الذي قاد جيش الفرس في معركة جواجاميلا يفتخر بنسبه إلى الفرس السبعة العظام، وأنه ينتمي إلى طبقة قورش Cyrus عن طريق مركزه كقائد لقبيلة باراريا.

ويثبت مثال أرتابازوس مع نماذج أخرى إيديان أن الإسكندر Alexander في إطار سياسة التعاون مع الإيرانيين قد اتخذ المنطق العقلي للحقبة الأخمينية لصالحه، وذلك بأن قام بتكريم من يحمل لقب

منتسب إلى الأسرة الملكية للفرس الذي انضموا إليه إيديان VII11 ، وقد تبنى أسلوب جعل المقربين هم ذوي القرابة في التسلسل الهرمي للسلطة، وهذا المنوال هو الذي ظل سائداً في الحقبة الأخمينية.

ونظراً لاستخدام اللغة اليونانية كلمة القرب والقرابة بمعنى واحد Syggenesis فليس من السهل التمييز بين كل المعنيين إلا في حالة كسر الروابط الأسرية بطريقة صريحة، وعندما يقوم نصان بتوضيح كل منهما الآخر في ديودورس Diodorus وكينتاس، حيث يستخدم ديودورس Diodorus لفظاً مكملاً «الأخ والأقارب الآخرين»، وبالنسبة لإيريان كان لدى بيسوس Bessus روابط عائلية، فإن اللفظ قد يستخدم للصديق وبناءً عليه فإن الرقم 200 هم أقارب دارا Darius في موكبه لا يجب أن يفاجئنا، حيث إن العديد من الأبناء غير الشرعيين كان حاضراً في هذا المشهد، وطبقاً لجوستين كان لدى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ما يزيد عن 155 من هؤلاء، ويشير اللفظ الذي استخدمه كوينتوس «النبلاء الأقارب» إلى وجود نظام طبقي داخلي مبني على قرابة الدم ودرجتها، وهذا يساعد في تفسير بعض عبارات المؤرخين، حيث قال كوينتوس إن «دارا Darius قد أرسل عشرة رسل، وهم أهم من في البلاط الملكي للاتصال بالإسكندر Alexander ، وكما كتب عن ماداتيس Madates أنه «أعتاد أن يجامع ابنة أخت زوجته»، وهكذا كان أحد أقارب دارا Darius ، حيث إن ماداتيس كان بوضوح متزوجاً بحفيدة من أوستينس Ostanes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وأباً لسييجامبيس .

وكان أيضاً لدى دارا Darius كثير من ممثلي عائلته المباشرة حوله، أولاً نلاحظ وجود أفراد من أسرة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وهو بيثانيس Bisthanes الابن الوحيد على قيد الحياة، والذي كان له مركز خاص لدى الملك إيديان III و1، وثلاثة أبناء وزوجة أوكاس Ochus

كانوا بين أتباعه كوينتوس III 12 ، ولا بد من وجود زوجات وأصدقاء لهم، وهم الذين كانوا في آخر الموكب الملكي، ونذكر أيضاً حفيده لأوكاس أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع الذي أصبح فيما بعد ملكاً للفرس، وقد كانت ابنة لأحد أبناء الملك، وقد كان زوجها ممن يسمون بالأقارب لدارا Darius ، وبهذه القدرة والروابط الأسرية امتلك القيادة العسكرية العالية كوينتوس VI2.7 ، ونلاحظ أيضاً وجود أربوباليس Arbupales وهو أحد أبناء دارا Darius وهو نفسه كان ذو نسب محل شك كابن غير مؤكد لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إيديان 1.16، وهو قد نجا من حركة التطهير والقتل التي سبقت تولي دارا Darius العرش .

وقد كان أحد القادة المتميزين في الجيش الفارسي، ونعرف أيضاً زوج ابنة دارا Darius واسمه ميثراديتس MIthradetes الذي وقع من على حصانه وأصابه الإسكندر Alexander إصابة بالغة، ومن بين المقربين لدارا Darius ابنة أوكاس Ochus الذي كان من الصغر بحيث لم يتولَّ أي عمل على الإطلاق، وعلى النقيض فإن أوكساثريس Oxathres أخو الملك العظيم قام بدور بطولي في معركة إيسوس Issus ديودورس Diodorus XVII ، كوينتاس III ، وقد بقى قريباً من دارا Darius حتى النهاية المفجعة.

وهكذا كان الحال في العائلات الفارسية الأرستقراطية وهي ترابط الأبناء والأخوة مع مسؤولية الأب والأخوة حيث كانت جوانب معتادة إيريان Vii ، ويذكر أنه في إحدى المعارك «أتى Memon ميمون مع أبنائه في مقدمة الفرسان»، كما قام روزاسيس Rhosaces بمساعدة أخيه سبيثروباتيس Spithrobates ، وهناك احتمال قوي بأن ميمون كان نفسه ابناً لروساثيس .

وربما كان ميمون نفسه ابناً لروذاسيس Rosaces الذي كان يشغل

المركز نفسه قبل عصر أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث وأرونـانيس Orantes قاد الجيش الأرميني المجاور في معركة جوجـواميلا إيريـان III805 كـان نسـلاً مـن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وكان يحكم أرمينيا حـوالي عـام 1400 زينوفـون Xenophon 17 ، وفي بابل جاء مازايوس ليحـي الإسـكندر Alexander مـع أولاده كوينتوس وأكبرهم وهو بروخوبيليس ساعده في الفرات، ولكن أفضل هذه وأكثرهـا شهرة هو أرتابازوس Artabazus وعائلتـه، حيـث كـان أحـد الفـروع البعيـدة مـن مارناسيس Pharnaces عم دارا Darius وحفيد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من ناحية إحدى بنات الملك، ونعرف أنـه بسـبب ثورتـه فقـد إقطاعيتـه، وتسـمى هيليز بونتين مارجيا التي كان يحكمها أسلافه منذ زمن كسركسيس Xerxes ، وكان عليه مغادرة بلده متوجهاً إلى مقدونيا حيث معقل عائلته، وهـذه القافلـة شـملت زوجته وأطفاله المتعددين، واثنين من قادته المرتزقة العسكريين مع ميمون ومنتور الذي تزوج أختـه ديـودورس Diodorus XVI 52.4 ، وبعـد أعمالـه العظيمـة في مصر حصل منتور على العفـو لصـالح أرتابـازوس مـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث، ثم تمكن بهذا العفو من العـودة مـع أسرتـه الكبـيرة أحـد عشر ابنـاً وعشر بنات، ولم يسترد أرضه، ولكن نال الرضاء الملكي الـذي وصـل أقصى حـد لـه في عهـد دارا Darius الثالث إيريان III 23.6 ، وعند رجـوعهم اهـتم مينتـور بتزكيـة أبنـاء إخوته إلى المناصب العليا، حيث قدم لهـم أعظـم كلـمات الإشـادة بـالجيوش، وقـد عادت الأسرة كاملة للتفاعل والحياة الحقيقيـة في عهـد دارا Darius الثالـث، ومـع تقدم العمر بأرتابوز فقد اختلف الأمـر بالنسـبة لأسرتـه، حيـث خلفـه ميمنـون في القيادة الحربية بعد معركة جارنيسيوس حتى لقى حتفـه في هجـوم عـلى ميتيلـين Mytilene في صـيف عـام 33 وقبـل موتـه خلفـه ابـن أخيـه فارنابـازوس Pharnabazus في القيادة لمدة 11عام انتظاراً لقرار دارا Darius بالنسبة لاسـترداد أرضة إيريان II3.2 .

ويقودنـا تفضـيل الأقـارب في الوظـائف والمراكـز إلى مروية مـن هـيرودوت Herodotus عن فارنابازوس الذي ثبت في مركزه بناءً على أمـر مـن دارا Darius ، قام بتعبئة المقاتلين المرتزقة لابن عمـه تيمـونراس Thymondas ابـن ميمـون، ثـم قاموا بعمليات عسكرية فعالة في منطقة بحـر إيجـة حتـى ألقـي القـبض عليـه في كايوس في صيف 332، وقد كان أحد أبنائـه ويـدعى كـوفين Cophen يقـود بـاقي أفراد الأسرة مع ثلاث بنات من مينتور وزوجته وأبناء ميمنون، وكما قال كوينتوس: «لم ينجُ أي بيت من البلاط الملكي من هـذه الكارثـة»؛ ولـذلك قـاد ميمنـون الأسرة وأرسلهم إلى دارا Darius ، حيث «حسب أن إرسالهم للرعايـة الملكيـة هـو أفضـل طريقة آمنة من أجل الحفـاظ عـلى حيـاتهم، ونظـراً لوجـود أسر عديـدة في رعايـة الملـك فسـوف يشـملهم في الدعايـة الملكيـة»، ونحـن نشـك في التعليـق الأخـير لـديودورس Diodorus حيـث إن العبـارة تـوحي بقاعـدة عامـة وهـي أن الأولاد والزوجات للعائلات البارزة تظل في البلاط الملكي حتى لو كان في حال التنقل سـواء في أوقات السلم أو الحرب .

يعطي التكوين الوظيفي الاستعماري لحكـم دارا Darius الثالـث تفسـيرات متعارضـة وأولهـا اسـتمرارية الأمـور كـما هـي عليـه في عهـد دارا Darius الأول وكسركسيس Xerxes حتى إن هذه المراكز تأخذ طابعاً أسريًّا يمكن توثيقه بواسـطة هـيرودوت Herodotus بالاسـم الفصـل 7، وأفضـل مثـال عـلى ذلـك هـو عائلـة فارناسـيس Pharnaces وبارناكـا Parnaka ، وباسـتمرار احـتلال المراكـز وتوارثهـا وارتباطها بالأسر بين الأبناء أو من يقوم بـدور الأب أو ابـن الأخ وفي الوقـت نفسـه كان الموروث الاجتماعي العرقي الفارسي يسمح ببعض نفاذية غير الفـرس لأسرهـم، مثل ترقية بيلشونو في بابل فل 8/14، وهذه الروابط الأسرية لها ثقل سياسي سوف يناقش في الفصول القادمة.

وهنـاك ارتباطـات أسريـة بالإقطاعيـات مثـل أسرة داسـيليوم Dasylium

وروديانز مينتور وميمنون فصل 2/16 وأسماء شخصية مثل البوليتز في صوصا وبعض أولاد مازايوس، وهناك إقطاعية كاريا Caria التي تحكمها الأسرة التي كانت فارسية في الأصل، وترجع إلى أرونتاباتيس Orontobates انظر: Strabo 2.17 XIV .

5- الجيوش الملكية: وجهة النظر الإغريقية:

نعرف من وجهة النظر الإغريقية التي تتكرر من وقت إلى آخر في الأعمال الحديثة أن إحدى السمات الواضحة للدفاع الفارسي كانت عدم قدرة «الملوك العظام» لوضع ما يستحق تسميته بالجيش في ميدان المعركة لمواجهة القوات الإغريقية التي تفوقهم في الشجاعة والعتاد .

وبناءً على هذه الظروف، لم يكن أمام هؤلاء الملوك العظام إلا الاعتماد على قوات المرتزقة الإغريق في المقام الأول إذا أرادوا شن الحرب، حيث إن الإغريق المرتزقة فقط هم القادرون على إبطاء تقدم الجيش الإغريقي القوي المرسل إلى الأرض المستعمرة، وقد طورت هذه الآراء السخيفة بواسطة زينوفون وأفلاطون مع مؤلفين عدة من القرن الرابع؛ وذلك لتمجيد أعمال وفتوحات الجيش الإغريقي والعشرة آلاف وعدم حيادية أجيسيلاوس Agesilaus .

حيث يحدث الربط بين اللجوء للمرتزقة وتفكك قواعد تعبئة الجنود للجيش الملكي في بابل أو أي مكان آخر، ومن المهم أن نناقش بصفة عامة هذا الرأي، حيث قدمه الكتاب القدامى، ثم تكرر في العصر الحديث في إطار جيوش دارا Darius الثالث، ودعونا نركز طبقاً لإيريان 101404 أن قوات الفرس في معركة جارنيسوس كانت تبلغ 20 ألفاً من المرتزقة الأجانب، وهو عدد يساوي قوة الفرسان في الجيش الفارسي، وقد كتب كوينتوس كورتيوس 801 III أنه: «في ليلة معركو إيسوس Issus كان الجنود الإغريق بقيادة ثيموندراس Thymondas

هم أمل دارا Darius الأساسي والوحيد، وقد كان لدى الملك العظيم ثلاثين ألفاً من المرتزقة في هذا الوقت 209 III ، وهل هذا يعني أنه في أثناء القرن الرابع قد تراجعت القدرات العسكرية الإمبراطورية إلى هذا الحد الحرج؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا أولاً من تحليل أصل هذه النظرية وشخصية مؤلفها الحقيقي، ومع أن أفلاطون وزينوفون أبيوقراطيتس قد فعلوا الكثير من أجل تدعيم مصداقيتها، إلا أن الشخص الذي ابتدعها هو ديودورس Diodorus الذي يعتقد أنها استلهمها من إيفوراس Ephorus ، وهو الذي يعرف بانحيازه ضد الفرس، وعادة ما يظهر ديودورس Diodorus المرتزقة الإغريق في مقدمة الحروب وخاصة أثناء الحملات المصرية بإظهار أسلوب روائي محاولاً تقديم التفاصيل المادية المحددة، وهذه المقتطفات غالباً ما يتناولها المؤرخون في العصر الحديث ومن أجل تعرية طريقة ديودورس Diodorus سوف نبدأ بمقالته الطويلة لحملة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ضد مصر فصل XVI ، وسوف نتناول في سياق الحملات الفارسية ضد مصر التي أوردها المؤلف نفسه، وهي حملات في الستينيات من عام 400 والسبعينيات من عام 300 مع سجلات للعمليات مع أو ضد أرتبازوس في الخمسينيات من عام 300؛ لأنها مأخوذة عن إيفوراسي، ويسهل اكتشاف تشابه وتكرار كل مقالاته .

1- إن الفرعون والملك العظيم قد دعموا جيوشهم بمساعدة المرتزقة الإغريق: كأن يوجد 10 آلاف منهم في جيش أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أربعة آلاف منهم مرتزقة من مدن إغريقية وكل مدن أوروبا، وكذلك كان هناك ألف من المرتزقة من طيبة تحت قيادة لاكراتيس، ومضاف لهم أربعة آلاف من رجال مينتور -القائد السابق للمرتزقة- وقد جمع نيكتانيبو الثاني Nectanebo عشرين ألفاً من المرتزقة

الإغريق -حسب قول ديودورس Diodorus - و12 ألفاً تبعاً لما ذكرة نيلـوس، كـما جمع أهل ميدا عدداً كبيراً منهم، وكذلك كان الحال بالنسـبة للملـك العظـيم ضـد قبرص، وعلاوة على ذلك، كان الجيش في إيناروس Inarus في عام 460 يحتوي عـلى المرتزقة، كما كان المتمردون المصريون يعتمدون على المعونة الخارجية التي ترسـلها أثينا، وغالباً ما تصور المرتزقة في السير الذاتية مثل سيرة ميجابيزاس Megabyzus .

2- يظهر الإغريق في مقدمة صـفوف الجـيش: تبعـاً لـديودورس Diodorus كان الإغريق هم من يأخذ المقدمة، ويشتركون في الأعمال الحربية، بينما كان بـاقي الجـيش يشـاهدهم، ويبقـون في حالـة احتياطيـة تحـت قيـادة أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث .

حيث كـان قـادة جيشـه تـابعين لهـم 47 XVI ، وهـذا بالضـبط مـا يريـدنا ديودورس Diodorus أن نصدقه عندما يذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كـان حريصاً عند تجنيد المرتزقة وقـادتهم بسـبب تـذكره للهزيمـة السـابقة مـع الجـيش العظيم، وهذا استنتاج غريب، حيـث يـوحي أنـه في الهزيمـة السـابقة لم يسـتخدم المرتزقة، وعكس ما يروجه ديودورس Diodorus من أن دورهم كان مؤثراً جـدًّا في الحملات المصرية 47 .XV ، كما يلاحظ ديودورس Diodorus أيضـاً وجـود قـوات بربرية «في جـيش الملـك العظـيم، ولكنـه في كـل حـال يلقـي الضـوء عـلى القيمـة والشـجاعة غـير العاديـة للقـادة الإغريـق، كـما يصر عـلى المقارنـة بـين الإغريـق ورؤسائهم، سواء كانوا مصريين أو فرس، وبالطبع تكون المقارنة لصالح الإغريق، كما أنه من المثير للدهشة التوازي الـذي يـتم بـين الجيشـين والـذي يصر عـلى تقديمـه برؤيته المتحيزة الخاصة، وهذا يتضح عند استعراض ترتيب أحداث المعركـة، حيـث قال: «كان كل من دارا Darius ونيكتانيبو Nectanibo كانوا مختبئين في الاحتيـاط خلف خطوط المواجهة، كما لو كان الإغريق يمثلون قلب قواتهم النظامية.

وهناك منوال متكرر في الروايات التي تخص مشاركة شـارز Chares في تمـرد أرتابازوةس عندما يركز ديودورس Diodorus أن شارز حارب دعماً لـه، ومـن هنـا يتضح أنه يرجع أي مجد بسبب الانتصارات للإغريق، وشارز هنا وبالطريقة نفسها تعامل مع ثوار طيبة، حيث قام «بهزيمة الأعـداء في معـركتين عظيمتـين، وقـد نـال المجد لنفسه وقومه» أن من العجيب ان احداً أي إيفوراس وديودورس Diodorus لم يذكرحتى وجود أرتابازوس مع شارز قائلاً إنه هـو وحـده الـذي قـاد عشرة آلاف من المرتزقة لتحقيق النصر الباهر على تيتروستيس Tithraustes الـذي قـاد جيشـاً كبيراً من الفرس يناهز عشرين ألفاً كان معظمهم من الفرسان، وهنا نؤكـد عـلى أن هذا التقـديم لا ينطبـق فقـط عـلى الفـرس: حيـث يطبـق ديـودورس Diodorus الأسلوب نفسه على الفراعنة وجيوشهم، وكذلك الجـيش الفينيقـي الـذي ثـار عـلى الفرس، وباستخدام تعبيرات متكررة، يصف فضـائل أعـمال المرتزقـة الإغريـق التـي أشاد بها حكام سـيدون XVI 41 ، ولكـن في الواقـع هنـاك فقـط أربعـة آلاف مـن المرتزقة لمنتور فقط في هذا السياق.

3- وكما قرر ديودورس Diodorus فـإن المواجهـات في الحمـلات العسـكرية تبدو كما لو أنها مبارزات أو حروب محدودة بين الإغريق أنفسهم في كـلا الجـانبين بالرغم من ذكره للمصريين والليبيين في جيش نيكتونيبـو Nectonebo الثـاني وهـو نادراً ما يستدعي أيًّا مـنهم إلى موقـع الأحـداث، حيـث إن الإغريـق وحـدهم هـم الـذين دافعـوا عـن البلوزيـام بشـجاعة حتـى لـو علمنـا بالمصـادفة أن الحمـلات العسكرية شملت الإغريـق والمصريـين، وحتـى عنـدما أشـار إلى ذلـك كـان يقصـد المقارنة بين أداء الإغريق والمصريين وبالطريقـة نفسـها يـتم التعامـل مـع الجانـب الفارسي، حيث واجـه أهـل طيبـة الفيلـوفرون الإسـبرطي الـذي كـان يقـود حاميـة البليوزيام، وقد قامت الحامية بإلقاء أنفسهم في المعركة.

بكـل شـجاعة «حيـث أرادوا أن يثبتـوا أنهـم أفضـل الإغريـق، وأفضـل مـن يشـاركون في الحمـلات» وكـان نيكوسـترايوس Nictostrutus أول مـن عـبر النيـل والأكثر عزماً على مواصلة العمليات، وهو طبعاً كان أحد الإغريق الآخرين، وكـذلك كان الحال مع لاكراتيس الذي واصل بكل همه حصار البيلوزيام.

4- إن هذا التقديم معد جيداً، ومبني على أساس فرضية واحدة وهـي تفـوق الإغريق في الجنود والضباط، وهم كانوا من التفوق بحيث إن كل الانتصارات كانـت بسببهم، كما تعود الهـزائم إلى أخطـاء رؤسـائهم، وبهـذه الطريقـة أرسـل هـاكوريتز Hadoris إلى غابرياز Gharbias لأنه ليس لديه قائد ذو كفاءة، وبالمثـل كـان ذلـك مؤكداً لأن فارنابازوس أصر أن يرسل لـه أهـل أثينـا إيفيكـراتيس Iphicrates الـذي خصص له ديـودورس Diodorus فصـلاً كـاملاً لتمجيـد إنجازاتـه الرائعـة XV.44 ، وبالمثل طلب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث من القبائل أن تعطـى القيـادة إلى نيكوستراتوس المشهور بشجاعته وقدرته الحربية وبـالمنطق نفسـه يتعامـل كـل مـن جابريـاس وأجيسـيلاوس Agesilaus مـع تـاكوس Tachas بسـبب عـدم كفاءتـه العسكرية والثقة الزائدة مـن أنـه حـول قيـادة جيشـه إلى الإغريـق المرتزقـة، وهـم ديوفـانتوس Diophantus مـن أثينـا ولامبـوس Lamius مـن إسـبرطة 48 XVI ، والتفسير نفسه يقدمه ديودورس Diodorus في هذا الإطار لفشـل تـاكوس Tachas في عام 361-359، حيث إنه تجاهل المشورة الحكيمـة مـن أجيلاسـيوس 192 XVI ، وبالمثل فارنابازوس تجاهـل الاقـتراح القـيم مـن إيفقـراتيس 43 XV Iphicrates ، فقـد كـان القـادة الإغريـق في الواقـع شـجعان وذوي سرعـة في اتخـاذ القـرارات «وبالعكس كان القادة الفرس» جبناء ومعدومي الخبرة» ويتسمون بالتردد والجـبن»، وقد استغرقوا وقتاً طويلاً في إعداد جيوشهم، مما قلل مـن سرعـتهم في الإغـارة عـلى العدو، ولم يتوقفوا عن طلب المشورة من الملك العظيم 42 XVI ، وهذا سبب كثـيراً

من الصدامات بين الإغريق وقادتهم الفرس، حيث كانوا يحسدونهم على مهارتهم العسكرية، وهذه هي الخلفية وراء نزاعاتهم في سنة 334 و343 ديودورس XVII Diodorus وآريان 1012، وتتم المقارنة بين الشجاعة غير العادية للإغريق، وجبن المصريين المحاربين الذين لا يفكرون بعد الصدامات الأولى مع الفرس إلا طلب المهادنة والسلم Xi.77 .

5- إن تفوق الإغريق اعترف به الفرس أنفسهم، وهذا بالفعل ما يميز العرض الذي وصفه وقدمه زينوفون Xenophon للمراجعة العسكرية التي نظمت في صقلية بواسطة قورش الأصغر Cyrus ، حيث كان الإغريق وحدهم هم الذين أثاروا الرعب بين البربريين 17 102 Anab .

والحالة نفسها تكررت أثناء الحملات المصرية؛ لأنه أعجب ببسالة الإغريق حيث إن ميجابيزوس Megabyzus قد وافق على إجراء معاهدة معهم؛ لأنه كان يخشى المواجهة المباشرة ديودورس XI 77 Diodorus ، حيث أنقذ الإغريق أرواحهم «بشجاعتهم» Idiaarte 77 ، وهناك بعض الحكايات والنوادر عن بوليانوس Polyoenus الذي كان هو نفسه معتمداً على الفوارس، وقد روج كثيراً لهذه النغمة المتكررة، وعلى سبيل المثال عند مواجهة الفرس كان جاسترون Gastron وهو قائد إسبرطي في مصر، قام بتسليح الإغريق بالطريقة المصرية وتسليح المصريين بالطريقة الإغريقية، ووضع المصريين في الخطوط الأمامية، «وقد خدع الفرس بهذا المظهر حيث انطلقوا إلى المجهول ولاذوا بالفرار، وفي موقف مشابه كان أورونتيس في مواجهة أوتوفراديتس يأمل في التأثير على عدوه ويعطيه انطباعاً بوصول إمدادات من المرتزقة الإغريق في الطريق؛ ولذلك «قام بتسليح معظم الرحل والبرابرة بالزي الإغريقي، «ثم قام بخلطهم مع الجيش الإغريقي»، وعندما رأى العدو هذه الجيوش الإغريقية ظن أن الإمدادات العسكرية قد وصلت إليهم، وأقنع نفسه بأنه لا يستطيع الانتصار على هذه القوات المتجددة، ومن ثم تراجع ولاذ بالفرار .

6- شجاعة الإغريق العسكرية هـي بسـالة غير عاديـة، وهـذا بصـفة عامـة بسب كونهم مشاركين بأعداد أقل، ففي عام 343 كان عـددهم عشرة آلاف داخـل الجيش الملكي 40 XVI ولاحظ تكرار الرقم بطريقة نمطية، وفي الجانب المصري في عام 343 نجد 20 ألفاً من الإغريق مع 20 ألف ليبي و60 ألف مصري 47 XVI .

6- استخدام المرتزقة والتدهور:

الحقيقة الأخمينية ومصفاة أثينا:

إن التناسق والمصداقية الواضحة في هذا البحث الذي قمنا بتوضيحه جـديرة بالملاحظة؛ لأنه مصنوع بعناية في القرن الرابع بواسطة مؤلفين إغريق، ولكـن هـذا فقط يبدو في حالة تناقض، حيث إن هذا الإجماع هو الذي يدخل الشك الكبـير في كل جزء من هذه الروايات رغم تناسق عناصرهـا، وهكـذا في الصـورة الكليـة لهـذا المبحث، وفي الحقيقة يبدو أنه تم بناء هذا العـرض عـلى أسـاس التعـارض العرقـي الأصولي بين الإغريق والبربر، وهذا الاعتقـاد يـتم التأكيـد عليـه باسـتمرار بواسـطة المتعصـبين للإغريـق أبيسـوقراطيس وإيفـوراس، مـع مؤيـدي نظريـة «التـدهور الفارسي» وأنصـاره هـم أبيسـوقراطيس وإيفـوراس وأفلاطـون وزينوفـون، ويتقـدم تحليل التدهور خلال نغمة متكررة فعالة ومتناغمة عن الثروة والترف، مـما جعـل الفرس يتحولون في تصورهم إلى ما يشـبه الإنـاث بسـبب الـترف، وقـد تخلـوا عـن التقاليد العسكرية، وهذه الأدلة المتوفرة يتضح زرعها في يوميات الحـرب الفارسـية الإغريقية، ونتذكر أنهـا كاملـة في خطبـة هـيرودوت Herodotus التـي قـدمها إلى أريتساجوراس Aristagoras لإلقائهـا عـلى أهـل إسـبرطة: «إن البرابـرة ليسـوا فقط أغنياء بطريقة فاحشة، ولكن ليست لديهم قدرة عـلى الحـرب، وكـم هو سهل أن نهزمهم، وأنتم أقوى قوة في العالم الإغريقي»، ومن الواضح أن

هذه الفكرة كانت معروفة من معارك سابقة مثـل: ترمبـولي - سـلاميس - بلاتيـا - سـيكال؛ لأننـا نعـرف أن ذكـرى كـل هـذه الصـدامات يـتم الحفـاظ عـلى أسرارهـا بقدسية، وكذلك يقوم مؤلفو أثينا في القرن الرابع بتحويرها، وعلى أية حـال يكفينـا أن نستعين بتفسير ديودورس Diodorus وإيفوراس لمسـلك الإغريـق في مصر، وفي وقت مشاركتهم في المعارك في صفوف إينـاروس Inarus ، حيـث كـانوا يـأملون أن يكونوا جـديرين بأمجـاد أجـدادهم في ترمبـولي، وقـد قـدم شـارز Chares لبدايـة الحروب الفارسية الإغريقية؛ لأنـه بعـد انتصـاره عـلى ثيتروسـتيس Tithraustes لم يتردد في تقديم هذا النصر لأهل أثينا باعتباره «أخت معركة ماراثون Marathon » بلوتارخ 16.4 .

لم نعد بحاجة إلى توضيح التهافت العقلي وما يتضمنه الافتراض الأيديولوجي المقدم في هذا البحث، وفي الوقت نفسه قام كتاب آخرون بكتابة نظريات مختلفـة تماماً عن المكونات السياسية «للصولجان»، وهو مـا يرمـز إلى القـوة، وقـد وضـحوا المهارة العسـكرية وشـجاعة المقـاتلين الفـرس عنـد مواجهـة الإغريـق أو الإسـكندر Alexander والمقدونيين، ومع ذلك، ومن أجل الفهم الأفضل لهذه الأنماط المتكررة من الناحية الفعالة والمنطقية، ومن أجل المحافظة عليها، يجب أن توضع في إطـاره الصحيح، وعند وضعها في إطار صحيح بما يوافـق الخمسـينيات بعـد الـثلاث مائـة، فإن هذه الروايات عن اسـتخدام المرتزقـة يعكـس منـاظرة داخليـة في المدينـة مـع وجود عوامل متعددة توضع في الاعتبار، فإنه يكفينا أن نتناول الأوامر التي سـلمها ديموثينيس Demosthenes أثناء الحرب وتغـاير فيليـب الثـاني Philip II ، حيـث أراد رفع الروح المعنوية.

فقـد وصـف بالنغمـة المتكـررة نفسـها التـي تصـف عيـوب النظـام الأخميني، مثلاً يتصرف فيليب مثل البربري، ويحيط نفسه بالأغبياء، «وكـان كل من حوله رجال عصابات وطفيليين، وأناس من هذا القبيل مـن النـوع الذي يشربه وحتى الثمالة، ثم هناك مـن يقـوم بـالرقص، وأنـا اكتـب لـك

عمن يحـدثوا هـذا الضـعف المعنـوي مصحوباً دائمـاً وبطريقـة طبيعيـة بـالجيش المقدوني، وقد تقدم ديموسينيس بشهادة مذاعـة ومجهولـة الاسـم، وكـان مسـتعداً لاغتياب زملائه الجنود، وقـد قـال: «إن المشـاة والمرتزقـة الإغريـق متشـابهون» إن المشاة والفرسان التابعين له مشهورون بالجندية المثيرة للإعجاب وحسن التـدريب، ولكن -وحسب ما علمت من أحد القرويين الذي لا يمكن أن يكذب- «أنهم ليسـوا أفضل من الآخرين».

ولم يكـن مـن الصـعب أن نلاحـظ في منطقـة المـدني أن اسـتخدام المرتزقـة كـان يعارضـه ديموسـينيس Demosthenes ؛ لأن المرتزقـة كـانوا متلهفين للحرب والفـوز بالغنـائم والمـال، وغالبـاً مـا يقـوم قـادتهم بأخـذ المبادرات عكس مصـالح المدينـة فصـل Olynt 11.28 - أيزوكـراتيس 44، وفي خطابه الأول، الذي ألقى في 351 قام فيليب بمطالبة إخوته المـواطنين لإعادة تكوين جيوش من المواطنين، وأدان قادة المرتزقة الذين لا يترددون في بيـع أنفسـهم لمـن يـدفع أكـثر، «فهـم يـذهبون لأرتابـازوس أو إلى أي مكان»، وهـذا مـا يقدمـه العلـماء المحللـين «أنهـم لا يريـدون أن يجـدوا أنفسهم في الحرب بسبب الخطـر، حيـث يـدفع أهـل أثينـا للفـارين مـن الحروب»، والتقييم نفسـه يوجـد عنـد ديـودورس Diodorus X 34.8 ، حيث تضمنت مناقشة عامة مقارنة المدن اليونانية مع المرزبانات والملوك والمؤلف، وهو هنا يقوم آراء إيفوراس يطـالبهم بعـدم اللجـوء إلى العـادة المقيتة باستجلاب قوات عسكرية من المرتزقة محـل الجيـوش التـي تنبـع من الشعب، ولا يحل ديودورس Diodorus من تكـرار الحـديث المتكـرر عن رؤية الإغريق أهل أثينا للحروب الفارسية، حيث يؤكد على الشـجاعة والإقدام للإغريق، وتفوقهم على العدد الكبير من البرابرة، وفي كلمات شبة متماثلـة يصـف ديـودورس Diodorus اللجـوء إلى المرتزقـة كـدليل عـلى الانحطاط للروح المدنية مثل زينوفـون عنـدما ينـاقش الفـرس في الفصـل الأخـير أو أهـل إسـبرطة في الفصـل الأخـير مـن كتـاب الدسـتور

أهل اسبرطة في الزمن القديم والفرس في الزمن الحديث، حيث يحلوا لديموسينيس Demosthenes أن يقارن فضائل القدماء مع الانحطاط الأخلاقي الذي يراه في أهل أثينا في عصره، «وفي العصور القديمة كان ملك هذه المدينة -مقدونيا- كان خاضعاً لأهلها كما يجب أن يكون البربري خاضعاً للإغريق».

وفي العصور القديمة بدلاً من اللجوء إلى المرتزقة كان الناس لديهم الجرأة للانضمام للحملات العسكرية، وهذا الحوار شامل، ويأخذ بعداً عالميًّا، وينطبق على أية دولة تشك في قدرتها على تعبئة وحشد شعبها ضد العدو، وهذا يفسر قلة اعتماد الفراعنة على شعبهم واعتمادها الأكبر على الدفاعات الطبيعية ديودورس Diodorus XV42 ، وهذه الازمة متكررة في الأدب الإغريقي، وهي لعنة الموت التي تعقد كل آمالها في مناعتها الطبيعية بدلاً من الاعتماد أولاً على شجاعة شعبها، وهو الاتهام نفسه الذي يوجهه الإسكندر Alexander ضد الفرس آريان VII 7.7 .

وبالطبع كما تكرر سابقاً فإن الخداع الأيديولوجي للمصادر الإغريقية لا يصل إلى درجة الدليل في مصداقيته: الحقيقة الأخمينية تهدف إلى تدقيق الاتهامات التي تهدف في المقام الأول إلى وصف الفرس بالانحطاط في الروح المدنية، وهذا يتوازي مع الضعف المفترض في مقاطعات الملك العظيم وجيوشه، وكل من أوجه التوازي تقدم في المقارنة في «الفضيلة في الماضي» و«الانحطاط في الحاضر»، وهذا يفصل من قطعة قماش كبيرة سواء كان يخص أثينا وإسبرطة أو فارس، وفي منطق هذا البحث الذي نحن بصدده تقوم المراجع الفارسية أو المصرية بلعب دور أولي مساند، وبهذا لا يمكن أن تستخدم كدليل في حالة التدقيق العلمي، وفي هذه الحالة وبالرغم من عدم التفكير في مراجعة فعالية وتنظيم جيش فيليب Philip فقط خلال الأقوال المتناثرة لديموثينس، فكيف يمكن أن يكون أي مؤرخ بهذه السذاجة بحيث يقبل

تصوير الإمبراطورية الفارسية بناءً على مؤلفات إغريقية أو خطب ألقاها أهل أثينا، أو القيت عليهم، ويمكننا أن نتخيل أن الخطيب القديم سيكون مندهشاً بالفعل لو علم أن التدقيق في المعلومة والتحليل السليم هو ما يمنح الخطبة قيمتها الحقيقية أفضل من البلاغة مثل تحليل إمبرطورية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث ودارا Darius الثالث كما لو كانت مدينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وتضع أمنها أمانة في أيدي مرتزقة أجانب، وتنام هي قريرة العين.

نسق القيادة:

ونظل متشككين بالمثل تجاه تقديم ديودورس Diodorus لنسق القيادة عند مشاركة قادة المرتزقة الإغريق في الأعمال القتالية، وقد رأينا من قبل أن ديودورس Diodorus قد ذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد أوكل فهمه لقيادة ثلاثة من جيوشه في عام 343 إلى قيادة ثنائية مشتركة بين الفرس والإغريق في كل منهما، بل قد أرادنا أن نصدق أن كل المناورات التي تمت في الحروب كانت من عمل القادة الإغريق حيث كانوا هم القوة الحقيقية وكان الفرس مجرد رؤساء بالنسبة لهم وهم السلطة، ودليل على ذلك أن أريستازانيس Aristazanes قد اشترك في القيادة مع نيكوستراتوس 47.3، وحارب باجواس في صفوف مينتور، وبصرف النظر عن القابهم، فإن أفعال القيادة أحياناً تزيل الشك الذي تولده تعبيرات وكلمات ديودورس Diodorus : «بعد أن قام لاكريتس بالاتفاق مع المرتزقة في مدينة بيليوزيام Pelusium أرسل أرتاكسركسيس Artaxerxes باجواس مع بعض البربريين للاستيلاء على المدينة، وهنا تكون العبارات محددة، وهي أن الفارسي كان مسؤولاً عن المدينة من الناحية الرسمية باسم الملك، وفي مدينة باباستيك، أرسل الإغريق المتواجدون بالحامية العسكرية المبعوثين إلى باجواس حتى يكون أول من يدخل إلى المدينة في صحبة البرابرة.

وعلاوة على ذلك، يصور ديـودورس Diodorus صراعـاً ينشـأ بسـبب الإدارة المشتركة بين الفرس والإغريق مثل النزاعات بين باجواس ولاكراتيس 49-1 أو مينتور وباجواس 6-50.1، وهذا الدليل يوجد أيضاً في حملة 373 «أصبح مارنابازوس مرتاباً من وقاحة وجرأة إيفيقراطيس خوفاً من الاستقلال بمصر لنفسه، وكان بعض القادة الكبار من جانب فارنابازوس يحملون الحقـد تجاهـه، ويحـاولون حبـك المـؤامرات والاتهامات الظالمة ضده ديودورسXV43 Diodorus ، واشتراك قادة المرتزقـة في هذه المؤامرات قد نال مـن قـورش الأصـغر Cyrus ، وفي كـل حالـة يسـتقر اتخـاذ القرار عند الفـارسي القـائم بـالإدارة، وقـد نشـك في ذلـك عنـدما يؤكـد ديـودورس Diodorus على أن الرضاء الملكي قد ناله ثلاث من قادة الفرس في سنة 343 بسبب أعمال الإغريق العظيمة، ومن بين الثلاثة، كان باجواس هو «الـذي وثـق بـه الملـك بدرجة أكبر».

ويبدو الإغريق بهذا الوضع المعتاد بسبب خبرتهم العسكرية ومهارتهم التـي ينسبها لهم عمل إيفوراس، فقد رأينا كاتباً مجهولاً يرجع توجيه الأعمال العسـكرية ضد تيثراوستيس إلى شاريز وبامينيس، وبسبب إشارة عرضية، نعلم أنه بعـد حملـة بقيـادة بـامينيس مـنح أرتابـازوس قيـادة قواتـه العسـكرية إلى اثنـين مـن إخوتـه أوكسيثراس وديبكتوكا بوليانوس VII33 ، وربمـا يكـون الإغريـق في المقدمـة لرغبـة الفرس في التضحية بهم في الخطوط الأولى، وادخار قوتهم الأساسـية احتياطيًّا تبعـاً لتطورات المعركة، وهناك حالات يكون فيها الإغريق قـادة لأنهـم احتفظـوا بقيـادة الوحدة العسكرية التي جندوها مثلما حدث في جـيش قـورش الأصـغر، ومـع هـذا فإن القيادة المحدودة للإغريق كانت متداخلة في تسلسل قيادي أكبر برئاسة الفرس والتوجيه العام للعمليات العسكرية والقـرارات الاسـتراتيجية التـي أصـبحت في يـد الملك العظيم نفسه .

ميمنون، المنتسب الفارسي، ودارا Darius الثالث:

من المدهش أن نلاحظ مرة أخرى أن ديودورس Diodorus في هـذا الوقـت في كتاب XVII يكرر الوتيرة نفسها من التفسـير للمركـز غـير العـادي الـذي شـغله روديان مينون في بداية حكم دارا Darius الثالث، وفي عصر الهجوم الأول المقدوني من 335 إلى 336 كان ميمون فقط هو القادر على شن الهجـوم المعتـاد وكـان هـو الوحيد الذي ألجأ بارمينون Parmenion إلى الفرار بالقرب من بيتان وبالرغم مـن أن دارا Darius اختار «أحسن قواده»، فقد اختار ميمنـون، ووضـع تحـت قيادتـه خمسة آلاف من المرتزقة، وأمره بالمسير إلى سيزيكوس ومحاولة الاستيلاء عليها.

ما سبب هذا الاختيار؟ لقد كان ميمون منفرداً في الشـجاعة: أنـدريا، ويملـك الفكر الاستراتيجي العسكري، ويتضح موقعه المشكوك فيه أثناء مجلـس الحـرب في زيليا، وهذا ما يصفه آريان وديـودورس Diodorus ، ومـن الواضـح أن ديـودورس Diodorus يحاول جاهداً شق سياسة تنتهي إلى تميز ميمنـون عـلى بـاقي الفـرس، بسبب ما يدعيه من قدرته العسكرية مع رسم القادة الفرس بصورة فاقدي القدرة الحربية بسبب تأخرهم في شن الحملات العسكرية وبطء اتخـاذ القـرارات ويبـدو ميمنون في الصورة مرة أخرى أنه هو الذي أشار بالانسـحاب مـن الهجـمات الأولى، حيث قام بهجمات حربية، وأوقـع خسـائر فادحـة لأهـل مقـدونيا، وقـد اسـتدعى مجلساً للمشورة من الضـباط الـذي أحـاطوا بـه، وهـو يـدعى في لقطـات متفرقـة بالقائد العام والمنتسب، وهؤلاء الضباط في المقام الأول هم قادة المرتزقة من بينهم أهل ثينا مثلأثينا مثل ايفياأأثينا

أثينـا مثـل: إيفيـالتيس وثـرايس بولـوس، فقـد اعـترف دارا Darius ببسالته العسكرية غير عادية، وأرسل خطاباً لمن يسـكنون بجانـب البحـر بأن يتحدوا تحت قيادته، ويأخـذوا منـه الأوامـر، حيـث ارتقـى إلى مركـز قيادي أعلى، ومن أجل دعمه أمده بمبالغ طائلة، ومن السـهل أن نتوصـل

مع ديـودورس Diodorus إلى النهايـة المحتومـة وهـي أن مُلـك دارا Darius قـد انهار مع موت ميمنون كما ارتفعت معنويات الإسكندر Alexander وآمالـه فقـط عندما مات ميمنون، وفي هذه النقطة يقوم ديودورس Diodorus بتصوير مجلـس الحرب، حيث تم اقتراح إخراج جيش إلى الساحل يشعر في النهاية أن عليه أن ينزل بنفسه ليشارك في التنافس على المملكة.

وهـذا بالضـبط هـو التفسـير الـذي قدمـه ديـودورس Diodorus لاختيـار أرتاكسركســيس Artaxerxes لثالــث قبــل الثــورات المصريــة، حيــث «كــان أرتاكسركسيس Artaxerxes محبطاً بسبب جبن وعدم كفاءة قواده، وأراد كذلك أن يتغلب على ضعفه وكسله، وهكذا تبنى خطة تحميل شخص ما لصراعات الحفـاظ على مملكته».

إن تقديم ما سبق يرسم صورة لدارا Darius على أنه شخص مـتردد يضـع كـل ثقته في ميمنون وأتباعه من المرتزقة، ومع ذلك يوجد تعليق معين يفند هذه الفرضية التي ترجع إلى ديودورس Diodorus : «استطاع دارا Darius أن ينطلق إلى صقلية في صيف 333، وهذا بوضوح لأنه بدأ في إعاد جيشه في بابل قبل ذلك بعدة شهور، وهذا لم يمنعه موت ميمنون، ومن الواضـح أن ديـودورس Diodorus أن يركـز قصـته عـلى ميمنون، ولم يذكر القواد الفرس الذين تخلوا عن موقعهم في ميدان معركة جارنيكوس، وهذا نفسه هو ما حدث في معركة هاليكارناسوس، حيث يتعمد نسيان ذكـر الوجـود الحيوي لأورونتوبانيس من أجل المحافظة على مسار فكرتـه التـي يركـز عليهـا، ومـن الواضح أيضاً أن المجادلات التي تم تبادلها في مجلس الحرب في زيليا تستعيد النزاعات بين الإغريق والقادة الفرس في مصر وهو ما أعده ديودورس Diodorus : «في عام 334 في زيليا تم انتقاد قدرة الفرس العسكرية كما أدين تاخوس Tachos ومارنابازوس لرفضهم تبنـي التخطـيط الاسـتراتيجي أي المشـورة الحكيمـة

الإغريقية التي قدمها غابرياس 92 XV وإيفيقراطيس على التوالي، ومن الواضح أن مركز ميمنون غير العادي يفهم بالتوازي مع الوضع الذي منحه دارا Darius لأخوه مينتور في أعقاب الحملة المصرية 50 XVI ، وهو غير مقنع بالمرة، وتلك الثقة المطلقة للملك العظيم في ميمنون وحده تذكرنا بما كتبه ديودورس Diodorus عن المساعدة التي طلبها أرتاكسركسيس Artaxerxes Art الثالث من وصول نيكوستراتوس في بداية الحملة المصرية، وبالطبع لم يكن ديودورس Diodorus هو الوحيد الذي يرجع هذه الأهمية إلى أنشطة ميمنون ولكن إلى الدعم الذي تلقاه من آريان وكوينتوس حتى يصبغوا نظريتهم بالمصداقية، حتى أنهم هم الوحيدون الذين يكتبون في هذا الأمر بهذا التناسق، وسوف نعود لاحقاً لتحليل الدور الذي قام به ميمنون لصد هجمات الإسكندر Alexander ، وهنا في هذا المقام نسجل تكرار بعض الأنماط التي توجد في كتاب XVI و XVII لديودورس Diodorus ، مما يقودنا إلى الحذر من ارتفاع نجم ميمنون والمرتزقة الإغريق، ناهيك عن ذكره لعدم كفاءة قادة الفرس العسكريين، وجبن الملك العظيم.

الملك العظيم والمرتزقة التابعون:

علاوة على ما سبق، أثار أرتابازوس وأورونيتس تحليلاً سياسيًّا ذا أهمية كبيرة؛ لأنه يرجع إلى الملك العظيم نفسه، وفي تقديم بدايات ثورة أرتابازوس ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، يقدم الكاتب المجهول الاشتراكي Scho. Dem 4.19 المعلومات التالية: «ثم جاء قائد جيش المرتزقة، حيث وضعوا أنفسهم تحت قيادته، وفي أثناء الثورة، وبينما كان الفارسي أرتابازوس يحارب ضد الملك، استدعى شارز، وطلب منه أخذ الجيش إلى داخل الأرض الملكية».

ومنذ الوهلة الأولى، يمثل أمر الملك تفسير الموضوع ضعف السلطة المركزية في مواجهة الأقاليم التي استطاع قادتها بناء الجيوش

الخاصة بهم، وشراء المرتزقة، والتفسير قد تم نقله لدعم الفكرة الرئيسة، وهي وجود اتجاه لإيجاد جيوش خاصة مثل التي نراها في الحقبة الهلينية، وهذا ما يؤكده استخدام أوامر الإسكندر Alexander -كما سجلها ديودورس Diodorus - التي طلب فيها من كل قواده وأقاليمه بمجرد قراءة رسالته أن يتخلوا عن كل المرتزقة الذين لديهم في الحال، ونذكر أنه في أوقات سابقة عديدة قامت ثورات بالأقاليم بمساعدة المرتزقة مثل ستيسياس Cteseas ، ومع ذلك، فإن هذه النظرية ضعيفة، فالمقارنة تبين أمر الإسكندر Alexander بالرغم من أنه عمل رسمي تماماً، فإن بيان ديودورس Diodorus موضوع بوضوح تماماً في الإطار غير المستقر لعودة الإسكندر Alexander من الهند، وفي هذا الوقت -كما نعلم- كان على الملك أن يتخذ إجراءات مشددة ضد الانتفاضات واضطرابات الأقاليم التي استغلت غيابه لإثارة الشعوب ضده، وفي هذا الإطار يظهر ديودورس Diodorus مخاوفه من بعض القادة العسكريين قائلاً: «بعض ممن لديهم قوات مرتزقة قاموا بالثورة ضد سلطة الملك» XVIi 102 بالأوامر التي أعطاها الإسكندر Alexander ، والتي نقلها ديودورس Diodorus ، كان يحاول الإسكندر Alexander حرمان القادة الذين بدوا في الثورات من جنودهم المرتزقة، ولا يوجد نص محدد لذلك، وبدلاً منه قام أرتابازوس بتجنيد المرتزقة بعد ثورته، ومن جهة أخرى لا تقوم الأقاليم بالاعتراض على أوامر الملك، وهذا هو السائد لأنه لا أحد يجرؤ على تحدي سلطة الملك، ولم يكن أحد في هذا الوقت معرضاً للتهديد».

هذه الملاحظات تقودنا إلى مراجعة هذه المعلومات بقدر كبير من الشك، حيث إن المؤلف مال إلى إلصاق الاتهامات بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وهي عامة اتهامات وانتقادات إغريقية لكل ملوك الفرس، وبصورة خاصة تم انتقاده بسبب «الجشع وعدم دفعه لرواتب

المرتزقة الإغريق الذين يعملون في خدمته»، وحتى لو تم التسليم بالمعلومات، فإنها تناقض ديودورس Diodorus ، مما خلق صعوبات لدى المعلقين، وهناك نص في كتاب «فيليب الأول»، حيث ينتقد ديموثينتس قادة المرتزقة الذين كانوا على استعداد تام للتخلي عن المهمة الموكلة لهم «لكي يفروا إلى أرتابازوس أو أي مكان آخر»، واستمراراً لهذه المناقشة، حيث يقوم الملهم إيقوراس بربط ما يدينه في أعمال الفرس وتصرفاتهم مع تشجيعه - بدون خجل- للمرتزقة وإجمالاً، فإن هذا النص السابق لا يدعم التوافق الذي كان يستهدفه المؤلفون الإغريق، إضافة إلى وجود التغيرات الداخلية في الإمبراطورية، تلك التي تغذي نظرية انحطاط العسكرية الأخمينية، وتتطلب منا مناقشة هذه النقطة الإجابة عن عدة أسئلة أولية: ماذا كان المرتزقة في الجيش الأخميني؟ وهل كان كل المرتزقة من الإغريق؟ وهي أسئلة معتادة بالرغم من الاعتقاد العام بأن هذه النقاط تكون في إطار المكون الإغريقي، وأهمية استخدام المرتزقة في إطار التغييرات المعقدة في المدة الإغريقية، ولا يوجد من المفردات والمعلومات من النصوص المؤلفة، ما يدعم هذا الاتجاه الذي بالرغم من ذلك، يبدوا مؤكداً ولكي يبدو الدليل مقنعاً، سوف نقوم باختيار أمثلة تؤخذ من مسرح أحداث حوض البحر المتوسط لعمليات الإمبراطورية، حتى لا يجادل أحد في أن الحامية العسكرية لإمارات بابل وصوصا وبيرسبوليس وغيرها تتكون من الإغريق، وبالرغم من أنه لا يوجد إجماع، إلا أننا نقدم بعض الأمثلة المهمة المستقاة من المؤرخين القدامى للإسكندر Alexander ، وبالإشارة إلى آريان والذي أشار إلى أن المرتزقة وهم 20 ألفاً كانوا من أهم مكونات الجيش الإقليمي 334، ويستخدم اللفظ العرقي وهم «مشاة مرتزقة أجانب»، حيث إن المقدونيين وجدوا أنفسهم في عدة معارك في مواجهة بعضهم البعض، ولكن هل كان كل من واجهوه

فقط من الإغريق؟ والعبارات العديدة المستخدمة هنا غامضة، وفي معركة سيلليون يميز آريان الأجانب عن الوطنيين، واللفظ الأخير يشير إلى الجندي الذي يتم تجنيده في الحال، وفي موطنه نفسه، وقد لاحظ كوينتوس أنه تم تجنيد العرب مع الفرس في غزة، ومن هنا يتضح أنه حتى في المناطق الغربية لم يتأكد المؤرخون من أن كل المرتزقة من الإغريق وأكثر من ذلك، فإن هذه الحقيقة تتضح من وصف زينوفون العام لحرف الجنود المختلفة، حيث يقوم الملك كل عام بمراجعة هذه الحرف، وقد وعد المرتزقة، وكذلك كل من سيحمل السلاح Oecon 17 ، ويتميز المرتزقة عن الجنود في الحامية، ولكن لا يعني ذلك أن كل المرتزقة من الإغريق حتى لو وجد إغريق بينهم، على الأقل في غرب آسيا الصغرى .

وهناك مثال آخر مهم: ديودورس Diodorus في حكاية الحملة ضد ملوك الكبريت في الخمسينيات من عام 300، يكتب أن ثروة الجزيرة قد اجتذبت أفواجاً من الجنود على أمل الربح XVI 42 ، ويشير الإطار، وكذلك المفردات إلى أن هؤلاء كانوا جنوداً يقاتلون من أجل المال، ونصيب من الغنائم، وهذا واضح، والقطع لا تشير إلى كون هؤلاء المرتزقة من الإغريق بالتحديد؛ لأن ديودورس Diodorus يذكر أنهم أتوا من أرض القارة المقابلة للجزيرة، وهي سوريا وصقلية، وهناك بالفعل كثير من هذه المناطق لدى سكانها استعداد للانضمام للحرب في سبيل المال، من أي مكان أتى هؤلاء المرتزقة غير الإغريقيين؟ وأين تم تجنيدهم؟

تاوشيان في جيش تيريبازوس Tirivazus في أرمينيا:

وجد ما بين قوات أورنتيس الأرميني مارديان وكالديان، وكذلك ميسيانز في جيش فارنابازوس، وفي موضع آخر يكتب زينوفون أن الكلدانيين في أرمينيا «خدمة عسكرية للإيجار»، وذلك لأي شخص

يريد، وكان تأجير المرتزقة ممارسة حياتية عادية كما ذكر سترابو Strabo أن الفرس قد استعملوا المرتزقة من ذوي الأصول الهندية، حيث كانت تروج هذه التجارة مثل آريان 26 IV ، وربما يكون هذا ما يصفه ستيسياس في هذا السياق والمرتزقة هي القوات التي يشير إليها زينوفون Xenophon بالوصف الشامل المميز، وهذه القطعة تبين بوضوح أن المؤلف كان يحدد الوحدات الإقليمية وحامية ميسيا الذي جاء لمعاونة أسياتيس من كل المعاقل المهمة في المنطقة، وهي تشمل على سبيل المثال «قوات مشاة وفرسان» ونحن نعرف عن وجود ميديان وهيركانيان وباكتريان، وهي مستعمرات عسكرية في آسيا الصغرى في 334 ديودورس XIVII Diodorus ، وهذه الأمثلة توضح بصورة عامة أن كل الحاميات العسكرية في هذه البقاع ليست كلها إغريقية تماماً وعلاوة على هذا، فإن كل الجنود المستقرين في الحاميات العسكرية يتم توصيفهم بطريقة غامضة بكونهم من المرتزقة وإلى حد كبير تكون الترجمات الإغريقية لهذه النصوص مضللة عن هوية هؤلاء الجنود حيث إن الجنود هؤلاء يتقاضون رواتب، وهذه الصفة لو تتم تعميمها لكان كل من يعمل بالجيش الإغريقي والفارسي من المرتزقة، وهم بالتالي ليسوا مرتزقة بالمعنى الحرفي للكلمة.

ولو عدنا إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في عام 343-345، فقد ذكر ديودورس Diodorus أنه مع المرتزقة التي توفرت في اليونان وكذلك من قادهم منتور وفر الملك 6 آلاف منهم من الأرض الساحلية لآسيا الصغرى إضافة إلى أن الجيش شمل بهذا الوضع 10 آلاف إغريقي كحلفاء .

وهذه التفاصيل تظهر أمرين؛ أولاً: أن عبارة سكان الأرض الساحلية لآسيا الصغرى لا يشمل الستة آلاف كلهم، حيث إن ديودورس Diodorus خلط بين المرتزقة والمجندين. ثانياً: أن الكلمات المستخدمة لا تعني

المرتزقة فقط، ولكن الدعم العسكري بالمعنى الحرفي، حيث قد تشير إلى معنى آخر غير متداول، ونعرف على سبيل المثال أيضاً أن قوات الدعم لدارا Darius الثالث التي لم تكتمل إلى مدينة إكباتانا، قد استقبل كادوسيان وسكيشيان آريان و III وهم قواد غير إغريق، وفيما بعد أراد بيسيوسي Bessus أن يجند ساكا Saka الذي وعده بنصيب من غنائم الحرب، وبالإضافة إلى ذلك قام بيسوس بجلب بعض من قبيلة الساكا إلى معركة جوجاميلا، ويذكر آريان وجود بعض من المرتزقة ليس بالمعنى: الإغريقي ولكن مرتزقة بالمعنى الأخميني وهذا يعني أنهم جنود قيدوا اسمهم ليس بدافع شخصي لهم، ولكن بناءً على التزامات استعمارية فرضت عليهم بطريقة جماعية مثل العرب وأهل ميجان والكلدانيين والهنود، والستة آلاف من المرتزقة في الجيش المصري ربما لم يكونوا إلا من قد تم جمعهم من المدن الساحلية من الشعوب الخاضعة للاستعمار في شرق آسيا الصغرى، وقد تم إرسالهم للملك العظيم الذي كان في فينيقيا في هذا الوقت، وعلاوة على ذلك اعتاد ديودورس Diodorus أن يطلق لفظ المرتزقة جميعاً بدون تحديد دقيق، مثلما أشار إلى الملوك الإغريق، وكان يقصد الملك زينوفون، والتمييز العرقي لديه لا يشير بالضرورة إلى الجنس العرقي للجنود، ولكن يشير إلى طريقة التجنيد والإدارة .

وفي واقع الحقبة الأخمينية يجب تمييز المرتزقة الملكية عن الجنود من بابل الذين لا بد أن يتحملوا بأنفسهم تكاليف تجنيدهم، وهم يتميزون عن الفرس في المناطق المستعمرة المطلوب فيها توفير القوات العسكرية عند الطلب، وحقيقة الأمر أن المرتزقة الملكيين يأخذون رواتبهم من الإدارة الخاصة، وهكذا يجب علينا أن نحدد مستويات الأجور التي تدفع في إطار عام أو بطريقة خاصة وهي تقديرات مقارنة لمستويات الجزية: انظر هيرودوتHerodotus 67 III وجوستين 1.9.12،

وهناك اختلاف بين دفع المال للجنود الوطنيين ووقف الرعايا الخاضعين من الشعوب حتى لو كان كل منهم مشتركاً في الجيش الملكي، ولو كان هذا البيان دقيقاً، فإن وحدات المرتزقة الملكية سوف تكون دليلاً على قلة الموارد العسكرية للملك العظيم، وهذه الموارد العسكرية يجب بدلاً من ذلك تجديدها، وهذا يذكرنا بتنوع طرق التفسير التي تستخدمها السلطة المركزية للتحكم في الشعوب واستغلالها، وقد قام الكلدانيون مثل تاوشيان وكاردوس بتجنيد ما يسمى بالمرتزقة الملكية بناءً على تكليف الملك العظيم.

الجيش الإغريقي والجيش البربري:

ومن أجل التحديد الدقيق للمرتزقة من الضروري أن نحدد كلاً من الجيوش الملكية في القرن الرابع، ولسوء الحظ، فإن المصطلحات المستخدمة مضللة حتى الاسم «فارس» نفسه غامض، فالعشرون ألفاً من الفرسان الفرس تحت قيادة تيثيروستيس عندما قاتل أرتابازوس school 9.14 لم يكونوا كلهم بالطبع من أصل فارسي، بالرغم من أنه تمت قيادة القوة من جانب الأرستقراطية الفارسية، وهنا، وفي مواضع أخرى كثيرة يتحدى الفارسي المقاتل بأنه: جندي ذو ولاء تم تجنيده في إطار استعماري، بما في ذلك من هم من أصل فارسي، وفي حالة ديودورس Diodorus ، فإنه تجب معاودة الإشارة إلى الجيش الفارسي إلى كونه جيشاً من البربريين بدون تحديد إضافي، وبالرغم من قصده الأول الذي كان يعني جيش قورش الأصغر Cyrus الفصل 2/15، ومع ذلك فإن طريقة تعبئة الجنود التي استخدمها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في بابل تظهر أن القوات التي تم تجنيدها في ميسوبوتاما Mesopotamia وشرف الإمبراطورية قد تم توحيدهما، وكالمعتاد لحقت بالملك في طريقه قوات مجندة من مقاطعات الإمبراطورية، وخاصة من آسيا الصغرى، وكذلك من سوريا وصقلية إذا لم يكن بيليسيز قد مات في هذا

الوقت، وفي فينيقيا تم ضم القوات إلى المرتزقة، وقد اشتمل الجيش الملكي على مجموعة من القوات من كل هذه الولايات، وقد حددهم ديودورس Diodorus تحت مسمى «الجيش الإغريقي»، مثلما هو الحال مع جيش قورش Cyrus الأصغر، وهو ما يمثل أقلية من الناحية الرقمية.

وهناك أمثلة تضاف هنا للتدليل على القدرات اللانهائية للموارد العسكرية التي توجد في إمبراطوريات الملوك العظام حتى عهد دارا Darius الثالث، وإحدى هذه الأمثلة الشيقة يأتي من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وهي إحدى الفترات التي يقال إنها غنية بتجنيد المرتزقة الإغريق، ويوجد كشف وبيان محدد في نيبوس Nepos الذي وضعه أوتوفراديتس Autophradetes ضد المتمرد Datames داتاميز من الفرس البرابرة، حيث كان لديه عشرون ألف حصان، ومائة ألف من جنود الفرس، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف من الجنسية نفسها، وثمانية آلاف كابادوكي، وعشرة آلاف أرميني، وخمسة آلاف من بافلاجونيا، وعشرة آلاف من فرجينيا، وخمسة آلاف من ليديا، وثلاث آلاف إغريقي من المرتزقة، مع عدد كبير من القوات خفيفة التسليح .

وهذا البيان الذي نحن بصدده لا مجال فيه للشك وواضح جدًّا، حيث يميز نيبوس بين كل أفراد قواته، ويميز الفرس عن غيرهم، كما يميز المرتزقة الإغريق عمن جلبوا من آسيا الصغرى، والمهم في هذه القطعة ليس العدد أو المدن التي ربما تكون اندثرت، ولكن نسبة المرتزقة الإغريق في هذا العدد هي نسبة صغيرة كما رأينا.

إن تركيب الجيوش في معركة جرانيكوس يحوطه الغموض، فإذا وضعنا جانباً مشكلة المرتزقة الأجانب -التي سوف نعود لها في وقت لاحق- وتقدم لنا طريقة استدعاء القوات الإقليمية دليلاً على الاختلاف في تكوينها من موقع لآخر، فإن قوات آسيا الصغرى تجمع قواتها من كل مكان، وخاصة مدن التجمع الرئيسة التي سبقت الإشارة إليها،

وكذلك من الحاميات العسكرية والمستعمرات، وهناك المرتزقة الملكية وسادة الحرب، وهم القواد الكبار مثل ميمنون، وربما أرسيتيس Arsites بالطريقة نفسها التي استدعى بها الجيش «البربري» لقورش Cyrus الأصغر في آسيا الصغرى .

والآن نتناول الجيوش التي يقودها دارا Darius شخصيًّا في إبيسوس وجوجاميلا، ويعرض الدليل اثنين من المشكلات المنهجية؛ أولاً: تحدث مبالغة في العدد من قبل المؤلفين القدامى مع اختلاف النسب من مؤلف إلى آخر، وهنا نلفت النظر إلى ما قيل عن جيوش كسركسيس Xerxes في عام 480 حتى نتبين درجة هذه المبالغات في عدد الجنود .

ثانياً: تحليل الوضع الأولي للقوات وتكوينها وعملها في أثناء المعارك يعطينا فكرة ومعلومات أساسية، ولكن، ولسوء الحظ، فإن المعلومات متناثرة، وغالباً متعارضة -إلى الحد الذي يصبح فيه بيان أساليب الحرب والمناورات محيراً للمتخصصين في العلوم العسكرية- وهذا حدث بصفة خاصة في معركة جرانيكوس التي تم الاختلاف عليها عند آريان وديودورس Diodorus من البداية إلى النهاية وبطريقة آمنة لا مجال فيها للخوف من الخطأ، يمكننا قول إن دارا Darius قد كون جيوشه بمساعدة الوحدات العسكرية ذات الأعراق المتعددة من كل أنحاء الإمبراطورية التي كانت تحت حكمه في هذا العصر آريان SS 11 - ديودورس Diodorus 58XVII .

ومن أجل الاستعداد للحرب الوشيكة في إيسوس قام الملك بجلب قواته العسكرية من كل أنحاء الإمبراطورية إلى بابل بالرغم من طول الوقت المستغرق لوصول جيوش من الهضبة الإيرانية، وشملت جيوشه كل الأصول العرقية في الإمبراطورية، وبالمثل فيما بين عام 331-332 استدعيت الجيوش إلى بابل، ثم أربيل، وفي هذه المرة لحقت به الجيوش

من هضبة إيران، وهم الذين يمثلون قلب الجيش الإمبراطوري طبقاً لمستند رسمي لدى آريان، وقد جلبت كل ولاية جيشاً خاصاً بها، وبدون الدخول في التفاصيل، قام دارا Darius باستدعاء كل قوات الإمبراطورية، مما يجعلنا نعتقد أنها كانت متنوعة إلى أقصى حد المستعمرات والحاميات العسكرية والجنود من المستعمرات، والقوات العسكرية للولايات الخاضعة والمرتزقة الملكية .

وتبقى مشكلة المرتزقة الإغريقية مشكلة وضعناها جانباً بطريقة مقصودة حتى الآن، وتقدم النصوص القديمة ثلاث مشكلات معروفة، وهي العدد، والعرق الأصلي، والتخصص الفني لهذه القوات العسكرية، وسوف نقدم هذه المشكلات أولاً عن طريق المؤلفين الإغريق، مع تمييزهم من ناحية التسلسل الزمني .

1- يبدو آريان وحده من بين المؤلفين القدامى الذين يقدمون مرتين حضور عدد عشرين ألفاً من قوات المشاة الأجانب المرتزقة في قوات الولايات في معركة جرانيكوس، بالإضافة إلى عشرين ألفاً من الفرس، ويتحدث ديودورس Diodorus عن مائة ألف من مشاة الفرس، ويفترض بلوتارخ Plutarch أن المحارب على قدميه يحارب بقوة أكثر، عندما يذكر أن المحاربين على الأقدام لم يكونوا بطيئي الحركة أثناء الهروب، فقط المرتزقة الإغريق هم الذين ظلوا متمسكين بمراكزهم حتى تم ذبحهم بواسطة الإسكندر Alexander ، وتبعاً لآريان لم ينج أحد ماعدا مائتان تم أسرهم.

2- بعد قيامة بمعارضة الإسكندر Alexander مباشرة، أمر دارا Darius فارنابازوس ابن أخ وخليفة ميمنون الذي مات في صيف عام 333 أن يرسل إليه المرتزقة الأجانب، وتم تنفيذ هذه الأوامر، وتم جلبهم من ميتيلين إلى ليسيا، حيث أحالهم إلى ثايموندداس ابن مينتور وقريبه، ويبدو أن المرتزقة قد حضروا عن طريق البحر من طرابلس إلى

فينيقيا، وقد كان هناك عشرون ألفاً في الجانب الأيمن من الجيش، وعشرون ألفاً من المشاة البرابرة متواجدين على الجانب الأيسر، ويقرر آريان أن ثلاثين ألفاً من المرتزقة الإغريق على رأس الوحدات المتنقلة السريعة يواجهون ستين ألفاً من أفضل جنود مقدونيا، وخلف المرتزقة الإغريق أفضل الجنود الفرس توجد الوحدات العسكرية الأخرى بالترتيب نفسه .

3- بعد الهزيمة، قام عدة آلاف من المرتزقة الإغريق باصطحاب دارا Darius في قافلته، وقد كان العدد تبعاً لآريان أربعة آلاف، وقد غادر أرض المعركة ثمانية آلاف بناءً على أوامر قادتهم مثل أميناتاس المقدوني، تايموندداس وأريستوميدس، ووصلوا إلى طرابلس في فينيقيا، وفي جوجاميلا بجانب دارا Darius في قلب الجيش كانت توجد وحدة عسكرية إغريقية مع وحدته الفارسية مقابل القوة الضاربة المقدونية آريان III 11.7 ، ومقابل ذلك يكون كوينتوس الذي يضع دارا Darius في اليسار غير واضح، ولكنه مثل آريان يذكر أن المرتزقة الأجانب كانوا مرافقين لدارا Darius عندما هرب من المعركة، وحسب قول آريان قادهم بارون وجلوكاس، كما ذكر كوينتوس أيضاً أن بارونا قد قادهم وألقى فيهم خطبة ذكر فيها أن الخمسين ألفاً من المرتزقة قد بقى منهم عدد قليل في ميدان المعركة، ويمثلهم بأنهم آخر من ظل عنده ولاء للملك، وهم حائط منيع ضد المؤامرات، وهنا الكثير مما يثير الشك في هذا المقال، وخصوصاً ما يتعلق بالولاء، وهذا ما يردده آريان عندما يتحدث عن الاخلاص غير المشروط لقورش Cyrus الأصغر ورفاقه في كوناكسا.

إن الأرقام المقدمة هنا يصعب تصديقها أو التأكد منها، ومن الواضح أن كوينتوس يبالغ في العدد الموجود في خدمة الملك العظيم، وجعل بايرون يشير إلى 50 ألفاً حتى مع جمع العشرين ألفاً من المرتزقة

في معركة جارنيكوس مع الثلاثين ألفاً من معركة إيسوس وهـو نفسـه غـير مؤكـد، فإن كلاً من هذه الأرقام يمثل مشكلة -وخلال قصته- يحتل المرتزقة موقعـاً متميـزاً بجانب دارا Darius ؛ لأنه يحب أن يقارن شجاعتهم وإخلاصهم مع جـبن البرابـرة، والبرابرة ملابسهم ناعمة أنثوية وأبعد ما يكونون عن الشـجاعة، وكـان الـرقم عنـد آريان هو 20 ألفاً من المرتزقة في جارنيكوس، وهذا أيضاً عرضة للشك، بـالرغم مـن قوله إنه يشير إلى المرتزقة الأجانب وليس فقط الإغريق ومع ذلـك فسـوف يحـاول فيما بعد أن يسميهم إغريقاً؛ وذلك لأن آسيا الصغرى كان بها مرتزقة مـن الإغريـق في كل الأقاليم، وهذا أيضاً محل شك، ولكن كونهم أرسلوا 20 ألفاً منهم، فهـذا هـو المستحيل بعينه، وأخيراً نؤكد أن قـوة المشـاة هـذه لم تكـن تشـغل مركـزاً مهـمًّا في التفكير الاستراتيجي؛ لأنه لم يصدر أي بيان يـدل عـلى قيـامهم بالمشـاركة في أعـمال القتال؛ ولهذا فليس من الصحيح أن نقول إن الإغريق كان عددهم أكبر ما يمكن في الجيـوش الأخمينيـة في عـام 331 إلى 333 بـالرغم مـن إصرار مـؤلفي الإسـكندر Alexander على شجاعتهم القتالية، وعددهم عند دارا Darius الثالـث، وهـم أي المؤلفين من ناحية يحرصون على شـهرتهم وكـونهم إغريـق، حيـث يسـتطيعون أن يتغنوا بفضائل الإسكندر Alexander التي تضلل كل الإغريـق آريـان 1016، ومـن ناحية أخرى يفعلون ذلك لأنهم يحبون أن يمجدوا أعمال الجنس الإغريقي .

ولأن مشكلة الأرقام لا يبدو أن لها حل، فإنه من الأفضل دراسة وظيفة المرتزقة في معركة إيسوس وجوجاميلا؛ أولاً: يتضح أن القيادة العليا الفارسية ليس لديها شك في القدرات العسكرية لقوات المرتزقة بالرغم من الدورات التدريبية في إيسوس، تم وضع هذه الوحدات في مقدمه الصفوف آريان 11.8، وبوضوح اعتمد الفرس في المقام الأول عـلى القـوات العسـكرية للفرسـان مـن الفـرس والإيـرانيين، وهـذا يتضـح في

ثلاث معارك متوالية، وفي معركة إيسوس لم يوجد أدنى شك في أن دارا Darius أعطى أوامر إلى فارنابازوس وثيمونراس بأن يقوما بتجميع بعضاً من هؤلاء المرتزقة في صقلية استعداداً للمعركة المنتظرة، وقد ذكر قدامى المؤلفين أن دارا Darius اعتقد أنهم القوة الوحيدة القادرة على إيقاف صناديد مقدونيا، وهنا نرى مرة أخرى الأسلوب الكلاسيكي الذي يمجد من التفوق الإغريقي وخاصة في مواجهة المشاة، وهو ما يوحي بأن إعداد الفرس للمعركة لم يكن إعداداً جيداً، ولكن هل هذا يعني أنه بعد هزيمة الفرس في عام 479-480 لم يحاولوا وضع قوات مشاة ذات مقدرة عسكرية في ميدان القتال؟ وعند هذه النقطة لدينا عدة تحفظات .

هناك عدة ملامح في الترتيب لمعركة إيسوس، وجوجاميلا في إيسوس حيث لم يكن المرتزقة الإغريق وحدهم في مواجهة الجيش المقدوني، ولم يكونوا أيضاً بعيداً عنهم، وفي الحقيقة كان هناك ستون ألفاً من قوات الكارداك، وهم من قوات المشاة خفيفة الحركة متواجدين مع المرتزقة وهم قد كونا معاً القوة الضاربة الفارسية، مع أن آريان يقلل من مواجهات المشاة في درجة المبارزات بين الإغريق والمقدونيين، ولسنا في حاجة إلى مسايرته في طريقته المعروفة في كل التقاليد الإغريقية عند مقارنة أداء إسبرطة مع الفرس، وفي جوجاميلا كانت لدى دارا Darius قوة ضاربة تقابل القوة الضاربة المقدونية، وتشمل قوات من المرتزقة الإغريق والفرسان من الفرس، ولسوء الحظ لا نعرف بالضبط من هم الكارداك، ويمكننا استنتاج أنهم القوة الضاربة للجيش الفارسي، ومما يعزز هذا الفرض أنهم ظهروا في جيش أوتوفراديتس Autophradates ضد داتاميس Datames منذ أربعين عاماً، حيث شارك منهم عدد ناهز المائة ألف -كما قال نيبوس- ويظهر الاسم نفسه في فقرة سترابو Strabo عن التعليم الموجه لشباب الفرس، وطبقاً لسترابو Strabo فإن اللفظ كارداك يشير إلى الصفات العسكرية والبدنية، وهم أيضاً الشباب الذين انتقلوا إلى مرحلة

الرجولة ملتـزمين بـالأخلاق والإتـزان العسـكري، والـذين اجتـازوا التـدريب المعـد لقوات المشاة بما يعادل تدريب المشاة عند الإغريق أو المقدونيين .

رغم تقطع المعلومـات وعـدم اسـتقامتها، فإنهـا تبـين أن الفـرس قـد حـاولوا جاهـدين أن يعـدلوا أسـاليبهم القتاليـة طبقـاً للأسـلوب المقـدوني، حيـث يـذكر ديودورس Diodorus أن دارا Darius قـد قـام بـبعض التجديـدات في عـام 331-332، حيث استحدث سيوفاً وحراباً غير مألوفة، وكانت أطول مـن ذي قبـل، حيـث اعتقد دارا Darius أن هذا هو سبب تفوق الإسكندر Alexander عليه في معركـة سيليسيا Cilicia XVIi53 ، وهذا الأسـلوب يبـدو محـدوداً ومتـأخراً جـدًّا، يقـول كوينتوس كورتيـوس أن دارا Darius اعتـاد هـذه الممارسـات، حيـث زود الفرسـان بهـذه الأسـلحة مـع أفضـل التجهيـزات، حيـث حملـوا واقيـات الصـدور والـدروع والسيوف الإغريقية.

وهذا الدليل يثير بعض التأملات، ومع عدم وجود ما يدعو للشك في هذا الدليل فمن الضروري أن نركز على محدودية الموارد وصعوبة التطبيـق، حيـث إن معلومـات ديـودورس Diodorus وكوينتـوس مسـتوحاة مـن نـاقلي أخبـار الإغريق والمقدونيين، وهم ينقلون الأخبار التي تفيـد وجهـة النظـر الإغريقيـة، حيث قالوا إن دارا Darius ارتدى جنـوده عتـاد جنـود الإسـكندر Alexander نفسه، حتى يتمكن من مقاومته، وهذه العبارة تبدو بعيدة عن التصديق رغـم كونها في صالح الملـك العظـيم، وهـذا المصـدر -ديـودورس Diodorus - ينقـل فقط المعلومة التي يمكن أن تدعم الفرضـية التـي يـدافع عنهـا، وهـي التفـوق الإغريقي، ويريد هنا أن يؤكد أن أمل دارا Darius الوحيد هـو النجـاة بحياتـه مـن سـيوف وبـأس الجنـود المقـدونيين، وهـذا هـو المقصـود بالمصـطلح Hellenization ، أي نقـل كـل الأخبـار، وترتيـب الأحـداث مـن وجهـة النظـر الإغريقية، ومع ذلك لا بد أن الفرس قد بذلوا قصارى جهدهم في مواكبة القـوة

المعادية، وابتكار أساليب حربية حديثة، ويذكر آريان مثلاً وجـود بعـض الفيلـة في مقدمة الجيش الفارسي، ووجود الفيلة لا يحـدث فرقـاً كبـيراً في مجريـات المعركـة، ولكنه يشير إلى محاولـة التجديـد في أسـاليب القتـال المـأخوذة مـن أصـل هنـدي، وبالطبع هناك أيضاً العجـلات الحربيـة السريعـة التـي أوردهـا المؤلفـون، وكانـت تهدف إلى إرباك الصفوف الأولى للجيش المقدوني، وهو أسلوب فارسي صرف، وهـو ما عانى منه الإغريق، وأصابهم بالرعب في آسيا الصغرى عنـدما حـاربوا فارنابـازوس وتقليد أسلوب الإغريق في التسليح لا يعني قلة الحيلة العسكرية لدى الفرس كـما هو الحال لاستخدام المرتزقة من الإغريق، وهناك أحد شاهدي العيـان مـن كارديـا، كانت شهادته كما يلي: «إن من يسكنون هذا البلد، كانوا أكثر الفرس قدرة حربيـة، حيث إن كل رجل هنا كان رامي رمح أو مقلاع، ومـن ناحيـة كثافـة السـكان، فـإن هـذا القطـر يفـوق بـاقي الـبلاد عـدداً للسـكان، وهـذا يعنـي غنـى الإمبراطوريـة الفارسية، حيث أخذ من هذه البلدة عشرة آلاف رامي سهم، وبناءً على ما تقدم، لا توجد أسـباب للمخـاوف التـي عـبر عنهـا زينوفـون Xerophon عنـدما قـال: «إن التعليم المقدم لشباب الفرس وهم قلب الإمبراطورية الفارسية في حالة تدهور».

وتلخيصاً لما سبق، ففي عام 334 استطاع الملـك العظـيم الاعـتماد عـلى قـوة عسكرية كبيرة لمواجهة القوة الضاربة الإغريقيـة والمقدونيـة، وقـد اسـتطاع إعـداد قوته الضاربة أيضاً، وليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه من بداية القـرن الرابـع فقدت قوة المشاة الأخمينية القدرة على المناورة، مما أثر على المـراقبين الإغريـق في معركة كوناكسا Cunaxa ، وسوف نعود إلى هذا فيما بعد فصل 5/18 .

ولكن هذه الهزائم التي حدثت على يـد الإسـكندر Alexander لا يجـب أن تكون دليلاً أو حتـى علامـة عـلى التـدهور العسـكري في إمبراطوريـة دارا Darius الثالث .

7- السكان، الرعية، واقتصاد الجزية:

تحدث المؤرخون عن قيام الشعوب الخاضعة بثورات للتعبير عن عدم رضائهم عن الملك العظيم، وولائهم للفاتح المقدوني، وقد تكونت هذه النظرية لأول مرة بواسطة أولمستيد Olmstead ، الذي خصص فصلاً عن التقديرات الملكية، وهذا العنوان لا يترك مجالاً للشك، وهو: «زيادة الضرائب ونتائجها»، حيث يبدأ المؤلف قائمة هيرودوت Herodotus للجزية التي ليست تخص بالتحديد فترة حكم دارا Darius الثالث، ولكن في وسط الفترة بين كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes كما لو كان الهدف إظهار حالة الأزمة العامة التي انتهت باغتيال الملك العظيم، وقد أوجدت السياسة المالية الإمبراطورية تدفقاً تلقائيًّا في الثروة من الأطراف إلى القلب، كما يدلل على ذلك حجم الكنوز التي استولى عليها الإسكندر Alexander ، وهذه السياسة الضريبية سببت نقصاً في الأموال في الأقاليم -حسب قوله- وبالمثل ترتفع الأسعار، ويزيد التضخم، وهذا ملحوظ بدرجة كبيرة خاصة في مدينة بابل، وقد أدى هذا إلى عدة ثورات من الشعوب الخاضعة حتى وصل الأمر إلى الحاجة التي قد تضطرهم إلى بيع بناتهم في المزادات هيرودوت Herodotus 1.196 .

وهذه النظرية التي تلقى اعتراضات من وقت لآخر، قد انتشرت في الكتابات الحديثة التي تتناول الفترة الأخمينية والإسكندر Alexander ؛ ولذلك لا بد لنا من بحث أصل هذه النظرية، ونلفت النظر إلى كتابات درويزين Droysen الذي كان مصدراً لمؤلفات عديدة عن الإسكندر Alexander ، حيث كانت نظريته أن النجاح الاقتصادي كان السبب الأساسي في ظهور الحقبة الهلينية، وأرجع انتصار الإسكندر Alexander إلى جعل كنوز الفرس تدور في آلته المالية، وإليك عزيزي القارئ كلمات درويزين: «عندما حرر الإسكندر Alexander هذه الثروات

التي حبست منذ زمن طويل، حيث جعلتهم القوة الهائلة تفر من أحضانها، وكما يضخ القلب الدم فمن السهل أن نفهم أن العمل والتجارة نستطيع نشرها بدورات أسرع وأسرع في الأعضاء العطشى منذ زمن طويل في الإمبراطورية، ونحن نرى كيف أن الحياة الاقتصادية للشعوب استردت عافيتها وازدهرت بعد أن امتصت السيطرة الفارسية دماءها مثل مصاص الدماء .

ومن الجدير بالملاحظة أن دروزين سعيد بتأييد رأيه بالإشارة إلى كتاب بلوتارخ Alexandri Defortuna ، وفي عرضه للغزو يؤكد أن الإسكندر Alexander لم يأتِ لآسيا حتى يحولها إلى غنائم، ولكن من أجل أن يقدم كل من على الأرض كرعايا للقانون الواحد، وهو العقل، ونمط موحد للحكم والمساواة بين الناس .

ومع ذلك، وبالرغم من فهمنا للمغزى والرؤية التاريخية الفلسفية وحالة الدليل في هذا العصر استطاع درويزين أن يستمر في نظرية «امتصاص الدماء» للإمبراطورية، وكيف يمكن أن يلاقي هذا المنطق المبسط وسيئ الصياغة أي نجاح في الإقناع، ويمكن تخيل تعارض تيارات تاريخية وجغرافية مع أهمية دورهم؛ أولاً: هناك ما يسمى بالجغرافيا التاريخية الأوروبية التي تبحث عن سوابق ونماذج تمثل تحويلهم إلى مستعمرين عظام قبل الإسكندر Alexander ، وفي عرض بلوتارخ وكذلك المؤرخين تم تقديم شخصية الإسكندر Alexander بأنها كريمة، وأنه فاتح ذو نبل وفروسية، وقد جلب التقدم لآسيا الراكدة اقتصاديًا، وإقامة السلام، وفتح الطرق، وتأسيس المدن، وتحديث رأسمال الدولة الفارسية كانت العوامل التي تساعد وتروج لنشر هذا النموذج أيضاَ، ونحن نعلم أن إيجلز وماركس أشادوا بالنموذج النظري «النموذج الآسيوي للإنتاج»، والمجتمعات الآسيوية تتسم أساساً بالركود ومقاومة التغيير، ورداً على ذلك نعيد كلمات تشينو «إن كارل ماركس كان

مسيطراً عليه الافتراض المسبق بفكرة الركود الآسيوي، وقد رفض تلاميذ المدرسة الماركسية في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين هذه الفكرة مع أنها لم تنتهِ حتى الآن بالرغم من أن الماركسيين لم يربطوها بالعصر الأخميني أو فتوحات الإسكندر Alexander .

وإشارة إلى عملية تدوير الثروة وتوزيعها وهذه هي الفكرة الأساسية التي يشترك فيها الكتاب المروجين للجنة الملكية، حيث إن توزيع الثروة والإسراف - تلك الصفات التي لا يتصف الملك العظيم بها- تفسر بكثرة غزواته وجمع الضرائب المبالغ فيها فصل 6/5 مثلاً يقول سترابو Strabo إن كل ملك كان عليه أن يبني في صوصا قصراً للإقامة ومخازن وخزانات لكنوزه، حيث يتم جمع أموال الجزية للتصرف فيها بحكمة، ويقرر ديودورس Diodorus أن هذه الكنوز التي استولى عليها الإسكندر Alexander كانت متراكمة عبر أزمان طويلة منذ زمن قورش Cyrus ، وحتى تلك اللحظة، ويقول بلوتارخ إن الإسكندر Alexander عندما استولى على صوصا وجد عملات ذهبية مسكوكة منذ مائة وتسعين عاماً، وهي في لونها كما لو كانت مصنوعة منذ وقت قريب، وبالنظر إلى نظرية أرسطو، فإن التشغيل الجيد للاقتصاد الملكي هو الغرض والمبرر لنظام الجزية والاقتصاد الملكي، وهو عالمي المنظار، ويقوم الملك العظيم بناءً على هذه النظرية بحسن إدارة أملاك وموارد الإمبراطورية، والملك العظيم يفهم هذه النظرية جيداً حيث يقول: «إن المصروفات لا يجب أن تتجاوز الموارد، ويمكن اقتباس القطعة التي يفسر فيها هيرودوت Herodotus كيف حافظ الملك العظيم على الذهب والفضة في خزائنه -وتبعاً لسترابو- استخدم الملك جزءاً صغيراً من دخله من الجزية بسياسة معلومة لإعادة التوزيع عن طريق الهبات، ولتحسين حالة المنازل والقصور، مما يفسر أداء المالية السياسي والأيديولوجي، وهذا تفسير جزئي للمصروفات التي لم تكن فقط من أجل مظاهر الترف بالرغم من

أخذ المصاريف التي تخص البلاط في الحسبان، فإن قصص ثراء القصر كانت منتشرة في هذا الوقت كما وصفها سترابو Strabo بأن الملك لم يقم بصناعة عملات أكثر مما احتاج، حيث تتم هذه العملية حسب الطلب، وهذا هو الموقف بالضبط في عهد دارا Darius الثالث، واختصاراً لما سبق، لم يكن الملك في حاجة للجوء إلى الاستراتيجية المالية التي تستخدم بواسطة المدن أو القادة أو الولايات، تلك التي وصفها مؤلف كتاب Oecor omica .

وكل من هذه النصوص يصف الملك العظيم الذي كان مقتصداً، حيث كان يدخر ثرواته عاماً بعد آخر لأوقات العسرة، وقد أولى رعاية خاصة لمصروفاته، حيث أديرت بطريقة اقتصادية، وقد أدى هذا إلى قلة المصروفات الترفيهية غير الضرورية كما قال هيراكليديس: «وقد شكا الجنود الإغريق الذين في خدمته من ذلك»، وفي الإطار نفسه لا يتردد بلوتارخ أن يذكر أن الملوك العظام بقدر علمه نادراً ما يزورون بلاد فارس وكذلك أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يقم بزيارة لها؛ لأنهم يكرهون تقديم العملات الذهبية للمرأة الحامل كما هي العادة الملكية Alex 69 ، ولكن نظرية مص الدماء تذهب إلى مدى بعيد حتى الوصول إلى درجة الثورة والكساد ويرجع الغضب العام للشعوب ضد السلطة الفارسية من هذه الحالة، وهي قلة الإنفاق الترفي، وكل هذا قد يفسر ما أدى إلى النصر التاريخي المقدوني».

وبالرغم من المبالغات الخطابية البلاغية، فإن هذه التفسيرات السابقة تثير عدة شكوك؛ أولاً هي تهدف إلى التقليل من شأن نظام يقوم على مبدأ إعادة التوزيع، وهذا ما قام سترابو Strabo بتوضيحه بنفسه: مما هو جدير بالملاحظة -كما لاحظ هيرودوت Herodotus - أن الملك العظيم يقوم بصرف الذهب أو الفضة في اللحظة التي تتطلب هذا، وبين سترابو Strabo أن كل جزء صغير من المعدن كان يتم تحويله إلى عملة

كما بين ذلك بيان حصر ما هو بالخزانة لعام 330-331، وأن معظم المعادن النفيسة كانت تحول إلى معدات، حتى إنهم كانوا يعتبرون هذه المعادن من الأفضل استخدامها بدلاً من تقديمها كهدايا أو إيداعها في المخازن، وكما رأينا في الفصل الثامن، كانت الهبات الملكية أفضل طريقة لإقامة علاقات ملكية ومكافأة المخلصين، ومن الخطأ أن نتمادى في ظن أن الخزانة الملكية كانت محرومة تماماً من عائد الجزية والهبات وبعض غنائم الحرب، وبعد أية معركة يستولي الملوك على كنوز الملك المهزوم، ويحملونها إلى عواصمهم، وهذا بالضبط ما فعله الإسكندر Alexander ، وبالرغم من أن جزءاً كبيراً من الكنوز قد حُمل في الطريق إلى فارس صوصا - بابل، وبالرغم من قلة المصادر القديمة، فإن الكمية التي استولى عليها الإسكندر Alexander في العواصم المختلفة كانت أقل بكثير من كمية الجزية والضرائب التي جمعت منذ عصر قورش Cyrus أو الملك دارا Darius .

ومن هنا يتضح أن الجزء الأكبر من الأموال يبقى في خزائن عواصم الولايات، وقد استولى عليها الإسكندر Alexander أيضاً، وعلاوة على هذا يظهر التناقض عن تكدس الأموال في الحقبة الأخمينية وتدوير المال المكافئ للثروة الملكية عن طريق الإسكندر Alexander ، وهذا يجب أن يكون له تقييم حريص، والنتيجة التي نتوصل إليها تكون مبنية على تحليل المصادر الجزئية، وتؤدي بنا إلى فرضين: الأول أن الرخاء الاقتصادي يتطلب استخدام الأموال المتداولة، وفي حالة بابل وهي ليست حالة فريدة، انظر D.t 85 تظهر أن الفضة القياسية تستخدم كأموال بالدور والكفاءة نفسيهما، والفرض الثاني وهو معدوم تقريباً أن الإمبراطورية الأخمينية لم تعرف استخدام الأموال المسكوكة، وهذا يقابله وجهتا نظر: الأولى أنه في منطقة البحر المتوسط كان استخدام الأموال السائلة شائعاً في منتصف القرن الخامس، كما كانت توجد صكوك وأوراق لها قوة

ووظيفة المال، وهي إحدى عوامل نجاح التجارة المحلية حتى لو كانت التجارة بشكل غير مالي مثل تجارة التبادل السلعي- المقايضة، وهذا يستخدم كأسلوب للدفع والتجارة ومن المدهش أن أولمستيد -بناءً على مصادر مأخوذة من بابل- يربط نقص الفضة والعملات بالتضخم من ناحية، وارتفاع الأسعار من ناحية أخرى، وحتى لو افترضنا أن كلمة تضخم مبررة، فإننا لا نرى مجالاً للربط بين نقص الأصول المالية المستندية والتضخم، وبدلاً من ذلك، الركود أو انخفاض التضخم هو الاحتمال الأكبر، ويبدو الاحتمال الأكبر أن الطرق التحليلية المالية المطبقة في عصرنا لا تصلح للحكم والقياس على تلك الفترة في نهاية القرن الخامس، وقد تمت مناقشة الصعوبات التي تواجه المؤرخين في تفسير ارتفاع الأسعار الذي حدث في بيرسبوليس حوالي عام 466 انظر: فصل 8/11 .

فلنواجه الأمر: بالرغم من سهولة إثبات فشل من سبقونا في القياس، فمن الأصعب أن نقدم إعادة تكوين ناجح للوقائع، والسبب الأساسي هو النقص الصارخ في مصادر المعلومات، وغياب نماذج ذات دلالة إحصائية ونظرية موثوق بها علميًّا، مما يؤدي إلى عدم قدرتنا على وصف وشرح طريقة العمل العامة في الإمبراطورية من الناحية الاقتصادية، حيث توجد عوامل الوحدة والتفرد في الوقت نفسه، مما يزيد من صعوبة متابعة التدفق المالي من مركز الإمبراطورية إلى أطرافها والعكس؛ ولهذا لا نقبل بالتبسيط المفرط الذي سبق ذكره عند القول بأن الإسكندر Alexander قام بفتح الطرق ونشر السلام وتدوير البضائع، وسبب رفضنا لهذا التبسيط أن الموارد المالية لا تتيح ذلك، وهذا ليس فقط بسبب نقص المصادر الأدبية أو الأثرية فقط، ولكن لأن المصادر المكتوبة لم تبين إنشاء طرق كبيرة بارزة بعد انتصار الإسكندر Alexander ، وهناك شيء آخر، هو أن نسبة كبيرة من النقل كانت تتم

عن طريق المياه الأنهار والبحار، ولا يوجد دليل على تطور النقل بها ما عدا بابل وهي اكتشاف حديث ليوميات جمارك في مصر إلى عصر كسركسيس انظر: التجارة 3.7، فصل 3/9 مجموعة الجمارك والتجارة، ومازالت بابل أفضل منطقة موثقة، وهذا ما جعل أولمستيد يتخذها أساساً للتفسيرات وحتى في حالة بابل من المهم التأكيد على الفجوة في جودة الوثائق وبسبب هذا، ستكون أية محاولة لتتبع الأداء الاقتصادي من قورش Cyrus إلى دارا Darius الثالث سوف تكون في خطر من ناحية المصداقية.

المركز والأطراف:

وفي الوقت نفسه يتضح لنا أن نظرية تكديس المال أو امتصاص الدماء في الحقبة الأخمينية تبنى على حقيقة أخرى، هي أن الملوك العظام ذوي الغيرة على مركزهم وسلطانهم أكثر من أي شيء آخر ليس لديهم أي اهتمام بتطوير البلاد التي فتحوها، تلك التي اعتبروها في المقام الأول مصدراً لإدرار الأموال، أو تطوير الاقتصاد الإقليمي، وعلى الجانب الآخر في القضية، فإننا لا نميل إلى مصادر المعلومات التي تؤخذ من مصادر أيديولوجية ملكية، تلك التي تخلع على الملك صورة المنعم، والمدافع عن العمال في حقولهم حتى بعد تقديم الدليل تبقى المشكلة بدون حل، فإن الامبراطورية في الحقيقة ليست فقط رأسمال رمزي ولكنها تجميع لوسائل الإنتاج الأرض والماء والطاقة المحركة لها وهي الأيدي العاملة بصورة أساسية، وعوامل الإنتاج، ومن أجل بقاء وازدهار الإمبراطورية يعمل الملوك على ضمان انتظام مصادر الدخل بكل حرص، وهم لا بد لهم من الحفاظ على رأسمالهم وزيادته حتى يتركوه لورثتهم نامياً ومزدهراً، ولا يجب أن يثير خوفنا مصطلح رأس المال، فإن أية مدينة أو أرض سواء مكتسبة أو محتلة ليست إلا «كائناً منتجاً يمكن تقدير قيمته» Berrard ، وتكون بهذا التوصيف موضعاً

لحساب الـربح أو الخسـارة، وفي حالـة الملـك العظـيم وأسـلافه وتابعيـه إذا طبقنـا مقياس عائد الضرائب أو الجدية، فهذا موضع بعض الكتابات الإغريقية مثلاً، ضماناً لأن سكان المدينة يمتلكون الأرض التي انتزعت من «البرابرة»، ويقـوم الحـاكم مـن قبل الملك بمطالبة أهل المدينة بمزارعـة الأرض عـلى أكمـل وجـه Artirtoe ، وهنـا يعد الإنعام بالحصول على الأرض هو استثمار ملكي طويل والمدى .

ومن الحقيقي أن زينوفون Zenophon يمثل صورة الملك العظيم كاقتصادي حكيم، وكان يرغب في التـدفق المنـتظم للإيـرادات، حيـث كافـأ حكـام الولايـات - وكذلك القادة العسكريين- المسؤولين عن الأمن، والذين يضمنون هذا التـدفق، وفي نظر الملك العظيم، فإن الحكام الجـديرين بالمكافـأة هـم الـذين تزيـد في ولايـاتهم الكثافة السكانية والزراعة، وزيادة قيمة الأراضي، وهذا لا يتم فقط بتعيـين المـزارع الصالح، وهذه الأراضي الزراعية ليست فقط مـن أجـل تجميـع المحاصـيل أو كتـل الأخشاب، ولكن أيضاً أماكن للعديد من الأنشطة الأخرى، منها زهور الزينة وتربيـة الحيوان، وهذا كلـه يؤكـد ثـراء المملكـة، واسـتقرار الحكـم، ومـنح تصـاريح جمـع الضريبة يساعد على زيادة إنتاجية الفلاح، حيث وجدت دلائل على ثرائهم بسـبب تحصيل الضرائب، والاحتفاظ بجزء من الدخل، وكذلك تأجير الأرض للمزارعين .

وفي إطار المناقشات التي تناولت غزوات قورش Cyrus يذكر زينوفـون غالبـاً أن هناك وثيقة تتناول حقوق وواجبات المزارع في الأراضي المفتوحة: «سـوف تقـيم في المنازل نفسها، وتعمل في المزارع نفسها، وتعيش مـع الأشـخاص أنفسـهم، وتـربي أولادك كما تفعل الآن، ولكن ليس عليك أن تقاتل ضدنا، أو تقاتل أي شخص آخر»، ويمكننا انتقـاد نمـوذج زينوفـون هـذا، حيـث مـا هـو إلا مـدح في الملـك، والهـدف الأيـديولوجي المعلـن وهـو الـدفاع عـن الفلاحـين يخفـي هـدفاً أهـم وهـو أن

المشاركة الجماعية للفلاحين في الأرض تزيد من ملء خـزائن الملـك والحفـاظ عـلى الأنماط الاجتماعية الموجودة، ومجتمع القرية يمثل وسيلة وغاية في الوقـت نفسـه، وذلك للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية، وفي إطـار المحافظـة عـلى السـلام يصبح الملك هو الحـامي للفلاحـين، مـما يسـاعد في الحفـاظ عـلى مسـتوى الإنتـاج وضـمان المحصـول وزيـادة الجزيـة أو الضريبـة، كـما يـذكر زينوفـون عـلى لسـان شاتيراس: «إن البلد المسكونة هي قيمة عظيمة، والأرض الخالية مـن الـبشر خاليـة من الإنتاج»، وهذا يمثل سياسة تحفيز لزيادة المواليد، وهذه السياسة وجدت فـيما بين الفرس أنفسهم وغير الفرس بلوتـارخ 69، وهـذا مـا صـادف نجاحـاً، كـما شـهد بذلك ديودورس Diodorus في بداية العهد الإغريقي .

ومن الواضح أن هذا الدليل عرضة لتفسيرات مختلفـة، ويحـيط بـه الغمـوض، ولكن هل يمكن أن نجد تحـولاً ملكيًّـا مبـاشراً نحـو اسـتثمار مبـاشر بواسـطة الإدارة الملكية، والتي تدر عائداً ولو بربع دخلها على الخزينـة، وبصرف النظـر عـن جـداول بيرسبوليس، فلا نكاد نجد الدليل الكافي على ذلك، وهذا العجز في الأدلة موجـود مـن ناحية الكم والكيف حتى إنه لا يوجد دليل واضح ومباشر عـلى سياسـة للتنميـة، ولا يمكن توقع ذلك، وحتى الأمثلة الموجودة تحتمل التأويلات المختلفة، وحالة شق قناة بين نهر النيل والبحر الأحمر إحدى هذه الأدلة التي تحتمل أكثر من تأويل، هل كـان دارا Daruis يهدف إلى إيجاد رابط دائم بين وادي النيل وصوصـا؟ أم أنـه بنـي عـلى دوافع أيديولوجية سياسـية؟ وقـد كشـفت الاستكشـافات الحديثـة التـي وجـدت في منطقة تل المسخوطة في مصر عن وجود كمية كبيرة مـن الأواني الخزفيـة مـن المـدن الإغريقية وخاصة فينيقيا، وهل كان الهـدف مـن ذلـك التنميـة والتجـارة أم أن هـذا إحـدى نتـائج وجـود دوافـع سياسـية وراء شـق هـذه القنـاة؟ لا توجـد أيـة حاجـة

شافية، ولكن على أية حال، فإن الإجابة الوحيدة هي أن الملك العظيم لم يكن لديه أي دافع تجاري مالي في هذا ا لأمر .

وتبدو الأدلة التي تتعلق بالموارد المائية أكثر وضوحاً، حيث تولى الملك وإدارته القيام بالأعمال المائية للري، وهذا هو ما حدث بالفعل في بابل انظر: فصل 16/10 كما بينها آريان VII7.7 وسترابو XVJ 1.1 ، وتظهر النصوص البابلية وجود قسم مائي، وفي مصر ليس لدينا إلا قطعة وحيدة لدى هيرودوت Herodotus 11.90 ، وهي فقرة شيقة توضح أن الإدارة الملكية أجرت صيانة للحفاظ على جوانب القنوات لحماية مدينة ممفيس .

وتكثر مصادر المعلومات عن مبادرات الملوك العظام عن توفير إمدادات المياه، وفي تقرير لأنتيخوس الثالث Antiochas في حملته ضد الملك Arsaces أرساسيز، وهنا يقدم بوليبوس المعلومات التالية عن طريق توصيل الماء إلى جزء صحراوي لمدينة هيراكانيا، وهذا ما قاله بوليبوس .

في المنطقة التي تحدث عنها لا توجد مياه مرئية على السلاح، ولكن حتى في الصحراء يوجد عدد من القنوات تحت الأرض تتصل بالآبار، لا يعرفها الغريب عن هذا البلد، وهناك قصة حقيقية يحكيها أهل البلد يقولون إنه عندما كان الفرس يحكمون هذه المنطقة في آسيا أنهم يعطون من يسقي الأرض القاحلة حق امتلاك هذه الأرض وزراعتها لخمسة أجيال متواصلة، كما أن لمنطقة طوراس عدة مجارٍ مائية تنحدر من الهضبة، حيث قام الناس ببذل الجهد والمال من أجل الوصول إلى الماء حتى إن من يستعملون الماء الآن لا يعلمون منذ متى أخذت القناة من إمدادات المياه .

يصف بولبوس بالضبط التركيبات التي استخدمت منذ قرون في إيران، وهي ممرات مائية تسير تحت الأرض لعدة كيلومترات أحياناً لمصادر المياه التي تقع تحت المنحنيات للجبال، والمليئة بالآبار،

والطرق الفنية المستخدمة تقود إلى ما قبل الغزو الفارسي، ولكـن يلقـى المتحـدث الضوء على الإدارية الملكيـة، وهـذا العمـل لم يتطلـب أيـدي عاملـة كثيفـة عكـس القنوات البابلية والمصرية، حيث إنه قد نفـذ بواسـطة السـكان المحليـين في مقابـل استثمار الأيدي العاملة، ولم تأخذ تلك الأيـدي العاملـة حـق امـتلاك الأرض، ولكـن استخدام الأرض جنب الإدارة الملكية عدة فوائد من هذا الاستثمار، وهـي واضـحة، والأهم هو إيجاد احتياطيات من الماء على امتداد الطريـق الحيـوي مـن ميـديا إلى آسيا الوسطى، كما أتاحت زراعة الأراضي غير المأهولة، وساندت سياسـة الاسـتعمار الزراعي السكاني، وأخيراً لا يوجد مـا يؤكـد وجـود إعفـاء ضريبـي لهـذا الاسـتزراع، وطبعاً المياه لا تدفع لها عوائد، وتتوقع الإدارة الحصول على عوائـد عـن المحاصـيل التي زرعت، ولا يجب بناء إحصائيات اقتصادية على أساس المثال المتقدم، حيث إن الاستشهاد به جـاء في إطـار الـدور الـذي تلعبـه الزراعـة في الاسـتراتيجية الحربيـة، وهكذا نتوصل إلى استنتاج أن هذه السياسة الزراعيـة تطبـق مـن أجـزاء أخـرى في الهضبة الإيرانية وأجزاء أخرى من الامبراطورية مثـل مصر والجزيـرة العربيـة، وقـد تختلف شروط الاستزراع من مكان إلى آخر، ومن فئة سكانية معينة مثل الفرس إلى فئة أخرى من الرعية.

وتوجد دلائل كثيرة حاليًّا على أن نطـاق الإمبراطوريـة لا يتوقـف فقـط عنـد تحصيل الجزية والضرائب، وعلى العكس فهناك العديـد مـن المنـاطق التـي كانـت على مسرح الازدهار والنمو السكاني وغيرها لم تنتظر وصول الإسـكندر Alexander حتى تبدأ في النمو الكافي والازدهار، وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود مظاهر للتنمية المستدامة، وترجع إليها هذه الآثار البابلية سواء كانت قبل الفتح المقـدوني أو بعده، ويؤكد زينوفون أنه حوالي سنة 400 كانـت بابـل مرويـة ومزروعـة تمامـاً مثل II3 10 Arab .

وهذه القدرة لا يمكن أن يتم وضعها في علاقة طردية للتحكم الاستعماري كما يتضح في مثال بابل، وتبقى حقيقة أنه إذا ابتعد الجانبان الاقتصادي والاجتماعي على أرض الواقع، فإننا سنلاحظ أن السيطرة الأخمينية لم تؤدِّ إلى حالة الفقر العام تلك التي تفسر بنظرية امتصاص الدماء .

وفي النهاية، فإن منظور زينوفون ليس بعيداً جدًّا عن الواقع، فإن وجهة نظر اقتصادية تتطابق مع وجهة نظر الملوك العظام إلى درجة كبيرة، وهي الإدارة الخريفية للأرض الزراعية، حيث أدرك الملك حقيقة أنه من أجل تأمين -ومن الأفضل- زيادة فوائدهم، فلا بد من اتخاذ الإجراءات التي تؤيد وتنمي القدرات الإنتاجية، ومع ذلك، لا يمكن التأكيد على انتهاجهم لسياسة تنمية اقتصادية؛ لأن السياسة الاقتصادية لا تنحدر إلى مستوى التدخل المركزي في أمور الإنتاج، ولأنه ليست كل القدرات الإنتاجية يتم التحكم بها بواسطة الإدارة الملكية، وبهذا يكون من الأفضل التحدث عن سياسة جمع الجزية والضرائب، حيث يمكن القول باطمئنان إلى أن الإيرادات الزراعية قد تم تحديدها من أجل إعلان الفخامة الملكية بكل مظاهرها في المركز والأطراف، وكذلك كل الأنشطة المرتبطة بالتعمير بطريقة التشجيع غير المباشر، وعلى سبيل المثال مظاهر الفخامة في مقررات الإقامة الإقليمية تسبب تطوراً في الأسلوب الفني الزخرفي مثل الأسلوب الإغريقي للفنانين الإغريق أو من يعملون بهذا الأسلوب الفني في مناطق عديدة في الإمبراطورية، وهذه المجالات في البلاد الإمبراطورية أو الإقليمية قد أوجدت أسواقاً وخاصة للسلع الترفيهية المعدة للملك العظيم وصفوة الحاشية انظر: هيرودوتHerodotus VIII، إيليان VHXVI ، وهذا المثال الذي قدمه بارمينون عن القواعد الفاعلة في اقتصاد الجزية والضرائب ذلك الذي قيل عن الإسكندر Alexander : «إن تدوير منتجات الإمبراطورية لا يمكن أن يتم

بضخ الأموال من المركز إلى الأطراف، وكذلك لو كان اتضح بشدة مـن الأطـراف إلى المركز، فإن ذلك يؤدي إلى دمار الأطراف والمركز فيما بعد، وفي هذه الحالة لا يكون الملك من الحكمة بحيث يدير أملاكه بالطريقة الصحيحة، ولن تتمسك بـه الرعيـة أو البلاط، بل من الواجب على الملك صيانته وتنمية موارده سواء استغلال الضرائب والثورة، رجوعاً إلى ما ذكره أوملستيد عـن زيـادة عـبء الضرائـب والجزيـة، وهـو بالتالي ما أثار السخط في الإمبراطورية، وسهل عـلى المـدى الطويـل غـزو الإسـكندر Alexander ، فإن المشكلة الحقيقية هي صـعوبة تقـدير عـبء هـذه الالتزامـات التي تدفع إلى الملك العظيم مع القدرات الإنتاجية للبلاد حتـى الوصـول إلى درجـة العبء الذي يسبب الثورة، وأحياناً -حسب بلوتارخ- يقال إن ضرائب دارا Daruis كانت معقولة، ومن أجل حساب مدى ملاءمة نظـام الجزيـة والضرائـب فـنحن في حاجة إلى إضافة الضرائب المركبة، وهي التـي لم تتحـدد كـماً أو نوعـاً في النصـوص القديمة مع وجود استثناء واحد Neh 5:15 ، والضرائب الخاصة الدائرة تمثـل عبئـاً على الشعب وموارد المدن، ونحن نفكر في هذا الصدد في المدفوعات الخاصـة التـي تجمـع مـن أجـل الزيـارات الخاصـة بـالبلاط الملـكي، وعـن تعليـق هـيرودوت Herodotus عن حالة المدن الإغريقية التي زارتها القافلة الملكية في عـام 480 «أن الإغريق الذين كان عليهم استضافة الجيش الفـارسي وتقـديم العشـاء للملـك قـد أصابهم الخراب، واضطروا إلى أن يغادروا منازلهم، بـل غـادروا وطـنهم VII 118 ، ويؤكد هيرودوت Herodotus عـلى تنحـي الـذين قـاموا بواجـب الضـيافة، فلقـد أصاب الخراب كل الأماكن التي مر بها الجيش، وقد تحمل الشعب معاناة شـديدة من أجل تنفيذ الأوامر .

وبالإضافة إلى ذلك، فإن جسـامة الجزيـة والضرائـب والمـدفوعات المحلية تضاف إلى تقـدير كـل منطقـة عـلى حـدة سـواء كانـت الأرض

تخص المدينة أو المزارع أو مؤجرة، وفي المدن الإغريقية أدى نظام الضرائب المزدوج مدني وملكي إلى حدوث التوتر بين الحكومة المدنية والإدارة الملكية، ومنها الاضطرابات المعروفة التي شهدتها المدن الإغريقية، عندما توسلت المدن إلى الملك أو من يمثله أن يتكرم عليهم بالسيطرة على الضرائب، وأنه عندما تمنح إحدى المدن الإعفاء الضريبي لأحد الأفراد، فإنها تستثني من ذلك الضرائب الخاصة بالملك، وهناك مثال آخر على أنه في حالة وجود إنتاج، يتم أولاً تنحية الجزء المخصص للضريبة الملكية، ثم الضريبة المحلية، ثم يوزع الباقي، والهروب من دفع الضريبة يعود بالوبال على من يفعل ذلك، ويؤدي دفع الضرائب إلى زيادة حمل العمل على عمال الأرض، ومثال على ذلك القصة المأساوية لليهودي الذي كان من صغار المزارعين في نصيب الأرض الذي اشتكى قائلاً: «لقد اضطررنا إلى أن نستدين بضمان الأرض حتى ندفع الضرائب للملك»، وكانت الضريبة الملكية أكثر هذه الضرائب من حيث التكلفة؛ لأنها تؤخذ نسبة إلى الدخل كله بصرف النظر عما سيدفع من ضرائب أخرى، بالإضافة إلى ما يدفع إلى المعبد والموظفين .

ليس من السهل الكشف عن العلاقة بين الأزمة الإقليمية والسيطرة الاستعمارية، فإننا نلاحظ على سبيل المثال أنه في حوالي عام 418 كان سعر المواد الغذائية قد شهد زيادة كبيرة في عديد من المدن البابلية، ولكن من كان يستطيع القول أن هذا نتيجة أزمة ضرائب أو أزمة إعاشة أو محصول، وتشير الجداول الملكية إلى تكرار الأمطار والسيول التي كانت لها نتائج وخيمة حتى انتشرت مقولة إن وجود مجاعة في أرض ما جعلت سكانها يبيعون أبناءهم، وهذا قد يفسر ما قاله هيرودوت Herodotus واستشهد به أولمستيد بأن الغزو الفارسي يرتبط بإحداث الفقر للبابليين البسطاء، ونحتاج إلى تقدير دقيق عن مدى ما تحمله

الفلاحين في أثناء الغزو الفارسي، وهناك جدول أُعد أمام قمبيز Campysi لتحديد الحكم في أحد النزاعات بخصوص الضرائب .

وقد شهد هذا النزاع وجود تهديد من أحد الكهنة لمن يجرؤ على عدم دفع الضرائب، وليس من الواضح إذا كان هذا التهديد يرجع إلى مخالفة قد حدثت، أو أنه يحذر من المخالفة هذه بصورة أسلوب العقاب الاستعماري، وهو دور الخاضع - السيد؟ ربما، ولكن التساؤل المهم في هذا السياق عن طبيعة العلاقة بين الصفوة الاجتماعية في بابل والإدارة الإقليمية، والعلاقة بصفة عامة مع الهيئات الاستعمارية، وتعود هنا إلى التأكيد على أن الجغرافيا التاريخية قد تأثرت لفترة طويلة بالنظرية التي تقضي بالزيادة المستمرة للأسعار في بابل الأخمينية، وهناك دراسة حديثة قد ألقت بظلال من الشك على هذا اليقين، حيث كشفت عن انخفاض المحصولات الحقلية في السعر في الفترة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Daruis الثالث، وهناك دراسات متواصلة في هذا الموضوع حاليًّا، وهي سوف تكمل التحليلات المبنية على مجموعة حديثة من الجداول الفلكية، واختصاراً، فليس من المحتمل إبداء الرجوع إلى النظرية التقليدية السابقة لتأكدنا من زيفها.

وهناك رد آخر شيق يأتي من بوزا Jodah فقد اشتكى الفلاحون من أنهم قد اضطروا إلى استدانة المال بضمان أرضهم من أجل دفع ضرائب الملك Neh 5:4 ، ولكن يوضح الإطار أن هذا العبء الدائر على الفلاحين لا يرجع فقط إلى الضريبة الملكية، ولكن أيضاً إلى الصراعات الطبقية، وما يدفع للمعبد الذي زاد من العبء على الفلاحين اليهود، وبالمثل في المدن الإغريقية، وفي أي مكان آخر توجد ضرائب محلية مدنية، بالإضافة إلى الضريبة الملكية، وما يزيد من شدة وطأة الضريبة على الشعب هو تعدد الضرائب وجهات التحصيل، مثل مديرو الأرض والمشكلة أيضاً أنه ليس كل السكان متساوين في دفع الضريبة، حيث لا

يمكن أن تنال الضريبة من الملك والبلاط والمخلصين له، وهناك مثال على استفادة المدن من المحصول الملكي حيث تم بيع المحصول الملكي من القمح، واستفادت من ثمنه المدينة التي تم فيها البيع، وتبعاً لأنتيجوس Antigonus فإن القمح الملكي كان من القمح المتداول في منطقة إيجه، وبصرف النظر عن الميزة السياسية والمالية التي يكتسبها الملك العظيم وأتباعه في عمليات التسويق والتجارة لأنفسهم لاحظ أن كلمة الملك العظيم أحياناً تكون للتهكم، وأن الأغنياء يكونون في موقف تفاوض جيد في أثناء بيع هذا المحصول، وفي بابل يحقق الموظفون بعض الأرباح بتحويل الضرائب المجمعة بصورة عينية إلى صورة فضة حتى يمكن نقلها لمركز الحكم، وبهذا تساعد أيضاً في ثراء الإدارة الملكية.

وهناك مستند إلزامي في مصر يثبت شراكة بين شخص فارسي وآخر غير فارسي، وهناك دلائل أخرى مماثلة في بابل، وهذا يدل على تساوي دفع الضرائب بين المستعمِر والمستعمَر، وأن الفلاحين لم يستفيدوا من تدوير البضائع، بل قد أُضيروا منها، ومما سبق يتضح أن نظام الضرائب ليس هو السبب الوحيد لوجود نزاعات وثورات وأن تدوير المنتجات في المملكة قد يزيد من معاناة الفلاحين، وهذا ربما يكون ما قصده هيرودوت Herodotus عندما فسر «تجويع البابليين نتيجة الغزو 1.190».

وربما ترجع هذه المعاناة للبابليين إلى تغير نمط الحياة التي كان يتمتع بها الملكيون المحليون، وبصفة عامة، تغير أنظمة الحكم التي تقوم فقط على إرضاء الشعب، حيث إن السلطة الفارسية كانت -إلى حد ما- تتوارى خلف الستار وراء الحكام المحليين الذين عهد إليهم بفرض وجمع الضرائب والجزية محليًّا، مما قد يؤدي إلى عدم رضاء وتوترات مع الفلاحين، وعلى أية حال، لم تكن سياسة الملك في التعامل مع الصفوة الاجتماعية في مقاطعاتهم ليست إلا جزءاً صغيراً من استراتيجية استعمارية، ويستلزم نجاح هذا المشروع نظام سياسة مركزية وسياسية

غير مركزية فيما يخص الجانب الثقافي والاجتماعي، وليس هناك مبرر يدعونا إلى تخصيص الجزية والضريبة بكونها السبب الوحيد للثورات، وقد يكون عبء الضريبة سبباً في حدوث الثورات الكبيرة التي قامت في عام 522 جوستين 1.7.2، وهذا أيضاً كان تحليل بارديا Bardiya ، حيث أعفى الشعوب من الجزية والنفقات العسكرية لمدة ثلاث سنوات هيرودوتHerodotus III.67 ، وبالمثل قام أرتافرنيس Intaphernes باتخاذ إجراءات مماثلة لمعالجة حالة الثورة والسخط التي انتشرت بين شعبه، حيث كانت الإدارة الملكية من الذكاء بحيث تصلح من نظام الضرائب مع الاحتفاظ بمجموع القيمة المحصلة hap 12/5 ، وهذا الدليل -كما هو الحال مع بارديا- في إدارة دارا Daruis استطاعت أن تتكيف مع الوضع الراهن بما يقتضيه الأمر، والمرجعية الوحيدة الواضحة في هذا الموضوع تأتي من دارا Daruis الذي وصف الثورة التي تولدت في مصر في عهد إيناروس Inarus بهذه الكلمات، حيث ثاروا على الفرس، وبعد طرد الفُرس الذين كان من واجبهم جمع الجزية من مصر، ولا يوجد لدينا سبب لرفض هذه العبارة بالرغم من أنها تأتي في سياق عام مشكوك فيه، ويعني أن الفرس قد حكموا بشراسة وغطرسة توينوس كيرتيوس IV.7.15 ، ولكن هل هناك تأكيد على أن كل جامعي الجزية في هذا الوقت كانوا من الفرس؟ يدل السياق العام على أن المصريين هم من كان منوط بهم جمع الجزية على المستوى المحلي آريان III.5 ، وفي رأي دارا Daruis أن جامعي الجزية هم في المقام الأول رمز للسيادة الفارسية، بصرف النظر عن جنسهم العرقي، وفي حالة أخرى في مدينة سيدون، هاجم المقاومون القصور الإقليمية ديودورس Diodorus XVI 41 ، وحتى لو تطور الأمر إلى استهداف المخازن والاحتياطيات الغذائية، وكان المغزى أكبر من مجرد صفعة على الوجه، وقد شرح ديودورس Diodorus هذا الموقف: «كان أول

عمل عدائي هو قطع وتدمير الحديقة الملكية التي اعتاد ملوك الفُرس قضاء أوقات الاستجمام فيها، وهذا العمل ليس إلا إعلاناً للحرب، وهذا ربما كان للدافع الذي أغرى قادة الثورة المصريين على قتل جامعي الجزية الفُرس».

5- انتقال: بالرغم من أية وجهة نظر يختارها الفرد، تبرز حقيقة واحدة لا مجال للشك بها، وهي أن إمبراطورية دارا Daruis الثالث لم تكن بأي حال فترة يائسة كما وصفها الكتاب الإغريق بطريقة غير لائقة، وسواء كان الموضوع هو السلطة وهيبة الملك العظيم وقدراته العسكرية والمالية والأنشطة الإنتاجية في مختلف البلاد، أو التعاون على المستوى المحلي وعلى المستوى الملكي العام، فإنه ليس من الإنصاف أن نقول إن إمكانيات الإمبراطورية كانت في حالة تدهور، وتؤكد الدراسة -على الأقل- أن النظرية التي تقول «بانحطاط الحقبة الأخمينية» يجب إهمالها بكل حزم، والاحتفاظ بها فقط للعرض في المتاحف التي تعرض العجائب التاريخية الجغرافية، ولكن توجد بوضوح فقط خاتمة جزئية تمهد الطريق لتفسير آخر: إن الهزيمة التي وقعت على يد المقدونيين لا تعني أزمة أُفول في دورة حياة الإمبراطورية، بل تعني نوعاً من الضعف البنائي، وهذه هي الفرضية التي سوف نحاول دراستها في الفصل التالي، والذي خُصص لتناول رد الفعل الإمبراطوري تجاه الاعتداء المقدوني، وهذه ليست مهمة بسيطة؛ لأنه مثلما هو الحال في الحروب الفارسية تعرف حرب دارا Daruis الثالث فقط عن طريق الكُتاب الذين ينتموا بصفة كاملة للقضية الأوروبية، ومن العبث إعادة تركيب الأحداث التي وقعت من وجهة النظر الأخمينية لغزو الإسكندر Alexander .

الجزء السادس

سقوط الإمبراطورية 330-336

الفصل الثامن عشر

دارا Daruis والامبراطورية

ومواجهة الاعتداء المقدوني

1- الأقاليم، الجيوش، والاستراتيجيات:

الهجوم المقدوني الأول 335-336:

نعرف أنه عقب الانتصار في شارونيا Chaeronea شرع فيليب Philip في إنشاء تحالف يكون هو زعيمه، وكان الهدف الرسمي المعلن من وراء إنشاء هذا التحالف هو شن هجوم على العدو: الغاية هي القيام بحملة ضد الفُرس طلباً للثأر بعد الدمار الذي حدث في عام 448، وبالتالي يتم تحرير المدن اليونانية الواقعة في قارة آسيا ديودورس Diodorus 89.16 ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض قام ملك مقدونيا بإرسال فيالق مقدمة جيشه إلى آسيا الصغرى في عام 336 تحت قيادة كل من بارمنيون Parmenion وأتالوس Attalus وأمينتاس Amyntas ، وكانت مهمتهم هي الإعداد لوصول الجيش الملكي 16.91.2، جوستين Justen 9.5.8، والمعلومات التي لدينا قليلة عن هذه العملية؛ لأن المؤرخين القدامى ديودورس Diodorus وبولينوس Polyaenus سلطوا الضوء بصورة كلية على ميمنون Memnon ، وبالتأكيد لم تكن الأمور في بادئ الأمر في صالح الفُرس، وظهر هذا جليًّا عندما تم طرد الحكومات الموالية لهم من ليسبوس Lesbos وكايوس Chios وإيفسس Ephesus ، وربما أيضاً

من إيسوس Issus ، وفي أثناء تلك الفترة تـم تشـييد تماثيـل لفيليـب Philip عنـد معبد أرتميس وفي إيفسس Ephesus وفي مدن عديـدة داخـل ليسـبوس Lesbos ، وأشــار بــارمنيون Parmenion إلى الفصــائل الموجــودة هنــاك واصــفاً إياهــا «بالديمقراطيـة» أريـان Arrian 1.17.11 ، وربمـا تـم تـدمير التمثـال الـذي أقامـه أريوبارزانيس Ariobarzanes في حرم أثينا أثناء القتال في تـروز Troas ديـودورس Diodorus 17.2.3.6، ولم تتأثر العمليات باغتيال فيليب Philip واعتلاء الإسكندر Alexander للعرش، لكن بالطبع خلقت هذه الأحـداث ظروفاً تميـل أكـثر لصـالح دارا Daruis الثالث لشن هجوم مضاد .

وفي بداية حكمه أرسل الإسكندر Alexander فرقة عسكرية إلى آسيا الصغرى تحت قيادة هيكاتس Hecataeus ؛ حيث انضم إلى كل مـن بـارمنيون Parmenion وأتالوس Attalus ، وكانت مهمته الحقيقية هي التخلص من أتالوس Attalus الـذي كان يشك الملك في خيانته، وكان أتالوس Attalus يقـوم بتـدبير مكائـد تثـير القلاقـل داخل الجيش المقدوني حتى لحظة اغتياله عـلى أيـدي رجالـه، أو بواسـطة بـارمنيون Parmenion كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.3.8.7، ومـع ذلـك لم يخطـط ميمنـون Memnon للاسـتيلاء عـلى سـيزيكس Cyzicus ديـودورس Diodorus 17.7.8؛ بولينس Polyaenus 7.44.8، وعادت الحكومـات المسـتبدة المواليـة للفـرس إلى مواقعهـا في كـل مـن ليسـبوس Lesbos وإيفســس Ephesus أريـان 1.17.12 Arrian ، وتعرض كولاس Callas لهزائم متعددة في تروز Troas ديودورس 17.7.10 Diodorus ، ومـع بدايـة عـام 334 لم تبـقَ سـوي أبيـدوس فقـط تحـت السـيطرة المقدونية أريان Arrian 1.11.6، ورغم أن هذه الأحـداث لم يـتم توثيقهـا عـلى نحو كـافٍ فإنهـا تفـرز انعكاسـات متعـددة، فعـلى المسـتوى العسـكري هنـاك اختلاط في الموقف: في البداية حققت فيالق الحملات المقدونية انتصارات كبيرة،

حتى إن بارمنيون كان بإمكانه التوغل لأكثر من ذلك والوصول إلى ماجنسيا Magnesia وسبيلم Sipylum بولينس Polyaenus7.44.4 ، وهذا بدوره يؤكد ما صاحب ذلك من وقوف الفُرس في موقف الدفاع على الأقل في المراحل الأولى، وهو الشيء الذي ظهر جليًا في الهجمات المقدونية أثناء القرنين الرابع والخامس، وفي الوقت نفسه نريد أن نؤكد هنا أن المصادر التي نستقي منها معلوماتنا هي متحيزة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 17.7.1 فان دارا Daruis «فكر في تحويل دفة الحرب القادمة نحو مقدونيا، وبدأ في الاعتناء جديًا بقواته، حيث قام ببناء عدد ضخم من السفن الحربية وحشد جيوش قوية متنوعة، وفي الوقت نفسه قام باختيار أفضل القادة»، وفي خضم تلك الأجواء تحول نحو ميمنون Memnon الذي كان «جسوراً ولديه وعى استراتيجي»، وقام الملك بتزويده بخمسة آلاف من الجنود المرتزقة، وأمره بالتحرك نحو سيزيكس Cyzicus ومحاولة الاستيلاء عليها 7.2.3، ومع ذلك فإن عرض ديودورس Diodorus للأحداث يجب على الأقل تكملته وإظهار الفروق الدقيقة، فقبل أي شيء، فان ميمنون Memnon لم يكن هو القائد الوحيد للحملة، وتعتبر الخدع المالية المنسوبة لروديان Rhodian بي سي- أرست، أوك 2.29 [1531] دليل على أنه كان قائداً لقوات مرتزقة في خدمة الفرس، وكان ميمنون يقوم بدفع رواتب جنده وإطعامهم من خلال فرض ضرائب على المدن، وربما تشرح هذه السياسة رد فعل سكان سيزيكس Cyzicus بولينس Polyaenus 7.44.5 الذين لم تكن لديهم الرغبة في الاستسلام للابتزاز، بالإضافة إلى ذلك لم يكن المرتزقة من اليونان فقط، ولم يكن ميمنون هو قائد الجيوش الملكية، لكن إذا تكلمنا بشكل محدد فإنه من المستحيل الاعتقاد بان أريستس Aristes مرزبان مدينة هيلبسبونتاين فريجيا

Hellespontine Phrygia لم يشارك في القتال الذي دار أغلبه على أرضه، ويمكننا التعامل بالمنطق نفسه مع سبثريداتس Spthridates حاكم مدينة سارديس Sardis ، حتى إنه من المرجح جدًّا حدوثه، كما في عامي 340-341 بوسانياس Pausanias 1.29.10 ، وأيضا في 334 أريان Arrian 1.12.8.10 ، أن أريستس Aristes هو الشخص الذي تلقى الأوامر المباشرة من الملك، وعلاوة على ذلك فإن ديودورس Diodorus يلمح ضمنيًّا إلى أنه لم يتمّ إخضاع الفُرس فعليًّا حتى اعتلاء الإسكندر Alexander للعرش، وحدث ذلك تقريباً في وقت اعتلاء دارا Daruis نفسه للعرش صيف 335 .

والقول بأن رد الفُرس كان بطيئاً هو أمر مشكوك فيه أيضاً، فمهما كان مدى اتساع الاضطرابات في الوسط وفي بعض المناطق مصر؟ -بالتأكيد أقل مما ذكر- فإن السلطة المركزية كان سيتم إبلاغها بواسطة أريستس Aristes لاتخاذ التدابير اللازمة، وتعتبر عملية تعيين أروتنباتس Orontobates لحكم كاريا-ليشا -Caria-Lycia أريان Arrian 1.23.8 دليلاً على أن حكم أرسس/ أرتاكسركسيس Arses/Artaxerxes الرابع، وبداية حكم دارا Daruis زادت فيها المكائد داخل القصر .

ومن هنا يتضح لنا أن ديودورس Diodorus وبولينس Polyaenus ، بسبب تركيزهم على شخصية ميمنون، لم يكن لديهم شيء ليقولوه عن العمليات التي نفذت عام 336؛ لذلك لا يمكننا بالضرورة وصف الملك بالسلبية، وعلى النقيض من ذلك، هناك سبب معقول جدًّا للاعتقاد -كما ذكر ديودورس Diodorus 17.7.13 - أنه حتى الجهات الأخرى مصر؟ ربما كانت بحاجة لاهتمامهم، وأضحى كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الرابع ودارا Daruis الثالث أكثر تفهماً لمشكلات جبهة آسيا الوسطي .

2- دارا Daruis ، عماله:

وصول الإسكندر Alexander مايو/أيار -يونيو/حزيران 334:

كـان الإسـكندر Alexander آمنـاً مـن الناحيـة الأوروبيـة لـذلك سـلك هـو وجيشه طريق ثراشن Thracian في بداية ربيع عام 334، وقام بعبـور هيلسـبونت Hellespont أريان Arrian 1.114.6.8 ؛ 121-7 وأُعطيت لبارمينون قيـادة الجـزء الأكبر من الجيش، حيث عبر من سيتس Sestus إلى أبيدوس Abydos ، ولم يعترض طريقه أحد مدعوماً بـ160 سفينة ثلاثية المجاديف، وعدد ضخم من زوارق النقـل، وفي الوقت نفسه هبط الإسكندر Alexander في تروز Troas بمساعدة عدد قليـل من القوات، حيث قام بـ «الحج إلى هوميري»، وهو شاعر إغريقي قديم ديـودورس Diodorus 17.17.1.3 بلوتارخ Plutrach ، أليكس Alex 15.7.9، بعد ذلك ذهب إلى أريسـبي Arisbe وبيركـوت Percote قبـل التوجـه نحـو جـرانكس Granicus والوقوف على ضفتيه أريانArrian 1.13.1، وقام «القادة والحكام» الفُرس بحشد قواتهم قرب زيليا Zeleia استعداداً للرد على قـدوم الإسـكندر Alexander ، ومـن أكثر المشكلات إثارة للجدل هـي: لمـاذا لم يحـاول الفُـرس منـع الوصـول المقـدوني؟ وديودورس Diodorus هو الوحيد الذي يسأل هذا السؤال صراحة، ويمتلك إجابـة جاهزة: «لم يتحرك القادة والحكام الفُرس في الوقت المناسـب لمنـع وصـول الجـيش المقدوني، لكـنهم حشـدوا قـواتهم وعقـدوا مجلسـاً مجلـس زيليـا، وقـرروا القتـال، واسـتدعوا القـوات مـن كـل جهـة وقـاموا بالتوجـه نحـو هيلبسـبونتاين فريجيـا Hellespontine Phrygia »، لكن يبقى تـأخر تحـرك الفُـرس مثـيرا للدهشـة؛ لأن الهجمات المقدونية ما بـين عـامي 335-336 والإعـدادات والنـداءات التـي وجههـا الإسكندر Alexander لشعبه لم تدع مجالاً للشك في نياته .

ندرك أن مثل هذا الموقف يمثل موضوعاً مثيراً عند ديودورس Diodorus جنباً إلى جنب مع زينوفون Xenophon ومؤرخين يونانيون آخرين: درجة التحرك المتعمدة للجيوش الفارسية كانت عائقاً شل حركتهم 7.4.1.2، ومع ذلك، هذه الملاحظة يمكن تطبيقها حقيقة على الجيوش الملكية الغفيرة المجتمعة كما هو الحال في أسوس Issus جوجاميلا Gaugamela ، على سبيل المثال، لكنها غير مقنعة لو طبقناها على جيش جرانكس Granicus ، حيث يتكون من قوات إقليمية المستعمرات العسكرية، الفرسان بواسطة فُرس الشتات وملاك الأراضي التي حصلوا عليها كمنح، وفرق عسكرية من الشعوب المحتلة مثل بافلاجونياز Paphlagonians ، حيث يمكن حشدهم في وقت قصير، بالإضافة إلى أن هذه القوات بعضها على الاقل تم تعبئتها قبل عام 334، ولا بد أنها اشتركت في القتال الذي دار بين عامي 339 و336 .

واعتماداً على اليوم المحدد للمعركة أبريل/نيسان أو مايو/آيار يمكننا افتراض أن الفُرس قاموا بتجميع قواتهم في الثكنات الشتوية، فربما كانوا في مكان بعيد عن التطورات الجارية 19.44.4.86؛ 2، وبالرغم من ذلك، وللمفارقة، فإن جزءاً من حقيقة هذه الفرضية بطبيعة الحال يقود إلى مواجهة الفكرة القائلة بأن الفُرس قضوا شهوراً في حشد قواتهم، وعند عقد مقارنة مع ما ذكر أريان Arrian نصل إلى حل أكثر عقلانية -في الحقيقة كما يكتب ديودورس- مجلس الحرب عقد في زيليا، واشترك فيه كل حكام آسيا الصغري، وهناك قائمة بالمشتركين وثقها أريان Arrian ديودورس Diodorus يسمى ميمنون Memnon فقط، يقول أريان Arrian بوضوح شديد إن قوات الفُرس عسكرت بالفعل في ذلك الوقت قرب المدينة، وباختصار، رغم ادعاء ديورودس Diodorus لم ينتظر القادة الفُرس بالطبع وضع استراتيجياتهم من أجل تعبئة القوات؛ لأن سبب

هذا الموقف مختلف تماماً، ويساورنا الشك في أن يكون جيش بري وحده كافياً لمنع الوصول المقدوني، حتى لو تذكرنا ما قام به قائد فارسي عندما تحدي سفناً يونانية مع فرسانه في أحد المواقف بالقرب من أبيدوس Abydos كملاذ أخير زينوفون، هيل 1.2.6، القوات البرية يمكنها أحياناً منع أسطول من الحصول على إمداداته من المياه أريان Arrian 1.9.8 لكن كان يلزمهم معرفة رؤوس الشواطئ التي ينوى الجيش المقدوني استخدامها، وهو الشيء الذي يصعب جدًّا تحديد نتيجته؛ لأن الإسكندر Alexander اختار أن يُقسّم قواته لأسباب لا ترجع بصفة أساسية إلى رغبته في إجلال الأبطال اليونانيين في حرب طروادة أريان Arrian 1.11.12 ، باختصار، لم يقم القادة الفُرس بحشد جنودهم بجانب البر «لمنع عبور الجيش المقدوني» ديودورس Diodorus 2.18؛ لأن مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالهم إطلاقاً.

ولو قرر الفُرس منع عبور الجيش المقدوني بالطبع كانوا سيلجأون لقواتهم البحرية، ومن أجل التأكيد هنا على أنه لا يوجد نص قديم يشير إلى وجود زورق واحد فارسي في البحر، وهذا أمر يثير الدهشة؛ لأنه في ذلك الوقت كانت للفرس هيمنة بحرية لا يمكن إنكارها مقارنة بما يمتلكه الإسكندر Alexander من 160 سفينة ثلاثية المجاديف وزوارق نقل، ويذكر أريان Arrian 1.6 أنهم كانوا يمتلكون هيمنة على البحر في وصفه للموقف أثناء الأسابيع القليلة اللاحقة عندما وصل الإسكنر إلى أسوار ميليتس Miletus ، ويذكر أريان أن القوات البحرية الملكية كانت تتكون من 400 سفينة مزودة بأطقم مدربة جيداً قادمة من قبرص، ومن فينيقيا Phoenicia على وجه الخصوص، وكانت هناك أيضاً فرق عسكرية من مدن يونانية أسيوس 1.19.11، يقول أريان Arrian إن هذا الأسطول «وصل متأخراً جدًّا إلى ميليتس Miletus ، مشيراً إلى أن القوات الفارسية كانت بالفعل على جبهة آسيا الصغرى، لكن هذا لا يكشف سبب ذهابهم

وإيابهم خلال الأسابيع الماضية؛ لأننا لا نعرف المنطقة التي بدءوا الإبحار منها نحـو ميلتيس Miletus ، ونتيجة لذلك، تبقي معلوماتنا ناقصـة بسـبب غيـاب الأسـطول من هيلسبونت Hellespont غالبـاً بسـبب تمـرد خبـابش Khabbabash في مصر، بيد أن هـذه النظريـة لا تبـدو مستسـاغة، ويجـب أن نتـذكر في القـوت نفسـه أن الدليل الوحيد المتاح لا يحدد تاريخ بعينـه لمـا حـدث في الـدلتا The Delta ، وإذا تكلمنا بوضوح، فإن تحديد تاريخ ذلك التمرد الذي عطل وصول الأسطول لشواطئ آسيا الصغري يُلزمنا أن نتبع طريقة القياس الدائري المقبولة تاريخيًّا، لكنها منهجيًّـا لا يفضل الاعتماد عليهـا، وبالتـالي ليسـت لـدينا إجابـة عـن هـذا السـؤال أو، أكـثر تحديدا، لا توجد إجابة من الإجابات المتاحة تتعدى حـد الاحتماليـة، فهنـاك دليـل إضافي غائب .

على أية حال، فقـد اتضـح لنـا أن القـادة الفُـرس عقـدوا مجلـس حـرب، إذا استخدمنا عبارة أريـان Arrian ، ويصـف أريـان Arrian الاجـتماع كالتـالي: «عـلى النقيض من نصيحة ميمون Memnon الذي أوصى بحرق الممتلكات قبـل وقوعهـا في أيدى العدو، اختـار أريسـتس Aristes -مـدعوماً مـن بـاقي القـادة الفـرس- أن يخوض المعركة، وبنى ميمنون Memnon اقتراحه عـلى دعـامتين: الأولى، «الجـيش المقدوني أقوى من الناحية البرية»، ثانياً، «لن يبـقَ الإسـكندر Alexander في بلـده في انتظار أن تُرد عليه مدنـه»، وفي إجابتـه تلـك، «قـال أريسـتس Aristes لمجلـس الحرب أنه غير مستعد لإحراق بيت واحد من بيـوت جنـوده»، وسـاند رأيـه بـاقي القادة الفُرس، فهم -علاوة على ذلك- ينظرون بعين الشـك إلى ميمنـون Memnon معتبرين قيامه بعمليات شبه حربية إنما هي راجعة للحظوة التي له عند الملك .

وتكلم ديودورس Diodorus أيضاً عن مجلس الحرب مقدماً عرضـاً متطابقـاً لخطـاب ميمنـون Memnon 17.18.2.4 ، ويؤيـد ديـودورس

Diodorus بقوة اختيار ميمنون الاستراتيجي: «لقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أنه كان أفضل مجلس حرب»، ثم يقدم شرحاً عقب ذلك -من وجهة نظره- لسلوك القادة والحكام الفرس: قاموا برفض نصيحة ميمنون Memnon ووصفوها بأنها «انتهاكاً للكرامة الفارسية»، وتثير الحكايات القديمة والقياس البسيط عدداً من الأسئلة عن دور ميمنون Memnon ، وعن أسباب اختيار للفرس لاستراتيجيتهم، وعن مشاركة دارا Daruis ، أولاً، دعونا نلفت النظر هنا إلى إنه بينما تتفق رواية ديوردوس Diodorus وأريان Arrian ، فان الأول يميل بطريقة سافرة إلى ميمنون الذي يصفه مرة أخرى بأنه «كان مشهوراً بكفاءته العسكرية»، فهو يصور ميمنون Memnon على أنه الشخصية الرئيسة في مجلس الحرب بدون تسمية حاكم أو قائد فارسي واحد! ومن هنا ندرك أن تقديره لميمنون Memnon وتقييمه لاقتراحاته تشبه طريقته في وصف الاجتماعات الاخري، خاصة النقاشات التي دارت بين إيفكراتس Iphicrates وفارنابازوس Pharnabazus في مصر، ففي هذه القضية قام فارنابازوس Pharnabazus وبجواره القادة الفُرس برفض النصيحة اليونانية والتي يعتبرها ديودورس Diodorus حكيمة لأسباب تتشابه بصورة غريبة مع وصف ديودورس Diodorus لأرستس Aristes وزملائه: «كان فارنابازوس Pharnabazus مرتاباً من جسارة إيفكراتس Iphicrates وشجاعته خاشياً أن يقتنص حكم مصر لنفسه، والحقيقة أن بعض القواد كانوا يحقدون على إيفكراتس Iphicrates ويحاولون إلصاق التهم الظالمة به» 15.34.2، وفي محاكاة أخرى يقوم ديودورس Diodorus بتمجيد ميمنون Memnon ، وذكر ماله من السلطة والنفوذ مغايرةً للحقيقة.

وفي الوقت نفسه كان يمدحه على الخطط التي يضعها ينتقل مسرح الأحداث الآن كلية إلى أوروبا، وبالتأكيد لم يكن ذلك يناسب ما يجري وقتها، وفي الحقيقة يوضح أريان Arrian أن مجلس الحرب تشكل من

الفرس، ومنطقيًّا أن يتأثر أريستس Aristes بكبرياء القصر، وكان معهد حاكم هيلبسبونتاين فريجيا Hellespontine Phrygia ، وهو الشخص الذي تحمل المسؤولية الأولية عن العمليات العسكرية كما فعل عام 341 بوزانياس 1029.10 .

وفي عام 334 لم يكن ميمنون Memnon أكثر من قائد لإحدى فيالق الفرسان متمركزة على الأراضي التي يسيطر عليها في ترو Troas . ديودورس Diodorus 18.19.4، ولو طلب منهم معرفة رأيه فسيكون رأياً من بين آراء عديدة.

ولو كانت عندنا فكرة عن كيفية حصول المؤرخين القدامى على معلوماتهم كان سيكون ذلك عظيم الأثر، فلو أن أريان Arrian اعتمد على مصدر معلومات ديودورس Diodorus نفسه، فإنه على الأقل استخدمها بطريقة أكثر احترازاً وبانحيازية أقل، مع أنه أيضاً يذكر خوف القادة الفُرس من طموح ميمنون Memnon الذي يتمتع بالرضا الملكي، ومازالت الحجج التي تبادلها كل من ميمنون Memnon والقادة الفُرس تثير شكوكاً متعددة، ونحن نتفق مع ديودورس Diodorus على أن استراتيجية ميمنون Memnon كانت ستؤثر بفاعلية، وبالتأكيد كان الإسكندر Alexander بحاجة لإعادة تمويل قواته من جديد من البر، ويجمع المؤرخون القدامى على أن الإسكندر Alexander في الوقت ذاته كان في عوز للمال، ووفقاً لما ذكره كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2042 وأريان Arrian 70906 ، فإن الإسكندر Alexander ورث من أبيه ديناً يبلغ 600 طالن، لكن أسهمت غنائم الحرب مع دخل المناجم في معالجة الموقف، وعند وصوله بالقوات كان معه ما يكفي من الأموال لتوفير ما يحتاجه الجيش لمدة 30 يوماً، بعبارة أخرى، كان من الضروري أن يحقق الإسكندر Alexander نصراً سريعاً؛ ليمكنه من وضع يده على الكنوز الفارسية، وعلى النقيض من هذه الحجج التي تبدو عقلانية

ومنطقيـة، اعتمـد القـادة الفُـرس عـلى حجتـين، كـما ذكـر كـل مـن ديـودورس Diodorus وأريان Arrian ، حيث يظهر تضاربها من الوهلة الأولى، ويمكن مقارنة رأي أريسـتس Aristes بالنصـوص الأخـرى للتـدليل ضـمنيًّا عـلى أن المهمـة الأولى للحاكم الفارسي هي حماية الأرض من ويلات الحروب كوينتس كـيرتس Quintus Curtius : 3.4: وهذا يفسر لنا كيف استعاد أريستس Aristes ثقة الملـك وكسـبه في صفه، وارتكز عـلى هـذه السياسـة كانطلاقـة لترقيـات يحصـل عليهـا مـن الملـك زينوفون Oxenophon ، أول 11-89، هذه الافتراضات منعتـه بشـكل مبـدئي مـن اتباع تكتيكات ميمنون Memnon ، لكننا نشك في وصول أريسـتس Aristes لمثـل هذا الاستنتاج الحاسـم بواسـطة الاعـتماد ببسـاطة عـلى هـذه الاعتبـارات، وهـذه المناظرة شبيهة بما جرى بـين أرتبيـزاس Artabazus ومـاردونيس Mardones عـام 479، والتي أوردها هيـرودت 8-41 Herodotus ، ففي رده عـلى رأي مـاردونيس Mardones ، اقترح أرتبيزاس Artabazus إقناع اليونانيين بـالخروج مـن التحـالف بدلاً من الدخول في معركة معهم، ويوافق هيرودوت Herodotus بشـدة عـلى مـا طرحـه أرتبيـزاس Artabazus واصـفاً إيـاه بأنـه «رجـل ذو بصـيرة»، بيـنما يصـف ماردونيوس بأنه «عبر عن نفسه بطريقة متعنتة وصلبة»: كان متأكـداً» أن الجـيش الفارسي أكثر قدرة مـن الجـيش اليونـاني؛ لـذلك فمـن الأفضـل أن نخـوض المعركـة بالطريقــة المعتــادة عنــد الفــرس، مــن هــيرودوت Herodotus إلى ديــودورس Diodorus ومــن مــاردونيوس Mardones إلى أريســتس Aristes تتلاقــى أوجــه الشبه وتبدو أكثر وضوحاً، وأسهم غرور الحكام الفُرس عام 334 بشكل بيّن في رفض ما طرحه ماردونيوس معتبرين رفض القتال مهانة لكرامتهم.

برغم و/أو بسبب التقارب الكبير بـين التقـارير الـواردة مـن زيليـا -كـما تذكر رواية هيرودوت Herodotus - فلن يكون مـن الحكمـة الاعـتماد عـلى تفسـير ديـودورس Diodorus للأحـداث دون الغـوص أكـثر في التفاصـيل،

فمصطلح الغرور الفارسي الذي استخدمه هو تطور بصورة فعلية من الحياة من خلال مفهوم المنافسة الرياضية التي يصور بها معركة جرانيكس -التي عرفنا نتيجتها- كما أوردها هو كمحصلة للمونومافيا التي حرضت الإسكندر Alexander ضد سبيثريداتش، وهو الفارسي الذي يمتلك شجاعة شامخة، ويرى الفُرس أن فرصته في معركة واحدة تكون هبة ربانية، وكان يأمل -تقوده بسالته الذاتية- أن يتم إنقاذ آسيا من هذا التهديد المرعب 3-18.20.2 .

حدثت المبارزة أمام أعين الجنود المذهولين من الموقف 20.5، ووردت بالمنهجية نفسها التي يتبعها كل من ديودورس Diodorus 6-518.83.5 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 38-8.4032 في كل القصص التي ذكروها، وهو النهج نفسه الذي اعتمد عليه العديد من المؤرخين القدامى في روايتهم لمعركة أسوس Issus بولبيس 195 FGrH 11.22.2 ، وبالرغم من ذلك، وبعيداً عن أن رواية ديودورس Diodorus يمكن تحديها بسهولة، فلو أن كلمة غرور قد استخدمها بدون حسن تمييز، فمن المحتمل أن ننتقل إلى أرضية أخرى متحولة وغير معروفة، «علم نفس الشعوب»، ورغم أن شجاعة الفُرس امتدحها المؤرخون التابعون للإسكندر، لا توجد هناك جينات كامنة عند أرستكورات تجعله يدخل المعركة مهما كانت التكلفة، وربما على النقيض مما عناه ديودورس Diodorus ، أو عكس ما ذكره البعض على لسانه في مناسبة ما، لم يتعود الفُرس على التخلي عن اتزانهم، بغض النظر عما نفهمه من التحرك التكتيكي الذي اتبعوه خلال المعركة، ولم تضطرهم أخلاقياتهم الأرستقراطية -التي يمكن ملاحظتها بسهولة في المقدونيين- إلى اتخاذ قرارات «متصلبة» هيرودوت Herodotus 8.41 تخرجهم تماماً من العقلانية العسكرية.

بالإضافة إلى ذلك فإن هيرودوت لم يكن بوسعه إخفاء حقيقة أن قرار

ماردونيوس Mardones كان مبنيًّا على هدف موضوعي منع اليونانيين من حشد قواتهم يذكرنا بمواقف كثيرة طبق فيها الفُرس استراتيجية حرق الممتلكات قبل وقوعها في أيدي العدو انظر: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 30403، ومن بين من قام بذلك دارا Daruis نفسه: انظر: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5.9.14، ديودورس Diodorus 8.55.2 أو الاحترازات التكتيكية التي أعلنوا عنها انظر: ديودورس Diodorus 15.3.1-2 أو رفض الدخول في معركة يعرفون مسبقاً أنها في غير صالحهم انظر: زينوفون Oxenophon ، هيل Hel 5.1.17.

وكان أريستس Aristes وزملاؤه يدركون الحقيقة المصاحبة لكل ذلك فوق وما وراء كل مناقشات الأخلاقيات التقليدية، وهي أن ما يريده الملك هو شيء واحد: النصر، وبالتالي فإن الأجواء تبدو في صالحهم عام 334 وتعتبر التقييمات التي أصدرها كل من ديودورس Diodorus وهيرودوت Herodotus تأييداً لاختيارات ميمنون Memnon وأرتابازوس Artapazus إنما تعبر عن آرائهم الشخصية، وقد حققت القوات الفارسية فعليًّا نجاحات تستحق التقدير على القوات المقدونية في العام المنصرم، أضف إلى ذلك أن أرستس Aristes يحق له الاعتقاد بأن تفوقه العددي وشجاعة فرسانه يؤكدان وجهة نظره المتفائلة تجاه المستقبل .

ولكن دعنا نتجاوز كل ذلك ونطرح سؤالاً: هل كان أريستس Aristes يملك الحرية المطلقة لاتباع استراتيجية من اختياره هو؟ فالمؤرخون القدامى لا يذكرون كلمة واحدة عن دارا Daruis الثالث، فلو أننا اتبعنا ما قاله ديودورس Diodorus بأن الملك كان قد اتخذ قراراً سابقاً بالتعبئة العامة 702، لما ظل يؤكد من أن القادة الفُرس يعتمدون على أوامر الملك في كل شيء انظر 2، 41، 14 فهل يمكننا تخيل أن دارا Daruis الثالث لم يكن مهتماً بما يحدث في ربيع عام 334، وأنه خول أريستس Aristes لاتخاذ القرارات الاستراتيجية بنفسه، هناك مؤرخ وحيد

اسمه جستين Justen ألمح إلى هذا وبصورة غير مباشرة أثناء سياق حديثه عن مغزي النقاشات التي دارت في زيليا: في ذلك الوقت ترفع الملك دارا Daruis عن اللجوء إلى خدعة واثقاً في قواته، وقال إن إخفاء خططنا سيكون حاسماً في تحقيق النصر، ووقعت المناوشة الأولى مع العدو نتيجة لذلك في سهل أدارستي» جستين Justen 10.68.10، ومع أن توصيفات جستين Justen يمكن إخضاعها للنقد، فإنها على الأقل توضح أن أريستس Aristes تلقي أوامر من الملك لوضع خطط من أجل خوض معركة في فيرجيا Phyrgia ، وهذا يتفق مع تقليد متبع في الإمبراطورية الفارسية: رغم أن التكتيكات كانت من وضع أريستس Aristes الذي استشار بدوره زملاءه في هذه النقطة، فإن دارا Daruis هو الذي وضع الاستراتيجية تماماً، كما اتخذ ماردونيوس Mardones قراراته على أساس أنه تلقى أوامر من الكسركين 5-3/4، وهذا بدوره يثير مزيداً من الشكوك حول القول بأن مجلس زيليا فعلاً اجتمع من أجل الاختيار بين استراتيجيتين: لكن الشيء الأكثر احتمالاً هو أن سبب الاجتماع كان من أجل اتخاذ القرارات العسكرية وتحديد دور ووضع كل قائد، أما حكام الاقاليم من الفُرس فقد انضموا للقتال؛ لأنهم تلقوا أوامر بذلك، بالإضافة إلى خوفهم من أن يعتبر عصيانهم خيانة عظمى في حق الذات الملكية، ويوقع عليهم عقاباً قاسياً، وحتى لو اتفقنا مع ما ذكره كل من ديودورس Diodorus وأريان Arrian عن حدوث مناظرة، فإن تفسيرهم لما وقع ذكروه بكلمات مختلفة بالتأكيد غير صحيح، يمكننا ببساطة أن نفترض حدوث مناقشة عارضة عن الأخلاقيات، لكن لم يكن هدف هذه المناقشات هو تحديد الاستراتيجية أو مراجعة القرار الملكي الذي يقبله الفُرس بسهوله؛ لأن خوض المعركة سيؤدي إلى إشباع غرورهم -كما يذكر ديودورس Diodorus - الشيء الذي كان بالغ الأهمية بالنسبة لهم، وستكون فرصة لأرستس Aristes لإثبات شجاعته أمام دارا Daruis الثالث برغم أن الفرصة

جاءت مع خطر داهم أريان Arrian 1.16.3 انتحار مرزبان فارسي بسبب فشله، دارا Daruis على جبهة مدينة بابل وآسيا الصغرى 333-334 من وجهة نظر الفُرس لم تكن الهزيمة في جرانكس Granecus حدثاً حاسماً وعلى الجانب الآخر، آخذين في الاعتبار الصعوبات التي واجهها الإسكندر Alexander عند وصوله من الناحية المادية، على سبيل المثال، فقد أسهم النصر في تبديد الكثير من المخاوف، لم يشق طريقه راجعاً، فهو الآن يمتلك أموالاً إضافية تمكنه من الاستمرار لإنجاز مهمته، وتبع هذا النصر سلسلة من النجاحات الباهرة: استولى على داسليوم التي تخلت عنها حاميتها، وقام بتعيين كالاس Callas كحاكم للسيرفيري، و«أصدر أوامره للسكان بأن يدفعوا الضرائب نفسها التي كانوا يدفعونها لدارا Daruis » أريان -2 Arrian 1.17.1 بعد ذلك بوقت قصير دخل رسميًّا إلى سارديس Sardis حيث استسلم ميثرنز Methrinz له بدون قتال 17.3-8، واستولى على كنوزها ديودورس Diodorus 18.21.7 على الأقل في المدى القصير لا توجد أية صعوبات مادية تواجه الجيش المقدوني، بعد ذلك جاء دور إيفسس Ephysus ، ماجيشا Magesia ، ترالز Tralez ومدناً أخرى ساحلية كثيرة أريان Arrian 18-1-2؛ 1.17.9.3، ثم بعد ذلك ميلتس Miletus التي لم يستطيع الأسطول الفارسي إنقاذها، وكان نيكانور قائداً للأسطول، وبعد قليل من المقاومة استسلمت الحاشية 9.18.3-9 ديودورس 22.2-4.

رغم ذلك -من وجهة النظر الفارسية- فإن الخسائر العسكرية يمكن تداركها، لكن يصعب علينا -كما هو الحال دائماً- حصر هذه الخسائر ألف فارس وفقاً لما ذكره أريان Arrian 1.16.2، وسقط قادة شجعان: يذكر أريان Arrian منهم نيفانس، بيتنس، اسبيثرويتس، مندوبوزنيز، مثراديتس، أبوباليز، فارنيسزن أومارز 1.6.3، روسيز وشقيق أسبثرديتس تعرض لإصابة بالغة أثناء المعركة 1.15.7، أما

أرستس Aristes فقد هرب من أرض المعركة، واختار الانتحار 1.16.3، ولم ينجُ من الذين اشتركوا في مجلس زيليا سـوى ريـومثررز، وانضـم إلى معسـكر دارا Daruis ، وغادر أتيزس، حاكم مدينة فيرجيا الكبرى، أرض المعركة ناجياً، وتوقـف في عاصـمة مدينته واسمها سيلانا 1.25.3، والتي غادرها أيضاً عند قدوم الإسكندر Alexander وبعد محاولته لتجهيز سليشا Celecia ووضعها في حالة الاستعداد الدفاعي، انضـم أرسمان لـدارا Daruis الـذي كـان في طريقـة إلى سـليكا، وقتـل كـل مـن ريـومثرز وأرسمان واتزيس بعد ذلك في معركة إسوس Issus 2.118.

ومع ذلـك بـدأ جـزء كبـير مـن الجـيش في التراجـع نحـو الجنـوب، ورجعـت الوحـدات التـي يقودهـا الهـاربون مثـل ميمنـون Memnon إلى هاليكارنوسـس Halicarnassus ، وهـي المدينـة شـديدة التحصـين التـي كـان عليهـا الحـاكم أورونتباتس Orontobates ، وأصبحت المدينة عقب وصول القوات من جرانيكس Granicus معززة بحامية مـن الفُـرس والمرتزقـة 1.20.2، ووصـلتها قـوات إضـافية نقلت بحراً 20.7 .

وتعرض الإسكندر Alexander وقواته لنكسات كبيرة، فعلى سبيل المثـال مـا حدث في ميندوس، فرغم الوعود التي قطعها الفارون لم تستسـلم المدينـة 7-20.5، ومع أن الجهود المقدونية كانت باهرة النجاح إلا أنها كانت جزئيـة، وعنـدما غـادر الإسكندر Alexander مدينة هاليكارناسوس Halicarnassus ترك فيها ثلاثـة آلاف من المشاة ومائتي فارس تحت قيادة بتلومي Petolemy والذي صـدرت أوامـر لـه بالاستيلاء على القلعتين الباقيتين في الأيدي الفارسية 6-22.1، ديودورس Diodorus 27-18.24.

وفي ذلك الوقت وجدت الإمبراطورية نفسها في وضـع اسـتراتيجي لم يحدث من قبل، والسابقة الوحيدة لهذا الموقـف هـي هجـوم قـورش الأصـغر، ولم تكـن المـرة الأولى التـي يتعـرض فيهـا الحكـام الفُـرس

لضربات في آسيا الصغري أو أن يعسكر العدو خارج أسوار ساردیس Sardis ، لكنها المرة الأولى التي تسقط فيها قلعة ساردیس Sardis ، وأن العدو يشق طريقه بدون أية عقبات تذكر حتى وصلوا إلى أسوار هاليكارنسوس Halicarnassus ، معلناً بصوت مرتفع أن طموحاته لا تتوقف عند «تحرير المدن اليونانية»، وقد كنا نود أن نعرف كيف تعامل دارا Daruis ومستشاروه مع هذا السيل من الأخبار الكارثية.

لكن المعلومات التي لدينا قليلة عن هذه النقطة؛ لأن المؤرخين القدامى تابعوا الإسكندر Alexander خطوة بخطوة بدون إبداء أي اهتمام بالملك الفارسي، ونحن نعرف أنه عندما قام الإسكندر Alexander بحملته الشتوية على بامفليا-ليشيا، حاول ملك الفُرس تدبير مؤامرة ضده، حيث قام بإرسال مبعوث إلى إسكندر لينستس، الذي كان يعرف نيته لخيانة الإسكندر Alexander ، لكن المبعوث الملكي سقط في أيدي بارمنيون Parmenon ، وتم القضاء على الخائن، وفشلت هذه المحاولة من جانب الفرس، لكن مثل هذه القصة تحتاج لإعادة قراءة؛ لأن تورط الفُرس في مؤامرة ستتبعه اتهامات فيما بعد، ومما لا شك فيه أن الملك أرسل مبعوثين إلى قادة بعينهم لحثهم على المقاومة إلى النهاية، وهذا على الأقل ما يمكن استخلاصه مما قاله المدافعون عن سلينا كوينتس كيرتس Quintus Curtius .

ومع ذلك يجب تذكر أننا متأكدون من قرار استراتيجي كبير: ففي صيف عام 334 قام الملك بتعيين ميمنون Memnon «قائداً لآسيا السفلى المناطق الساحلية وكقائد للأسطول» أريان Arrian 1.20.3؛ 22.1.1؛ ديودورس 6-18.23.5 Diodorus، وتذكرنا عبارة «قائد الأسطول» بأن الفُرس كانوا يمتلكون هيمنة بحرية، وفي ميلتس Miletus قام الإسكندر Alexander بتسريح قواته البحرية ما عدا الأسطول الأثيني وبعض زوارق النقل، ووفقاً لما ذكره أريان Arrian 1.20.1 فإن

الإسكندر Alexander كان متأكداً من ضعف قواته البحرية، وإضافة إلى ذلك، «كان يعاني من نقص في الأموال»: وأخيراً، تصرفاته تعكس أنه الآن يمتلك آسيا بقواته البرية، فلم يعد بحاجة لقوات بحرية، وأنه باستيلائه على المدن الساحلية يمكنه تدمير الأسطول الفارسي، فلا يوجد مكان الآن للتزود منه، ولا توجد منطقة في آسيا يمكنهم أن يرسوا فيها» 20.1، وتمت مناقشة سياسة الإسكندر Alexander هذه فعلاً في العصور القديمة، لأنه عندما يخطط لتدمير قوة الفُرس البحرية من خلال غزو المدن الساحلية سيتعرض لخطر كبير، ويعتبر نجاح قوات الإسكندر Alexander عندما تمكنت من حرمان الفُرس من الوصول الي ميلتس هو نجاح غير عادي؛ لأن ذلك تطلب منهم الدفاع عن منطقة معروفة المعالم، وإلى حد ما محاطة من جوانبها بجزيرة لادي وميناء ميلتس Miletus أريان Arrian 192-3؛ 1805، وكانت النتيجة أن اضطر الفُرس للبحث عن إمداداتهم من المياه في مكان آخر بعيد في ساموس 10- 19.17، لكن عندما يتوسع في تطبيق هذه الاستراتيجية بطول جبهة البحر المتوسط فهي مغامرة خطيرة؛ لأنه من المستحيل التحكم في المنطقة كلها، فذلك يتطلب تخصيص آلاف من الجنود، وهذا سيؤثر بدوره على الجيش في مراحل تقدمه .

ووفقاً لما أورده أريان Arrian فإن غزو ليشا Lycia الذي نفذ من أجل إثبات أن قوات العدو البرية أضحت عديمة الجدوى» لم تعق فارنبيزاس Pharnabazus أبداً عندما تقدم لمقاتلة سفن ثامونداس Thamondas في أغسطس عام 333 2020102، علاوة على ذلك فعندما غادر الإسكندر Alexander كاريشا Carcia في نهاية عام 334 لم يكن وقتها قد أزاح الفُرس من كل القواعد الأساسية: فكل من أورونتباتس Orontobates وميمنون Memnon ما زالا يسيطران على قلعتين محصنتين في مدينة هاليكارنوسس 6-102301 Halicarnassus، ويتحكم الفُرس

أيضاً في جزيرة كـوزة التـي سـيبحر منهـا ميمنـون Memnon في وقـت لاحـق ديودورس Diodorus 1802705، جنباً إلى جنب مـع سـاموس أريـان Arrian 101908، ويمثل جنوب كارشيا قاعـدة مثاليـة للفـرس، خاصـة بعـدما تعرضـت القوات المقدونية لهزائم عديدة، والدليل على وقوع هذه الهزائم أنه في سبتمبر من العام التالي 333 تمكن أروتتوباتس من السيطرة على «قلعة هاليكارنوسـس Halicarnassus ميندوس Myndus ، كونس، ثيرا وكاليبولس» 2.507؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 30704، وبعد ذلـك، عـلى الأقـل في المـدى القصـير، تركت استراتيجية الإسكندر Alexander الطريـق مفتوحـاً تمامـاً أمـام البحريـة الفارسية، وهذا يعني أنه على المدى المتوسط ستتمكن القوات البحرية الفارسية مـن اجتثـات تحكـم الإسـكندر Alexander في سـواحل آسـيا الصـغرى، لكـن الإسـكندر Alexander سريعـاً مـا أدرك حجـم هـذا الخطـر حتـى قبـل مـوت ميمنون Memnon يوليو-أغسطس 333، وأصدر أوامـره ببنـاء أسـطول حـربي: «أعطى قيادة الأسطول لأتوفراديتس Autophradates عند ساحل هيلسبونت Helespont وقيادة القوات البرية لهيجولوس لكي يقوم هؤلاء الضـباط بتحريـر ليسبوس Lyspos وكايدس Kydas وكوز Cos من أيدي قـوات العـدو، وطلـب من الحلفاء أن يمدوا السفن بما تحتاجه لحماية هيلسـبونت Helespont ، كـما ينص الاتفاق بينهما كوينتس كيرتس Quintus Curtius 20-30019، وفي أثنـاء ذلك تقدم ميمنون واستولى على كابوس ومـدن في ليسـبوس استسـلمت أيضـاً، باستثناء ميتلين، ويتضح لنا هنا أن دارا Daruis ومستشاريه كانـت عنـدهم أحدث الأخبار عـن تطـورات الموقـف، وأن تعيـين ميمنـون قائـداً للأسـطول ومدافعاً عن الشواطئ إنما كان الهدف من ورائـه الاسـتفادة القصـوى مـن إمكانيات ميمنون، هل كان دارا Daruis يعتقد أن نجاحه سيجبر الإسكندر Alexander عـلى التراجـع؟ أو هـل كـان يحشـد جيشـاً في تلـك اللحظـة؟

فنحن نعرف أن دارا Daruis غادر مدينة بابل في نهاية صيف عام 333 على رأس الجيش الملكي ترافقه الحاشية كلها وفقاً للتقاليد الفارسية ديودورس Diodorus 1802503، وطبقا لما ذكره ديودورس Diodorus فإن الجيش الملكي تم استدعاؤه لاحقاً بعد عقد مجلس الحرب عقب إعلان نبأ موت ميمنون في صيف عام 333 ديودورس Diodorus 1802503، أما كوينتس كيرتس Quintus Curtius فيذكر ذلك عندما كان دارا Daruis في سوريا 3080211، وبالرغم من ذلك -كما ذكر ديودورس Diodorus - فإن ما حدث أثناء هذه المناقشات يثير الشكوك؛ لأن طريق العرض يحمل في طياته اتهامات لدارا Daruis مماثلة للاتهامات التي وجهت سابقاً لأرتاكسركسيس الثالث Artaxerxes 6-7.40.5، هل يمكننا التشكيك أيضاً في التاريخ؟ يصعب تحديد ذلك عندما ندرك الفترة التي أخذتها كل هذه التعبئات العامة حيث يصعب تصديق أن جيش عام 333 يمكن حشده وتسليحه وتدريبه فقط في شهور قليلة، ومن ناحية أخرى فإن تجميع القوات لم يكن شاملاً، لكن الأقاليم الفارسية لسرعة الحشد منعت فرقاً عسكرية من إيران وآسيا الوسطى من الحضور، لذلك تجمع لدينا تفسيران: 1 بدءاً من هذه اللحظة شرع دارا Daruis في إعداد جنوده استعداداً لأي احتمال، أو 2 اعتقد أو تمنى أن يكون القادة والقوات في آسيا كافية للتعامل مع هذه المشكلة، ووفقا للنظرية الثانية، لم يكن تصرف دارا Daruis يختلف عن سابقيه: لم يحدث بعد أيكسركس في 479-480 أبداً أن شهدت مناطق آسيا الصغرى وجود جيش ملكي، لكن لو كانت هذه هي القضية فيجب أيضاً أن نستنتج أن الملك لم يتخذ إجراءً حيال هذا الموقف، أو تجاه عزم عدوه على التقدم.

ومن أجل الحكم على تفكير دارا Daruis يلزمنا معرفة محتوى ما دار في المجلس الذي عقده بعد موت ميمنون Memnon ، ففي سياق ذلك يذكر

ديودورس Diodorus أنه حتى اللحظة التي تلقي فيها الملك نبأ وفاة ميمنون Memnon كان يتمنى أن يتمكن ميمنون Memnon من نقل تأثيرات الحرب من آسيا إلى أوروبا 30.1، والمعلومات نفسها وردت في رواية أريان Arrian 2001.1، ويرى ديودورس Diodorus أن نجاحات ميمنون الأولية شجعت مدناً ساحلية كثيرة لإرسال مبعوثيها، وأثارت قلاقل حتى في اليونان، التي كان قادتها يتلقون الرشاوى من ميمنون Memnon 29.3، وأخيراً -كما يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.1.19-20وأريان Arrian 3.2.3 - أصدر الإسكندر Alexander أوامره بإعادة بناء القوات البحرية تحديداً من أجل مواجهة الأخطار التي فرضها الفُرس، وذلك عندما كان في جورديان في ربيع عام 333؛ ووافق على إنفاق كميات كبيرة من المال من أجل تحقيق هدفه، وأرسل أموالاً للقائمين على أمر المدن في اليونان، وفي الحقيقة، عشية معركة أسوس Issus ، اعتقد بعض اليونانيين أن ميزان القوة مال لصالح ملك الفرس، وبرغم ذلك جسدت الحملة التي قام بها ميمنون Memnon هذا الأمل في اليونان أو الخوف في مقدونيا مدفوعة بشائعات غير دقيقة مثل تلك التي أوردها أريان Arrian 20204، لكن لو تساءلنا هل فعلاً كان يقصد ميمنون Memnon تنفيذ هذه الاستراتيجية؟ ربما يبقي هذا كسؤال آخر، وفي ربيع عام 333 قام ميمنون بغزو كايوس Chaos وركز قواته بعد ذلك في ليسبوس: ولم تقاوم سوى مدينة ميتلين، وفي أثناء حصارها توفي ميمنون Memnon بسبب مرضه يوليو-أغسطس 333، وعلى أية حال فهذه هي رواية أريان 2-2.1.1 Arrian وديودورس Diodorus 29.2: بها خطأ، ويتضح لنا أن ميمنون Memnon لم تكن لديه النية مدفوعاً بنجاحاته الساحقة بأن يحول الحرب تجاه أوروبا؛ وبدلاً من ذلك قضى أسابيع في إحكام الحصار على ميتلين، وتقودنا تحركات ميمنون Memnon إلى الاعتقاد بأن هدفه على المدى القصير كان استعادة

المدن الساحلية والجزر وتحطيم ترتيبات الإسكندر Alexander للموقف أريان 1.20.1، وبالتالي يفسر لنا رد فعل المقدونيين عندما علموا أن عدوهم لا يهدد أوروبا إنما يستهدف المدن التي تخضع للحكم الفارسي، ومن كل هذا يمكننا استنتاج أن نشاطات ميمنون Memnon العسكرية تماشت مع المهمة التي حددها له الملك، وهي المهمة التي تقع ضمنيًّا في المنطقة الجغرافية التي يعرفها ميمنون Memnon جيداً، أي ساحل آسيا الصغرى، وهو الشيء الذي تم تقديره من الملك في المقام الأول، ومن المرجح أن تكون توجهات ميمنون Memnon الأوروبية قد جاءت من تقليد يوناني مترسخ أصلاً في ذاكرته وذاكرة أسرته تود 2.199، وهذا التقليد المترسخ يذكره ديودورس Diodorus الفصل 17/3، حتى إن ديودورس Diodorus يذكر أن ميمنون وهذا بالطبع شيء غير حقيقي كان قد اقترح فكرة نقل الحرب إلى أوروبا أثناء اجتماع مجلس زيليا 18.2، ويصف كل من ديودورس 29.4 وأريان 3.1.3 تقريباً بأسلوب متطابق أن موت ميمنون Memnon قوبل بارتياح كبير من جانب الإسكندر Alexander ، ومَثل كارثة لدارا Daruis ؛ لأنه الآن مضطر لقيادة الجيش بنفسه ديودورس Diodorus 30، وأيضا كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.2.1، وأجبرت هذه الأحداث دارا Daruis على التخلي عن استراتيجيته البحرية في ذلك الوقت مقابل التركيز على الاستراتيجية البرية، ومع ذلك لا يوجد تفسير واحد صالح للاعتماد عليه، فقبل أي شيء، فإن خلافة ميمنون تم حسمها بالفعل: فقبل أن يموت خول مسؤولياته لأوتوفراديتس Autophradates فارنابزوس Pharnabazus وابن أخيه، متوقعاً أن يوافق دارا Daruis على هذه الترتيبات أريان Arrian 2.1.3، وبالفعل صدق دارا Daruis على قرارات ميمنون Memnon مُبقيًّا على الهجوم البحري، لكن أسهم إرسال الجنود المرتزقة إلى دارا Daruis في إضعاف قدرات القادة الجدد، وتشير العمليات التي نُفذت في

الفترة الفاصلة قبل موقعة أسوس Issus إلى أن خلفاء ميمنـون Memnon هجـروا استراتيجيته الحذرة، فعلى النقيض من تحركات ميمنون Memnon قاموا بالتعرض بصورة أكثر احتكاكاً للمواقـع المقدونيـة، وواصـل أوتـوفراديتس Autophradates وفارنابزوس Pharnabazus حصارهم لمبتلين حتـى سـقطت: وأصـبحت «مـن بـين حلفاء دارا Daruis لإقرار السلام في في المنطقة، وتم إنشاء حاميـة للمدينـة، وعهـد إلى أحد القادة المحليـين الـذين طـردهم الإسـكندر Alexander العـام السـابق أن يكون حاكماً لمقاطعة في المدينة، وخففت الضرائب عن السـكان» 2.1-4، وتكشـف شروط المعاهدة التي فرضت على كايوس Chaos وبعد ذلك بقليل عـلى تبنـدوس: أريـان Arrian 2.1.4-5 أن دارا Daruis لم يكـن عـلى الأقـل راغبـاً في الاعـتراف بالغزوات المقدونية الأولية، بل على النقيض كان يميل الملك إلى تفسير ما فرض على اليونانيين عام 386 بواسطة جده أرتاكسركسيس Artaxerxes بصورة أوسـع، وكـان غـزو تبنـدوز جـزءاً مـن هـدف أكـبر وهـو قطـع إمـدادات القمـح القادمـة مـن هيلسبونت Helespont ، وهو الخطر الذي كـان الإسـكندر Alexander مسـتعداً للتعامل معـه حتـى قبـل مـوت ميمنـون Memnon كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.1.19-20 ، ومع ذلك لم يدخل الأسـطول المقـدوني حيـز الخدمـة إلا في وقت لاحق، وهذا يتضح من حقيقة أنه لا توجـد أمامـه عوائـق باقيـة، واسـتعادة الأسطول الفارسي تفوقـه، والانتكاسـة الكـبرى التـي تعـرض لهـا الفُـرس حـدثت في كارشيا Carcia .

وعندما كـان الإسـكندر Alexander في سليشـا Celicia سـبتمبر/أيلـول 333، سـعيداً بتطـورات الأحـداث، أتتـه الاخبـار بانتصـار بيتـوليمى Ptolemy وأسـاندروس Asandrus مرزبان كارشيا Carcia على أورونتباتس Orontobates الذي مازال يفقد موقعاً تلو الآخر في مينـــدوس Myndus وكـــاليبولس Calipolis وكـــونس Caunus وثـــيرا Thera وتريـــوبيم

Triopium وكوز Cos 2.5.7، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.7.4، وكانت هذه التطورات أول انتكاسة بهذا الحجم الكبير؛ ومع ذلك لم يتمكن الفُرس من الاستيلاء على هاليكارنوسس Halicarnassus بعد ذلك أو إبقائها في أيديهم أريان Arrian 2.13.6.

ولكي نجيب عن السؤال الذي أثير سابقاً، يمكننا أن نكون على ثقة بأن دارا Daruis -على الأقل من هذا الوقت فصاعدا بدأ ذلك فعلاً منذ العام الماضي- كان على وعي تام بالخطر الذي يمثله الهجوم المقدوني، ومن أجل التعامل مع هذا الخطر قام دارا Daruis ومستشاروه بتدبير استراتيجية بحرية إعادة غزو شواطئ آسيا الصغرى، وبرية إعداد جيش يقوم بهذا الهجوم، ورغم ما ذكره ديودورس Diodorus في روايته 18.30.7 فإن دارا Daruis قرر أن يكون هو قائد الجيش، وقد توجه به نحو الساحل بسبب أنه اعتبر موت ميمنون قد شكل حاجزاً كبيراً ضد تحقيق أهدافه في البحر؛ فعلى النقيض من ذلك، استعد دارا Daruis بنفسه لمواجهة الجيش المقدوني بينما كان كل من فارنابزوس Pharnabazus وأوتوفراديتس Autophradates ورؤساء الجند يقودون هجوماً من البحر، ومع ذلك -كما يعرف الجميع- فإن خطة استراتيجية تكون أبعادها مفهومة خاصة لو أعيد تصميمها بواسطة مؤرخ من العصر الحديث! وتناسب الوسائل التي هي فعلاً متاحة لتنفيذها، وكل ميزة تعطيها الخطة لمن وضعها تفيد العدو في الوقت نفسه، وانطلاقاً من هذا المفهوم كان الموقف غامضاً، أولاً، يبدو واضحاً أن الإسكندر Alexander ، الذي كان استقبل لتوه تعزيزات ضخمة في جورديان، لم يعدل عن مواصلة تحركه نحو الجنوب، واستمر في تقدمه طوال يونيو/حزيران ويوليو/تموز عام 333، وفي الوقت نفسه يجب التأكيد هنا على أن الملك المقدوني كان يعرف أنه في موقف بالغ الحرج: فالقوات البحرية الفارسية مازالت تواصل تحركاتها خارج الشاطئ، وكان الجيش

الملكي يقترب من سيليشا Cilicia ، ويكشف ما قام به الإسكندر Alexander مـن استدعاء للحاميات التي خلفها وراءه كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 7.1.35 أنه لبعض الأسباب اضطر للتقهقر إلى الوراء، فعلى المدى القصير قاده نجاح خطتـه لغـزو المنـاطق السـاحلية لاعتقـاده بأنـه قـادر عـلى الاسـتيلاء عـلى بعـض المـدن الفينيقية، وأيضاً فهم دارا Daruis هذه التحركات، والدليل على تلهفـه في الوصـول إلى سيليشا Cilicia أنه لم ينتظـر وصـول الفيـالق العسـكرية الأخـرى مـن الأراضي الإيرانية ومن آسيا الوسطي كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.2.9، ومن أجـل تعـويض غيـابهم، أصـدر ملـك الفُـرس أوامـره في صـيف عـام 333 إلى فارنـابزوس Pharnabazus بإرسال بعض قوات جند المرتزقة الذين يقاتلون عـلى جبهـة البحـر المتوسط رغم أن هذه السياسـة ستضـع القـوات المحاربـة هنـاك في موقـف حـرج للغاية أريان Arrian 2.1.3: كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.31، ويكشـف وجود ساباسز Sabaces ، مرزبان مصر، في أسوس Issus اصطحابه لفرقة عسكرية، الأمر الذي أضعف الحامية الفارسية في وادي النيل أريان Arrian 3.1.2؛ كـوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.28 يجـب أن نقـر بـأن المعركـة التـي ستنشـب في سيليشا Cilicia ستكون ذات أهمية كبري للإسكندر طالما أن نتائج معركـة أسـوس Issus لا تقودنا إلى معرفة مصير الإمبراطورية الفارسية.

من أسوس Issus إلى جوجاميلا Gaugamela : نـوفمبر/تشريـن الثـاني 333- أكتوبر/تشرين الأول 331:

إن انتصار الإسكندر Alexander في معركة أسوس Issus قد مكنـه مـن التقدم نحو فينيقيا، وقد قامت العديد من المدن الفينيقية بفـتح أبوابهـا لـه: أردوس، مـــارثوس، ســـيجون، مـــاريم، البـــالبليوس، وســـيدون Aradus, Marathus, Sigon, Mariamme, Byblus and Sedon أريـان Arrian

2.13.7.8؛15.6.7؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، أما سكان مدينة صور فقد رفضوا الترحيب به ظاهريًّا أريان Arrian 2.16.7.8، وفي المقابل، ركز الإسكندر Alexander جهوده في الاستيلاء على مدينة صور، مما أعطى لخطته ميزة استراتيجية، حيث كان يعتمد على غزو المناطق الساحلية قبل التوغل في الداخل أريان Arrian 2.17، ولم يكن المقدونيون بحاجة لانتظار سقوط مدينة فينيقية قوية؛ لأن ملوك كل من أرادوس وبابلوس كانا مستعدين للاستسلام «وتركوا أتوفراتس Autophradates وسفنه، وانضموا للإسكندر بالأسطول الذي كان تحت أيديهم جنباً إلى جنب مع السفن ثلاثية المجاديف، وبالتالي انضم إلى الإسكندر Alexander ما يقرب من ثمانية سفن فينيقية، وفي ذلك الوقت نفسه، انضمت إليه تسع سفن من سولي Soli ومالوس Mallus وعشر من ليشيا lycia »، ثم جاء دور ملوك قبرص بعد ذلك حيث كانوا يمتلكون 120 سفينة، وانضموا إلى الإسكندر Alexander لأنهم أدركوا أن فينيقيا كلها أصبحت في قبضة الإسكندر Alexander أريان Arrian 1.20.1.3؛ في أوائل عام 332 .

وجسد قدوم سفينة مقدونية في ذلك الوقت عودة القوة البحرية للإسكندر في مياه بحر إيجه تحت قيادة أمفوترس Amphoterus وهيجلوتشس Hegelochus كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.5.14، وأكدت الارتدادات المتتابعة لهذه القوات نجاح الاستراتيجية التي بدأت بتسريح القوات البحرية في ميلتس Miletus في صيف عام 334 .

لكن في الوقت نفسه لم تمر هذه التطورات مرور الكرام على الفُرس، فقد شنوا هجوماً مضاداً شرساً، لكن المعلومات التي لدينا ضئيلة عن هذا الهجوم البري عند كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus لكن ليس عند أريان Arrian ، ونعرف أن القليل من أفواج الجنود التابعين لدارا Daruis قد نجوا سالمين من المعارك

ومازال تحت قيادته 4 آلاف رجل وفقاً لما أورده أريان Arrian 2.13.1 ، وقد خططت وحدات عديدة من قوات المرتزقة تحت قيادة أمينتناس وهو مقدوني منشق، ثيموندانز Thymondas وباينور Bianor للوصول إلى طرابلس في فينيقيا، حيث وصلت إليهم تعزيزات، وقام أمينتاس Amentas ، مدفوعاً بتحرك شخصي منه، بشن هجوم فاشل على مصر أريان Arrian 2.13.2.3؛ ديودورس Diodorus 17.48.2.5؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.17.23، وتحتوي رواية كل من ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius على مغامرات قادة تلك الفرق المرتزقة بإسهاب، خاصة فيما يتعلق بالهجمات الفارسية المضادة بعد معركة إسوس Issus: فشلت تجربة أمينتاس Amyntas بسبب أولئك الضباط، وقادة القوات الذين هربوا على رؤوس وحداتهم العسكرية من معركة إسوس، وحاولوا الحفاظ على الوجود الفارسي، فمنهم من ذهب إلى المدن المهمة وأقام عليها لصالح دارا Daruis ، بينما نافر آخرون القبائل وزودا أنفسهم بالقوات، وقاموا بتحركات مناسبة في تلك الأجواء ديودورس Diodorus .18.48.5.6

ويعود كوينتس كيرتس Quintus Curtius إلى هذه الأحداث في مناسبات شتى: لقد حاول قادة دارا Daruis الذين نجوا من معركة إسوس Issus وكل القوات التي تبعتهم في الهروب بالإضافة إلى جنود صغار السن متحمسين من كبيدوشنز Cappadocians وبافلاشونز Paphlagonians الاستيلاء على ليديا Lydia ، وقاد أنتيجوننس Antigonus أحد قادة الإسكندر Alexander ، رغم أنه أرسل العديد من جنود حاميته إلى الملك، قواته الباقية معه إلى المعركة، وكانت فرص الفريقين متساوية هذه المرة، وفي خلال ثلاث معارك دارت ما بين منطقة وأخرى تعرض الفُرس لهزيمة ساحقة كوينتس كيرتس Quintus Curtius .7.1.34.35

ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius إن تلك الأحداث تزامنت في كلها في وقت واحد، حيث إن الأسطول المقدوني الذي استدعاه الإسكندر Alexander من اليونان هزم أريستمونز Aristomenes قائد الأسطول الفارسي، وبعد الاستيلاء على أموال السكان وتعيين حامية على المدينة، أبحر بصحبة نحو مائة سفينة إلى أندروس Andros ومن هناك إلى سيفونز Sephnos ، ووضع حاميات على هذه الجزر مع فرض ضرائب عليها 71.36.37، ويعود كوينتس كيرتس Quintus Curtius لاحقاً إلى هذه النقطة في سياق الاحتفال بإثمين Ithmain 1.5.11 -الذي كان في يونيو/حزيران-يوليو/تموز عام 332 بعد سقوط مدينة صُور أثناء حصار غزة؟- لكن الربط التاريخي بين هذه الأحداث غير دقيق، ونوضحه كالآتي: لم يكن الإسكندر Alexander يعمل فقط من أجل تقليل عدد المدن التي ترفض الخضوع له والدخول تحت حكمه، لكن قادته أيضاً كانت لهم السياسة نفسها، حيث قامت مجموعة متميزة منهم بغزو عدة مناطق: كالاس Calas ، بافلاجونيا Paphlagonia ، أنتيجونيس ليكونيا Lycaonia Antigonus ؛ وقام بلاكروس Balacrus بهزيمة هايدارنز Hydarnes ، وهي مرزبانية دارا Daruis ، توجه إلى ميلتس Miletus ، واستعادها، وأيضاً قام أمفتورز Amphoterus وهيجلوسيز Hegelochus بصحبة أسطول يتكون من 160 سفينة بإخضاع الجزر ما بين أتشيا Achaia ، وآسيا تحت سلطان الإسكندر Alexander 7.5.13.14، من هذه المعلومات التي ملأت الفراغ الموجود، والتي تتمتع بالمصداقية، نستنتج أنه بعد معركة إسوس Issus أخذ القادة الفُرس مواقعهم في كابادوكيا Capadokia وبافلاجونيا Paphlagonia ، وقاموا بفرض التجنيد الإلزامي هناك، واعتماداً على هذه الجيوش التي تم حشدها، قاموا بشن هجوم تمهيدي ضد أنتيجونس Antigonus .

لكن لم تفلح انتصاراته في حل المشكلة: وتوضح المعلومات

الأخرى التي أوردها كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الفُرس استمروا في احتلالهم لسيلشيا Celecia في بافلاجونيا Paphlagonia ؛ ليكونوا قريبين من ساحل بحر إيجه عند ميلتس Miletus ، ولم يتم إجهاض الخطة الفارسية بشكل كامل إلا قبل قدوم منتصف عام 332 نتيجة للهجوم المقدوني براً وبحراً، وفي الحقيقة كان بإمكان كل من فارنابازوس Pharnabazus وأوتوفراديتس Autophradates تحقيق أهدافهما حتى ارتدت الفرق العسكرية في قبرص وفينيقيا وليشيا Lycia وسليشا Celecia في بداية عام 332 أريان Arrian 1 و20 و2، فقد كانوا تقريباً يملكون قوة ضاربة سليمة لم يمسها سوء، وعنما ظهر الإسكندر Alexander أمام أسوار مدينة صور كان يعتقد سكانها أن الفُرس مازالت لهم اليد العليا في البحر أريانArrian 2 و18 و2، وكانت هذه أيضاً فكرة الإسكندر Alexander وفقاً لما ذكره أريان Arrian 2-3 و17 و2، وكان يمكنهم أيضاً الاعتماد على قواعدهم البرية في كاريشا Carcia ، هاليكارنوسس Halicarnassus وكوز Cos أريان Arrian 4 و13 و2، وربما أيضاً ميلتس Miletus كوينتس كيرتس Quintus Curtius 13 و5 و7، وفي خريف عام 333 قبل موقعة إسوس Issus تركوا كوز Cos ليسفنتس، حيث انضم إليهم أجس Ajes إسبرطة الذي كان يخطط للتمرد على أنتيستر، وكانوا في سيفنتس عندما جاءتهم الأنباء الصادمة بالهزيمة في أكمدس، وقاموا بإرسال أجس Ajes إلى كريت «للسيطرة على الموقف»، أما فارنابزوس فقد أرسل تعزيزات إلى كايوس حيث كان ينوي بعض سكانها القيام بتمرد، واحتل أدروس كوينتس كيرتس Quintus Curtius و37 و4،71 ثم انضم بعد ذلك إلى أوتوفراديتس Autophradates في هاليكارنوسس Halicarnassus أريان Arrian 6-4 و13 و2، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5-15 و5 و7، وربما حدث ذلك عندما نفذ أوتوفراديتس Autophradates عملية في منطقة

إيفسس Ephesus بولينوس 2 و17 و14، وشن غارة على ساموثراس Plutrach ، مور 339 More: أليكس Alex 4 و48، ورغم وجود القوات البحرية المقدونية استمر القادة الفُرس في مواصلة تحركاتهم بعد معركة إسوس، لكن يصعب علينا تتبع ما قاموا به؛ لأن الدليل الذي لدينا ضعيف، وبالتالي استمر القتال بلا هوادة حتى نهاية خريف عام 333 ونهاية ربيع 332، حيث استمرت المعارك في البر وعلى الشواطئ والجزر، ومن أجل أن نفهم طبيعة هذه الصراعات بجبهاتها المتنوعة فإنه من الجدير بالمتابعة اعتقادنا أن تلك الأطراف اعتمدت على استراتيجية واحدة، ووفقاً لهذه النظرية، فإن دارا Daruis هو الشخص الذي وضع تلك الاستراتيجية، ولا يوجد أي اعتراض على هذا القول: أولاً، هجوم أمينتاس Amyntas على مصر كان بتحرك شخصي منه أريان Arrian 3 و3 و2، ويعتقد كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن دوافع أمينتاس Amyntas ترجع إلى تفسيره الشخصي لمبدأ «المهاجمون-المدافعون».

ثانياً، يدل محتوى المقترحات الدبلوماسية التي نُسبت لدارا Daruis بعد معركة إسوس Issus أنه كان محبطاً، لكن لا يمنع أي تحفظ من هذه التحفظات من وجود تفسيرات بديلة للأحداث، فلو كان أمينتاس Amyntas يتحرك بدوافع شخصية عندما هاجم مصر، فمن الغريب أنه عندما وصل إلى بلوسم تلقى أوامره بالتحرك من دارا Daruis شخصيًّا ديودورس Diodorus 3 و48، علاوة على ذلك، وبالتحديد كما يذكر أريان Arrian 1-3 و13 و2، فإن باقي القادة الذين صاحبوه حتى طرابلس وقبرص لم يتبعوه إلى النيل، ومن المحتمل أنهم كانوا قوات تابعة لفارنابازوس Pharnabazus في سيفنوس، أخيراً، سنعود لمقترحات دارا Daruis الدبلوماسية لاحقاً؛ لأنه لا يمكننا فقط استنتاج أن الملك كان ضعيفاً، ولكن أيضاً نستطيع أن نفسرها في سياق الشرح الأولي لاستراتيجية الملك عقب معركة إسوس . Issus

وبالطبع هناك اعتبارات عديدة لتورط دارا Daruis على جبهة بحر إيجة بعد معركة إسوس، فبعد تقهقره من إسوس Issus رجع الملك إلى بابل حيث شرع فوراً في حشد جيش جديد، وأرسل في طلب فرق عسكرية من إيران وآسيا الوسطى على وجه الخصوص ديودورس Diodorus 1-4 و39 و18، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 9-13و2-1 و6 و7؛ لذلك فمن المستحيل القول بأنه كان معزولاً عن أخبار سير العمليات على جبهة بحر إيجة؛ لأنه كان مؤمناً بأن سقوط مدينة صُور سيحطم آماله في تراجع الإسكندر Alexander ، ومن هنا يجب علينا أن نسلط الضوء على ما كان يُفكر فيه قادة مدينة صور كما ذكر ديودورس Diodorus : «كانوا يريدون أن يُمجدوا دارا Daruis ، ويواصلون ولاءهم التام له، واعتقدوا أيضاً أنهم سوف يتسلمون أعطيات كبيرة من الملك لجهودهم هذه، وأنه بإمكانهم توريط الإسكندر Alexander في حصار طويل وصعب؛ لإعطاء دارا Daruis وقتاً لإجراء استعداداته العسكرية 3 و40 و18، وليس من المستحيل أبداً أن تكون المشكلات التي كان يتوجب على الإسكندر Alexander التعامل معها في سوريا وادي البقاع أثناء حصار مدينة صور، أن تكون من تدبير الفُرس، وربما جازف الإسكندر Alexander «بتقسم قواته» لأنه اعتقد أن الخطر حقيقيًّا كوينتس كيرتسQuintus Curtius 7 و1 و2 و24 و2 و7، أضف إلى ذلك أن سقوط دمشق وتعيين حاكم عليها لم يدل على أن الدولة أُخضعت بالكامل، كما تم إخماد تمرد ساماريا Samaria بعد ذلك بوقت قصير 232-331 كوينتس كيرتس Quintus Curtius 9-11 و8 و7، ونعرف أيضاً أنه عندما قدم أيمنتاس Amyntas إلى مصر صده مازاسيز الذي ولا بد أن تم تعيينه حاكماً لمصر بعد معركة إسوس Issus بوقت قصير ليحل محله ساباسيز الذي قُتل أثناء معركة سليشا Celecia أريان Arrian 2 و1 و3 .

أخـيراً سنُسـلط الضـوء عـلى شرح كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius للعمليات التي نفذت في هيلسبونت Hellespont ، ففي بداية عام 332، انـتصرت البحريـة المقدونيـة عـلى القـوات الفارسـية، التـي أرسـلها دارا Daruis لاسـتعادة هيلسبونت Helespont 36 و1 و7 .

وبالتالي، فإن المجموع الكلي لهذه الأدلة نستنتج منـه بشـكل شـبه نهـائي أن دارا Daruis بعد هزيمته لم يتخلَّ عن الاستراتيجية التـي وضـعها عـام 334، والتـي تشكلت على أساس الدفع بسرعة من أجل بناء جيش ملكي، ومواصلة الهجـمات في آسيا الصغرى عند مؤخرة جيش الإسكندر Alexander ، وهـو صـحيح في اعتقـاده أن تَحَكُم الإسكندر Alexander الإقليمي في آسيا الوسطى كان سطحيًّا جدًّا، خاصة في مناطق كابادوكيا Capadokia وبافلاجونيا Paphlagonia التـي قـام كـل قائـد فيها بتكوين جيش خاص به، ويسمي كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius قائـداً واحداً منهم وهو هايدارنز Hydarnes .

لكننا رأينا عملات من سينوب Senop منقوشاً عليها أسماء يمكـن قراءتهـا بأنها باستس Bastes وأرونتوباتس Orontobates وهايدارنز Hydarnes ، ربمـا يكـون ميثروباسـتس Methrobastes هـو ابـن أرسـتيبي Aristebus الحـاكم السابق لدسـليم ونعـرف أنـه تـم نفيـه بواسـطة دارا Daruis إلى رأس الخلـيج الفارسي، في وقت مجهول لنا، ولأسباب غير معروفـة سـترابو Strabo 5 و5 و17، وأخيراً، ربما يكون هايدارنز هـو أحـد أبنـاء مـازوس Mazaeus الحـاكم السـابق لسليكا Celecia -سوريا- على أيـة حـال، نشـك أن يقـوم هـؤلاء القـادة بتنفيـذ الهجوم بتصرف شخصي منهم، فمن المحتمـل أن يكـون دارا Daruis هـو الـذي أرسلهم، وهو الذي منحهم السلطة في إعداد القوات وإنفاق الأموال التي بقيـت لم تنفق وبدون شك هي التي كابا دركيا، ووفقاً لعادة موثقة جيـداً فـإن القـادة كـان بإمكـانهم سـك العمـلات لـدفع رواتـب الجنـد في مدينـة بنادليـة وهـي

سينوب؛ لأنها حتى ذلك الوقت بقيت على ولائها للفرس أريان Arrian 4 و24 و3، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 6 و5 و7 .

وكان واضحاً أن المهمة التي عهدت إليهم هي استعادة السلطان الفارسي على آسيا الصغرى، وقطع خطوط اتصالات الإسكندر Alexander ، والمتقدم نحو الساحل هايدارنز إلى ميليتس، وهذا يُفسر لنا ذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius لاسم أنتيجونس، فقد كانت مسؤوليته كحاكم لفرجيا الكبرى وحاكم مدينة كالينا الاستراتيجية للدفاع عن الطريق الملكي هو المهمة التي كان يقدم بها أنتيجونس وفقاً لما أورده كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، ورغم عدم دقة التعبيرات، ربما تُشير إلى أنه تلقى أوامر من الإسكندر Alexander بالتنسيق مع الدَفعات المقدونية.

ومن الممكن أيضاً أن تكون الأوامر الملكية قد وصلت الشاطئ أيضاً، ويدُل على ذلك ما ذكره كويتس كيرتس فيما يخص المهمة التي أُسندت إلى أريستومينز في هيلسبونت 36 و1 و7، علاوة على ذلك، كانت أوامر دارا بقدوم تايمونداز إلى فارنابانوس في سيفنوس، وبعد ذلك سُلمت إليه قيادة قوات المرتزقة، وهذا التفسير يوفي شرحاً أكبر بسبب ادعاء أمينتاس أن مهمته إلى مصر كانت مهمة رسمية بتعليمات من الملك «أعلن الملك الذي أرسله كقائد عسكري لأن مرزبان مصر قُتل أثناء معركة أسوبين في سليكيا ديودورس Diodorus 2 و48 و18، وبالتالي فإن أمينتاس Amentas حاول أن يطرد المرزبان الجديد الذي عينه دارا Daruis والذي هو مازاسيز، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 28 و1 و7، رغم أنه من المحتمل أن يكون الملك كان قد أمره بإرسال قوات محترفة لتعزيز الحامية الموجودة في مصر، ويقول ديودورس Diodorus أيضاً 2 و48 أن أجيس Ajes تسلم سفناً وأموالاً من الملك الفارسي، لكن أريان Arrian لا يذكر الأمر الملكي ويُحيل التصرف برمته

إلى فازنـابزوس Pharnabozus وحـده 5-4 و13 و2، وكانـت إحـدى مشـكلات فارنابزوس Pharnabozus في ذلـك الوقـت هـي نقـص المـال، بعكـس مـا قـام بـه آخرون من سك العملات في سينوب، ولم يكـن لهـم اتصـال بـأموال الخزانـة، التـي كانت تحت تَحكم الإسكندر Alexander واسـتخدامها في تلـك المنطقـة، وتكشـف هذه الأحداث أن الاتصالات بين الملك وفارنابازوس Pharnabozus كانت مقطوعة في ذلك الوقت، خاصة عندما نعلم أن الهجـمات البريـة والبحريـة الفارسـية كانـت متزامنـة، وجسـدت الانتصـارات الأوليـة التـي حققهـا أنتجـونس، وفي عـدة شـهور تحققـت انتصـارات بـالكراس Placras مرزبـان سـليكيا Celecia وكـالاس Calas مرزبـان هيلبسـبونتاين فريجيـا Phrygia Hellespontine سـيدة برشـيا في الأناضول، ومع ذلك، استجابت كل من كابادوكيا وأرمينيـا لأوامـر الملـك بالتعبئـة»، وفي الشهور التي تلت معركة إسوس Issus قامت كلتـاهما بإرسـال فـرق عسـكرية بصفة منتظمة إلى الملك تحـت قيـادة أريسـز كابادوكيـا وميثروسـتس وأرونتـيجس أرمينيا أريان Arrian 5 و8 و3، وواصـلت البحريـة المقدونيـة هجماتهـا في الوقـت نفسه، بالإضافة إلى ذلك لم يتمكن قائد البحرية هجيلوشـس مـن إخبـار الإسـكندر Alexander ، حتى قبل نهايـة عـام 332 -والـذي كـان وقتهـا في مصر- أنـه ومعـه أمفوترس يخططان للاستيلاء عـلى تينـدوس، كـايوس حيـث تـم سـجن فارنابـازوس وأرسستونكيس طاغية ميثمنا فيها، ميتلين Milten وكوز Cos أريان Arrian 3 و2 و3، توينتس كيرتس 22-4، و5 و7 .

ويختفي فارنابزوس Pharnabozus حتى عام 322 من المصـادر التـي تحت أيدينا بعـد هزيمتـه في كـايوس Chaos ، وبالتـالي يتضـح أن البحريـة الفارسية لم يتبقَّ منها شيئ إلا ربمـا بعـض المجموعـات الصـغيرة مـن سـفن «القراصنة»، ولم يبقَ سـوى أجـس Ajes يُقاتـل في أوروبـا رغـم أنـه ليسـت لديـه اتصـالات مبـاشرة مـع الجبهـة الفارسـية، وفي أثنـاء تلـك الفـترة

تمكن الإسكندر Alexander من الاستيلاء على غزة، ثـم استسـلمت مصر بواسـطة حاكمها الفارسي مازاسيز Mazaseses الـذي لم تكـن لديـه قـوات كافيـة للمقاومـة أريان Arrian 1-2 و1 و3، وفي عام 331 كان الإسكندر Alexander قـادراً عـلى أن يسلك طريق مدينة صور وبابلونيا لمواجهة دارا Daruis ، وفي خلال طريقه أخمـد تمرد ساماريا Samaria بطريقة دموية كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 9-11 و8 و7 .

دارا Daruis والإسكندر Alexander : الحـرب والسـلام 333-3331 - قـراءة أخرى:

يذكر جميع المـؤرخين القـدامى أن المفاوضـات الدبلوماسـية تـم فتحهـا بـين المعسكرين أثناء تلك الفترة، وبدأها دارا Daruis ، ويختلف عدد وتـاريخ المهـمات والخطابات الدبلوماسية التي أرسلها ملك الفُرس من مهمة إلى أخرى .

وهذا مُلخص لما ذكره المؤرخون القدامى:

1 وفقاً لأريان Arrian 1-3 و14 و2 وكـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 7-14 و1 و7، فإن ملك الفُرس أرسـل رسـالة إلى الإسـكندر Alexander فـوراً بعـد معركة إسوس Issus ، ولا بد أن الأخير تسلمها عندما كان في مـاراثوس Marathos حوالي: نوفمبر-ديسمبر 333، طالب ملـك الفُـرس بـاطلاق سراح أعضـاء أسرتـه الأم، الزوجة، الأطفال المسجونين في دمشق أريان Arrian ، ودفـع فديـة لهـم كـوينتس كيرتس Quintus Curtius ، واقترح معاهدة «صداقة وتحالف».

2 البعثة الثانية وصلت أثنـاء حصـار مدينـة صـور أريـان Arrian 1 و25 و2، بينما يقـول كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 1 و5 و7 أنهـا وصلت بعد سقوط المدينة، وهو لـيس متأكـداً مـن ذلـك، وللمـرة الثانيـة عـرض الملـك فديـة 10 آلاف طـالن ومعاهـدة صـداقة وتحـالف، وللمـرة

الأولى وافق أن يترك بعض الأقاليم، ولكـن المسـاحة تختلـف في المصـادر «مـن كـل المناطق غرب الدولة من الفرات إلى بحر اليونان» أريان Arrian ، آتن، ألكس، 43؛ «المنطقة التي تقع بين هيلسونت Helespont ونهر هاليز Hyles كلهـا» كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 1 و5 و7؛ ديـودورس Diodorus 1 و39، ويـذكر كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius أن ملـك الفُـرس عـرض عـلى الإسـكندر Alexander تتويج المعاهـدة بتـزويج الإسـكندر Alexander مـن ابنتـه سـتاتريا، ويُضيف أن الأقاليم التي سلمت ميديا Media ، الأيوناس Ionas ، أيـوليس، سـامل هيلسونت Helespont، 7 و5 و7 تكـون المهـر 7 و1 و5 و7، وتظهـر بعـض هـذه البنود المقترحة أيضاً عند مؤرخ مجهول FG.H 101.

3 باستثناء ملحوظ لكنه منطقي لأريان Arrian ، يـذكر المؤرخـون القـدامى جمـيعهم وجـود مقترحـات دبلوماسـية أخـرى حـدثت عنـدما عَـبَرَ الإسـكندر Alexander الفرات فعليًّا، بالإضافة إلى فدية عن أمه وبناته وابنه أيضاً بقي رهينة في يدي الإسكندر Alexander ، وفقاً لما أورده كوينتس كيرتس Quintus Curtius 6 و11 و7 ومعاهدة الصداقة والتحـالف، وعـرض ملـك الفُـرس «كـل الأقـاليم مـن هيلسونت إلى الفرات» ويد إحـدى بناتـه كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 5 و11 و7؛ جسـتين Justen 10 و12 و11؛ ديـودورس Diodorus 2 و54، ويُعيـد كوينتس كيرتس Quintus Curtius التأكيـد عـلى أن هـذه الأقـاليم سـتكون مهـراً للأمـيرة 5 و11 و7، ويضـيف ديـودورس Diodorus: كـان الإسـكندر Alexander سيُصبح صهراً لدارا Daruis ويكون في مقام الابن، ويُشـارك في حكـم الامبراطوريـة كلها».

4 وعـلى الجانـب الآخـر يلمـح Plutrach مـرة واحـدة إلى هـذه المفاوضـات، والتـي يقـول إنهـا حـدثت عنـد مدينـة صـور أثنـاء إقامـة الإسـكندر Alexander الثانيـة في يونيـو 331، ويـذكر الفديـة ألـف

طالن، و«كل البلاد بجانب نهر الفرات»، وزواج وصداقة وتحالف أليكس 7 و29 .

لقد لفتت هذه المعلومات انتباه المؤرخين لفترة طويلة، لكنها لم تلقَ العناية الشاملة في الفترة الأخيرة، في الوقت الذي يمكننا تقبل أن يكون الملك قد أرسل خطابات ومبعوثين إلى الإسكندر Alexander كما ذكر المؤرخون القُدامي، رغم أن طلب إطلاق سراح الأسرى من عند الإسكندر Alexander ، لا يُمثل مشكلة، فهل يمكننا تصديق أن ملك الفُرس قدم عرضاً بالتنازل عن جزء من مملكته للإسكندر، وأنه عرض عليه أن يُشاركه الملك مع أن الإسكندر Alexander هو من انتصر في معركة إسوس Issus ؟ مرة أخرى، لكي تكون الأمور أكثر اتضاحاً: هل تعكس النصوص التي بين أيدينا، سواء كليًّا أو جزئيًّا، الطبيعة الحقيقية للعلاقة بين الملكين في ذلك الوقت، أم أنها ليست أكثر دعاية مقدونية؟ المهمة الأولى بوضوح هي تحديد العلاقة بين التنازلات التي عرضها ملك الفُرس والموقف العسكري والسياسي، كما هي طريقة مؤرخ عصرنا الحالي في تحليل مثل هذه الأحداث الآن، وأيضاً كما تخيلها دارا Daruis إرسال رسالة إلى الخصم ليست بالشيء الهين، العرض الذي يقول المؤرخون القدامى أن دارا Daruis قدمه، ويدُل ضمناً أنه شعر بموقفه الحرج، وبالتالي فإن التنازل عن الأقاليم بدا وكأنه الخيار الوحيد أمامه، ويعرض المؤرخون القدامى تنازلات الملك بصورة مقسمة لفترات: 1 طلب إطلاق سراح السجناء. 2 التنازل عن الأقاليم حتى هاليس. Halys 3 بعد ذلك الفرات، ويبدو تسلسل الأحداث منطقيًّا، كما يعلق الإسكندر Alexander على ذلك ساخراً، لأن ملك الفُرس كل مرة يتنازل فقط عن الأقاليم التي خسرها فعلاً، وهنا تسلسل متطابق بالنسبة للكميات المختلفة التي ستُدفع كفدية، لكن هل المنطق الداخلي الذي اتبعته العروض القديمة يتماشى حقيقة مع ما نواه دارا Daruis ؟ هذا هو لُب المشكلة،

نحن نعتقد اليوم فعلاً تماماً مثل سكان مدينة صور أريان Arrian 7 و16 و2، أنه بعد معركة إسوس «مازال مسار الحرب غامضاً»، وكما يشرح ديودورس Diodorus 1 و39 كان دارا Daruis يمتلك عزماً متيناً، ومازال يمتلك مصادر ضخمة من الرجال والأموال على السواء، خاصة بإمكانه الاعتماد على وصول فيالق عسكرية من الأراضي الإيرانية وآسيا الوسطى كوينتس كيرتس Quintus Curtius 1-2 و6 و7؛ ديودورس Diodorus 3 و39، وفي عام 331 أصبحت تحت يديه فرق عسكرية جاءت من كل إقليم تابع للإمبراطورية من كابادوكيا حتى إندوس أريان Arrian 6-3 و8 و3 .

وتسبب حصار الإسكندر Alexander المستمر لمدينة صور في إعاقته عن التعبئة، ووفرت فرصة لملك الفُرس لضمان انتظام قواته المحتشدة، وفي الوقت نفسه -كما رأينا- لم يتخلَّ دارا Daruis عن استراتيجيته عند بحر إيجه، بالإضافة إلى ذلك، ورغم ما ذكره الإسكندر Alexander في خطابه إلى ماراثوس Marathos 2.14.7 لا توجد هناك إشارة إلى أن ملك الفُرس تعرض لارتدادات كبيرة من الارستقراطيين الفُرس من ذوي المناصب الرفيعة، وما بين انتهاء عام 333 وربيع صيف عام 332 التاريخ المفترض لبعثة الملك الثانية للإسكندر، تغير الموقف جزئيًّا - لصالح الإسكندر Alexander - بسبب انفصال الوحدات العسكرية في قبرص وفينيقيا عن قوات فارنابزوس Pharnabozus البحرية جنباً إلى جنب مع التحركات المتجددة للبحرية المقدونية، وبينما كان حصار مدينة صور يطول، يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius مرتين أن الإسكندر Alexander كان على حافة اليأس والرجوع 7.4.1، 7.3.11 ، ورغم بعض انتصارات أنتجونس، فإن الهجمات الفارسية على مؤخرة جيش الإسكندر Alexander لم يتم صدها حتى ذلك الوقت، وبعيداً عن صور، عرف الإسكندر Alexander أنه يجب عليه

الاستيلاء على غزة وجعل القائد هو باتيس، وجهزه بإمكانات ضخمة تمكنه من إنهاء المقاومة لو طالت أريان Arrian 2.25.4، كوينتس كيرتس Quintus Curtius، 7.6.7واصفاً إياه قائلاً: «رجل بولاء لا مثيل له لملكه»، وتشير هذه العبارة ضمنيًّا إلى أنه كان قد تلقى تعليمات من دارا Daruis Daruis 3.3.4.

وواصل دارا Daruis استعداداته العسكرية بنشاط في مدينة بابل حتى إنه استخدم تقنيات مبتكرة في تسليح قواته ديودورس Diodorus 53.1-3، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.9.3-4، واختار هو ومستشاروه أرض المعركة بعناية عند نقطة على الطريق الكبير، حيث أدركوا أن الإسكندر Alexander سيسلك هذا الطريق لأسباب لوجستية أريان Arrian 53.7.3 كوينتس كيرتس Quintus Curtius، 7.10.113وكان الجيش الملكي يتدرب هناك كل يوم ديودورس Diodorus 53.4.5501، وتم تنظيم الإمدادات اللوجستية بدقة من أجل تجنب الأخطاء التي حدثت في موقعة إسوس حيث تمت تسوية الأرضية من أجل تمكين الفرسان والمركبات الحربية من التحرك بسهولة أريان Arrian 3.8.7، ووفقاً لما ذكره كل من بولينس 7.3.17 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.3.36 تم زرع عوائق حديدية لشل حركة الفرسان المقدونيين .

واتخذ ملك الفُرس إجراءات أخرى لإعاقة تحرك الإسكندر Alexander : فعلى سبيل المثال، صدرت أوامر لمازوس Mazaeus بحراسة الفرات وقام بمهمته على أكمل وجه، فلم يتمكن بناة الجسر العائم من إنهاء عملهم قبل قدوم الإسكندر Alexander أريان Arrian 3.7.1-2 وعندما تراجع، حاول مازوس Mazaus تطبيق سياسة حرق الممتلكات قبل وقوعها في يد العدو كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.9.13.10.10-13، ديودورس Diodorus 55.1-2، حتى أن

كوينتس كيرتس Quintus Curtius يضيف أن دارا Daruis فكر في تدبير محاولة لاغتيال الإسكندر Alexander 7.10.16-17. وباختصار، لا نرى في أفعال وسلوك دارا Daruis ما يدل على أنه شعوراً من الخوف أو اليأس يتملكه، وبرغم أن نجاحات الإسكندر Alexander المتكررة التي لا يمكن لأحد إنكارها ليست إلا فشلاً لدارا Daruis ، بقى ملك الفُرس بعد معركة إسوس Issus مصمماً تماماً على مواجهة الجيش المقدوني مرة أخرى، ولم يألُ جهداً في الإعداد لذلك، وكان هو من حدد استراتجية ذلك الوقت، فكان على الإسكندر Alexander التعامل مع الاستراتيجية التي وضعها الفُرس وليس شيئاً آخر، ويقر ديودورس Diodorus بهذا في ثنايا مدحه الآتي للملك، «لم تخبُ همته رغم النكسات الخطيرة التي تلقاها» 39.1، فباختصار لم يكن ملك الفُرس في موقف يائس يمكن فهمه من التنازلات التي قيل إنه قدمها، وأدرك المؤرخون القدامى أنهم فعلاً وقعوا في مشكلة؛ لأن العروض التي قدمها الملك بالتنازل عن أقاليم حتى لو تم تقليلها، كما يذكر أريان Arrian ، إلى حدود هاليس وحتى لو كان حدوثها متزامناً مع حصار مدينة صور، فقد اقترحت في الوقت ذاته الذي أصدر فيه دارا Daruis أوامره فعلاً بالتعبئة العامة ومن هنا يتزامن القرار الذي اتخذه سكان مدينة صور مع هذه التحركات، كما ذكر ديودورس Diodorus 40.3.

ويهمش المؤرخون القدامى هذه المشكلة، رغم أنهم هم من يظهرون تناقضاتهم، قائلين إن انهيار المفاوضات هو السبب الذي دعى الملك لبناء جيش، «يائساً من تحقيق السلام الذي كان يؤمن بتحقيقه من خلال خطاباته ومبعوثيه» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.1، أريان Arrian 2.25.3، ديودورس Diodorus 55.1، والمشكلة تظهر عندما يرجع أريان Arrian هذا التحرك من جانب دارا Daruis إلى ربيع صيف 332 تقريباً، بينما يرجعه ديودورس Diodorus إلى صيف-ربيع

331 في الوقت الذي تم فيه حشد جيش ملكي بالفعل ديودورس Diodorus أو كان مازال تحت البناء أريان Arrian ، ويعتبر عرض الفرات مُبهماً من الناحية الموضوعية: ففي ذلك الوقت كانت هناك أدلة على أن دارا Daruis قرر القتال لأنه -كما يذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius - ترك بابل لأربيلا Arbela 7.9.6 قبل إرسال المبعوث الثالث للإسكندر 7.11.1، ديودورس 2-54.1Diodorus، ويقدم المؤرخون القدامى تفسيرات لهذا المعضلة:

1 فضل دارا Daruis الترتيب للسلام عن مواجهة الإسكندر Alexander ، وهذه هي الصورة التي تشرح رد فعل الإسكندر Alexander ، وبالتالي يرفض كل التنازلات عن الأقاليم؛ لأنها ستؤدى إلى شرعنة الغزو الذي حدث سابقاً، فكان يطمح إلى أن يملك المملكة كلها وفي يديه سلطة غير مقسمة، وهو بذلك يجبر دارا Daruis على معركة تحدد من المنتصر، وواضح أن هذه الصورة مبنية على أساس اعتقاد شائع جدًّا وهو: لا يتوقف الإسكندر Alexander أبداً عن ملاحقة عدو هارب، وهذا الاعتقاد نقلته مصادر مقربة من المعسكر المقدوني وانتشرت بصور شتى، حتى أن كوينتس كيرتس Quintus Curtius يدعي بأنه جاءت لحظة على ملك الفُرس نهاية عام 332-بداية 331، فكر في مغادرة بابل، وطلب اللجوء في بلاد السهول الإرانية، وأقلع عن خطته؛ لأنه أدرك أنه يواجه خصماً عنيداً، فالهروب لا فائدة منه 2-7.9.1، لكن ومهما كانت هناك تفسيرات عن «محاولات للهروب» فكر فيها دارا Daruis الثالث في إسوس Issus أو جوجاميلا Gaugamela ، فإن المعلومات التي أوردها كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus بنفسيهما عن استعدادات الملك العسكرية تضحد كل هذه التفسيرات التي يفترضونها.

2 المقترحات اللاحقة التي قدمها الإسكندر Alexander على

سبيل المثال التنازل عن الأقاليم حتى حدود الفرات يشرحها إعجاب دارا Daruis وتقديره الشديد للإسكندر بعدما علم بإجلال الإسكندر Alexander لزوجة دارا Daruis ستاتيرا التي ماتت لتوها كوينتس كيرتس Quintus 7.10.18-33 Curtius، وهذا يشرح الخطاب عديم المعنى الذي نسب لملك الفرس .

«يا آلهة آبائي، لا أصلي لأحد غيركم، اجعلوني ملكاً لآسيا، بعيداً عن هذا العدو وهذا إنصاف كبير لي» 10.3-4، والآتي: «ووفقاً لذلك، وبسبب إعراض خصمه، أرسل دارا Daruis عشر مبعوثين» 11.1، جستين Justen 11.12.6-9-4، وبالطبع مثل هذه التعليقات الخطابية لن تقنع أحداً وعلاوة على ذلك، تعتبر الخطابات التي نسبت لمبعوثي الملك إلى الإسكندر Alexander في تلك الفترة ذات محتوى غير مناسب، ولا تحمل أية قيمة دلالية خاصة فيما أورده كوينتس كيرتس Quintus 7.11.8-9 Curtius، وبغض النظر عن الأهمية السياسية أو الشخصية التي يوليها دارا Darius لأفراد أسرته الأسرى في معسكر الإسكندر Alexander ، فمن الصعب التصديق بأنه فكر في مبادلتهم بنصف الأقاليم التي يحكمها في الوقت الذي كان جيشه يتدرب بنشاط على أرض المعركة في جوجاميلا Gaugamela ، والشيء الذي يصعب تصديقه أيضاً بموجب «نظرية التبادل» هذه أن الشاغل الأكبر لدارا Darius من المفترض أن يكون هو مصير ابنه، لكن وفقاً لما ذكره كوينتس كيرتس Quintus 7.11.6 Curtius فإن دارا Darius طلب من الإسكندر Alexander إطلاق سراح زوجته وبناته ويمكنه إبقاء ابنه في الأسر، وطبعاً كل هذه المعلومات لا يمكن تصديقها -إلا إذا افترضنا أن ملك الفُرس- «إنما هو مواطن عادي وليس حاكم الإمبراطورية» راديت Radet ! ومن السهل اكتشاف عنصرين مميزين للدعاية المقدونية حول الكلمات والأفكار فيما أورده كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius

وجستين Justin سعة صدر واعتدال الإسكندر Alexander من ناحية، وتفكك الإمبراطورية الفارسية من الناحية الأخرى على يدي دارا Darius الذي كلف -مع أنه كان في النزوع الأخير- قائده «الفارسي» الغازي بقتل بيسس Bessus المرزبان المتهم بتدبير محاولة قتل الملك ديوروس Diodorus 73.4: بلوتارخ Plutrach ، أليكس Alex 43.4، جستين Justin 16.11.5.

باختصار لم تفعل تعليقات المؤرخين القدامى حول الشخصية المُتخيلة لملك الفُرس شيئاً لتفسير القرارات السياسية التي نُسبت إليه، ولا يستطيع مؤرخو الإسكندر Alexander أن يقدموا توضيحاً صادقاً للاستراتيجية التي اتبعها ملك الفرس، والسبب بسيط: فقد واجه كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودوريس Diodorus مفارقة يصعب فهمها: حيث لم يكن بمقدورهم وضع تفسير لصورتين شديدتي الاختلاف لملك الفرس، قائد حاسم للجيوش من ناحية ورئيس دولة مذعور خائف من ناحية أخرى، أريان Arrian فقط يتغلب على هذه التناقضات الداخلية، لكن تقييمه السلبي وحكمه على شخص دارا Darius لا يختلف أو يضع استثناءً واحداً: الخطابات التي يرسلها للإسكندر دائماً ما تحوي صوراً من الضعف وتنفي صفة الشهامة عن الفُرس في تناقض مع شدة جانب المقدونيين وتفاخر اليونانيين 2.7.3-7، وهو الشيء الذي يحمل في طياته ذكريات سابقة له وهي Ten Thousond 1.12.3، 2.7.8-9، وهذا بالتأكيد يعتمد على مصادره التي يستقيها من مؤرخه المفضل زينوفون Xenophan . ويقدم دارا Daruis على أنه لعبة في أيدي مستشاريه 2.6.4، فهو ملك تملكت عقله الهزيمة 10.1 غير راغب في اقتسام الممتلكات الشخصية مع ذوي السلطة والنفوذ من الحاشية الملكية، حتى من أجل شن حمله على العدو 11.10، كل هذه الأحكام التي صدرت من دارا Darius تم

تكرارها في خطبة جنازته، «لم يحدث قبله أن أظهر رجل الخوف والخنوع في وقت الحرب كما فعل هـو» 3.22.2، وكـان مـتهماً بموقفـه الجبـان الشـهير في جوجـاميلا Gougamela : «كان الملك بنفسه من أوائل الذين هربوا بطريقة مهينـة في أربـيلا Arbela ، وخسر الجيش الأعظم الذي يتكون كله من الجنس البربري» 12.4، وقـام أريان Arrian بالفعـل بـإيراد كـل هـذه الموضـوعات في نـص خطـاب مشـكوك في مصداقيته بصورة كبيرة أرسله الإسكندر Alexander إلى دارا Daruis من مـاراثون Marathus 12.4، ويكشف هـذا الخطـاب عـن هجمـة منظمـة عـلى شرعيـة دارا Daruis ، تم وضعها وفقاً لقوانين الدعاية الموجهة ضد سـلالة الحكـم، ويـتم عقـد مقارنة بين ملك الفُرس والإسكندر Alexander القائـد المنـتصر القـوي الـذي يكـن احتراماً لأسرة دارا Daruis رغم ذلك، وتشوه صورة الملك في كل مناسبة: فهو لـيس الملك الشرعي، هجره المقربون منه، وتحولوا «بكامل إرادتهم» إلى جـوار الإسـكندر Alexander أريان Arrian 2.14.7، ولم يهزم فقط في أرض المعركة لكنه من خـلال هروبه المخزي تخلى عن رمز سلطته القوس، السهام، لباس الحرب، المركبة الحربية، ونـتج عـن ذلـك أن أدت قـوتهم الرمزيـة لاحقـاً إلى ازديـاد عظمـة الإسـكندر Alexander 3.5.6، 5-12.4، 11.6، 2، وفي هذا السياق فـإن التنـازل عـن الأقـاليم سيتوج الصورة المرسومة كلها؛ لأن دارا Darius واقف بنفسه لتقسيم الامبراطورية، وحتى عـلى مـنح الإسـكندر Alexander قسـماً متسـاوياً مـن السـلطة ديـودورس Diodorus .

كل هـذا يؤكـد وجـود وجهتـين للنظـر متناقضـتين حـول شخصـية دارا Daruis الثالـث في العصـور القديمـة، ويبـدو للعيـان أن مسـألة التنـازل عـن الأقاليم ظهرت على السـطح بسـبب الدعايـة المقدونيـة التـي أكـدت ضـعف وجبن ملك الفُرس، واتبع أريان Arrian هذا النهج عـلى طـول الخـط، وأيضـاً مال كل من ديودورس Diodorus وكـوينتس كـيرتس Quintus Curtius إلى

هذه الدعاية، لكنهم أضافوا إليها معلومات من آخرين، من مصدر أكثر «حيادية»؛ لأنهم وجدوا مصدرين؛ أحدهما رواة الأحداث بكثرة تناقضهم، والآخر التفسيرات الشاذة للأحداث، أضف إلى ذلك أن ديودورس Diodorus أورد روايتين عن اعتلاء دارا Daruis للعرش بينهما سطور قليلة ولكنهما متطابقتين تماماً 2-7.1-6، 5.3، والشيء الوحيد الذي يتفق عليه هؤلاء المؤرخون القدامى هو التنازل المهين عن الأقاليم، لكن أريان Arrian وعلى غير عادته يرجع مقترحات التنازل هذه عن الأقاليم حتى حدود الفرات إلى أيام حصار مدينة صور 2.52.1 .

ويتفق المؤرخون المحدثون تقريباً على رفض رواية أريان Arrian للأحداث، وبذلك يضفون الشرعية على الرواية الثانية التي تصف التخلي عن ترانس-هاليس في الأناضول Trans-Halys Anatolia ، لكن هل تستند هذه الرواية بالفعل إلى أسس سليمة؟ وهل هي أكثر مصداقية؟ هنا تكمن المشكلة.

العرض الذي قدمه دارا Darius باختيار كل من هاليس Halys والفرات Eughrates كحدود للأقاليم التي سيتنازل عنها لا تقاس به شرعية الملك الفارسي، ولا تعتبر معياراً، وعلم اليونانيون منذ أيام هيرودوت Herodotus 1.74 أن هاليس Halys ينظر إليها على أنها الحد الفاصل بين مملكتي ميديا Media وليديا Lydia ، وقد توج الاتفاق الدبلوماسي بينهما بزواج ابن سياكسارز Cyaxares وابنة أليتس Alyattes ؛ لأن «المعاهدات نادراً ما تحتفظ بقوتها بدون روابط قوية علاقات أسرية» علاوة على ذلك، فإن الإقليم الذي سيتم التنازل عنه يتصل بصفة حميمة بموضوع يهتم به إيسوكراتس Isocrates حيث يمكن الحكم على الغزوات فيليب Philip 120: «آسيا من سليشيا Cilicia إلى سينوب Sinope ، ويبدو أن استخدام تعبير «من الفرات» كحد للأقاليم المتنازل عنها ولأول وهلة تم نقله من مصطلحه الإداري وهو «فيما وراء النهر»، فقد ترجمه

اليونانيون على أنه «فيما وراء الفرات» في الخطاب الذي أرسله دارا Darius إلى جاديتس Gadutes 12 ML .

لكن الصيغ التي أوردها مؤرخو الإسكندر Alexander «فيما بين الفرات وبحر اليونان» أريان Arrian ، «هذا الجانب من الفرات ديودورس Diodorus وبلوتارخ Plutrach ، «ما بين هيلسبونت Hellespont والفرات» كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، «وحتى حدود الفرات» جستين Justin تمثل بوضوح وجهة نظر سطحية للجانب الفارسي، وخيانة اليد اليونانية أو المقدونية في الوقت نفسه فقط مثل عبارة «هذا الجانب من هاليس Halys » علاوة على ذلك، وفي عرض اليونانيين لأراضي الفرس، فإن الفرات كان ينظر إليه بصورة تقليدية على أنه الحد الثقافي الذي فيما ورائه تبدأ آسيا الكبرى، ومما لا شك فيه فإن هذه التصورات -على الأقل بصورة جزئية- افتراضات سياسية جغرافية، حيث تقف وراء الهيكل التقليدي للحوار الذي دار بين الإسكندر Alexander وبارمينوين الكبير Parmenion ، والذي يظهر هنا -كما يظهر في عدة مواقف- لاعباً دوراً مقنعاً جدًّا «فلاح من دانوب Danube » أريان Arrian، 2.25.2،ديودورس Diodorus 5-54.4، كوينتس كيرتس Quintus Curtis 7.11.11-13، وتقودنا هذه الملاحظات إلى أخذ القيمة التجريبية التي غالباً ما تنسب للطبيعة المتسلسلة لتنازلات دارا Darius عن الأقاليم مع تحفظات كبيرة، وفي الحقيقة، يرتبط موضوع «الرد المتسلسل» عند المؤرخين القدامى بعصر الإسكندر Alexander وبالمرحلة الإغريقية، ويعزز عدم قابلية الاستراتيجية والأفكار التي نسبت لدارا Daruis لتصديق اعتقادنا بأننا نتعامل مع تزوير مقدوني للأحداث التاريخية، وهو الاستنتاج الذي لا نجد أصعب من تصديقه سوى استحالة اقتراح تفسيرات بديلة صحيحة.

عواقب ما حدث في جوجاميلا Gougamela 331-330:

تعـرض دارا Daruis لهزيمـة أخـرى في معركـة جوجـاميلا رغـم اسـتعداداته العسكرية المكثفة والهائلة، وهـذه الهزيمـة لهـا عواقـب أخطـر بكثـير مـن هزيمـة إسوس Issus ، عندما رجع الملك إلى أرابيلا Arbela عقد مؤتمراً ومعه مستشـاروه، ووفقاً لما أورده المؤرخون القدامى، فإن المجتمعين كان أمـامهم اختيـار خطـير، إمـا الرجـوع إلى مدينـة بابـل Bablyon حيـث عـاد إليهـا مـازيس Mazaeus وفرقـه العسكرية طالباً اللجوء، ومن هناك تكون لهم ميزة إعداد بابل دفاعيًّا لإعاقة تقدم الإسكندر Alexander ، وإما محاولة حشد جيش جديد والاستعداد لخوض المعركة الفاصلة ضد الإسكندر Alexander ، وبسبب مـا حـدث أخـيراً فـإن كـلا الخيـارين يحتويان على مخاطر كبيرة: فتخيل الطريق مفتوحاً إلى بابليون سـيؤدي في النهايـة إلى استيلاء الإسكندر Alexander على مدن كبيرة، ومـا بهـم مـن كنـوز، والسـهول الغنية في بابلونيا Babylonia وسوسيان Susiana ، لكن التقهقر والرجوع إلى بابل سيسـاوي الاعـتراف بـأن سـقوط المدينـة -بغـض النظـر عـن طـول الحصـار الـذي سيحدث- سيجسد نهاية الوجود الفارسي والهزيمة الحاسمة لـدارا Daruis الثالـث، والذي ربما يقع وقتهـا في أيـدي خصـمه، واختـار دارا Daruis -عـلى النقـيض مـن نصائح بعض المقربين منه- كما يظهر ذلك في كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.7، الانسحاب إلى إيكباتانا Ecbatana ويسلك الطريق مـن أرابـيلا Arbela إلى جبال أرمينيا Armenia 4.1.9، أريان Arrian 3.16.1، -ADRTB330 .

ووفقـاً لمـا ذكـره أريـان Arrian 3.16.2 فـإن اختيـار الملـك هـذا كـان لاعتبـارين: أولاً: كـان دارا Daruis يعلـم أن الإسـكندر Alexander سـيهاجم بابل قريباً، ويـوفر الطريـق الممهـد جيـداً بـين أرابـيلا وبابـل الإمـدادات التـي يحتاجها الإسكندر Alexander لتزويد قواتـه بمـا تحتاجـه، وهـو الشيء الـذي

لم يكن متاحاً من خلال الطريق الذي اختاره دارا Daruis ، واستناداً إلى هذه العوامل، كان ملك الفُرس يعرف أن خصمه ينوي الاستيلاء على المدن الغنية ذات الأهمية الاستراتيجية مثل بابل. ثانياً: عوّل الملك على إعادة بناء جيش في إيكباتانا Ecbatana تعززه تعبئات لقوات يجري الإعداد لها في المرزبانات الإيرانية الشرقية ديودورس Diodorus 2-64.1، 73.1، وخاصة في باكتريا Bactria كما ذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.10.3، حيث تحتل ثلث آسيا، وعدد ما فيها من رجال في عمر الخدمة العسكرية يساوي كل الجيوش التي فقدها دارا Daruis »، ونعرف أن مازوس Mazaeus ، عند قدوم الإسكندر Alexander إلى بابل، لم يحاول حقيقة تنظيم دفاع المدينة، مع أنها كانت محصنة، واستسلم للإسكندر، ثم فعل مثله مرزبان سوزيانا Susiana ، ويصف كوينتس كيرتس Quintus Curtius استسلام صوصا Susa للإسكندر بواسطة حاكمها أبوليتز Abulites بأنه فعل ذلك إما بأوامر من دارا Daruis أو بتصرف شخصي منه» 4.2.8، وهذه هي المشكلة التي تواجه المؤرخين المحدثين بصفة أساسية، ويروي ديودورس Diodorus عدة روايات عن استسلام أبوليتز Abulites الاختياري للإسكندر: يذكر البعض أنه قام بذلك تنفيذاً للأوامر الصادرة له من دارا Daruis والتي كان يوجهها للمسؤولين موضع الثقة.

كان ملك الفُرس سأمل من وراء هذه السياسة أشغال الإسكندر Alexander من خلال وضع يده على المدن الكبيرة وكنوزها الضخمة، بينما يكسب دارا Daruis الوقت بهروبه والإعداد لحرب جديدة 65.5 .

وكان كوينتس كيرتس Quintus Curtius قد ذكر تفسيراً شخصيًّا للأحداث، في سياق تناوله للمناظرة التي دارت بين دارا Daruis والدائرة المقربة منه في أرابيلا Arbela بعد التقهقر من جوجاميلا Gougamela ، يقول عندما ترك ملك الفُرس الطريق مفتوحاً نحو بابل

كان تفكيره كالآتي: لقد أدرك من خلال التجربة أن المعدات ذات التكلفة والسراري وعربات الخصيين ليست أكثر من أعباء ومعوقات، ومن الممكن أن يصبح الإسكندر Alexander الأقل من ناحية الموارد التي مكنته من تحقيق غزواته السابقة؛ لأنه اصطحب معه تلك الأثقال والمعوقات نفسها 4.1.6 .

وهذا بالطبع تفسير شخصي من كوينتس كيرتس Quintus Curtis أو مصدر معلوماته والذي يدفع بكل الأفكار عما حدث إلى العداء، حيث بني ذلك على عبارة بها مصطلحات مثيرة للعواطف: «مكلفة»، «سراري»، «خصيان»، وسيستخدم كوينتس كيرتس Quintus Curtius ومؤرخون قدامى آخرون لاحقاً هذه الاعتبارات نفسها لانتقاد ميل الإسكندر Alexander نحو «الشرق» علاوة على ذلك كما يصفها مؤرخ لاتيني بقلمه، هذا التوصيف حافل بالذكريات عن هانيبال Hannibal و«أفراح كابوا Capua 4.1.36-38 ، ويصعب أيضاً تصديق ما ينسبه ديودورس Diodorus إلى دارا Darius ؛ لأن الطريقة المثلى لكسب الوقت هي بالتأكيد إصدار الأوامر بكل من مازوس Mazoeus وأباليتس Abulites بالاستمرار في المقاومة لأطول فترة، ويشير أريان Arrian أيضاَ إلى استراتيجية الملك عندما كان وقتها في إيكباتانا Ecbatana : قرر دارا Daruis الانتظار في مكانه في ميديا Media لو أن الإسكندر Alexander نوى البقاء في صوصا Susa وبابل Babylon ترصداً لأي تطورات جديدة في معسكر الإسكندر Alexander ، لكن إذا قرر الإسكندر Alexander التوجه مباشرة خلفه، فإنه فكر في الذهاب إلى بارثينز Parthyoeans وهايركانيا Hyrcania حتى الوصول إلى باكتريا Bactria ، وينهب كل البلاد جاعلاً من مواصلة الإسكندر Alexander لتقدمه هو المستحيل بعينه، وبقى مع القوات التي حشدها في إيكباتانا، وعلم الإسكندر Alexander في طريقه أن دارا Daruis قرر مقابلته وخوض معركة ضده مرة أخرى 3.19.1-3 .

لكن ما ذكره أريان Arrian يثير عدة مصاعب؛ لأنه يضع هـذه التطـورات في وقت متأخر مـايو-يونيـو، 330، ويخلـط بـين مراحـل متعـددة مـن اسـتراتيجية دارا Daruis وربما كان هذا الخلط هو مصدر قلب التسلسل التاريخي لما حـدث في كـل مـن صوصـا Susa وبابـل Babylon ، ولا تعنـي الأفكـار التـي نسـبها ديـودورس Diodorus لدارا Daruis أن الأخير اعتقد أن صوصا وبـابليون لـن يقاومـا حتـى إن الكلمـة المسـتخدمة تجعلنـا نعتقـد أن الملـك كـان يأمـل أن يسـقط الإسـكندر Alexander في متاهة الصعوبات، ويمكننا فقط تفهم تلك الأفكـار المنسـوبة للملـك إذا لم تتحقق آماله وصاحب ذلك علمه بسقوط عواصم مدنه بواسطة ناقلة الأخبـار بسرعة يمكنه منها معرفة التطورات في إقامته عند إيكباتانا في غضون يـوم أو يـومين بواسطة بييرسبوليس Persepoles وجوبو Goboe ، وربمـا هـذا الموقـف هـو الـذي يقـف وراء مـا ذكـره كـل مـن كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius وديـودورس Diodorus: كان دارا Daruis يتمنى أن يبقى الإسكندر Alexander في بابـل لفـترة طويلة لأي سبب كان، ربما لأسباب لوجستية ومـن هنـا يجـد أريـان Arrian نفسـه قادراً على وصف كل من بابل وصوصا بأنهما «جائزة الحرب» وفقـاً لمـا ذكـره الملـك منذ أوائل أكتوبر 331، وهي العبارة التي يستعيرها هذا المؤرخ لتزييـف صـورة دارا Daruis واصفاً إياه كلاعب يعترف بانتصار خصمه عليه، وعلى الجانـب الآخـر، كـما يعترف بذلك أريان Arrian بدون محاولة تجنبه التـورط، ويبـدو واضـحاً للعيـان أن ملك الفُرس خلال شتاء 330-331 لم يتخلَّ عن خطته الأولى التي كان مفادها حشـد الجيوش وخوض المعركة ضد العدو: «كان دارا Daruis يعد نفسـه للمعركـة ولـيس للهروب» كوينتس كـيرتس Quintus Curtius 4.8.22، ديـودورس Diodorus 73.1، أما القرار الذي أصدره بالانسحاب تجـاه المـدن العليـا فكـان لاحقـاً بعـد هذه التطورات، والآن يمكننـا الإجابـة عـن تسـاؤل كـوينتس كـيرتس Quintus

Curtius حول سلوك أبوليتس Abulites : «سواء أكان استسلامه بأمر من دارا Daruis أو بتصرف شخصي منه» 4.2.8، وسواء كانت بابل أو صوصا، فإن إمكانية القول بأنه تصرف بأوامر من دارا Daruis تبدو أقل احتمالاً؛ لأن ملك الفُرس كان على وعي بأن مسألة تعبئة جديدة للجيوش ربما تأخذ شهوراً، وبالتالي يتعين علينا بدلاً من ذلك -وهذا أكثر منطقية- أن نفترض أن دارا Daruis قد أرسل أوامر لمازوس Mazoeus وأبوليتس Abulites يوجههما من خلالها بإعداد أقوى مقاومة ممكنة ضد الإسكندر Alexander ، ومن المسلم به أن يكون دارا Daruis كتب بالشيء نفسه إلى كل عماله على المدن عندما كان في إيكباتانا، ووفقاً لما أورده ديودورس Diodorus 64.2 فإن دارا Daruis «أرسل مبعوثيه للحكام والقادة في باكتريا Bactria وفي المرزبانيات العليا داعياً إياهم بأن يكونوا أوفياء في إخلاصهم للملك».

والشيء نفسه يطبق على ماداتس Madates الذي كان يترأس مهمة تحصين الطريق ما بين صوصا Susa إلى بيرسيبوليس Persepolis : كان «رجلاً لكل الأوقات، والذي لم يترك فرصة إلا وعبر فيها عن إخلاصه للملك» 4.3.4 وهذه العبارة تكشف أنه كان مرتبطاً بصفة شخصية مع دارا Daruis ، مثله مثل مازوس Mazoeus وأبوليتس Abulites ، وهذا بدوره يشرح عدم التأكد الذي أظهره كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.8 ديودورس Diodorus 65.5 الذين أيضاً يعرضون الحجج التي ساقها حكام الأقاليم الفُرس المتمردين على الملك، ويثير سلوك هذين الرجلين العديد من علامات الاستفهام، والتي سنعود إليها لاحقاً، لكن لا يجب علينا أن نستنتج هنا أن تصرفاتهم تعكس الموقف الذي كان عليه الملك، رغم أن ما قاموا به أصابهم بالدهشة.

ويتضح لنا أن دارا Daruis كان يأمل في كسب المزيد من الوقت لإعداد جيش جديد من خلال تنظيم دفاع الأقاليم التي تقع عند مؤخرة

جيشه، وكانت كل من بابل Babylonia وصوصا Susa وفارس Persia تزخر بحصون كثيرة، ويكشف وجود الفيالق العسكرية التي كانت عند بوابات الفُرس أن المنطقة لم تكن خالية من المقاتلين والرجال حتى إن مازوس Mazaeus بنفسه قاد سرية الفرسان التي كانت في استقبال الإسكندر Alexander كوينتس كيرتس Quintus Curtius 41.23، وربما كان من بين أولئك الفرسان من تبع مازوس Mazaeus في طريقه نحو بابل 5.16.7؛ ولذلك لم يكن الإسكندر Alexander أكثر تفاؤلاً مثل العديد من المؤرخين المحدثين، وكان مازوس قبل ارتداده يخاف أن يتسبب طول حصار بابل في إعاقة تعبئة قواته لوقت طويل كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.1.17، ورغم الاستسلام المتتابع الذي حدث في بابل وصوصا Susa وبيرسبوليس Persepolis وباسارجادي Pasargadoe لم يكن الإسكندر Alexander في وضع مطمئن في ربيع عام 330، وهذا بدوره يساعد في شرح التحرك الذي لم يكن راغباً فيه نحو ميديا Media والتي وصلها في اثنى عشر يوماً، وبعد وصوله علم أن دارا Daruis قرر الانسحاب والتراجع نحو الداخل أريان Arrian 3.19.4-5، وسنعود إلى الأسابيع الأخيرة في حياة دارا Daruis لاحقاً، لكن كاستنتاج مؤقت، يلزمنا أن نشدد على تحفظ جوهري هو: مما لا شك فيه أن الانتصار في جوجاميلا Gougamela مثل خطوة مهمة للإسكندر، وأن الهزيمة على المدى البعيد كانت لها أبعاد كارثية على دارا Daruis ، علاوة على ذلك وحتى مساء الأول من أكتوبر من عام 331 لم تكن القصة قد كتبت بعد، وتبدو المعركة حاسمة فقط لأننا نعرف باقي القصة، ولو أننا نعلم أن دارا Daruis فقد الأمل تماماً بعد الهزيمة، وهو الشيء الذي يشكك في صحته كل المؤرخين القدامى، والحدث الذي يمكن وصفه بأنه حاسم هو استسلام بابل بعد شهر تقريباً من المعركة: لكن لم يكن أبداً في الحسبان أن يسلم مازوس Mazaeus المدينة بدون قتال.

3- دارا Daruis وإخلاصه:

ميثرينز Mithrenes وفُرس آسيا الصغرى 333-334:

دلل الإسكندر Alexander على تفوقه في خطابه من ماراثوس Marathus ، وفقاً لما أورده أريان Arrian 2.14.7، من خلال هذه الكلمات: «أتحمل المسؤولية بنفسي عن كل قواتك الذين لم يلقوا حتفهم في المعارك، وطلبوا اللجوء عندي، إنهم معي بمحض إرادتهم، ويقاتلون معي باختيارهم»، يمكننا اعتبار مثل هذا الخطاب واحداً من إحدى التبريرات الملكية المعروفة جيداً، لكن الارتداد الاختياري للقوات ديودورس Diodorus 65.5 مشيراً إلى أبوليتس [Abulites] وانضمامها للخصم يعزز حق من يرغب في إدعاء امتلاك السلطة المهيمنة، وظهر هذا بالفعل عند كل المؤرخين القدامى الذين سجلوا الدعاية التي نشرها قورش Cyrus الأصغر ضد أخيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الفصل 15.2، كما في حالة قورش Cyrus هذا يجب تناول ما قاله الإسكندر Alexander محذراً، لقد برهن سلوك الحكام الفرس في المدن قبيل معركة جرانيكس Granicus على أن الأرستقراطيين الفُرس كانوا متحدين حول ملكهم، وكانوا حريصين على تنفيذ أوامره، وهناك أمثلة عن الارتداد الطوعي للقوات الفارسية، وإعراضها عن دارا Daruis ، ويمكننا هنا فقط الاستشهاد بما حدث لميثرينز Mithrenes في سارديس Sardis الذي كان ينظر إليه دائماً كخائن للملك بعد انضمام قواته للعدو كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.12.7، فعندما وصل الإسكندر Alexander إلى أسوار المدينة، قام ميثرينز Mithrines بتسليم القلعة والخزانة له» أريان Arrian 1.17.3، لكننا لا نفهم أسباب إقدامه على ذلك، فسلوكه مختلف تماماً عن هيجستراتوس Hegesistratus «الذي عهد دارا Daruis إليه بقيادة حامية ميلزيان Milesian ، والذي كان قد أرسل خطاباً بالاستسلام للإسكندر،

لكنه خشى من القوات الفارسية التي لم تكن بعيدة عنه، وركز مهمته في إنقاذ فارس» أريان Arrian 1.18.4، لكن ميثرينز Mithrines كان على علم بأن المدينة كانت في وضع محصن، ومهما حدث، فإن الإسكندر Alexander سيخسر أسابيع حتى تستسلم له؛ لأنه لا يمكنه مواصلة تقدمه وترك مثل ذلك الموقع خلفه، علاوة على ذلك، فإن ميثرينز Mithrines لم يعن بالتأكيد أن سقوط القلعة سيمكن الإسكندر Alexander من التغلب على الأزمة الحالية التي يمر بها ديودورس Diodorus 21.7، ولن يسهم موت سبيثريديتس، مرزبان ليديا وإيونا Lydia and Ionia في موقعة جرانيكس Granicus ، في تقديم تفسير لكل شيء، وبعبارة أخرى واستناداً إلى طبيعة موازين القوة في ذلك الوقت، فإن قرار ميثرينز كان من الخطورة بمكان، خاصة لو حدث هجوم مضاد ناجح من الفُرس، فكان يمكننا حل هذه الإشكالية إذا عرفنا التاريخ الشخصي والسياسي لحاكم سارديس Sardis ، والذي لا نعرف عنه شيئاً لسوء الحظ .

من الواضح أن ميثرينز رأى في عروض الإسكندر Alexander ما يكفيه، ونحن نعرف أنه مقابل استسلامه عُين في موقع رفيع: «بقى ميثرينز Mithrines معه، بالشرف الذي ناله في منصبه الجديد» 1.7.4، 3.23.7، وقد اقتنع الإسكندر Alexander بعد موقف ميثرينز Mithrines وما أحاط بذلك من تطورات أن غزو الإمبراطورية مع هيمنة مستمرة على الأمور سيكون قادراً على كسب ثقة الإثنيات العرقية الفارسية التي بعيداً عن تلك التمردات الثانوية، بقيت على ولائها للملك طوال التاريخ الفارسي، أما ما حدث مع هيجستراتوس Hegesistratus فيدل ضمناً على أنه أجرى اتصالات بالكثير من المسؤولين المهمين بعد الانتصار في جرانيكس Granicus بوقت قصير، ومن أجل تعزيز محاولاته لاستمالة المزيد، اعتمد الإسكندر Alexander على تقليد كان يتبعه ملوك الفُرس أنفسهم في توزيع حكم المدن على الطبقات العليا في المدن التي

يغزونها، وبالتـالي تـم الترحيـب بميثرينـز Mithrines واعتبـاره عضـواً في الحاشـية الملكية، واحتفظ بالجاه والنفوذ نفسيهما اللذين كان يتمتـع بهـما وهـو في خدمـة ملـك الفـرس، ولم يبـالغ الإسـكندر Alexander في دمـج ميثرينـز Mithrines في الطبقة الحاكمة الجديدة، فلم يمنحه حكم مدينة حتى عام 331، وحتى ذلك العام كانت المناصب القيادية العليا الحاكمة يحتفظ بها اليونانيون والمقـدونيون بصـورة حصرية، وحتى ذلك الوقت لم يكن المقدونيون مستعدين لقبول الإيـرانيين كأكفـاء لهم، ومن هذا يمكننا أن نستنتج إنشاء حاشية على النظام الفارسي في تلك السنوات الأولى متوازية مـع الحاشـية وفقـاً للتقاليـد المقدونيـة، وهنـاك حكايـة نـادرة عـن ميمنون Memnon يرويها بولينـوس Polyaenies 8.3.15 لا تحمـل في طياتهـا أي معنى، فيروى أنه بعد وصول الإسكندر Alexander «أمر قواته بألا يتعرضوا لأرض ميمنون Memnon ، وهي الطريقة التي تجعل الشك يحوم حوله»، لكـن سياسـة الإسـكندر Alexander اختلفـت نوعـاً مـا بعـد انتصـاره في معركـة جـرانيكس Granicus : ففي ذلك الوقت أرسل قوات إلى إقلـيم ميمنـون Memnon 1.17.8، وهو الشيء الذي يدل ضمناً على أن أموال وممتلكات ميمنون قد تمـت مصـادرتها، وكانت هذه إشارة إلى أولئك الذين يفكرون في المقاومة: لو لم يذعنوا سيفقدون كل المميزات الاقتصادية التي يحصلون عليها من دارا Daruis نظير خدمتهم له أريـان Arrian 1.12.10، وربما هذه العوامـل هـي التـي كانـت تقـف وراء قـرار ميثرينـز Mithrines .

وربما تكون سياسة الإسكندر Alexander سهلة الفهم، لكننا بحاجة لتقييم أثرها ونجاحها، فمن الواضح أنه لم يكن هناك بعيـداً عـما قـام بـه ميثرينـز Mithrines ، ارتـدادات كثـيرة عـن ملـك الفـرس، ولا نعـرف إلا شخصـاً واحـداً اسـمه سـابكتاس/ أبسـتامينز Abistamenes /Sabictas أُسندت إليه مهمة حكم جزء من كابادوكيا Cappadocia في صـيف عـام

333 أريـان 2.4.2 Arrian، كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 3.4.1: لكننـا لا نعرف شيئاً عنه، وظهر إخلاص كبار المسؤولين الفُرس لـدارا Daruis بشـكل كامـل خلال عامي 332-334 .

بقى حكام الأقاليم والقادة الذين نجوا من معركة جرانيكس Granicus على ولائهم للملك: فبعضهم حضر للدفاع عـن هليكارنسـوس Halicvarnass ، وتوجـه بعضهم إلى مدنهم أتيزس Atizyes إلى فيرجا الكـبرى Greater Phrygia ، وأرزامـز إلى سـليكا Arsames to Cilicia قبـل الرجـوع إلى معسـكر دارا Daruis ، بيـنما لقى آخرون مصرعهم في هجمات مضادة عنيفة ضد عـدوهم المقـدوني قبـل وبعـد معركة إسوس Issus ، ويتعين علينا أيضاَ أن نكون قادرين عـلى تتبـع جهـود فُـرس الشتات الذين يعيشون بأعـداد ضـخمة في آسـيا الصـغرى ولا شـك أنهـم كـانوا في الحيرة ذاتها التي واجهها ميثرينز Mithrines ولسوء الحظ ليست لدينا معلومـات تدلنا على موقفهم في ذلك الوقت، وحتى قدوم عـام 332 لا يوجـد لـدينا أي دليـل مفيد: هنـاك نقـوش يونانيـة مـن الأميـزون Amyzon ، حيـث يكشـف عـن مـنح الجنسية لشـخص يسـمى باجـاداتس Bagadates ، وسـمي عـلى منطقـة مقدسـة مدنية مخصصة لأرتيمس Artemis ، ويفهم من السياق أن Bagadates هذا كـان مستوطناً فارسيًّا في كاريا Caria الذي خطط للاحتفاظ بموقـع اسـتراتيجي بواسـطة الاندماج داخل واقع المدنية أثناء الاضطراب الذي صاحب انهيار الهيمنة الفارسـية، لكن التاريخ المتأخر لتلك النقـوش بعـد مـوت الإسـكندر Alexander يمنعنـا مـن إصدار أحكام تعميميـة حـول سـلوك فُـرس آسـيا الوسـطى عنـدما اقـترب الجـيش المقدوني عام 334، وبعد مواجهات عامي 332-334 .

استسلام مازاسييز 332 Mazaces:

أول استسـلام سُـجل تاريخيًّـا كـان الـذي قـام بـه مازاسـيز Mzaces حيـنما استسـلم في مصر عـام 332، ويشـير كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius إلى

أن مازاسيز Mzaces جاء للترحيب بالملك خارج أسوار ممفيس Memphis ، كما فعل ميثرينز Mithrines في ساردیس Sardis : «أرسل إلى الإسكندر Alexander 800 من الطالن الذهبي وكل الأثاث الملكي» 4-7.7.3، ويقدم أريان Arrian شرفاً لقرار مازاسيز كالآتي: «بعدما علم مازاسيز Mzaces بما حدث في معركة إسوس Issus ، والهروب المشين لدارا Darius ، وأن فينيقيا وسوريا والجزء الكبر من الجزيرة العربية أصبح في يد الإسكندر Alexander ، ووقوفه بدون أية قوة فارسية، قام باستقبال الإسكندر Alexander بطريقة حميمة، وأدخله إلى المدن وإلى الدولة 3.1.2 .

يجب علينا بناء تسلسل هرمي للأسباب التي أوردها أريان Arrian ، وإظهار الفروق بينها، من المرجح أن يكون مازاسيز Mzaces قد تأثر سلبيًّا بالهزيمة التي حدثت في معركة إسوس Issus ، ولكن هذا التفسير يبدو أنه مفروض، وفي الحقيقة لم يُعين مازاسيز Mzaces كحاكم لمصر إلا فقط بعد سقوط ساباسيز Sabaces في معركة إسوس Issus ، وهذه السياسة كانت من بين الإجراءات التي اتخذها دارا Daruis بعد هزيمته من سليشيا Cilicia ، وهناك شك أيضاً في طرح أريان Arrian الغريب بسبب التعميم الذي يتضمنه فيما يخص سلوك الفُرس بعد معركة إسوس Issus ، وهذا الطرح بُني على إحدى ركائز الدعاية المقدونية التي ظهرت جليًّا بالفعل في خطاب من ماراثوس Marathos جنباً إلى جنب مع وصف ما جرى في معركة Issus وبعد ذلك جوجاميلا Gaugamela .

وتم تشويه سمعة دارا Daruis الثالث بسبب تخليه عن رموز السلطة الملكية عندما هرب، ولا يوجد أدنى شك في أن الإسكندر Alexander شن حملة نفسية هدفها إحداث انشقاق بين الطبقة الأرستقراطية الفارسية والملك، لكن لا يوجد دليل على أنه حقق أي نجاح يذكر في هذا المضمار، ولا يوجد هناك شيء يثبت تعرض هيبة الملك للاهتزاز، ولم

تتسبب الهزيمة التي رأيناها في إحداث هروب مخيف من جانب كبار المسؤولين الذين اطمئنوا لما رأوا الطاقة التي أظهرها دارا Daruis ، والخائن الوحيد الذي يمكننا ذكر اسمه هو حاكم دمشق الذي خان العهد مع الملك بعد معركة إسوس Issus ، ومع ذلك لقى حتفه على يد أحد شركائه، «احتراماً لجلالة الملك»، ونعرف أيضاً أن باتس Batis الذي كان مسؤولاً عن غزة حافظ على ولائه للملك حتى النهاية كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.7 رغم صدمة سقوط مدينة صور، وعلى الجانب الآخر نحن نعرف اسم فارسي أوكسداتس Oxydates سجنه دارا Daruis في صوصا Susa «الشيء الذي جعل الإسكندر Alexander يثق فيه» في عام 331، أريان Arrian 3.2.3، لكن لا يمكن استخلاص استنتاج عام من هذه الحادثة؛ لأننا لا نعرف شيئاً وقت حدوثها هذا أو الظروف التي أحاطت به .

وأضحت مصر مسرحاً للاضطرابات منذ اللحظة التي عين مازاسيز Mzaces فيها، والذي بالتأكيد تلقى أوامر من الملك بالمقاومة حينما يتطلب الأمر ذلك، وبعد معركة إسوس Issus وصل أمينتاس Amyntas ، وهو منشق مقدوني يخدم تحت إمرة دارا Daruis ، إلى وادي النيل بصحبة وحدته العسكرية التي تتكون من جنود مرتزقة، ادعى بأن دارا Daruis عينه مرزباناً على مصر، وجرت معركة هزم فيها أمينتاس هزيمة ساحقة ديودورس Diodorus 17.48.2-5: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.27-33، وقد عزز ما حدث من مكانة المرزبان، وربما قام بضم قوات المرتزقة التابعة لمينتاس إلى قواته، والحاجة إلى دفع رواتب لجنده من المرتزقة تؤكدها عملات سكت باسمه وأصدرها في مصر، في الوقت نفسه، من المؤكد أن مازاسيز Mazacis شعر بالقلق من التفوق الساحق للإسكندر براً وبحراً، بينما هو منعزل تماماً عن أي دعم فارسي، وعندنا معلومات عن واحد من المقربين منه واسمه أمسنابس

Amminapis ، والذي «كان من بين هؤلاء الذين سلموا مصر للاسكندر وفقاً لما أورده أريان Arrian 3.22.1 »، أما كوينتس كيرتس Quintus Curtius فيرجع تعيينه أمينابس ويسميه مانباس Manapis إلى تاريخ متأخر، ويضيف أنه كان قد تم نفيه أثناء حكم أوشس Ochus ، وأقام في حاشية فيليب أثناء ذلك الوقت . 7.4.25

سيكون من الخطأ استنتاج أن أمينابس ترك ممفيس Memphis وانضم للإسكندر بسبب ماضيه المقدوني، فأرتابازس Aytabazus وأسرته الذين كانوا قد تم نفيهم أثناء حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أظهروا ولاءً منقطع النظير لدارا Daruis الثالث رغم وقوع زوجاتهم وبناتهم في الأسر في دمشق كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3.13.13-14، وأيضاً يمكن شرح العوامل التي شكلت تصرفات القادة الفُرس في مصر استناداً إلى العوامل نفسها التي حركت ميثرينز Mithrinus : كانوا يرغبون في الاحتفاظ بامتيازاتهم، خاصة ملكية الأراضي التي كانت تدر لهم ربحاً من المناطق المزروعة ديودورس Diodorus 48.4، ومع ذلك، عكس ميثرينز Mithrinus ، يمكنهم الإدعاء بأن ميزان القوة الآن أصبح لصالح الإسكندر Alexander بشكل حاسم.

انضمام كلاً من مازيس Mazaeus وأبولتيس Abulites 331 إلى معسكر الإسكندر Alexander :

وصل الإسكندر Alexander إلى بابلونيا Babylonia وسوزيانا Susiana في أكتوبر ونوفمبر عام 331 قبل استسلام مدينتي مازيس Mazaeus وأبولتيس Abulites بصورة متتابعة، وتبع هذا الاستسلام دخول مشهور للإسكندر بمراسم ملكية: جاء مازيس Mazaeus مع أطفاله لتحية الملك المنتصر مصاحباً ذلك موكب رسمي، وبعد ذلك دخل الإسكندر Alexander إلى المدينة دخول المنتصر كوينتس كيرتس QuintusCurtius 2.8-10؛ 1.44؛ 4.1.17-23؛ أريان 3.16.3Arrian-4، حدث

الشيء نفسه في صوصا Susa وسبقه قدوم أبولتيس Abulites لتقديم ولائه مصطحباً مع «هدايا تنم عن الفخامة والأبهة» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.9، وفي كلتا الحالتين فإن التنظيم والترتيب الذي ظهر به دخول الإسكندر Alexander بموكبه الرسمي يكشف أن هناك مفاوضات سابقة جرت مع هؤلاء الحكام الفرس، ويتأكد حدوث مرحلة المفاوضات هذه بالنسبة لأبولتيس Abulites في صوصا Susa ، حيث استسلم طوعاً ديودورس Diodorus 65.5: كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.2.8 ووعد بتسليم المدينة بدون قتال .

توجه الإسكندر Alexander من بابل إلى صوصا، وفي طريقه قابل ابن حاكمها وخطاب مرسل من فيلوكسينس Philoxenus الذي أرسله الإسكندر Alexander إلى صوصا Susa مباشرة بعد انتهاء المعركة، وكان محتوى خطاب فيلوكسينس Philoxenus مفاده أن شعب صوصا سلم المدينة للإسكندر، وأن خزينتها في أيدٍ أمينة انتظاراً له أريان Arrian 3.16.6.

يجيء هذا في الوقت الذي يُعَبِر فيه ديودورس Diodorus 5 و65 وكوينتس كيرتسQuintus Curtius 8 و2 و4 عن عدم تأكدها من الأسباب التي تقف وراء سلوك أبولتيس Abulites انظر: ما بين صفحتي 840 و842، ومع ذلك، لا توجد أية إشارة على علاقة سابقة بين الإسكندر Alexander ومازيس، ومن المفيد هنا وجود بابلي رغم عدم وضوح قراءتها وتكشف دخول الإسكندر Alexander في مفاوضات مع بابل، وهذا بدوره يقودنا للاعتقاد بأن مازوس Mazaeus كان قد أجرى اتصالات مع الإسكندر Alexander مستنداً إلى عادة فعلوها في أوقات قليلة، وفي الوقت نفسه، هناك تفاصيل معينة ذكرها المؤرخون القُدامي مثيرة للإشكاليات: أولاً، مازيس Mazaeus في موكبه فرسان بابل كوينتس كيرتس Quintus Curtius 23 و1 و4، ثانياً، يقول أريان Arrian 3 و16 و3 كوينتس كيرتس Quintus Curtius 19 و1 و4 أن

الإسكندر Alexander عندما وصل قرى بابل أعد جيشه للقتال، ويُضيف كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الإسكندر Alexander دخل المدينة يُحيطه حُراس مدججين بالسلاح 23 و1 و4، وفي الوقت الذي لا يمثل فيه الترتيب الذي ظهر به موكب مازوس Mazaeus أية مشكلة فإن الأمر مختلف بالنسبة للإسكندر، هل يدل الحضور الملحوظ للقوات المستعدة للقتال بصفة ضمنية إلى رفض أولي عبر عنه مازيس Mazaeus فيما يخص استسلامه و/أو أن الإسكندر Alexander كان خائفاً من الاقتراب من بابل؟ ويبدو أن هذا تفسير اعتنقه بعض المؤرخين لكن كيف يتفق هذا الاستنتاج مع تبادل الرسائل الذي حدث مُبكراً بين الإسكندر Alexander وبابل؟ ولكي نصل إلى حل، فنحن بحاجة لوضع ارتباطات معينة والتي بدورها ستفتح الطريق نحو تفسيرات مختلفة للأحداث .

يذكرنا ما حدث في بابل وصوصا Susa بما حدث من قبل عندما وصل الإسكندر Alexander إلى تاكسيلا Taxila الفصل 16 و16؛ لأن أومفس Omphis ملك تاكسيلا Taxila كان قد أجرى اتصالات بالمقدونيين كما جرت العادة آنذاك لمعرفة ماذا سيكون مصيره لو لم يقاوم كوينتس كيرتس Quintus Curtius 5 و12 و18، وعندما قدم الإسكندر Alexander خرج لملاقاته ومعه الجيش، وفي البداية اعتقد الإسكندر Alexander أن هذا عدو وليس حليفاً، وأصدر أوامر بالفعل لجنوده بالاستعداد، ولسلاح الفرسان بأن ينسحبوا حتى أجنحة الجيش، واستعد للمعركة 8-7-12، وباقي القصة يكشف أن الإسكندر Alexander أساء فهم الترتيبات التي أعدها أومفس Omphis ، ويبدو أن العادة في ذلك الوقت جرت على أنه عندما يكون قائد أو ملك في موكب تسليم مدينة يُحيط نفسه بجيشه، ليس للاحتراز من وقوع ضرر، ولكن وفقاً للمراسيم السياسية فإن قيادة الجيش تُسلم للمنتصر؛ لذلك فإن الجيش المحيط بقائده هو جزء من المراسم التي تُجرى للمنتصر .

وكان موكب أرتاكسركسيس Xerxes تسبقه العربات وتتبعه وتحيط به قوات فارسية لصيقة به، وبعد مسافة قريبة يتبعه «باقي الجيش» بقوات كبيرة من أسلحة مختلفة»، وإذا تكلمنا بشكل عام، فإن الملك عندما يدخل مدينة على عربة، كما فعل الإسكندر Alexander كوينتس كيرتس Quintus Curtius 23 و1 و4 يتأكد أيضاً من أنه محاط بحراس مدججين بالسلاح، حتى لو كان من أجل حراسته فقط، ويدل على هذا التفاصيل التي وردت عن اتباع هذا التقليد أثناء عرض ملكي في فارس، وذكرها زينوفون Xenophon 9-10 و3 و16 «وقفت صفوف من الجند على ذلك الجانب من الطريق، وعلى هذا أيضاً» انظر أيضاً هيرودوت Herodotus 40-41 و15؛ ولأن مراسم الدخول الملكية للمدن التي ذكرناها ترجع إلى العصر الفارسي، وتقريباً كانت تحدث دائماً في أوقات الحرب، فمن الممكن أن يُستنتج أنه في مثل هذه الحالات أيضاً يُحيط الملك نفسه بالجيش كما فعل كسركسيس Xerxes عندما غادر سارديس Sardis بمراسم تنم عن الرفعة والأُبهة .

وكان هدف الملك ببساطة هو استعراض عظمته، وعرض ما تملكه يداه من فخامة، ويكون فيه من الدليل على تمكين وبسط سلطته أمام الجميع هيرودوت Herodotus 188 وأليان Allian، 40 و VH XII ، ولسوء الحظ فإنه لا العروض الملكية في فارس ولا استسلام تاكسيلا Taxila تساعدنا في الوصول إلى استنتاجات صحيحة عن المواقف التي جرت في بابل، وبرغم أن العروض الملكية تشرح لنا سبب وجود الحراس حول الملك إلا أنها لا تعطي حلاً للمشكلة؛ لهذا وضع الإسكندر Alexander جيشه في وضع الاستعداد، ويضيف أريان Arrian وكوينتس كيرتس Quintus Curtius إضافة جديرة بالاهتمام في وضعية القتال، لكن المشكلة مازالت باقية؛ لأنه حتى هذا الشكل الذي اتُبِع من الاستعداد للقتال يُثير بعض الأسئلة، فعندما قدم الإسكندر

Alexander إلى تاكسيلا Taxila انتظر حتى آخر لحظة لوضع جيشه في وضع الاستعداد بعدما أدرك خطأه، بالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن كوينتس كيرتس Quintus Curtius 8-10 و2 و4 لم يذكر أن الإسكندر Alexander اتخذ أيًّا من مثل هذه التدابير وهو في صوصا Suza ، وربما يكون صحيحاً أن ما أورده من معلومات من المحتمل أن تكون ناقصة، لكن أريان Arrian من ناحية أخرى يذكر بالتفصيل ما حدث في سارديس Sardis ، وعسكر الإسكندر Alexander خارج المدينة؛ وداخل المعسكر قام ميثرينز Mithrenes وطبقة النُبلاء بتسليم القلعة والمدينة للإسكندر، وفي الوقت الذي كانوا فيه في المعسكر المقدوني أرسل الإسكندر Alexander أمينتاس Amyntas وكلفه باستلام القلعة باسمه 5-3 و17 و6، وتثير هذه الرؤية انعكاسين: أولاً، لا يوجد هناك ذكر لأي شيء عن استعداد الجيش بأية درجة، ثانياً، اتخذ الإسكندر Alexander نوعاً من الحذر، وبالطبع فإن مثل ذلك يسهل فهمه؛ لأن استسلام بابل سبقته سلسلة طويلة من الأحداث المماثلة، ولقد تعلم الإسكندر Alexander من واقع التجربة أن الوعد -حتى لو كان كتابة- باستسلام سلمي ليس ضماناً كافياً بأن الاستسلام أضحى مؤكداً.

وهناك أربعة أمثلة للتدليل على ذلك:

1 أرسل هيجستراتويس Hgesistratos ، وهو المدافع عن ميلتس Miletus ، خطاباً إلى الإسكندر Alexander يعرض فيه السلام، لكنه غير رأيه عندما علم أن ميزان القوة أصبح في صالحه أريانArrian 4 و18 و1 .

2 تلقى الإسكندر Alexander وعداً من بعض المدافعين عن مايندس Myndus بأنهم سيتركون المدينة له بشرط أن يصل ليلاً، لكن لما قدم لم يجد ما يدل على أن حامية المدينة مستعدة للاستسلام أريان Arrian 5-6 و20 و1 .

3 عندما أرسل حاكم دمشق الخائن خطاباً إلى بارمينون Parmenion خاف من المؤامرة؛ لأنه كان في حالة شك من أن أحداً لا يثق فيه، وكإجراء احترازي قام بإخلاء المدينة معلناً بذلك أنه هو نفسه سيهرب كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2-5 و13 و3، وفي الحقيقة فإن مخاوفه هذه مشروعة؛ لأنه بعد ذلك بقليل قُتل وحُملت رأسه إلى دارا Daruis 17 و13 و3 .

4 أرسل تراديتس Tiridates في بيرسبوليس Persepols خطاباً إلى الإسكندر Alexander ديودورس Diodorus 1 و69، لكنه كان خائفاً من أن يكون هناك فُرس آخرون يستعدون للقتال؛ لذلك أرسل رسالة أخرى للإسكندر يحثه على الإسراع ديودورس Diodorus 2-1 و9 6، كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2 و5 و4 .

وكل مثال من تلك الأمثلة يُثبت أن كل رئيس مدينة كان يخون في السر ولا تشمل وعوده سوى نفسه أو مجموعة صغيرة من المشاركين في هذه الخيانة، وهذا بدوره يُفسر نصيحة عملاء مايندس Myndus للإسكندر بأن يدخل المدينة ليلاً، وبالتالي تعين على الإسكندر Alexander أن يأخذ حذره، وكان الموقف مشابهاً جدًّا في بابل، وهذا يشرح نشر الجيش بطريقة كانت مقصودة استعداداً لأي احتمال إذا غير مازوس Mazaeus رأيه أو تخلى عنه رفاقه، وهذا التأويل يتقارب مع آخر شبيه به، ويمكننا تخيل اشتباك ظاهري -معركة غير حقيقية- اقترحها مازوس Mazaeus ، ووافق عليها الإسكندر Alexander ، وهذا سيُعطي إلى مازوس الفرصة للتظاهر بأنه قاوم حتى النهاية حتى لو كانت هذه الخدعة لن تنطلي على أحد، ويقلقنا الرد على هذا التأويل بتحفظ مفاده أن موكب مازوس Mazaeus كان مرتباً له وفقاً لتقاليد قديمة لم تتغير، ومع ذلك يمكن حل هذا التناقض بسهولة إذا افترضنا أن هذه المراسم أيضاً تهدف إلى منع الشعب الذي يتعرض لغزو من فقد ماء الوجه، وفي المقابل فإن هذا

التفسير بدوره يُثير تحفظين مهمين، واللذين لا يمكـن عرضـهما إلا كنظـريتين: أولاً، كانت سلطة وهيبة دارا Daruis مازالت قوية بما يكفي، مما جعـل الخـائن يخفـي خيانتـه تحـت عبـاءة الهزيمـة؛ فهـو لا يرغـب في تصـنيفه كعميـل للعـدو في نظـر المعسكر الفارسي مثل ميثرينـز كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 6-7 و12 و3، ومثـل مـازوس Mazaeus نفسـه الـذي يتضـمن خطابـه لـدارا Daruis حالـة «الخائنين» 9-12 8 و4، ثانيـاً، -والأكـثر أهميـة- نحـن نتسـاءل هـل واجـه مـازوس صعوبات في إقناع المسؤولين الفرس الآخـرين في بابـل بقبـول موقفـه؟ وربمـا يُـفسر هذا أمل دارا Darius في أية تطورات جديـدة أريـان Arrian 1 و19 و3، وبـالطبع يصعب تحديد صحة هذه المعلومات من عدمها؛ لأن المعارضـين القـدماء يسـلطون الضوء على مازوس Mazaeus ، وإشارة عابرة لمسؤول آخر، وبالطبع لا يحمل ذلـك أي دعم لهذه النظرية، ذلك المسؤول هو باجو فـانيز Bagophanes ، وذكـر فقـط بواسطة كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، حيث كان الخازن الذي سلم القلعـة للإسكندر، وهو الشخص الذي زين شوارع المدينة، واتضح أن ذلك بتصرف شـخصي منه 2 و1 و4، وبالتالي فإن مازوس حصل على تعاون واحد مـن رفاقـه عـلى الأقـل، ويدل سلوك هذا الرفيق، رغم أنه مازال يعمل تحت إمرة مازوس Mazaeus ، على أنه أراد أن يُظهر للإسكندر أنه يتصرف بنفسه، ربمـا لأنـه عقـد اتفاقـاً منفصـلاً مـع الملـك المقـدوني خاصـاً بـه لتحديـد مسـتقبله الشـخصي بصـفة جوهريـة، هـذه التطورات تدلل على أننا يجب أن نتناول سلوك الطبقات العليـا في بابـل، وسـنعود للسؤال لاحقاً الفصل 3/18 التالي لكننا الآن سنُبدي ملاحظة واحدة، رغم أنها شـبه معدومة المعالم فإن النقوش البابليـة المـذكورة آنفـاً في الحقيقـة يبـدو أنهـا تخـص العلاقة بين الإسكندر Alexander فقـط وسـكان بـابليون ويشـمل ذلـك مسـؤولي إسجيلا Esagila وليس الفُرس، ولـو اتفقنـا عـلى أن الإسـكندر Alexander أصـدر

وعوداً لسكان بابل، فإن القادة الفُرس في المدينـة سيجدون أنفسـهم في موقـف صـعب، ومـن خـلال هـذا السـياق، يمكننـا فهـم كيـف أن مـازوس Mazaeus وباجوفاينز Bagophanes ، ربما بمشورة البعض من الفـرس، أدركـوا أن إمكانيـة المقاومة الآن ما هي إلا وهم، وبعد ذلك بقليـل عارضـوا أولئـك الـذين يصـفهم أريـان Arrian بـأنهم «قـادة المدينـة وكهنتهـا 3 و16 و3، ومـن أجـل أن نفهـم الموقـف أكـثر يجـب أن نقـول كلـمات قليلـة عـن بطـل القصـة وهـو مـازوس Mazaeus ، لكننا لا نعرف شيئاً عن السجل السابق لأبولتيس Abulites ، ومـع ذلك فنحن نعـرف أن مـازوس كـان حـاكماً لسـليكا Cilicia وسـوريا منـذ عهـد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث الفصل الـ 16، 7-6، وأصبح مُقربـاً مـن دارا Daruis ، وكان الملك يعتبره واحداً من أصـدقائه ديـودورس 1 Diodorus و55 حتى إن بلوتارخ Plutrach يصفه بأنه «أكثر رجل يتمتع بالنفوذ في حاشـية دارا Darius أليكس Alex 9 و39، وبالتـالي، فهـو ينتمـي إلى الـدائرة الضـيقة حـول الملك، بعيداً عن ظـل أي شـك، وربمـا كـان مـن بـين أولئـك الرجـال والأصـدقاء والمقـربين الـذين قـربهم الملـك منـه قبـل معركـة إسـوس Issus ديـودورس Diodorus 1 و31، واسـتمرت العلاقـة بعـد المعركـة، وبعـد خسـارة سلشـيا Celecia وسوريا أوكل اليه الملك مهاماً شديدة الحساسـية، فكـان هـو الشـخص الذي صدرت إليه الأوامر بإعاقة طريق القـوات المقدونيـة التـي عـبرت الفـرات بواسطة نثر مخلفات الريف في طريقهم، وكان يتمتع بموقع رفيـع في جوجـاميلا Gaugamela حتى حينما اشـتبك بقواتـه، وقبـل عودتـه إلى بابـل عـلى رأس قواته المتقهقرة، وفي جوجاميلا Gaugamela كان قائداً لوحدات عسكرية تم حشدها من سوريا وميسوبوتاميا منطقـة قديمـة في العـراق Mesopotamia أريان Arrian 5 و8 و3، ولا يوجد هنا ما يُشير إلى أنه عـين مرزبانـاً لبابلونيـا Bebylonia قبـل معركـة جوجـاميلا Gaugamela ؛ لأن الفـرق العسـكرية

هناك كانت تحت قيادة بوباريزBupares 4 و8 و3، ومع ذلك، فلو كان بوباريز Bupares قد سقط في معركة جوجاميلا Gaugamela لكان دارا Darius أسند إلى مازوس منصب الحاكم بخطاب من الملك بعد المعركة؛ فموقعه الرفيع داخل حاشية الملك والجاه الذي كسبه نتيجة لإنجازاته العسكرية الأخيرة كوينتس كيرتس Quintus Curtius 18 و1 و4 ستبرر بسهولة عملية اختياره، لكن كل ما سبق ما هو إلا ضرب من التخمين، ويمكننا إضافة مُلاحظة تحمل في ذاتها دلالة مهمة: مثل أبوليتس فإن اثنين من أبناء مازوس أرتيبلوس Artibelus وبردشوبلوس Brochubelus لديهم أسماء بابلية، ومن هنا يمكننا استنتاج أن أباهم على الأقل قد وثق علاقته بالمجتمع البابليوني، وربما كانت أمهم بابليونية، وبالتالي فإن مازوس Mazaeus كان في بابليون وعلى المجتمع البابلي رجل السلطة والنفوذ لو أخذنا في الاعتبار أن «حصار مدينة محصنة جدًّا مثل بابل سيكون مهمة صعبة كوينتس كيرتسQuintus Curtius 17 و1 و4 وأن القوات تحت قيادة مازوس؛ لذلك فإن انضمامه إلى الإسكندر كان حدثاً استراتيجيًّا حاسماً لصالح الملك المقدوني، ولم يكن كوينتس كيرتس Quintus Curtius مخطئاً عندما اعتقد أن الإسكندر Alexander كان يتمنى أن يكون انضمام مازوس Mazaeus إليه «مثلاً يُحتذى به من باقي القادة» 18 و1 و4، ومن هنا نفهم بسهولة لماذا كان المقدونيون جاهزين لدفع الثمن؟

وبعيداً عن الحالة -غير المؤكدة- بابيوكاتس babiocats وأبيستامينز Abistamenes ، فإن بابل وصوصا شهدتا أول إجراء للإسكندر بتعيين حكام كانوا في خدمة دارا Darius ، حيث احتفظ أبوليتز Abulites بمنصبه كحاكم لصوصا Susa ، وعين الانقلابي مازوس حاكماً لبابلونيا Babylonia ، بينما الخائن ميترنز Mithrenes عينه حاكماً على أرمينيا Armenia لورك 17 و2؛ 44 و1 و4؛ أريان Arrian 9 و16؛ 4 و16

و3، وعلى النقيض من ذلك فقد خسر الخازن القديم باجوغاينز Bagoghanes منصبه ومنح المنصب ليوناني/ مقدوني أريان Arrian 4 و16 و3، ولقي معاملة رفيعة تعويضاً له: أمره الإسكندر Alexander أن يتبعه، أو بعبارة أخرى ألحقه الإسكندر Alexander بحاشيته كما فعل الشيء نفسه مع ميثرينز Mithrnes بعد انضمامه للإسكندر عن سارديس Dardis ، نفس الشيء صحيحاً بالنسبة لأوكسزنيز Oxathnes ابن أبولتيس Abulites ، الذي كان الذراع اليمنى لأبيه أريان Arrian 5 و8 و3، ومن المحتمل أن يكون هو الذي تم إرساله لمقابلة الإسكندر Alexander عن طريق من بابليون 6 و16 و3، وفي العام التالي تم تعيينه كعالم لباراتاسي Paraatacoe ، وفي الوقت نفسه، بقي مع دارا Darius جيستانيز Bagistences «من بابل وأحد النبلاء» وأنتبلوس Antibelus أحد أبناء مازوس والذي صاحب الملك في انسحابه من معركة جوجاميلا Gaugamela أريانArrian 1 و21 و3؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3 و12 و4، أما الأبناء الباقون لمازوس Mazaeus منذ لحظة انضمامه للإسكندر كوينتس كيرتس Quintus Curtius 3 و13 و4 بعد عدة أعوام انضم اثنان منهم، أرتيبلوس Artiblus مع فرس آخرين إلى فرق عسكرية مشتركة من الفرسان أريان Arrian 4 و6 و8، وهذا الشيء الذي يُشير ضمناً إلى أنهم أيضاً تم ضمهم، وأيضاً كافأ الإسكندر Alexander ابن آخر لمازوس Mazaeus أو واحد منهم Alex, plutarcr ، وباختصار دعونا نؤكد هنا أن عمل مازوس مع الإسكندر Alexander كان مميزاً بشيئين جديرين بالاهتمام، فرغم أن الإسكندر في بابليون وأي مكان آخر كان يُعين اليونانيين والمقدونيين في المناصب الرئيسة قيادة القوات، جمع الضرائب: أريان Arrian 4 و16 و3، وتُثبت دلائل وجدت على بعض العملات أن المرزبان الجديد منح ميزات لا مثيل لها خولتها له السلطة بإصدار عملات من النوع السيليني Cilician تجعل اسمه في

بابليون Babylon ، ثانياً: كان مازوس واحداً مـن مسـؤولي الفُـرس السـابقين الـذي احتفظ بموقعه كمرزبان حتى وفاتـه في 328 مـن غـير أن يقـع عليـه أي لـوم مـن الإسكندر Alexander فيما يخص سوء الإدارة، على العكس من أبوليتس Abulites على سبيل المثال، الذي أُعدم مع ابنه أكوسارز Oxathres لفشله في تنفيـذ الأوامـر الملكية أريان Arrian 1 و15؛ Alex, Plntrach و68،7 فالدليل الواضح هنـا هـو أن المرزبان الجديد ببابل Babylon أظهر ولاءً منقطع النظير للملـك الجديـد عـلى النقيض من الكثير من نظرائه الفُرس .

الفُرس في فارس بين دارا Daruis والإسكندر Alexander :

في نهاية عام 331 توجه الإسـكندر Alexander نحـو فـارس لغزوهـا مـدفوعاً بالنجاح الـذي حققـه لكنـه واجـه مقاومـة مـرتين، وعنـد دخولـه منطقـة أوكسـاينا Uxiana كان يتوجب عليه الهجوم على القلعة التي تحـت قيـادة الفـارسي مـاداتس Madates والـذي أقسـم لملـك الفُـرس أنـه سـيقاوم حتـى النهايـة كـوينتس كـيرتس Quintus Curtius 4 و3 و4، وعندما استسلم ماداتس لم يُمس بأذى هو ومن نجـوا معـه، وأعلنـت منطقـة أركسـانيا Uxiana مسـتثناة مـن الضرائـب، وتـم إلحاقهـا بصوصـاينا Susiana 15-16 و3 و4؛ ديـودورس Diodorus 405و76، أريـان 1 Arrian و17 و3، وبعد ذلـك أرسـل الإسـكندر Alexander بـارمينون Parmenion ومعـدات الحـرب وأغلبيـة جيشـه إلى بيرسـبوليس Persepolis مـن خـلال الطريـق السريع 1 و18 و3؛ كوينتس كـيرتس Q uintus Curtius16 و3 و4، وفـرض الجزيـة على جبال أوكسبانا أريان Arrian 1-6 و17 و3، ثـم وصـل إلى أسـوار فـارس، حيـث كان ينتظره هناك أروبارزانس Ariobarzens حاكم فارس، كما ذكر أريان Arrian 2 و18 و3، ومن قوات ضخمة ليست أقل من 40 ألفاً من المشاة و7 آلاف من الفرسان وفقـاً لأريـان Arrian ؛ 25 ألفـا، 300 وفقـاً لـديودورس Diodorus 1 و68،

وبعد قتال عنيف وخدعة تقليدية توجيهات خاطئة من أحد الكهنة تمكن الجيش المقدوني من فتح الطريق إلى Perspolis حيث لحق الملك بـ Parmenion الفصل 16/12 .

وتُشير هذه القصة في واقعها إلى أن الفُرس أظهروا نوعاً من المقاومة في فارس، الشيء الذي كان يعتبره كل من Mazoeus أبولتيس Abulites غير حكيم في بابل أو صوصا، وهذا التحفظ مبني على حقيقة معينة، لكنه بحاجة إلى المزيد من التوضيح، ووفقاً لما ذكره أريان Arrian 19 و18 و3 فإن Ariobarzanes هرب إلى الجبال بصحبة فرقة من الفرسان، ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius أنه «كان يتعجل الاستيلاء على مدينة Perspolis ، عاصمة المنطقة كلها منع من الدخول بواسطة حاميتها»، ثم لقي حتفه بعد ذلك بوقت قصير في معركة مع المقدونيين 34- 33 و4 و4، وفي أثناء ذلك الوقت تلقى الإسكندر Alexander خطاباً من Tiridates الذي كان مسؤولاً عن أموال دارا Darius ك. ك. 2 و5 و4، أو كان «حاكماً للمدينة» ديودورس Diodorus 1 و69: وعد بتسليم المدينة، وأجرى ترتيبات لتسريع عملية الاستسلام من أجل «منع أولئك الذين يفكرون في المقاومة من الوصول إلى مصادر القوة، ومنع أشقياء المدينة من نهب خزائنها كوينتس كيرتس Quintus Curtius ، ويتضح لنا من ذلك أن الشقاق دب بين كبار المسؤولين الفرس، بعضهم Ariobaarzones يرغب في الدفاع عن المدينة، وآخرون Tiridates يعتقدو أن الطريق مفتوح للمفاوضات في وقت لاحق، وقد حذا مسؤول فارسي آخر جزءاً من Tiridates وهو جوبانيز Gobanes ، حاكم Pasargadae ، حيث سلم المدينة وخزينتها إلى الإسكندر Alexander 10 و6 و4 .

وقبض «الخائنون» الثمن: حيث استمر Tiridates في موقعه نفسه الذي شغله وهو في خدمة دارا Darius كوينتس كيرتس Quintus

Curtius 11 و6 و4، وكان المرزبان الجديد Phrasaortes ، ابن Pheomithnes أريان Arrian 11 و18 و3 بادياً للعيان أنه من بين أولئك الذين حولوا ولاءهم إلى الملك الجديد ووفقاً لـ Polyaenus 27 و3 و7، وهو يخلط بين Phrosaaorta هذا و Ariobnrzanes ؛ فالأول قاتل عند أسوار فارس، وهو أحد أقارب دارا Darius أخيراً، وبقي Orxines شيخ قبيلة Pasargaddae ، حتى عام 5 و3، وهذا يشير ضمناً إلى أنه أيضاً احتفظ بممتلكاته وموقعه أثناء تلك الفترة المضطربة كوينتس كيرتس Quintus Curtius 22-25 و1 و9، وبالتالي لا يمكننا التحدث عن انتفاضة شاملة في صفوف الفُرس في فارس ضد الغزو المقدوني .

ومع ذلك، وبعيداً عن حقيقة أننا لا نعرف شيئاً عن أية مقاومة واجهها Parmenrion في طريقه إلى Perspolis ، فإن كل هذه الحلقات من الأحداث يجب تحديد وقتها تاريخيًّا، ووضعها في سياق استراتيجية الإسكندر Alexander السياسية والأيديولوجية، فحتى بعد الاستيلاء على Persepolis لم ينتهِ الأمر بعد؛ لأن هناك نقاط مقاومة كثيرة مازالت موجودة في فارس، ووضع الإسكندر Alexander خطة لإخضاعهم من خلال حملة عنيفة قام بها في فصل الربيع عام 330، وهذه الحملة أوردها بالتفصيل كل من كوينتس كيرتس Quintus Curtius وديودورس Diodorus رغم الخطأ في التوقيت الذي وقع فيه الأخير .

ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius إن المقدونيين دمروا حقول فارس وأخضعوا العديد من القرى لحكم الإسكندر Alexander 17 و6 و1، ويقول ديودورس Diodorus : «زار الإسكندر Alexander مدن فارس، وقبض على البعض من خلال الغارات، واستمال البعض الآخر بواسطة عدله في المعاملة 1 و73 و16، وعندما يستخدم دارا Darius كلمة مدن فلا بد وأنه يُشير إلى تلك السلسلة من القلاع والحصون التي بقيت، من تلك الموصوفة في نقوش Perspolis ، ويوضح لنا ما ذكره

ديودورس Diodorus من أن بعض قادة المدن وافقوا على الاستسلام من المحتمل بعد مفاوضات، بينما قاوم آخرون بشدة، ويكشف كوينتس كيرتس Quintus Curtius أن الإسكندر Alexander استهدف في حملته أيضاً الـ Mardians ، وهم «شعب متمرس على الحروب ويختلف بشكل كبير عن باقي الفُرس في طريقة حياتهم 17 و6 و4، ونتذكر هنا أن الـ Mardians هؤلاء صنفهم Nearchus كواحدة من بين أربع قبائل كانوا ينتزعون الجزية من الملوك Strabo 6 و13 و10، وكان يتم إلحاق هذه القبيلة بالجيش، خاصة كرماة للسهام أريان Arrian 5 و11 و3، وبالتأكيد قاوموا الإسكندر Alexander بشدة تماماً مثل سكان جبال Uxiano وبعدهم 324 الـ Cosseans فصل 16/11 .

وعندما عاد الإسكندر Alexander إلى Persepolis حوالي أبريل-مايو 330 كان بإمكانه القول بانتهاء كل أشكال المقاومة العسكرية، ونعلم أن الإسكندر Alexander في مايو عام 330 قام بعمل ينطوي على دلالة رمزية كبيرة، فقد أشعل النيران في قصور Persepolis ، ولن نعيد تكرار الأثر التاريخي لهذا الحادث بالتفصيل هنا، كل شخص يتفق أن هذا القرار كان سياسيًّا اختير بعناية من الإسكندر Alexander ، ولم يكن لهذا الحدث مثيل طوال حملة الإسكندر Alexander بأكملها في آسيا منذ اللحظة الأولى لقدومه عام 334 حتى الآن، فكان الإسكندر Alexander يقدم نفسه في كل مكان يدخله على أنه المحافظ الأمين، ولم يكن تصرفه هذا رمزاً في تفكيره لتوحيد اليونانيين تحت راية واحدة حتى لو روجت الدعاية المقدونية لهذا التأويل، ولم تكن إشارة موجهة بشكل عام نحو الشعوب المختلفة؛ لذلك، فإن الأمر الملكي بهذا القرار قصد أن يفهمه الفُرس في سياق معين، ربما فعلاً لم يكن الإسكندر Alexander يعني أن فارس ومدنها، رغم أهمية بابل وصوصا Susa ، دائماً ما يمثلون مركزاً أيديولوجيا للسلطة الفارسية وجلال السلالة الحاكمة الفصل 12/16،

وهذا الأمر ليس أكثر من مكيدة؛ لأن الإسكندر Alexander لم يـألُ جهـداً في كسـب ود الشـعب، ورغـم أن غالبيـة النصـوص القديمـة تتعامـل مـع زيـارة الإسـكندر Alexander الثانية عند رجوعه من الهند، فمما لا شك فيه أنـه بعـد الاسـتيلاء عـلى Pasargadae ، فإن المقدونيين فعلوا كل ما في وسعهم لتخليد ذكرى قورش Cyrus ، وقد رصدت الأوامر بالاستمرار في ذبح القرابين، أمـام قـبر المؤسـس أريـان Arrian 7 و29 و10؛ Starbol 17 و3 14، وقد كان الإسكندر Alexander يرغب مبكراً جـدًّا في اجتذاب الكثير من الفُرس وكسبهم في صفه منذ أن كـان دارا Darius يحـاول حشـد جـيش جديـد، وكانـت معلومـات الإسـكندر Alexander قليلـة حـول مـا يجـري في إيتباتا أريان Arrian 4-5 و19 و11، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، ويرسم كـل مـن كوينتس كيرتس Quintus Curtius 2 و7 و4 وديودورس Diodorus 2 و71 علاقـة سبب ومسبب بين قرار الإسكندر Alexander بحـرق القصـور الملكيـة وبـين عـداوة الفُرس، ويكتب كوينتس كيرتس Quintus Curtius «إن أولئك الذين وقعـوا تحـت الغزو تم قهرهم في وقـت لاحـق، وأصـبحوا معـادين للملـك الجديـد، وهـو التعبـير بالطبع من النوع التأطير المقولب 5 و1 و8، لكـن مـا قالـه ديـودورس Diodorus لا يوجد فيه أي غموض: «شعر الإسكندر Alexander بعداء قاتل تجـاه سـكان فـارس، فلم يكن يثق فيهم»، ومن هنا تصعب قراءة هذا التقييم في أي شيء سوى أنه تعبـير عن خوف الفُرس الشديد واحترازهم من الغزاة الفينيقيين، ولقد استسلموا عسكريًّا - والبعض منهم بمحض اختيارهم- لكنهم بقوا مـرتبطين بتـاريخهم، حيـث كـان عبـارة عن خليط من أساطير ملوكهم وذكر للمناقب العظيمة للسـلالة الحاكمـة، وبالتأكيـد كان دارا Darius الثالـث هـو الممثـل الوحيـد لهـذا الـتراث في أعيـنهم؛ ولـذلك قـرر الإسكندر Alexander حرق القصور الملكية لأنه شـعر باسـتحالة كسـب ود الفُـرس، وبالتـالي أراد الإسـكندر Alexander إعـلام الفُـرس الرافضـين لـه بـأن عصر الزهـد

الاستعماري الفارسي قد انتهى إلا إذا انضموا إلى صفة عن بكرة أبيهم، لكن الندم الذي عبر عنه الإسكندر Alexander لاحقاً يدل ضمناً -من وجهة نظره الشخصية- على أن قرار تدمير القصور كان انتقاماً نابعاً من فشل سياسي .

4- النُخب المحلية، دارا Daruis والإسكندر Alexander : شعبية وعدم شعبية الحكم الفارسية:

المصادر والمشكلات:

كانت سياسة الإسكندر Alexander الموجهة للفُرس -رغم أنها كانت محددة- جزءاً من مشروع أكبر وهو كسب ود قادة المدن، والشعوب والمجتمعات التي كانت تخضع لحكم دارا Darius ، وبشكل عام يجمع المؤرخون القدامى على أنه كان ناجحاً في هذا المضمار، مرجعين سبب نجاحاته إلى الكراهية التي كانت تكنها شعوب الشرق للحكم الفارسي، «كان السيودينانز Sidonians يكرهون فارس ودارا Darius ، وكانوا يرغبون في تحرير أنفسهم منهم أريان Arrian 6 و15 و2، ويميل ديودورس Diodorus إلى تناول هذا الموضوع خاصة، ويطبقه على مصر والمصريين، ويوسع من طرحه بادءاً بضرب مثال كامباسيزر، ويكتب أيضاً: «حكم الفُرس لمصر لمدة مائة وخمسة وثلاثين عاماً من بينها تلك الفترة التي تمرد فيها المصريون على المستعمر الفارسي؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون عدم احترام الفُرس لآلهتهم، ومعاملتهم القاسية» 3 و44 و1، وباستخدام مصطلحات وكلمات متطابقة، يصف ديودورس Diodorus 2 و49 و18 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius مشاعر المصريين عندما سمعوا بقدوم الإسكندر Alexander ، فقد رحب المصريون بالمقدونيين؛ لأن الفرس ارتكبوا أعمالاً غير مقبول ضد معابدهم، وكانوا يحكمون بطريقة قاسية، وقد تشجع المصريون بقدوم

الإسكندر Alexander ؛ لأنهم كرهوا الحُكم الفارسي المغرور، حتى إنهم رحبوا بأمينتاس Amyntas برغم أنه متمرد مقدوني، ونتيجة لذلك اجتمع حشد كبير منهم عند Pelusium ، حيث اعتقدوا أن الإسكندر Alexander سيدخل بلادهم، ولم ينتظر الفُرس قدومه، وقد مثل تمرد المصريين تحدياً كبيراً لهم، وتذكرنا الإشارة إلى دخول الإسكندر Alexander إلى مصر بدخول بابل، حيث «استقبله الناس هناك بترحاب كبير واستضافوا الجنود المقدنيين في بيوتهم»، ونعلم أن مازوس Mazaeus أيضاً وأطفاله كانوا قد قدموا لاستقبال الإسكندر Alexander خارج أسوار مدينته كوينتس كيرتس Quintus Curtius 17-18 و1 و4، لكن حكم مازوس Mazaeus لم يكن بمفرده، وقد جاء المقدونيون لمقابلة الإسكندر Alexander عن بكرة أبيهم مع الكهنة والحكام، وقَدِمت كل جماعة من السكان بهدايا، يعرضون استسلام المدينة والقلعة والخزانة أريان Arrian 3 و16 و3، ولأسباب مجهولة بالنسبة لنا، لا يذكر أريان Arrian استسلام مازوس، بينما يذكر ذلك جيداً .. واهتم بذكر الكلدانيين والفرسان البابليين 23-22 و1 و4 في الموكب جنباً إلى جنب مع الفُرس، ويلزم الوفد الذي ذهب لاستقبال الإسكندر Alexander أن يكون جاهزاً ومستعداً للترحاب بالملك المقدوني خارج أسوار سارديس Sardis ، الشيء الذي جعل ميثرينز Mithrenes يصطحب معه «كبار القوم من سكان سارديس أريان Arrian 3 و17 و1، ثم جاء دور دخول المنتصر إلى المدينة.

قام Bagophanes -كي لا يتفوق عليهم مازوس بنشاطه- بنشر الورود وأكاليل الزهور في الطرقات، ووضعوا مذابح كنسية فضية على كلا الجانبين، الشيء الذي يجله مازوس، ليس فقط بالبخور، لكن بالعطور بأنواعها المختلفة، في الوقت الذي حُملت الهدايا خلفه ك.ك 21-20 و1 و4 .

وكما فعل الإسكندر Alexander في مصر من احترامه وحفاظة على

«التقاليد الوطنية» على النقيض من الفُرس الذين لا يحترمون الآلهة، فعل الشيء نفسه في مدينة بابل، وقدم نفسه كمستعيد لحقوق الأماكن المقدسة التي تركها الفُرس .

أصدر الإسكندر Alexander أوامر إلى سكان مدينة بابل بعد دخولها بإعادة بناء المعابد التي هدمها كسركسيس Xerxes ، وخاصة معبد Bad الذي يعظمه سكان بابل أكثر من أي إله آخر، وفي بابل التقى بالكالدانيين، ونعيد كل توصياتهم فيما يخص المعابد البابلية، وتقديم القرابين لـ Bad على وجه الخصوص وفقاً لمطالبهم أريان Arrian 4-5 و16 و3 .

إن صورة الإسكندر Alexander كمستعيد للتقاليد -والذي ينظر له كمحور- تتكرر في كل مرحلة، ففي سارديس Sardis وليديا Lydians تم السماح للسكان باستخدام العادات الليدية القديمة ومنحهم حريتهم أريان Arrian 4 و17 و1، بعد ذلك صعد الإسكندر Alexander إلى القلعة وبنى معبداً هناك خصصه لزنس Zens الأوليمبي 6-5 و17، أما في إيفسس Ephesus فقد قام بتخصيص الجزية التي كانوا يدفعونها لدارا Darius لصالح قدسيةArtemis 10 و17، وبعد ذلك أصدر إعلاناً عاماً للمدن الساحلية اليونانية، «أصدر أوامره بخلع حكومات القلة واستبدالها بأخرى ديمقراطية، وأعاد لكل مدينة قوانينها الخاصة، وحول الجزية التي كانوا يدفعونها من قبل لمصلحة الأجانب غير اليونانيين 2 و18، «وتتابعت كل المدن في إرسال مبعوثيها، وقدموا للملك تيجاناً ذهبية مع وعود بالتعاون معه في كل شيء ديودورس Diodorus 3 و24، وفي فينيقيا قبل سكانها وجوده بارادتهم الحرة 2 و40 .

وفي الوقت نفسه، يذكر المؤرخون القدامى معلومات عن حدوث مقارنة وتمرد، وبالنسبة للإسكندر فقد كان يُقسم المجتمعات إلى صنفين: أولئك الذين وافقوا على الاستسلام بمحض إرادتهم بعد التوصل لاتفاق

معهم أريان Arrian 4 و24 و1، وأولئك الذين قاوموه، لكن في أوقات كثيرة ظهر على أولئك الذين قاوموه إكراه من جانب الفرس يتعرضون فيه لإجبارهم على القتال، فعلى سبيل المثال، يُقدم أريان Arrian تحليلاً للموقف الذي صاحب استعادة كباح Pharnabo لمدينة Senedos كالآتي: كانت مدينة Sendedos تميل أكثر للإسكندر والمقدونيين، لكنهم في تلك اللحظات لم يجدوا أملاً في السلامة إلا بالانضمام إلى الفُرس؛ ولهذا السبب فقط استولى Pharnabozus على المدينة ليس بالإرهاب ولا برضاهم أريان Arrian 2 و2 و2 .

وبالتالي أصدر الإسكندر Alexander عفواً عن الذين كانوا يتعاونون مع الفُرس؛ لأنه يعلم كرههم الحقيقي لسادتهم السابقين، وفعل الشيء نفسه مع ملوك قبرص وفينيقيا الذين تخلوا عن Pharnabazus وانضموا إليه بما معهم من سفن في ربيع عام 332: طبق الإسكندر Alexander معهم سياسة «عفا الله عما سلف»؛ لتأكده من أن تعاونهم السابق مع الأسطول الفارسي لم يكن بمحض إرادتهم، إنما كانوا مُجبرين عليه 3 و20 و2، وربما لا تكون هناك فائدة من اقتباس الكثير مما ذكره المؤرخون القدامى إلى ما لا نهاية: لأنه من Troad إلى Indus كانت صورة الإسكندر Alexander يُعاد رسمها بعناية في كل مرحلة، وهذه المكانة كما يبدو كانت نتيجة للدعاية المقدونية التي كانت تهدف إلى إضفاء الشرعية على سُلطة الإسكندر Alexander ، وبالتالي تتابع القادة المحليون في عرض استسلامهم طوعاً كما فعل بعض الفُرس ديودورس Diodorus 1 و76؛ 7 و21، وكان الهدف من وراء ذلك التعاون والإذعان الفوري للإسكندر هو تقوية وتعزيز سلطته أريان Arrian 7 و14 و2، علاوة على ذلك، فإن هذه التقييمات بالتأكيد بينت حقيقة واقعة؛ لأن الإسكندر Alexander دائماً ما كانت تصدر عنه لفتات للمدن والشعوب التي استسلمت حين استولى على المدن التي كانت تقع في طريقه بالمعاملة الحسنة

ديـودورس Diodorus 1 و24، ويعتـبر شـعار «حـرب التحريـر» أحـد الأدوات الاسـتراتيجية التـي اتبعهـا الإسـكندر Alexander بصـفة منتظمـة في كـل منـاطق الوجود الفارسي، وهي الاستراتيجية نفسها -كما ذكرنا من قبـل- التـي اتبعهـا دائمـاً ملوك الفُرس السابقين .

واعتنى الإسكندر Alexander بالآلهة التي كانت تُعبد في كل مكان يـذهب إليه، ودائماً ما كان يقدم النذور رغبة في تحقيق الانتصـار والاعـتراف بسـلطته كـما فعل قبل معركة Isus ك.ك 22 و8 و3 عنـدما قـدم القـرابين لتوصـيات الكلـدانيين أريـان Arrian 5 و16 و3 في مدينـة بابـل، وبالتـالي يجـب ألا نفاجـأ بمـا يفعلـه الإسكندر Alexander بتاتاً، لكن هذه التطـورات تضـعنا أمـام تنـاقض واضـح: لأن الحماس المُفترض من جانب القادة المحليـين يُشـير ضـمناً إلى أنهـم يحملـون عـداءً عميقاً تجاه الفُرس، علاوة على ذلك، فإن هذه الفرضية تتضح فقط في حـالتي مصر وبابل، فقد ورد أن كلتاهما كانت معارضة بصورة كبيرة للفُـرس الـذين وضـعوا مـا كانوا يتميزون به تحت الأقدام، وانتهكوا أو دمـروا مقدسـاتهم، وبـالطبع لا يوجـد دليل على حدوث هذا طوال التاريخ الفارسي إلا في حالة عقاب -الشـعب المتمـرد- فعلى سبيل المثل، لا نفهم مـاذا يعنـي أريـان Arrian 4 و17 و1 عنـدما يقـول أن سكان سارديس والليديين الآخرين سمح لهم باسـتخدام التقاليـد الليديـة القديمـة، الشيء الذي يوحي بأنها قد هُدمت أيام الحكم الفارسي .

وإذا تكلمنا بشكل عـام، فـإن مـا رواه المؤرخـون القـدامى يحتـاج إلى إعادة تحليل في سياق البنية التي تشكلت منها المؤسسـات الفارسـية، وكـما شددنا من قبل في أكثر من مناسبة، فإن مراسـم الـدخول الملكيـة المقدونيـة إلى المدن التي استسلمت لا تدل ضمناً على أن الحماس الذي أبـدوه طبعـاً غير الذي ظهر بأوامر مباشرة! ترحيبـاً بـالغزاة، أو كراهيـة عميقـة للسـادة السابقين، فهذه المواكـب لا تحمـل في معناهـا أي شيء سـوي إجـراءً رمزيًـا

يعبر عن قيام سلطة جديدة، بالإضافة إلى ذلك، يجب التأكيد على أنه لم يحدث أن كان هناك ترحيب حار بقدوم المقدونيين من قبل كل الشعوب والمدن، فهناك أمثلة لا تحصي عن المقاومة كما حدث في ميلتس Miletus أريان Arrian 1.18.3.9 أو أثناء الحملة الشتوية ضد Lycia-Pamphylia ويشبه ذلك ما حدث في Aspendus : ففي البداية اتفق المبعوثون على تسليم المدينة بشرط عدم تعيين حامية عليها، ووافق الإسكندر Alexander ، وكان يجب على أهل المدينة أن يدفعوا 50 طالن وخيولاً مثل تلك التي كانوا يدفعونها لملك الفُرس 1.26.3، ولما أظهروا نيتهم في عدم الوفاء بما طُلب منهم أغلظ لهم الإسكندر Alexander وعاقبهم: فرض عليهم أن يدفعوا نفقات الحاكم الذي عينه على المدينة، بالإضافة إلى جزية سنوية للمقدونيين 1.27.4 .

ونعلم أيضاً أن مدينة صور قاومت لفترة طويلة سنعود لذلك لاحقا، وفي ملابسات لا نعرف عنها تفاصيل دقيقة، فقد أقدم سكان سماريا على حرق الحاكم الذي عينه الإسكندر Alexander على سوريا حيا كوينتس كيرتس Quintus Curtius 18.10، وعندما رجع الإسكندر Alexander من مصر أرسل حملة تأديبية إليهم قادها بنفسه أو بواسطة أحد قواده، وارتكبت مذابح في حقهم، الأمر الذي أدى إلى إقامة مدينة أو مستعمرة عسكرية هناك، واضطرت العديد من العائلات السمارية إلى اللجوء لكهوف وادي الدالية، وبالتالي فنحن الآن نعرض لوثائق عظيمة الأهمية! .

ومع ذلك يمكن قراءة أعمال المقاومة هذه في سياقات متعددة: فبينما ارتبطت مقاومة سكان مدينة صور بدارا Daruis ديودورس Diodorus 3.40، فإنه من غير المؤكد أن تكون المقاومة التي أبداها كل من السماريين والاسبياندز Aspendians نابعة من رغبتهم في الإبقاء على وفائهم لملك الفُرس مهما كانت التكلفة، لكن سلوك كلا الفريقين

اعتمد بصفة أساسية على قراءته لميزان القوي، وهذا ما يقوله أريان Arrian فيما يخص حالتي هيجيسيسترتوس Hegesistratus 1.18.4 وتنيدانز Tenedians 2.2.3، فقد كان الاسبياندز Aspendians يعرفون أن هيجيسيسترتوس Hegesistratus وقعت في أيدي الإسكندر Alexander لكنه الآن لا يملك آلات الحصار 1.27.3، وبعد قدوم دارا Daruis إلى سوريا-سليكا Syria-Cilicia «استقبله سكانها بالترحاب، وتخلوا عن الإسكندر Alexander ديودورس Diodorus 32.4؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.5، أما بالنسبة لسكان مدينة Phaselis ، الذين أرسلوا مبعوثيهم إلى الإسكندر Alexander بالتيجان الذهبية، فكانوا ينشدون الحماية من الملك ضد الغارات التي يتعرضون لها من جيرانهم البيسديانز Pisidians أريان Arrian 1.24.6، وهي الحماية التي كان يوفرها لهم الحكام الفُرس بصورة تقليدية، ولأنه لا يمكننا شرح كل حالة على حدة، فقد اخترنا هنا أن نحلل قليلاً من الحالات التي لم تلقَ حظها من التوثيق جيداً بصورة تفصيلية.

إيفيسس Ephesus وميلتس Miletus وأسبيندوس Aspendus:

صاحب دخول الإسكندر Alexander مدينة إيفسس مشاهد لمجازر بالغة البشاعة ضد سكان المدينة حتى إن الملك تدخل بنفسه لوضع حد لذلك أريان Arrian 1.17.11.12، وقد ارتكبت تلك المذابح بواسطة مناصرين لحكام الولايات الذين عينهم الفُرس على أمل ان يعيدوا احتلال مواقع المقدونيين بعد أن أخضع الفُرس تلك المنطقة لحكمهم مرة أخرى بين عامي 336-335، ويقول أريان Arrian 17.1: «نادرا ما اكتسب الإسكندر Alexander شهرة طاغية مثل تلك التي نالها بمعاملته لأهل مدينة إيفسس»، ونوضح هنا أن غضب أهل هذه المدينة لم يكن في الحقيقة موجهاً نحو الفُرس، إنما ضد حكومة القلة التي أطاح بها الإسكندر Alexander وعين مكانها منفيين سابقين من أهل المدينة

يقفـون في معسـكر الإسـكندر Alexander ، وهـذا مثـال نمـوذجي للخلـط الـذي يحدث عند تناول مسألة الاختلاف بين الصراعات الداخليـة في المدينـة وبـين الغـزو بواسطة قوات أجنبية؛ لذلك فمن الصعب رسم استنتاج عام فيما يخـص رد الفعـل الحقيقي لسكان إيفسس الذين ارتبطوا بعلاقـات متينـة مـع الفُـرس لفـترة طويلـة انظر الفصل 3/16، وفي الوقت نفسـه يجـب علينـا التأكيـد هنـا أن سـكان المدينـة رفضوا طلباً للإسكندر بتحمـل تكلفـة إعـادة بنـاء معبـد أرتـيمس Artemis طالمـا سيلبون طلبه بنقش اسمه على الحجر ستاربو Starbo 13.1.22.

ومن هنا يتضح لنا أن سكان مدينة إفيسس لم يكن عندهم رغبة في الانتقال من الولاء للملك إلى ملك آخـر رغـم أنهـم لم يكونـوا يملكـون التعبـير عـن رأيهـم إلا بصورة رمزية، وإذا تكلمنا بشـكل عـام، فيجـب تقيـيم تحمـس اليونـانيين في آسـيا الصغرى لفكرة «حرب التحريـر» في سـياق مفهـوم الإدراك المتـأخر، وقبـل أي شيء يلزمنا هنا أن نذكر أنه مع بداية أحداث 335-336 لم يكـن لهـذا الشـعار المقـدوني سوي تأثير محدود على مدن آسيا الصغرى، فعلى سـبيل المثـال، ورغـم عـداء أهـل سايزس Cyzicus لميمنون Memnon بوليانس Polyaenus 9.18.2.4، لم تفتح كل المدن بواباتها فورا لبارمينون Parmenion خاصة بعد أن قام الفُرس بهجوم مضاد، وقاوم بايتين Pitane الحصار بشجاعة، وبالنسـبة لحالـة جـرينم Grynium ، فقـد قاومت أيضاً، وقد باع «بارمنينون سـكانها كعبيـد» ديـودورس Diodorus 18.2.4، الشيء الذي يكشف عن أن طموح الملك المقدوني في الهيمنة الكاملة قد أطاح بأيـة فائدة ممكنة من وراء شعار «تحرير كل المدن اليونانية» الـذي أعلـن عنـه رسـميًّا، وكانت أيضاً مدينة Lampsacus ، التي كانت تميل إلى الفُـرس حتـى لحظـة قـدوم الإسكندر Alexander ، من بين المدن التي لم ترغب في الانتقـال مـن هيمنـة ملـك الفُرس إلى الملك المقدوني بعد إعادة استيلاء الفُرس عليها.

وتكشف الأحـداث التـي جـرت في كـل مـن ليسـبو Lesbos وإيفسـس عـن الصراع المرير الذي كان يحدث هناك، فكل من الفُـرس والمقـدونيين بالتتـابع كـانوا يحاولون كسب الموقف لصالحهم، وقد خطط الفُرس استناداً إلى العائلات المستبدة بإعـادة بنـاء سـلطتهم في المـدن التـي اسـتولى عليهـا الجـيش المقـدوني، ووضـعت حاميات عليهم، ومن الممكن أن يكون قادة المدن التي أعادها الفُرس إلى سـلطتهم قد فكروا منذ هذه اللحظة فصاعداً أن «يكونوا حلفـاء لـدارا Daruis عـلى أسـاس السلام الذي عقده Antalcidas مع الملك الفـارسي» أريـان Arrian 2.2 عـام 333، وتعتبر سياسة إسناد السلطة إلى حكام مستبدين ليست أكثر من حل هشّ للأمـور، لكن تلك العائلات الكبيرة أيضاً اعتمدت على دعم من المناصرين المحليين لها، كـما حدث في إيفسس أريـان Arrian 1.17.11، عـلاوة عـلى ذلـك، فـان إعـادة الفُـرس الاسـتيلاء عـلى المـدن فـيما بـين عـامي 332-334 تظهـر أن رجــوع الإسـكندر Alexander كان في حكم المجهول، وعلى أيـة حـال فـإن أحـداث عـامي 334-336 تكشف أن الهيمنة الفارسية في غرب آسـيا الصـغرى لم تكـن مرفوضـة بشـكل عـام بصورة أكثر دقة لم تكن مرفوضة طالما امتلك الفُرس وسائل فرض هيمنتهم.

ولا نعتقد أيضاً أنه تم استقبال المقدونيين بصدر رحب بسبب فرض الفُرس لضرائب كبيرة انظر الفصـل 5/17، ومـن الواضـح أن هـذه النظريـة بُنيـت عـلى اعتقاد أعمى، تدعمه حجج غامضة، يقول إن حكام أسيا الصغرى كانوا يـأملون - أو أنهم تلقوا وعود من الإسكندر Alexander - أن يـتم تخفـيض قيمـة الجزيـة التي سيدفعونها، ومع ذلك، فان سياسـة الإسـكندر Alexander الأوليـة في آسـيا الصغرى لا تدعم هذه المعلومات: ففي كل مدينة يـتم غزوهـا كـان يـتم إنشـاء إدارة للجزية وتعيين جامعين لها انظـر أريـان 1.17.7Arrian؛ 3.5.4؛ 16.4، وإذا

تحدثنا بشكل عام، فان هؤلاء المسؤولين الذين تـم تعييـنهم كانـت مهمـتهم هـي جمع «الضرائب نفسها التي كانـت تـدفع لـدارا Daruis 1.17.1؛ 1.27.4، وعنـدما تكون هناك استثناءات من دفع الجزية فإن ذلك يكون مرتبطاً بالجزية التي كانـت تدفع لدارا Daruis 1.17.10؛ 18.2.5.9، وأحيانا كـان يـتم مضـاعفة الجزيـة التـي كانوا يدفعونها لدارا Daruis ، وهناك أحد النقوش من بريني Priene عليهـا أحـد قرارات الإسـكندر Alexander في ذلـك الوقـت: أعـاد تأكيـد سـلطته عـلى الإقلـيم «اعلم أن هذه الأرض هي ملكي» بغيرة من القوة التـي أظهرهـا دارا Daruis الأول في خطابه الذي أرسله إلى جاداتس ML. 12 Gadatas ، حتـى إن الملـك المقـدوني بنفسه أعاد تطبيق العادة الفارسية نفسها، وهي تسلم الهدايا من المدن، وكان هو مـن بـين المسـتفيدين أليـان Aelian، VH1.25 ؛ بلوتـارخ Plutrach، Phcion 16.7، حتى حينما كان يتم منح امتيازات من وقت لآخر فإن ذلـك كـان يحـدث في إطار الهبـة «اليونانيـة» أو «الملكيـة» انظـر أريـان Arrian 2.5.9، أو عنـدما تجـد جماعة نفسها في ميزان قوة لا تصل إليه المدن اليونانية في آسيا.

لكن ميلتس فقط حاولت أن «تبقي بعيداً عن هـذا الـذي يحـدث»، كـان سكان المدينة مطمئنين لقرب الفُرس بسفنهم التـي تسـمي «أصـدقاء وحلفـاء»، وأرسـلوا جلوسـيبس Glaucipus وهـو «أحـد النـبلاء في المدينـة» إلى الإسـكندر Alexander ، وكان عرضـهم الـذي قـدموه للملـك بواسـطة جلوسـيبس هـو أن «يفتحـوا أسـوارهم وملاجـئهم لكـل مـن الإسـكندر Alexander والفُـرس عـلى السواء» 1.9.1، لكن قوبل هذا العرض بالرفض من جانب الإسكندر Alexander ، وبعيداً عـما حـدث، فـإن العـرض الـذي قدمـه جلوسـيبس عـبر عـن الرغبـات العميقة لليونانيين في آسيا الصغرى: مع أنهم لم يكون قادرين على ترديد ما يقال عن وهم الحرية، فإن سكان ميلتيس اعتقـدوا بإمكانيـة وجـود نـوع مـن الإدارة

المشتركة بين الفُرس والمقدونيين، فهل كانوا يأملون في أن يمنحهم هذا الوضع الذي لم يقبله لا الفُرس ولا المقدونيون، مساحة للمناورة؟ ومع ذلك سقطت ميلتس في قبضة الإسكندر Alexander بعد فشل البحرية الفارسية، ولم يكن بمقدور قادتها التفاوض بصورة مريحة حتى بعد أن سمح الموقف العسكري بذلك، ووقع الاسبينديانز Aspendians في خطأ مماثل .

من سيدون Sidon إلى مدينة صور:

بعد معركة إسوس Issus ، استسلمت المدن الفينيقية الأولى أرادوس Aradus وملحقاتها؛ بايبلس Byblus بدون قتال أريان Arrian 2.13.7.8؛ ديودورس Diodorus 4.2؛ كوينتس كيرتس Quintus Curtius 8.1.15، وأيضاً لم تقاوم مدينة سيدون Sidon «ومالوا إلى الإسكندر Alexander »؛ لأنهم كانوا يكرهون الفُرس ودارا Daruis » أريان Arrian 2.15.6، وهي المرة الأولى التي يتعرض فيها الفُرس لمقاومة قوية من شعب يخضع لنفوذهم، ويمكن إرجاع سلوكهم هذا إلى المعاملة العنيفة التي كانوا يتعرضون لها من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعد إعادة استيلائه على المدينة مرة أخرى 17.45.5.6، لكن هذه القسوة من الممكن ألا تمثل أية مفاجأة لسكان سيدون؛ لأنهم أعلنوا بأنفسهم أن الحرب ستكون حرباً ضروس 41.5.6؛ 45.2، لكن الأمر أكثر تعقيداً مما يعتقد لأنهم كانوا منقسمين على الموقف الذي يجب عليهم اتخاذه، وكما يشرح كوينتس كيرتس Quintus Curtius فإن الملك ستارتون Starton «استسلم نزولاً على رغبة شعبه وليس بإرادته؛ لأنه كان مدعوماً بسلطان دارا Daruis »، وكانت له علاقة «صداقة مع دارا Daruis » ديودورس Diodorus 18.47.1، وبعبارة أخرى، فإن المشهد في سيدون يشبه ذلك الذي حدث في إيفسس Ephesus ، ويلعب ستارتون Starton الدور نفسه الذي

لعبه سيرفاكس Syrphax في إيفسس فيما يخص ارتباطهما بالسلطة الفارسية، وهناك شبيه مماثل للقرار الذي اتخذه الإسكندر Alexander أيضاً: كان يعين في السلطة الرجل الذي يكون مخلصاً له إخلاصاً تاماً كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.18.26 ؛ ديودورس Diodorus 18.47، وأصدر أوامره «بأن ما يعطى لستارتون Starton لا يقف عند حقه القانوني، إنما أيضاً يشمل بنوداً كثيرة من الغنيمة الفارسية» كوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.1.26، وهزم الإسكندر Alexander مدينة سيدون 7.4.15 .

بعد ذلك توجه الإسكندر Alexander صوب مدينة صور، وفي البداية أرسل أهلها مبعوثين إلى الإسكندر Alexander يحملون هذه الرسالة: «قررت مدينة صور بقبول أوامر الإسكندر Alexander » أريان Arrian 2.15.6، لكن الصعوبات التي واجهت الإسكندر Alexander بدأت في الظهور عندما أعلن عن نيته في ذبح قرابين للآلهة هيراكلز/ميلقارت Heracles/Melqart : فقرر أهل مدينة صور تنفيذ كل طلبات الإسكندر Alexander الأخرى لكن بدون السماح لأي فارسي أو مقدوني بدخول مدينتهم» 16.7، ويشبه سلوك سكان مدينة صور ما فعله سكان ميلتس - على الأقل في البداية- علاوة على ذلك، من الممكن أن يكون طلبهم قد اعتمد على سوابق له: فقد أقنع البافلاجونيانز Paphlagonians -على سبيل المثال- «الإسكندر Alexander بعدم دخول مدينتهم بالقوة»، وفي بداية الأمر تم طمأنتهم بعدم وضع حامية على مدينتهم 1.26.3، لكن عندما أصبحت البحرية الفارسية أكثر قوة، وعندما قاتلت سفن مدينة صور تحت قيادة الملك أزيلميكس Azelmicus بأوامر من فارنابزوس Pharnabazus 2.15.7 أدرك الإسكندر Alexander أنه بحاجة للاستيلاء على المدينة، وفي حقيقة الأمر لم يكن سكان مدينة صور على وعى بنوايا الإسكندر

Alexander لشعورهم بأنهم في موضع قوة: «من الممكن تبرير القرار بسهولة في ظل الأوضاع القائمة وأنه الأسلم بالنسبة للمستقبل، وبالنسبة للحرب التي كانت نتيجتها ما تزال غامضة» أريان Arrian 2.16.7 وفي الحقيقة فإننا نعرف، ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 4.3 «كانوا يرغبون في إجلال دارا Daruis ، والحفاظ على ولائهم له، واعتقدوا أيضاً أنهم سيتسلمون هدايا قيمة من الملك».

مصر والمصريون:

شاهدنا الحماس الذي تكلم به كل من ديودورس Diodorus 18.49.2 وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.4.1.3 في وصفهم للاستقبال الذي أعده المصريون للإسكندر، ويعتبر موقف المصريين هذا فريداً من نوعه لأكثر من سبب، فقد تمردوا مرات متعددة ضد الحكم الفارسي خلال القرن الخامس، لكنهم استعادوا استقلالهم مرة أخرى بعد أن كان أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد نجح في إخضاع وادي النيل لنفوذه، علاوة على ذلك، فلو أن خباباش Khabbabash كان في تلك الفترة ويبدو هذا حقيقة، فإن أحد الفراعنة نودي به حاكماً للبلاد لفترة لا يعرف مداها، وفي بعض الأوقات بين 343 و335-336، وقد تعرض الوجود الفارسي لضربة عنيفة عندما أقدم أمينتاس Amentas على شن هجومه بعد معركة إسوس Issus ، وهذا على الأقل ما يريد قوله كل من ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius ، فوفقا لما أورده كوينتس كيرتس Quintus Curtius فإن المصريين قد رحبوا حتى بأمينتاس Amentas 7.7.1، ويشدد على أنه «لم يكن هناك ود أبداً بين المصريين وحكامهم من الفرس»؛ ورغم وصف كوينتس كيرتس Quintus Curtius لهم بأنهم لم يكونوا مستقرين، فإنه يذكر كيف قاوموا قوات أمينتاس التي كانت وقتها تسلب وتنهب في المناطق الريفية، وقد أجبرهم أمينتاس على التراجع إلى ممفيس Memphis في الوقت الذي

تقدمت فيه قوات مازوس Mazaces بشجاعة نحو العدو 7.1.30.33، وعلى الجانب الآخر، فإن ديودورس Diodorus يقول إن المصريين وحدهم هم من حققوا النصر بدون أن يذكر مازوس Mazaces ، ومع ذلك فمن الواضح أن مازوس Mazaces هو من قاد عمليات القتال ضد أمينتاس، وفي موقعة الحائط الأبيض White Wall كان مع الحاكم مصريون يساعدونهم على القتال جنباً إلى جنب ضد القوات الفارسية، كما فعل أجدادهم منذ أكثر من قرن مضى، أولئك الذين يشير إليهم Thucydides 1.104.2 على أنهم المصريون «الذين لم ينضموا للتمرد»، وربما تبدو التناقضات بين ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius غير جديرة بالاهتمام، لكنها تكشف التحيز الذي كان عليه المؤرخون القدامى فيما يخص موضوع العلاقات المصرية الفارسية، فعندما يتمرد المصريون ضد الفُرس فإنه يكون تمرداً شاملاً، وترجع فكرة أن المصريين يكرهون الفُرس إلى أيام هيرودوت Herodotus إذا تذكرنا تفسيره لسياسة قمبيز Cambyses في مصر انظر الفصل 9/1، وقد اتهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعدم احترامه للمعابد المصرية انظر الفصل 9/16، وبالتأكيد استغل بيتولمي Ptolemy هذه الفكرة لأنها تخدم مصالحه: وفي Strap Stela يصر على أنه أعاد الخصوصيات التي كانت ممنوحة للآلهة واجت Wajet في Buto والتي كان كسركسيس Xerxes قد أطاح بها، علاوة على ذلك، فهناك كلمات أخرى في الوثيقة نفسها: «استعاد صور الآلهة التي وجدها في آسيا وأعادها لموطنها الأصلي، وهذا الحاكم تميز في إعطاء الهبات للآلهة في جنوب مصر وشمالها على السواء»، وتبعه خلفاؤه في النهج نفسه، وكانوا يعيدون تماثيل الآلهة التي يتم تهريبها خارج البلاد، ومما لا شك فيه أن الإسكندر Alexander حينما ظهر على الساحة اتبع سياسة تمجيد أماكن الآلهة المقدسة، فعندما قدم إلى ممفيس Memphis «قدم القرابين للآلهة خاصة

أبيس Apis » أريان Arrian 3.1.4، وهناك نقوش عديدة ترجع إلى ذلك التاريخ تشير إلى مراسم جنائزية لدفن أم أبيس Apis »، فقد أمر بالشروع في بناء وإكمال العمل في العديد من الأماكن المقدسة عند المصريين، وأكثر شيء ملفت للنظر هو معبد الأقصر حيث يظهر الإسكندر Alexander مشيداً بالفراعنة، ومن هنا يمكننا تحديد استمرارية عامة في سياسة الغزاة في مصر منذ قمبيز Cambyses إلى الإسكندر Alexander .

ومع ذلك، كيف يمكننا معرفة مشاعر المصريين العميقة؟ فكثرة أعمال التمرد هي زاوية لا يمكن تهميشها، لكن هذا في حد ذاته ليس كافياً للإجابة عن السؤال المطروح، ولحسن الحظ لدينا العديد من النقوش المصرية التاريخية، فبجانب ما تحتويه مدينة ممفيس، هناك العديد من القبور التي اكتشفت في القرن الثامن عشر، وإحدى المقابر تنتمي إلى أونوفريس Onnophris وهو ابن باينو Painou الذي عاشت ذكراه في الأجيال التالية بسبب النقوش التي وجدت على جدران المقبرة، هذا الطبيب الذي عاش في أيام حكم سلالة XXXth تخصص في الوقاية من لدغات الثعابين والعلاج منها، أحد الألقاب التي كانت مرتبطة خصيصاً به هو «نبي تماثيل أب الملك، Cha-hap-Imo العام، الذي تذكره مصادر أخرى بأنه أب نيكتانيبو Nectanebo الثاني، ويبدو أن أونوفريس Onnophris انضم إلى تاتشوز Tachos حوالي عام 359-360 أثناء هجوم مصر على سوريا، وهناك معلومات عن الأسطول الحربي المصري في هذا الهجوم، وكان أونوفريس Onnophris على متن سفينة فيه «من أجل الوصل إلى مكان سيادة البلدين، وقد وجدته في أرض سو SU »، ومن المحتمل أن يكون أونوفريس Onnophris قد لقي مصير تاتشوز Tachos نفسه، والذي هُزِم بواسطة الأمير أوتشس Ochus ، ثم خلع عن العرش بسبب تمرد نيكتانيبو Nectanebo ؛ وبالتالي اتبع الغازي إلى أن وصل إلى ملك الفُرس الذي عينه قائداً عاماً للحرب ضد مصر» ديودورسDiodorus 14.92.5.

ويمكننا تخيل -رغم إننا غير قادرين على إثبات ذلك- أن أونوفريس Onnophris كان باستطاعته إثبات قدراته الطبية أمام الحاشية الفارسية كما فعل أدجاهورسينت منذ أكثر من 165 عاماً مضت، ثم عاد إلى مصر لاحقاً في الملابسات نفسها: لقد بقيت صامتاً، ثم بعد ذلك قال لي: «لا تحزن بسبب ما حدث، إني آمرك الآن: عد إلى وطنك سريعا!»، ولذلك عدت إلى مصر، وبعد عودتي وجدت رسالة من حاكم مصر، ثم تقابلنا، وعانقني، وأمطرني بالقبلات، وقضي اليوم معي، وفي اليوم التالي استفسر منى عن كل شيء».

رغم أن الفاعل «هو» لا نعرف عنه شيئاً، فمن المرجح أن يكون أمر العودة قد صدر من ملك الفُرس، وربما يكون هو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث الذي ربما أرسله في بعثة دبلوماسية إلى الفرعون، ولسوء الحظ فان الحالة الهشة للنص تمنعنا من التأكد من ماهية ذلك الفرعون، كما في المثالين الآتيين، كان أونوفريس Onnophris يريد أن يقول إن فكرة العودة إلى وادي النيل ألهمها له إله مصري، وإذا قلنا إن هذه هي القضية فسيكون شيئاً مقبولاً، خاصة وأنها سمحت للمتكلمين بأن «يكونوا بعيدين عن تحمل مسؤولية البقاء في بلاد العدو»، وعثر أيضاً على تمثال صغير لأحد أبناء نيكتانيبو Nectanebo الثاني، وهو الفرعون الذي غزاه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وفيه كلام عن الآلهة إيزيس Isis حيث يقول: «عندما كنت بين الغرباء ساعدتني في كسب ود أميرهم، وهي التي أرجعتني إلى مصر»، لكن يبقى تاريخ حدوث كل هذا مبهماً بشكل كبير، وربما عاش هذا الشخص أيضاً في حاشية الملك .

وتدعم هذه الإمكانية نقوش أخرى منحوتة تحتوي على سيرة ذاتية خاصة بطبيب آخر اسمه سماتوتيفناخت Smatutefnakht كاهن سيخمت Sekhmet مثل أونوفريس Onnophris ، ويخاطب سماتوتيفناخت Smatutefnakht الإله Herishef-Re الذي تدخل لمساعدته «مرات لا تحصى»:

أنت الذي ساعدتني في الوصول إلى القصر الملكي،

إن قلب الإله راض عما قلته؛

أنت الذي أكرمتني أمام كثير من الناس في الوقت الذي غادرت فيه مصر؛

أنت الذي استملت قلب أمير آسيا بإكرامي، وجاملتني حاشيته، عندما عينني في منصب كبير كهنة سيخمت Sekhmet كبديل لأخ لي من أمي، وهو ناختينبيب Nakhthenbeb كبير كهنة سيخمت Sekhmet في الجنوب والشمال،

لقد حميتني من هجوم اليونانيين حتى صدته آسيا عنا؛

لقد قتلوا حشداً من الناس حولي، ولم يرفع أي شخص يده على؛

لذلك رأيتك في المنام، وأنت تقول لي: «اذهب إلى هيراكليبولس Heracleopolis فإني معك».

لقد اجتزت البلاد الغريبة بمفردي، وعبرت البحر بدون خوف، لعلمي أني لم أخرق أمرك؛

ووصلت إلى هيراكليبولس Heracleopolis ولم تمس شعرة مني بأذى .

إن السياق التاريخي لهذه الحالة غير مؤكد، وهناك تلميح إلى إعادة الفُرس غزوهم لمصر «عندما غادرت مصر»، وربما هو الغزو الذي قام به أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وربما أيضاً تكون هذه إشارة إلى الحملة الفارسية التي أخمدت تمرد خبباش Khabbabash ، لكن الإشارة المباشرة إلى صراع ومعركة بين «اليونانيين» وأمير آسيا هو أمر مشكوك فيه: لأن سماتوتيفناخت Smatutefnakht قبض عليه في الاضطرابات التي صاحبت غزو الإسكندر Alexander ، بالإضافة إلى ذلك، فإنه كان في المعسكر الفارسي عندما هزمت قوات أمير آسيا، ومما لا شك فيه أن

ذلك يشير إلى معركة إسـوس Issus التـي اشـترك فيهـا حـاكم مصر ساباسـيز Sabaces ولقـي حتفـه فيهـا أريـان Arrian 2.11.18، ولا نعـرف متـى عـاد سـماتوتيفناخت Smatutefnakht إلى مصر، وربمـا عـاد مـع الإسـكندر Alexander أو مع الحملة التي قادها أمينتاس قبل ذلك؛ لأنـه بالتأكيـد كـان بحاجة لمصريين معه يدلونه على طريق وادي النيل، وعلى أية حال، فيبـدو أن سماتوتيفناخت Smatutefnakht كان مقرباً من ملك الفُرس الـذي ربمـا كـان هـو أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث أو الرابـع أو دارا Daruis الثالـث، ويعتمد تحديد ذلك على ما إذا كانت مهنته تابعة للغزوات الثانية التـي قـام بها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، أو الحملـة التـي قادهـا دارا Daruis الثالث ضـد خبابـاش Khabbabash ، وتـم تعيينـه في منصـب كبـير الأطبـاء، وهناك وجـه شـبه كبـير بينـه وبـين يودجاهورسـينت Udjahorresent vyl ، رغم أنه لم يكن مرتبطاً بالمكان نفسه المقـدس: نتـذكر أن قمبيـز Cambyses قام بتعيـين يودجاهورسـينت Udjahorresent vyl في منصـب كبـير الأطبـاء، ففـي نمـوذج ابـن نيكتـانيبو Nectanebo لـو صـحت المقارنـة، فـإن سماتوتيفناخت Smatutefnakht اهتم بتبرئة نفسه من الاتهام بالتعاون مـع الآسيويين، فلم يمنح اللقب الفرعوني لأمير آسيا مرة أخرى، ويستمر في ادعائـه أنه مهما ذهب فإنه يتمتع بحماية الإله، ويُفهم ذلك بسهولة كافيـة بواسـطة عودتـه الأخـيرة إلى مصر وبتـاريخ النقـوش التـي ترجـع إلى بدايـة الـعصر البطلمي، لكن تبقي الحقيقة: لدينا نموذج لمصري انضم إلى ملك الفُـرس بعـد إعادة الأخير الاستيلاء على مصر، أو على الأقل لم يرفض خدمة الملـك والتمتـع بميزات شخصية بسبب العلاقة التي تربطه به، وتمثل النقوش الموجـودة عـلى قـبر بيتوسـيريس Petosiris في هيرموبـولس Hermopolis جسراً إلى الـذاكرة المحتفظة بمعلومات عن تنوع جذور كبار كهنة ثوث Thuth ؛ لأن بيتوسـيرس Petosiris الذي شـغل منصـب كبـير الكهنـة وموقـع المسـؤول قبيـل الحقبـة

المقدونية خلف أخيه Dejethotefankh وأبيه Sishu الذي بـدوره ورث المنصـب من أبيه Dejethotefankh الكبير، علاوة على ذلك، فإن بعض النقوش التـي تـذكر فضل بيتوسيرس Petosiris هي من أعمال حفيده باديكام Padikam ، ومما يلفت النظر أن سر مهنة Sishu وابنيه لم يتمكن أحد من معرفته طـوال عصـور تاشـوس Tachos ، والإسـكندر Alexander ، وفيليـب أريهيـدوس Philip Arrihideus ، ويوصف كل من Sishu وبيتوسـيرس Petosiris في النقـوش التـي كانـت مخصصـة أساساً لترديد المدائح بـأنهم رجـال يتمتعـون بالحكمـة والفضـيلة ويحبـون النظـام والعدل، لكنها ليست الحالة نفسها بالضـبط بالنسـبة لــ Dejethotefankh الـذي من المحتمل أن يكون خلف أبيه بعـد نهايـة حكـم نيكتـانيبو Nectanebo الثـاني، وبالتـالي فقـد شـاهد غـزو أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث واضـطر أخـاه بيتوسيرس Petosiris إلى الدفاع عن ذكراه بهذا الخطاب: «لم أسرق مـا كـان يقـدم للطقوس، لم أفعل أي شيء سيء لهذا البلد، فالإله مات Maat معي ولن يتركنـي في حياة الخلود»، ورغم ذلك فإن بيتوسيرس Petosiris لما خلف أخاه في موقعه اتخـذ موقفاً وسطاً: لمـا مـارس رئـيس دولـة أجنبيـة أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث وصايته على مصر لم يبقَ أي شيء على حاله السابق، فبمجرد اندلاع المعـارك داخـل مصر أصبح الجنوب يموج بالاضطرابات، والشـمال بـالتمرد، وكـان الـذهول يسـيطر على الرجال، ولم يعد هناك معبد يلجأ إليه الناس، وكان الكهنة بعيدين عن الأماكن المقدسة في تجاهل لما كان قائماً.

كان بيتوسيرس Petosiris قادراً عـلى إعـادة الازدهـار للأمـاكن المقدسـة ليس فقط بأخلاقياته الرائعـة ولكـن أيضـاً بسـبب التغـير المفـاجئ في الأجـواء السياسية: لقد قضـيت سـبع سـنوات كاهنـاً في ثـوث Thuth أفعـل كـل شيء بصورة متقنـة لخدمـة ذلـك المعبـد، ولتعظـيم أهميـة كهنتـه، ولمـلء مخازنـه بالشعير والقمح وكل احتياطياته القيمـة مـن كـل الأشـياء، بعيـداً عـما يفعلـه

الغرباء الذين أصبحوا حكام الدولة ترجمة جي. ليفيبفـر G. Lefebvre ومراجعـة بي. مينو B. Menu .

ورغم أن أخاه الأكبر اضطر للتعامل مـع الاضـطرابات التـي صـاحبت هزيمـة نيكتانيبو Nectanebo الثاني على يد جيـوش أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، فلا بد أن يكـون بيتوسـيرس Petosiris قـد عـاش في الفـترة الانتقاليـة مـن الحكـم الفارسي إلى الحقبة البطلمية، ومن المحتمل أن يكون قد استلم المسؤولية من أخيه بعد قدوم الإسكندر Alexander ، ومـن الأب Sishu إلى الابـن الأصـغر بيتوسـيرس Petosiris تميل النقوش إلى إعطاء صورة عن التـاريخ المصري تتصـف بالاسـتقامة، وكانـت هنـاك فـترة هـدوء في عصر نيكتـانيبو Nectanebo الثـاني، أعقبتهـا فـترة اضطرابات في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، ثـم بعـد ذلـك العـودة إلى أيام النظام بقدوم الإسكندر Alexander ، واحتفل مصريون آخرون بعودة النظـام في بلدهم، ومع ذلك، فإن هذه المعلومات تحتوي على قيمة محـدودة حتـى ترقـى لمستوى الدليل، خاصة وأنها حـدثت أثنـاء الحقبـة اليونانيـة: «مـن الصـعب عـدم الشك في وجود دعاية تمدح هذا السـلوك داخـل الطبقـة العليـا مـن رجـال الـدين وإعطائهم كل وسائل النجاح خاصة الاقتصادية منهـا، وتنطلـق هـذه الدعايـة مـن الإدارة المقدونية في البلاد التي يشرف عليها Ptolemaeus وهو ابن لاجوس Lagus بي. مينو B. Menu .

وبنظرة عامة للنقوش التي ترجع إلى القرن الرابع تقودنـا إلى اسـتنتاج مفاده أن المصريـين لم يـترددوا في التعـاون مـع الفُـرس كـما حـدث في عصر قمبيـز Cambyses وخلفائـه أثنـاء القـرن الخـامس، وللأسـباب نفسـها انضموا للإسكندر، ثم بعد ذلك بطلميـوس، وبعبـارة أخـرى، عنـدما ضـم الإسكندر Alexander مصر، لم يكـن ذلـك بسـبب انتفاضـة شـاملة بـين المصريـين لمسـاندته؛ لكـن ببسـاطة لأن المسـؤولين الفُـرس في مصر لم

تكن لديهم القوة الكافية لصدهم، وبالتالي فإن سلوك الأرستقراطيين المصريين كان معروفاً مسبقاً.

سكان بابل، الإسكندر Alexander ودارا Daruis :

لقد لقي موقف سكان بابل حظه من التوثيق، ولا يمكننا العودة إلى موقف الإسكندر Alexander بعد معركة جوجاميلا Gaugamela ؛ لأننا لا نريد التأكيد على أن ميزان القوة سمح لقادة مدينة بابل الذين جاءوا في الموكب للترحيب بالغزاة بأن يأملوا في الحصول على تعويضات كبيرة من الإسكندر Alexander في مقابل الانضمام له، وهناك لوح ضخم Adrtb No. 330 يعطينا دليلاً على ذلك، فبعد معركة جوجاميلا Gaugamela بدأت المفاوضات بين الإسكندر Alexander وسكان مدينة بابل، فبحلول الثامن من أكتوبر، بعد أسبوع من المعركة، يشير النص إلى مبعوث قدم بخطاب يخص أيساجيلا Esagila وما بها من ممتلكات، وفي الثامن عشر من أكتوبر وصل الإسكندر Alexander إلى سيبار Sippar ووعد سكان بابل؟ بأنه لن يسمح لجنوده بالاعتداء على منازلهم بعد ذلك، وهناك تلميح إلى وجود مشاركة لليونانيين في تقديم القرابين، وأخيراً، هناك وصف لدخول الإسكندر Alexander إلى مدينة بابل، الذي يحمل لقب «ملك الكون»، وقد جاء الإسكندر Alexander لتقديم القرابين إلى ماردوك Marduk وتحدث مع الكلدانيين عن كل شيء يخص إله المدينة العظيم أريان Arrian 3.16.3.

هذا هو السياق الذي تذكر فيه النصوص التقليدية الدمار الذي أحدثه كسركسيس Xerxes ضد المعابد في مدينة بابل على النقيض مما قام به الإسكندر Alexander بسلوكه «الكريم»، لسنا بحاجة إلى الوقوف طويلاً أمام سياسة كسركسيس Xerxes إلا لإعادة التذكير بأن العرض الذي قدمه مؤرخو الإسكندر Alexander ما هو إلا عرض خاطئ وانحيازي انظر الفصل 5/13، لكن بدلاً من ذلك، يمثل موقف الإسكندر

Alexander استمرارية عامة للنهج نفسه الذي اعتمد عليه ملوك الفرس، فبتقليده لسياسة قورش Cyrus أجرى الإسكندر Alexander اتصالاته بكبار رجال الدين في الأماكن المقدسة «كهنتهم وحكامهم» 3.16.2، ومن أجل إضعاف طبقة النخبة عن المقاومة فوراً بعد انتصاره في المعركة، بدأ الإسكندر Alexander في إجراء مفاوضات مع مازوس Mazaeus وقادة مدينة بابل، واعداً إياهم باحترامه للمدينة وللمقدسات، بالضبط كما فعل قورش Cyrus من قبل، وهذه السياسة أيضاً معروفة بشعائر دخول الملك المنتصر إلى مدينة الاسكندرية بالعربة؛ كوينتس كيرتس 4.1.3 Quintus Curtius؛ الشيء الذي يعيد إلى الأذهان دخول قورش Cyrus الرسمي إلى المدينة بصورة مدهشة عام 539، وفي الوقت نفسه، لا يوجد هناك أدنى شك في أن الإسكندر Alexander بني أشياء في الأماكن المقدسة في مدينة بابل، ومهما كانت طبيعة عملية البناء هذه وحجمها، ما كان يسمح به إلا بعد استشارة الكلدانيين؛ لأن هذا العمل بذاته يدل على أن الإسكندر Alexander كان مدعوماً ومؤيداً من آلهة مدينة بابل؟ وربما هذا هو نفسه الذي يصفه أريان Arrian عندما يقول: «لقد نفذ الإسكندر Alexander كل توصياتهم فيما يخص معابد المدينة، وعلى الأخص تقيدم القرابين إلى الإله بال Baal وفقاً لتعليماتهم» . 3.16.5

ولم تضعف العلاقة الطيبة التي ربطت بين الإسكندر Alexander وزعماء مدينة بابل، وهناك مثالين للتدليل على هذه العلاقة، كل منهما حدث أثناء سنوات الملك الأخيرة، يروي الكثير من المؤرخين القدامى أن الكلدانيين كانوا يرغبون في إثناء الإسكندر Alexander عن دخول مدينة بابل بناءً على نذير شر وجدوه في نجوم وكواكب السماء وفقاً لتقليد قديم، ولم يذعن الإسكندر Alexander لطلبهم؛ لأنه ارتاب في نيتهم، فربما كانوا يرغبون في الاحتفاظ بكنوز المدينة لأنفسهم والتي كان سيخصصها لبناء المعابد أريان 18.17.1.4Arrian، وهذه

القصة أعتقد أنها أحياناً تكشف عن العلاقة السيئة التي سادت بين الإسكندر Alexander وبين رجال الدين في تلك الفترة، وفي الحقيقة، عندما أصدر الكلدانيون تحذيراً للإسكندر من دخول المدينة، إنما كانوا يمارسون دوراً تعودوا عليه طوال تاريخ بابل: الكلدانيون الذين عهد إليهم بالحفاظ على السماء وإبعاد الشرور عنهم «كانوا يرغبون بإعلام الملك بالخطر الذي يتهددهم، مما يعنى أنه لا يدخل المدينة مهما كانت الظروف، لكنه يجب عليه التخلي عن الطريق الذي سيسلكه ويدخل المدينة» ديودورس Diodorus 18.112.3.

وفي وقت لاحق، حدث شيء أعطي اليونانيين انطباعاً سيئاً عندما أساءوا فهم عادة بابلية لا يعلمون عنها شيئاً، يقدم المؤرخون القدامى هذه القصة أحياناً بكلمات مختلفة، ففي يوم من الأيام، خطط بابلي -مكانته الاجتماعية غير معروفة لنا- والذي أدانه القانون العرفي، بالذهاب إلى عرش الملك والجلوس عليه: ارتدي الزى الملكي والتاج، ثم جلس على العرش وبقي هادئاً» ديودورس Diodorus 116.2.3، يذكر أريان Arrian رد فعل الخصيين كالآتي: وفقاً لعرفٍ فارسي مُتبع لم يقوموا بسحبه من على العرش، وبدلاً من ذلك شرعوا في شق ملابسهم وفي ضرب أنفسهم على الصدور والوجوه دليلاً على أن كارثة قد حدثت» 16.24.3، ويعيد أريان Arrian التأكيد على أن الإسكندر Alexander لم يعلم شيئاً عن هذا الموقف، وارتاب في حدوث مؤامرة، وطلب الرجل للتحقيق معه، لكن الرجل قال إن «فكرة جاءته بفعل ذلك ففعله»، ويضيف أريان Arrian أنه وفي تلك اللحظات نفسها كان هناك «مراقبون للموقف مستعدين لتفسير هذا التصرف على أنه لا يحمل أي خير للإسكندر» 16.24.3، وعلى نحو مضاد، يذكر ديودورس Diodorus أن الإسكندر Alexander تذكر ذلك التحذير الذي أطلقه الكلدانيون، وطلب الرأي من مستشاريه فحثوه على تجاهله، بينما كان

هـو بنفسـه «مبهـورا بالكلـدانيين وبنفـاذ بصـيرتهم» 116.4، ويـري ديـودورس Diodorus في كلا الحالتين أن هذا كان «نذيرا من الآلهة عن زوال ملـك الإسـكندر Alexander 116.5، كـان ديـودورس Diodorus حسـن الاطـلاع، ورغـم بعـض الخلافات التي يسهل فهمها، فـإن مـا ذكـر يـتماشى مـع تقليـد معـروف في العـرف العراقي القديم Mesopotamian ، ذلك الذي يخص الملك البـديل، عنـدما تكـون هناك طوالع شريرة حول حياة الملك، يتم اختيار رجل وضيع المولـد، ويسـتلم كـل مخولات السلطة: الملابس، الصـولجان، الملكـة والحاشـية، ومـع ذلـك فـإن السـلطة الفعلية يمارسها الملك المعزول في مكان آخر بشكل مؤقت، وبعد زوال الخطر يكون الموت مصير الملك البديل، وبالتالي، يمكننا تصور أن هذه الحادثة عـام 332 لم تكـن نتاجاً لمبادرة شخصية من إنسان فقير بائس -كما يهـوى أريـان Arrian الإشـارة إلى ذلك في كل حالة- شعر الكلدانيين بالخطر مـن كـثرة الطوالـع السـيئة التـي يرونهـا لذلك رجعوا إلى فكرة الملك البـديل بموافقـة الإسـكندر Alexander ، وبالتـالي تـم تحصين الملك ضد الأخطار التي تتهدده .

ساعدت كل هذه الأحـداث الإسـكندر Alexander في الحصـول عـلى دعـم من القادة المحليين في مدينة بابل، والاستثناء الوحيد هـو أن يحكـم وفقـاً للعـرف الذي اعتادوا عليه «كملك للأرض»، كما كان ملوك الفُرس يفعلون دائماً، في الوقـت الذي تبدو فيه حقيقة «ميـل الإسـكندر Alexander نحـو بابـل» راسـخة بشـكل عام، فهناك نصوص قديمة أخرى تحول بيننا وبـين اسـتنتاج أن رد فعـل النخبـة في بابل كان متأقلماً تماماً مع صورة «المحرر» التي عادة ما تميـل النصـوص القديمـة -بصورة تقليدية- إلى وصف الإسكندر Alexander بهـا، أولاً، نلفـت الانتبـاه إلى أحد النقوش التي ترجع إلى عام 329 والذي يصف الإسكندر Alexander بأنـه ملك «اليونانيين»، مـما يسـلط الضـوء عـلى أصـله الأجنبـي Adrtb No. 328 ،

ورغم ذلك فهناك نصوص أكثر أهمية -النبوءة الشهيرة عن السلالة الحاكمة- ومع أن النص صعب بسبب تفتت النقش وهشاشة كتابته، إلا أن هذه النبوءة تخصص عدة سطور لحكم دارا Daruis الثالث، والذين كتبوا هذا النقش يسجلون الغزو الذي قام به المقدونيون مع هزيمة دارا Daruis ، ويقولون: «بعد الذي حدث سيجهز الملك جيشاً، ويحد أسلحته، وستقف الآلهة إينليل Enlil وشاماس Shamash وماردوك Marduk بجوار جيشه حتى يقضي على جيش المقدونيين، وسيحمل الغنيمة الضخمة ويجلبها إلى قصره، وسيعوض كل من أصيب بأذى من الناس، وستصبح الأرض سعيدة، وسيشمل ذلك إعفاءات من الضرائب .

لا فائدة من المقارنة بين هذا النص وما رواه المؤرخون التابعون للإسكندر في محاولة لتحديد الحدث التاريخي المشار إليه، وتعتبر عملية تسجيل الأحداث في حد ذاتها هي هدف هذا النوع من العلم الذي يصف أنظمة الحكم إما بالصالحة أو الشريرة، ومع ذلك، ومن الملاحظ هنا أن دارا Daruis الملك، مدعوما بآلهة بابل، يهزم الإسكندر Alexander في النهاية وينتصر عليه، وفرح أهل بابل، بهذا الانتصار واستعاد السكان ازدهارهم؛ لذلك فإن شخصية دارا Daruis الثالث خضعت لإعادة صياغة في سياق رواية تقليدية عن شخصية ملك بابل الصالح، ويكشف النص عن أن اتجاه النخبة في بابل كان على الأقل يتحسن فيما يخص القبول بحكام لمدينتهم.

هناك نظرية واقعية جدًّا تقول إن هذا النص بذاته كتب في بداية الحقبة الإغريقية في سياق تدشين حكم سيلوكس Seleucus في بابل؛ لذلك لا يمكننا استنتاج أن هذا يعكس اتجاه سكان بابل عام 331، لكن من المحتمل أن يكون هدف ذلك النص هو عرض التغير الذي حدث في العلاقة بين المقدونيين وأهل بابل في أوقات الحروب التي قلبت حال البلد في بداية عصر دايودشي Diadochi ، ويؤكد النص المنحوت على النقش أن

حقبة الحكم الفارسي لم تكن قمعية على الأقل مقارنة بالحكم المقدوني، ويؤكد أيضاً أن إذعان قادة بابل للإسكندر كان له علاقة بالسلوك الملكي الراسخ في العرف الوطني عندهم -كما هو الحال في Udahorresnet في مصر- فكان يلزم كل من قمبيز Cambyses ودارا Daruis أن يتبعوا أبجديات «الحكم الصالح» ويكون كل منهما «ملكا خيّرا»، وهذا بالضبط ما أظهرته الدعاية المقدونية في تمجيدها للإسكندر واصفة ما قام به من أعمال في بابل «لا يقوم بها إلا ملك صالح» ستاربو Starbo 16.1.10؛ أريان Arrian 15.21.6، وبعبارة أخرى -وباختصار- فإن انضمام قادة المدينة للإسكندر لم يكن نتيجة لتأثرهم بالحماس الشعبي التائق للحرية، فالاستسلام كان مشروطاً لأنه بُني على مفاوضات تعامل معها البابليون بحذر كبير، وبالتالي، فإن رسالة النبوءة التي تخص السلالة الحاكمة لم تنل الرضا من الإسكندر Alexander ، ولا من الغزاة المقدونيين بشكل عام، الذين يقدمهم كاتبو ذلك النقش على أنهم حاولوا قطع رحلة حكم دارا Daruis «الملك الصالح».

5- موت ملك عظيم:

دارا Daruis Daruis في إيكباتانا Ecbatana :

من المستحيل تقييم موقف دارا Daruis وهو في إيكباتانا Ecbatana إلا إذا أخذنا في الاعتبار كل العناصر العسكرية والسياسية، فعندما غادر الإسكندر Alexander بيرسيبولس Persepolis في مايو عام 330، كانت المعلومات التي لديه عن الموقف الحقيقي لدارا Daruis قليلة جدًّا، معتقداً أن دارا Daruis ، منذ أكتوبر في العام الماضي، يعد للمعركة التي ستحدد المحصلة النهائية للحرب، وعندما وصل الإسكندر Alexander إلى جابين Gabien أصفهان Gabea عند بوابات مدينة ميديا Media تلقي

خبراً عاجلاً من بيثانز Bisthanes ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قال فيه: «إن دارا Daruis هرب منذ أربعة أيام ومعه خزائن ميديا Media فيها سبعة آلاف طالن، ومعه حوالي ثلاثة آلاف فارس وستة آلاف من المشاة» أريان Arrian 3.19.5، لكن كوينتس كيرتس Quintus Curtius يقول إن الذي نقل الخبر هو بابلي اسمه باجيستانز Bagistances والذي أخبر الإسكندر Alexander أن دارا Daruis «معرض للقتل أو السجن» 4.13.3، ومن المحتمل أن يكون كوينتس كيرتس Quintus Curtius قد خلط بين من نقل الخبر؛ لأنه في وقت لاحق عندما وصل الإسكندر Alexander إلى بوابات كاسبن Caspain أخبره كل باجيستانز Bagistances وأنتبيلوس Antibelus ، وهو أحد أبناء مازوس Mazaeus بأن دارا Daruis سجن مغلغلاً في الحديد بواسطة كل من نابارزينز Nabarzanes وبيسس Bessus حاكم باكتريا Bactria وبارسينتز Barsaentes حاكم أراتشوزيا Arachosia أريان Arrian 3.21.1.

وفي أكتوبر/ تشرين الأول من عام 331 خطط دارا Daruis لحشد جيش جديد، وكان معه بعض الجنود الذين انسحبوا معه، ومن بينهم عدة آلاف من جنود يونانيين مرتزقة جنباً إلى جنب مع فرسان باكتريا Bactria وبعض الفُرس من الحاشية الملكية وحراسه الذين أحاطوا به أثناء المعركة أريان 11.5 Arrian؛ 3.16.1، وتوقع الملك ضم جند إليه من مناطق قرب باكتريا Bactria ، وخاصة من كاديوسينز Cadusians وساكا Saka الذين كانوا بالفعل قد أرسلوا فيالق عسكرية في المعارك السابقة أريان Arrian 3.9.3، ورغم ذلك، كان يبنى خططه على الجيوش التي يتم حشدها من شرق إيران ديودورس Diodorus 18.73.1، ويذكر كوينتس كيرتس Quintus Curtius عدد جيش دارا Daruis بأنه كان 30 ألفاً من المشاة من بينهم أربعة آلاف يوناني و4 آلاف من حملة المقاليع والسهام، وأكثر من 3300 من الفرسان «أغلبهم من باكتريا

Bactria 4.8.3.4، ويذكر ديودورس Diodorus 30 ألفاً من المرتزقة «الفُرس واليونانيين» 7.3.1، ويذكر أريان Arrian أنهم كانوا 3 آلاف فارس وستة آلاف من المشاة 3.19.5، ومن الصعب المقارنة بين هذه الأرقام، وفي ذلك الوقت، عندما علم دارا Daruis أن الإسكندر Alexander يتقدم إليه قرر اللجوء إلى المدن الفارسية العليا، وأدى التغير في ميزان القوي إلى انفصال بعض الفرق العسكرية عن الجيش الملكي 3.19.4، بعد ذلك عندما استكمل الإسكندر Alexander تقدمه نحو دارا Daruis من إيكباتانا Ecbatana ، تخلى الكثيرون «عن دارا Daruis ممن هربوا معه، ورجعوا إلى منازلهم، واستسلم عدد منهم للإسكندر 3.19.4؛ 20.2 .

يكشف الانهيار العسكري بصفة أساسية عن الضعف المستمر في وضع ملك الفُرس السياسي، ويقول كوينتس كيرتس Quintus Curtius في وصف لصالح دارا Daruis أن هيبة الملك بقيت ثابتة لا تتزعزع: «هيبة الملك عند تلك الأمم هي شيء يختلف عن كل شيء؛ وفي تلبيتهم لملكهم تبجيلاً له يحتشدون ويقفون بجواره في كل محنة» 4.10.2، أو هذا: «كان تحرك الفُرس جميعاً يتماشي مع النهج نفسه؛ لأن التخلي عن الملك لا يعتبر من دينهم» 4.9.16، هذه العبارات التي ذكرناها تحمل في معناها مغزى جميلاً، لكنها تتناول جزءاً من الموقف، ونتيجة لذلك، تشوش على كل شيء، ويشرح كوينتس كيرتس Quintus Curtius بنفسه أن قرار دارا Daruis بالنزوح من بابل بعد جوجاميلا Gaugamela لم يتحمس إليه عدد كبير من المقربين إليه 4.1.7.9، ومع هذا، بقيت سلطة دارا Daruis الملكية قوية بين حكامه على الأقاليم وقادة الجند والشعوب التي تخضع لحكمه، فقدرته على إصدار قرار جديد بتعبئة القوات حث كل هؤلاء على البقاء مخلصين له ديودورس Diodorus 64.2 ، لكن لم تختفِ المعارضة الداخلية بشكل دائم، ورغم أننا غير قادرين على

تحديد تاريخ المؤامرة التي حيكت ضد الملك بدقة، فإنه يمكننا اقتراح أن يكون الاستسلام المتتابع لبابل وصوصا Susa و Persepolis بدون قتال قد وجه ضربة مباشرة لسلطة الملك؛ لأن هذا الاستسلام المتعاقب دلل على فشل الاستراتيجية المتبعة بعد جوجاميلا Gaugamela ، حيث كان الفشل عسكريًّا، وأيضاً وبصفة خاصة، سياسيًّا، في البداية كان مازوس Mazaeus ثم أبولتس Abulites تيريداتس Tiridates وآخرون كثيرون ذهبوا إلى الإسكندر، ومن المرجح أن تكون سياسة حرق القصور في بيرسيبولس Persepolis أسهمت في زحزحة الكثير من المفاهيم الثابتة، وأخيرا، اكتشف الفُرس في إيكباتانا Ecbatana أن الإسكندر Alexander قد رحب بحرارة بأولئك المسؤولين الذين انضموا إليه، وعهد إليهم بمناصب كبيرة، ورغم ارتباطهم بمجد الإمبراطورية الفارسية، فلا بد أنهم قد وجدوا في الإسكندر Alexander بديلاً يمكن الوثوق به أكثر، وتعزز هذا الاعتقاد أكثر وأكثر بعد المؤامرة التي حيكت ضد الملك.

المؤامرة ضد ملك الفرس:

تجمع المصادر التاريخية على القول بأن بيسس Bessus كان في قلب المؤامرة التي حِيكت بعد تقهقر المدن العليا، كان دارا Daruis بالفعل في ذلك الوقت رهينة في أيدي حاكم باكتريا Bactria الذي كان يملك التحكم الكامل في فيلق الفرسان كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.10.5.12؛ 12.6، وفي معالجته لهذا الموقف، كان دارا Daruis بمقدرته على الاعتماد بصفة أساسية على أرتابزاس Artabazus «الأقدم بين أصدقائه» 4.9.1 الذي حاول بدوره تنظيم دفاعاته 4.9.13 بمساعدة الفيلق الفارسي 9.16، وجنود يونانيين مرتزقة ممن كانوا يخشون انتقام الإسكندر Alexander ، ومن الآن فصاعداً، كان هناك معسكران وجيشان وجهاً لوجه، وبمجرد الإعلان عن تقدم الإسكندر Alexander بدأت المؤامرة تطفو على السطح: قام المتآمرون بوضع دارا Daruis رهن

الاعتقال، ويبدو من الوهلة الأولى أن الهدف الرئيس لهؤلاء المتآمرين هو تسليم دارا Daruis للإسكندر على أمل الحصول على مكافآت كبيرة كوينتس كيرتس Quintus Curtius 4.5.2؛ 12.1؛ أريانArrian 3.21.5.30.4 ، لكن كانت تساورهم الشكوك خشية أن يكون الملك المقدوني يعد لقتل دارا Daruis وإذلال باكتريا Bactria بالجيوش التي قدم بها من بلاده» 4.10.6، كانوا يستندون إلى القوات الاحتياطية الموجودة في باكتريا Bactria ، «وتوقعوا أنأن يستردوا الإمبراطورية لو نجحوا في السيطرة على هذا الإقليم» 4.10.4، وربما يكون أريان Arrian الأقرب إلى الحقيقة عندما يعرض خطة بيسس Bessus والمتآمرين معه كالآتي: كانت نيتهم تتمثل في «الاحتفاظ بقوتهم بشكل عام» 3.21.5، ويلزمنا أن نفهم هنا أن أية فكرة عن هجوم مضاد كانت مستبعدة تماماً من ناحية، ومن ناحية أخرى ستكون العمليات تحت القيادة المشتركة لكل من بيسس Bessus وبارسينتز Barsaentes ونابارزينز Nabarzanes 3.30.4.

ومع ذلك، كانت مكانة بيسس Bessus هي المتفوقة عليهم، ووفقاً لما ذكره أريان Arrain فإن «بيسس Bessus اعترف به قائداً من قبل كل من سلاح الفرسان في باكتريا Bactria والبربر الذين فروا مع دارا Daruis ، ولم يعترف بقيادته سوي أرتابزاس Artabazus وأبناؤه وجنود المرتزقة اليونانيون، لكن بيسس Bessus كان هو القائد في تلك اللحظات نتيجة لعلاقته بدارا Daruis ؛ ولأن الأحداث تجري على أرض الإقليم الذي يحكمه» 21.4.5، هذه هي الظروف التي أحاطت بالقرار الذي اتخذه بعض الفرس، الذين كانوا بين حاشية دارا Daruis ، بتغيير ولائهم للإسكندر 21.1، ولم يستمر الاتفاق الذي أُبرم بين المتآمرين إلا قليلاً، حيث قام كل من بارسينتز Barsaentes ونابارزينز Nabarzanes باغتيال ملك الفُرس وهربوا بصحبة المئات من الفرسان 21.10، وعاد

بارسينتز Barsaentes إلى مدينته معتقداً أنه بإمكانه تنظيم مقاومة يستفيد منها، وبعد ذلك قدم نابارزينز Nabarzanes برفقة ضباط آخرين كانوا تابعين لدارا Daruis «من ذوي المكانة والمستوى الرفيع»، من أجل الاستسلام للإسكندر 23.4، ومن جانبه، وصل المتآمر الثالث بيسس Bessus إلى باكتريا Bactria بصحبة قواته وآخرين من الفرس، ونودي به ملكاً للفرس تحت اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes 25.3؛ ديودورس Diodorus وكوينتس كيرتس Quintus Curtius 7.6.13، وبرغم إعلان تنصيب حاكم باكتريا Bactria ملكاً للفرس، فإن اغتيال دارا Daruis جسّد بشكل نهائي انتهاء السلالة التي حكمت الإمبراطورية.

6- سقوط إمبراطورية:

بمجرد اعتبار المؤرخ أن عامل «التدهور» في تفسير الأحداث يجب تنحيته جانباً بصفة دائمة، سيجد نفسه في حيرة عندما يتطلب الأمر الكشف عن مسببات وجذور حدث ما تجسيداً للمشهد كما حدث في سقوط الإمبراطورية، أما المعنى الرمزي الخطير الذي تحتويه هذه العبارة فإنه يصف مدى المسؤولية التي تقع على عاتق المؤرخ، لكن هذه الحقيقةِ لا تَجْعلُ من مهمته شيئاً مخيفاً.

رمح شجرة القرانيا Cornelood :

من الضروري هنا أن نتحفظ على القول بأن الإمبراطورية سقطت أساساً بسبب هزيمة الجيوش الملكية، والأخرى الموجودة في الأقاليم جميعاً في معارك جرانيكس Granicus إسوس Issus وجوجاميلا Gaugamela ، وجد ملك الفُرس نفسه غير قادر على تفادي الاشتباك العسكري، أو تحديدا، لم تفلح أي من محاولاته في تحقيق أهدافها، ففي عام 334، كان دارا Daruis يملك التفوق البحري، وأعطته جيوشه وموارده المالية قوة ضاربة لا يستهان بها، وفي ذلك الوقت، لا يعقل أن

يكون هناك تحدٍ لقـوة الملـك ورباطـة جأشـه وقدراتـه الاسـتراتيجية والعسـكرية، وارتباط مسؤولي الدولة بالأسرة الحاكمة، ومن أجل أن نقدم تفسـيراً للهـزائم التـي تعرض لها الفُرس يمكنا أن نستشهد بسلسـلة كاملـة أو أقـل أو أكـثر مـن الأسـباب العسكرية، أريان Arrian يقدم تفسيراً للهزيمة في جرانيكس Granicus كالآتي: «لم يتفوق رجال الإسكندر Alexander في هذه المعركة بسبب قوتهم وخـبرتهم فقـط، لكن أيضاً لأنهم كانوا يقاتلون برماح مصنوعة من شجر القرانيا مقابل رماح الفُـرس القصيرة» 1.15.5، وهذا بدوره يفسر السـبب -كـما يـذكر ديـودورس Diodorus ، الذي جعل دارا Daruis ، أثناء إعداد جيشه في مدينة بابـل بـين عـامي 331، 332 «يطـور السـيوف والرمـاح بعيـداً عـن النظـام القـديم، حيـث أدرك أن الإسـكندر Alexander اكتسب ميزة عظيمـة في هـذه الناحيـة في معركـة سـيليكا Cilicia »، ورغم ذلك، حتى لو تكلمنا على نحو مجازي، يعارض المؤرخ حصر هزيمة الفُـرس في هذه المعركة بسبب الرمـاح المقدونيـة الطويلـة، لأن مثـل هـذا التفسـير التكنـيكي المجرد محبط لدرجة كبيرة، حتى لو أخـذنا في الاعتبـار تفـوق الجـيش المقـدوني في قدرته على المناورة والرؤية الواضحة، إذا لم نقل عبقرية قائده .

ويمكننا أن نضيف -وهذا بـالطبع الأكـثر أهميـة- أن الإمبراطوريـة لم تكـن مستعدة للتحدي العسـكري والاسـتراتيجي الـذي فرضـه الإسـكندر Alexander عليهـا، وقـد أثبتـت الغـزوات التـي قـام بهـا أجليسـوس Agesilaus أن الفضـاء الإمبراطوري كان يمكن اختراقه بصورة نسبية، وعلى أية حال فإن الحذر والعوائق العسكرية التي فرضت عليه بعد إسبرطة Sparta منعته من إثارة المنطقـة كلهـا وتحطيم ولاء فرس آسـيا الصـغرى للسـلالة الحاكمـة، وبالتـالي، وبسـبب هـذه القيود -كما رأينا من قبل- فشلت محاولة أجليسوس Agesilaus انظـر الفصـل 5/15، ومع ذلك، فبمجرد أن قـرر العـدو شـن الحـرب عـلى جيـوش وحاميـات

الإمبراطورية الفارسية وربح موضع قدم ثابت في آسيا الصغرى، وكان من الصعب طرده، أصبح هو الآن الشخص القادر على الاستفادة من التنظيم الذي يتصف به الفضاء الاستراتيجي للإمبراطورية الفارسية فيما يخص الحصون الأموال والمخازن، وهي الأماكن التي من خلالها يستطيع أعداء الملك الحصول على إمدادات ضخمة من الأموال والموارد التي يعتمدون عليها في الدفاع عن الأقاليم الإمبراطورية انظر الفصل 2/9، ولو حدث أن انتصر الفُرس في معركة برية واحدة لتمكنوا من وضع حد للهجوم المقدوني؛ لذلك عدنا مرة أخرى إلى نقطة البداية: بمجرد تجميع كل هذه التفاصيل ووضعها في حجة متماسكة أو على الأقل حجة ذات مصداقية ستمكننا من معرفة كيف خسر الملك وحكامه على الأقاليم المعارك التي خاضوها، لكن يبقي السؤال الأساسي: لمذا خسر دارا Daruis الحرب؟

قوة الفُرس الملكية والإمبراطورية متعددة الثقافات:

يجب علينا هنا أن نلقي الضوء على الصفة الغريبة التي اتصف بها الهجوم المقدوني، فلأول مرة في تاريخها تجد الإمبراطورية الفارسية نفسها في مواجهة عدو مصمم على خوض الحرب للنهاية -أي حرب للغزو- علاوة على ذلك، أدرك العدو أن الانتصار في معركة ليس كافياً لخلع ملك قوي جدًّا؛ وأدرك أيضاً أن الحرب يمكن أن تتواصل بوسائل أخرى، وكان الإسكندر Alexander الذي يملك نظرة الخبير لحالة الإمبراطورية الفارسية، بعد كل انتصار، يحاول بكل الوسائل تحقيق نجاحات سياسية مستغلاً الضعف الهيكلي في بنية الإمبراطورية الفارسية، واتضح هذا الضعف جليًّا من خلال سلوك النخب المحلية -طالما لم نسئ فهم تصرفهم- وعلى النقيض مما كانت تروج له الدعاية المقدونية، فإن قادة الأقاليم الخاضعة للحكم الفارسي لم يكونوا يتلهفون شوقاً في انتظار المحرر، ولم يكن يوجد في أي بلد في الإمبراطورية -لا

بابل ولا مصر- من يموج بوعي وطني كبير يدفعه نحو رغبة لا تقاوم في الاستقلال، وفي الحقيقة، فإنه في كل دولة من هذه الـدول والـدول الأخـرى، بقيـت الشـعوب فيها متمسكة بعاداتها وتقاليدها، وتهتم بذكريات ماضيها المجيد، ويلزمنا هنا لفت الانتباه إلى فروق متعددة، ففي حالة مصر -التي عادت لنظام الحكم الفرعوني على مدى جيلين- لا يمكن تشبيهها بحالة بابل، حيث كان يمثل الوجود الملكي فيها دلـيلاً على رسوخ الوجود الفارسي، ولا يمكن مقارنتهـا بصوصـانيا Susiana التـي ارتبطـت إلى حد بعيد بتاريخ مشترك طويل مع فارس، على أية حال، لم يكن قادة تلك الدول سُذَّجاً لدرجة أن يصدقوا أن الغـزو المقـدوني يجسـد عـودة بابـل ومصر إلى سـابق عهديهما قبل غزو ملك الفُرس قورش Cyrus ، فهو مجرد اختيـار بـين سـيد وآخـر، وأخيراً، فإنه على مدى أكثر من قـرنين مـن الخضـوع/ التعـاون بَنَـت شـعوب تلـك الدول علاقات وثيقة مع الفُرس واستفادوا مـن النظـام الإمبراطـوري، وباختصـار، لم يكـن سـقوط الإمبراطوريـة الفارسـية نتيجـة لسـخط الشـعوب الخاضـعة للحكـم الفارسي ونخبه الحاكمة.

ويرجع ضعف الإمبراطورية -فيما يخص الغـزو المقـدوني- إلى القـوة التـي ربطتها بإحكام طوال الفترة الممتـدة مـن حكـم قـورش Cyrus إلى دارا Daruis الثالث، ولم يحاول الفُرس أبدا الاعتداء على التقاليد التي اعتادت عليها الشعوب الخاضعة لحكمهم: فالإمبراطورية متعددة القوميات بقيـت متعـددة الثقافـات، كما يتضح لنا -عـلى سـبيل المثـال- بواسـطة تنـوع اللغـات فيهـا بصـورة رائعـة ديودورس Diodorus 53.4 ، لكن، حتى لو حققت الوحدة السياسـية وانـدماج شعوب الإمبراطورية إنجازات متميزة متعددة الثقافات، يبقي الوضـع الاسـاسي، فاليونـاني يشـعر بأنـه يونـاني يتحـدث اليونانيـة، والمصري يشـعر أنـه مصري يتحدث المصرية، وهكذا، وكذلك بالنسـبة للبـابليين والشـعوب الأخـرى، التـي

من بينها الفرس، الذين لم يحاولوا نشر لغتهم أو فرض دينهم، وعلى النقيض من ذلك، وطوال تاريخهم، برهن الملك والفُرس معاً على رغبتهم في الحفاظ على خصوصيتهم متعددة القوميات، وبالتالي، فإن وحدة الامبراطورية اكتملت بوسائل شخصية فائقة لا يمكن مجاراتها في أيدى ملك الفرس؛ لذلك لم يترك الإسكندر Alexander فرصة إلا وحاول القبض على دارا Daruis بشخصه بعد كل معركة، وبالطبع بذل الملك الفارسي كل جهده للهروب من أيدى عدوه لأن ذلك واجبه، وكلا الهدفين يدلل على هشاشة النظام الذي كان واضحاً، بأي مستوى، على الجانب المقدوني .

ومن هنا، بينما كانت أيديولوجية الملك سارية المفعول في الوسط، لم تكن أيديولوجية الإمبراطورية موجودة بالفعل، حتى مع انتشار الصور الملكية بوسائل مثل الأختام، العملات، وبواسطة القصاصين الشعبيين الذين كانوا يروون تاريخ الحاشية من أرض إلى أرض، ووجدنا أمثلة لذلك عند كل من إليان في كتابه المزيج التاريخي، وفي Ether, Judith وفي حكاية الأهيقار Tale of Ahiqar ، وبعبارة أخرى، لم تكن هناك هوية فارسية جمعت بين شعوبها، بكل تنوعهم، للنهوض والدفاع عن بعض المبادئ المشتركة، وفي أنواع أخرى من الدول -على سبيل المثال- فإن الهزيمة في معركة لا يعنى انتهاء مجتمع بأكمله، فمن الممكن أن يشن ذلك المجتمع حرباً على مؤخرة جيش العدو، ومع ذلك، فإن مثل هذه الاستراتيجية تفرض على الإمبراطورية الفارسية شروطاً غريبة عليها، وعلى النقيض من ذلك، فإن الهياكل السياسية والإمبراطورية التي نظمت وحكمت الأقاليم والشعوب، ربطت مصير الإمبراطورية بمصير الأسلحة، الشيء الذي سريعاً ما أقنع النخب في الأقاليم بالانضمام إلى الغازي والعمل تحت إمرته، وبمجرد هزيمة الجيش الملكي، وجد القادة المحليون أنفسهم أمام اختيار بسيط يعرفه أجدادهم منذ غزو قورش:

التفاوض مع المنتصر مـن أجـل الحفـاظ عـلى مـواقعهم داخـل مجتمعـاتهم، وكانـت المفاوضات ملائمة للغزاة؛ لأنهم عرفوا الخصائص الأيديولوجية لهوية كـل مجتمـع، أي نفوذ الأماكن المقدسة والإعداد لعبادتهم التقليديـة، ولم يكـن الإسـكندر Alexander مستعداً تماماً لإعطاء هذه الحقوق، إنما كان هو شخصيًّا يحث على ذلك .

ميثاق السلالة الحاكمة وحدوده:

عـلاوة عـلى ذلـك، تعامـل الإسـكندر Alexander بالاسـتراتيجية نفسـها مـع الفرس، وكانت الإمبراطورية الفارسية في عمق بنيتها مرتبطـة بسـيادة الملـك الـذي كان ملكاً في فارس تحيط به كل أنواع أنشطة الطبقـة الأرسـتقراطية، التـي تمتعـت بشغل المناصب القيادية مع ميزات اقتصادية بكل أنواعهـا، كـانوا -كـما ذكرنـا مـن قبل- الطبقة الاجتماعية المهيمنـة، وكـانوا متحـدين حـول السـلالة الحاكمـة وقـيم المجتمع الفارسي، وبشـكل عـام، اسـتمر النظـام في تأديـة وظيفتـه في الإمبراطوريـة الفارسية بشك مُرض؛ فتحليل شخصـية رفيعـة المسـتوى مثـل دارا Daruis الثالـث أثبـت أن إدارة الإمبراطوريـة بقيـت في معظمهـا في أيـدى الأسرة الحاكمـة، ورغـم الأزمات التي تحدث من حين لآخر، لم تغير مشـكلة السـلالة الحاكمـة ولاء الطبقـة الأرستقراطية بشكل عميق أو دائم لملـك الفـرس، حتـى أعـمال التمـرد في الأقـاليم كانت دائماً لها أهداف محلية، ولم تكن تطمح إلى تنصيب ملك لا ينتمـي إلى الأسرة الملكية، وتدلل اتجاهات الشعب الفارسي على أن فارس كانت دائماً هي قلب القوة الملكية والإمبراطورية، وأخيراً، في كل مناسبة يمارس فيها سـلطته، كـان دارا Daruis الثالث يمتلك نفوذاً وقوة مثل تلك التي كان يتمتع به أسلافه .

ومع ذلـك، فـإن صـدمة التعـرض للغـزو تـدلل عـلى هشاشـة هيكـل الإمبراطورية، حيث لم يخطر ببال من صـمموا هـذا الهيكـل مواجهـة خطـر بهذا الحجـم وبهـذا المـدى، وفي الحقيقـة، ففـي السـنوات الأولي للإسـكندر

Alexander ، لم يكن هناك توجه عام بالتخلي عـن ملـك الفـرس، ويبقـي نمـوذج ميثرينـز Mithrenes حـاكم سـارديس Sardis نموذجـاً اسـتثنائيًّا، وحالـة يصـعب تفسيرها، ورغـم ذلـك، فـإن مـا قـام بـه هـذا الرجـل يكشـف عـن سـلوك الطبقـة الأرستقراطية بعد التعرض للهزيمة، خاصة ما حدث بعد جوجـاميلا Gaugamela ، ورغم أن الفُرس كانوا يتكونون من قوميات متنوعة، فهم لم يكونوا متحدين في أمة واحدة، وكان ولاؤهم للملك يستند إلى علاقات شخصية، والتي بدورها يمكن نقلهـا إلى شخص آخر يتمتع بهيبة الانتصار، ولما تراكمت الهزائم العسكرية، شعر كل من مازوس Mazaeus وأبولتس Abulites ، بعد ميثرينز Mithrenes ، بخطـر فقـدان مواقعهم المهمة والمميـزات الاقتصـادية التـي يحصـلون عليهـا، وفي الحقيقـة، كـان الإسكندر Alexander يدرك حتى قبل وصـوله إلى الفـرس أن هزيمـة الإمبراطوريـة الفارسية ستنشأ من الاعـتماد عـلى علاقـات الـدفع مقابـل الخدمـة التـي دائمـاً مـا وطدت العلاقات بين الملك والطبقة الأرستقراطية الفارسية، والمارسـات المعروفـة في التاريخ المقدوني قام بها كـل مـن فيليـب والإسـكندر Alexander أريـان Arrian 1.5.4؛ بلوتارخ Plutrach 8.12 ، وكان الإسكندر قادراً على خلـق أجـواء للمواءمـة بين طموحه الشخصي ورغبة طبقة النبلاء في عدم الخوض في الاضطرابات، ورغم أن دائرة من الأرستقراطيين بقيت مخلصة للملك حتى النهاية، فإن سلوكهم لا يتناقض مع هذا التوجه العام، ولا يقاس نجاح الإسكندر Alexander بعدد الـذين انضـموا اليه، لكن الأكثر أهمية، قدرته على جذب الرجال إليه، مثل مازوس، وأبالتس الذين كانوا يتولون مناصب قيادية في لحظات حاسمة، وكان يمكنهم قلب موازين القـوى من طرف لآخر .

عـلاوة عـلى ذلـك، فـإن الطريقـة التـي دُلـل بهـا عـلى ولاء رجـل مثـل أرتبيزاس Artabazus - «الأقـدم بـين أصـدقاء الملـك»- يمكـن تفسـيرها عـلى

وجهين، وبالفعل يبدو أنه لم ينوِ التخلي عن الملك، ولا يوجد هناك أدنى شك في أنه بقي على نيته هـذه، لكـن الأسـباب الـذي جعلـت الإسـكندر Alexander يعطيـه منصباً كبيراً في الإدارة أيضاً أمر ملفـت للنظـر: «لقـد قـرب الإسـكندر Alexander أرتبيزاس Artabazus وأبناءه منه، ووضعهم في مكانة رفيعة، فقـد كـانوا مـن أكـثر الشخصيات الفارسـية نفـوذاً لـولائهم مـن دارا Daruis » أريـان Arrian 3.23.7 ، وبالطبع، أريان Arrian يتحدث من وجهة نظر الإسكندر Alexander ، لكـن مـن يستطيع تخيل أنه في الفـترة بـين مـوت دارا Daruis والتغـير في موقـف أرتبيـزاس Artabazus وأطفاله، أن الأرستقراطيين الفُرس لم يدخلوا في مفاوضات مع معسكر الإسكندر Alexander ؟ وبطريقة أو بأخرى، كان أرتبيزاس قادراً على التفاوض مـع الإسكندر Alexander حول ولائه الـذي كـان في السـابق لـدارا Daruis ، وخطـط الإسكندر Alexander -مدعوماً بانتصاراته العسكرية- لإقناع الفُرس بالانضـمام لـه من خلال تقديم تنازلات لهم لا يمكن تخيلها: أراض، سلطة ونفوذ بلوتارخ، ألـيكس 34.1، علاوة على ذلك، كانت لدى الفُـرس المفـاهيم نفسـها التـي لـدى النخـب في الجيش الغازي: في أثناء تحويل ولائهم للملـك الجديـد، حيـث كـانوا لا يرغبـون في تغيير طبيعة علاقتهم التي ارتبطت بصورة تقليدية بالملك، وبالتالي، فإن «ميل الملك المقدوني نحو المشرق» وحاشيته كان الثمن الذي ولا بد أن يدفعه نتيجـة لسياسـته تجاه ايران .

مازوس Mazaeus مرة أخرى:

يبقي نموذج مازوس وأبوليتس يثـير انعكاسـات أخـرى فـوق وفـيما وراء الشكوك التي ما زالت تحيط بهم، وفي الحقيقة، يشير الـدليل المتـاح لنا بقوة أن رجلاً مثل مازوس -ذو الأصل الفارسي- الـذي كـان منـدمجاً بصور حميمة في المجتمع البابلي، وتعتـبر أسـماء أبنائـه دلـيلاً لا يمكـن ضـحده عـلى هـذه الحقيقـة، ولا يوجـد هنـاك أدنى شـك في أن الشيء

نفسه يطبق على أبوليتس في صوصا، كل منهما يمثل نموذجاً بشريًّا وسياسيًّا: الفُرس الذين بنوا علاقات متينة مع النخب في البلاد التي حكموها رغم أننا في الحالة الثانية لدينا نموذج بابلي مقارب للثقافة الفارسية، وهو ابن أبولتس واسمه Oxathres ، وبالنسبه للنوع المثالي للطبقة المتجانسة متعددة الثقافات والقوميات، ربما ينظر لذلك النموذج على أنه نموذج لفشل السلطة الفارسية، لكن دائماً ما تتناقض الحقيقة التاريخية، فالحفاظ على الهيمنة الفارسية كان مرتبطاً بالعلاقات الشخصية، وبتمكين غير الفُرس في المناصب القيادية، أولئك الرجال، الذين كانوا دائماً يعتبرون من الفُرس، وكانوا يعتبرون أنفسهم كذلك بكل ما يحمله المعنى السياسي للكلمة، كانوا في الوقت نفسه دليلاً على نجاح المشروع الإمبراطوري، وبحكم موقعهم كوسطاء في نقل الثقافة، كانوا رمزاً، بل وساعدوا في إنشاء النخبة الحاكمة، وللمفارقة، فإن جذور هذه الطبقة وتكوينها فضل وجود الحكم الفارسي، وفي هذا السياق أيضاً، سمح التحدي الخطير الذي فرضه الغزو المقدوني لتناقضات الإمبراطورية الفارسية بأن تطفو على السطح، فلو افترضنا أننا نفهم الموقف بشكل صحيح في بابل عام 331 عقب الهزيمة في جوجاميلا Gaugamela ، فيمكننا أيضاً تخيل أن انضمام كل من مازوس Mazaeus والنخبة الحاكمة في بابل إلى الإسكندر Alexander كانا منسقين معاً، وشمل ذلك مفاوضات ومناقشات بين حاكم بابل وأصدقائه وأقربائه في المجتمع البابلي، فعلي الأقل يمكننا تخيل هذه الفرضية.

بيسس في باكتريا Bessus in Bactria :

أخيراً، دعونا نعود لقضية بيسس Bessus الكبيرة، فلسوء الحظ، ليست لدينا خلفية عن تاريخه، لكن تربطه بدارا Daruis رابطة قرابة، والشيء الذي جعل الملك يعينه حاكماً لبكاتريا Bactria -التي تعد واحدة من أغني وأقوي مناطق الإمبراطورية الفارسية- أريان Arrian 3.21.5 ،

ولم يؤثر إعلانه عن تنصيب نفسه ملكاً على سلطته، وعلى الجانب الآخر، من الجدير بالذكر توضيح كيف هيمن على إدارة المؤامرة: وتم تنصيبه قائداً بواسطة الفيالق العسكرية التابعة له، الذين شكلوا جيشاً بديلاً، خلال الأسابيع القليلة الأخيرة لدارا Daruis ، كان بيسس Bessus ينوى تحويل الإقليم الذي يحكمه إلى حاجز دفاعي، جاعلاً من نفسه القائد، ووفقاً لما ذكره ديودورس Diodorus 74.1، «بسبب شهرته في إتقانه لفن الإدارة، وجه بيسس Bessus الدعوة لشعبه بأن يهب مدافعاً عن حريته»، ويجب ألا ننظر لهذه الأحداث على أنها تدفع في طريق «حرب القومية» التي ستمهد الطريق بشكل نهائي إلى استقلال دائم لباكتريا Bactria ، وفي كتبه التي تناولت تاريخ Diadochi يستخدم ديودورس Diodorus العبارة نفسها: عندما قدم Seleucus لخلق موطئ قدم له في بابل، «خرج غالبية السكان لمقابلته، وأعلنوا تأييدهم له، ووعدوا بالوقوف إلى جواره» 20.91.1، ويقدم وصفاً لبيوسيتز Peucetes الذي عينه الإسكندر Alexander حاكماً لفارس بالطريقة نفسها: على النقيض من أكثرية القادة المقدونيين، فإنه تعلم اللغة الفارسية واتبع كل التقاليد الفارسية مما «أكسبه تواصلاً رائعاً مع السكان» 20.14.5، حتى إن أنتيجونس Antigonus أورد أن «بيوسيتز Peucetes كان يتمتع بعلاقة قوية مع السكان الفرس»، وأضاف أنتيجونس Antigonus في محاولة لخلع بيوسيتز Peucetes : «كان من القادة البارزين، حتى إنه قال بصراحة إن الفُرس لن يطيعوا أحداً بعده» 20.48.5، ويمكننا بسهولة ذكر عدد من الأمثلة في عصر Diadochi التي تجسد طموح بعض القادة المقدونيين الذين رغبوا في بناء نفوذ شخصي نابع من دعم بلد وشعب بنوا معه الثقة وعلاقات التعاون الثقافي، تلمح العبارة التي ذكرها ديودورس Diodorus إلى أن هذا كان طموح بيسس Bessus في باكتريا، ومن هذه الناحية، فبعد وفاة ملك الفرس، كان بيسس Bessus يتصرف بشكل قريب مما كان عليه Diadochi بعد وفاة

الإسكندر Alexander ، وهذا التحول كان مفهوماً في مهده من قبل أشخاص مثـل مازوس Mazaeus الذي كانت تربطه علاقات حميمة بالنخب الحاكمة في الأقاليم، ومع ذلك، ففي عام 334، لم تَطفُ المشكلة على السطح، ويكفي النظـر إلى موقـف Artabazus وأسرته لكي ندرك أنهم لم يلقوا بالاً لمـدى قـوة علاقـتهم بالشـعب، ولم يقللوا -على الأقل- من الولاء الفارسي والإمبراطـوري لرجـال الملـك، وبالتـالي بقيـت الطبقة الاجتماعية المهيمنة على مقاليد الأمور، وقد عرفنا من قبل طبيعـة تكوينهـا تحت حكـم دارا Daruis الثالـث، متحـدة حـول الملـك والسـلطة الفارسـية، لكـن الوضع الجديد الذي خلقه الغزو المقدوني جعـل النـاس ينضـمون بصـورة متتابعـة لمعسكر المنتصر.

الخاتمة

من نابونيدوس Nabonidus إلى

سيلويكوس Seleucus

تحتل الفترة الأخمينية مكانة خاصة في تاريخ الشرق الأدنى القديم؛ حيث إنه وللمرة الأولى تم توحيد البلاد التي كانت لا تزال حتى ذلك الوقت مقسمة بين ممالك متصارعة في دولة موحدة تمتد من نهر الهندوس شرقاً إلى بحر إيجة غرباً؛ وعلى مدار التاريخ الطويل لهم، كانت هذه هي المساهمة الأساسية التي أسهمت بها فتوحات كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ؛ حيث إن الاستيلاء المتتالي على كل من إكباتانا، سارديس، باكترا، بابل، ومنف كان يمثل دمجاً لهذه الممالك في إطار أوسع وهو الإمبراطورية؛ ومهما كان ما يدعيه البعض أحياناً، فإن هذه الإمبراطورية الجديدة لم تكن مجرد واجهة؛ فقد اختفت الممالك القديمة، وقام أباطرة فارس بالظهور بالمظهر نفسه لكل من نابونيدوس Nabonidus وبسماتيك Psammetichus في كل من بابل ومنف لأسباب عديدة؛ وعلى الرغم من ذلك ففي ذلك الوقت نفسه أو بعد تأخير ضئيل في بابل تم تحويل كل من بابل ومصر إلى مرزبانيات يحكمها مرزبان كان يشغل منصبه هذا ويصدر قراراته بناءً على أوامر مباشرة من الملك الأكبر الفارسي؛ وهذا ينطبق أيضاً على كل من باكترا وساردييس بغض النظر عن التنظيم الإداري الذي كان موجوداً قبل ذلك في هذه الأقاليم؛ ولقد ظلت ميديا والميديين على الأقل في عهد أباطرة

فارس الأوائل تتمتع بمكانـة خاصـة في الإمبراطوريـة؛ ولم يـتم إنكـار أو محاربـة التقاليد أو العادات القديمة في أي من: بابـل، مصر، ميـديا، أو إيـلام؛ بـل -وعـلى العكس من ذلك- تم دمج كل منهم في القوة الديناميكية لبنية الدولة الجديـدة؛ وهو الأمر الذي اتضح على وجه الخصوص من خلال تحليلنا للفنون التـي كانـت موجودة في البلاط الأخميني، حيث إن هذه الفنون لم تكـن مجـرد مجـاورة بـين العنـاصر الفنيـة السـابقة التـي كانـت موجـودة في الشرق الأدنى، ولكنهـا كانـت تكويناً جديداً تماماً، والذي ساهم فيـه التنـوع الأسـلوبي والصـوري -بـدلاً مـن أن يؤثر بالسلب على الوحدة الكلية- في تعزيز هذه الوحدة للعمل بشكل متكامـل على تمجيد السلطة غير المحدودة للملك الأكبر الفارسي؛ وبالطريقـة نفسـها فإننـا يمكننا بسهولة أن نكتشف العديد من العناصر في إطار الأيديولوجية الملكية التي يمكننا أن نجد لها نظائر في المملكتين الآشورية-البابلية والإيلامية الملك المحارب - الملك الزارع - الملك العادل؛ ولكن قد تـم دمجهـا في أيديولوجيـة جديـدة كانـت العناصر الإيرانية والفارسية -والتي توجد في القلب بالنسبة لهـذه الأيديولوجيـة- هى القوة الدافعة لها، ودعونا نسترجع على سبيل المثال الدور المركزي الـذي تـم منحه للإله أهورا-مازدا، ومن بعده أناهيتا وميثرا؛ وتنطبق هذه الملاحظات أيضـاً على نظام الجزية الذي وضعه دارا Darius ، حيـث إنـه تمـت صـياغته اعـتماداً على كل مـن الحقـائق التـي تمـت ملاحظتهـا في الفـترات السـابقة والإصـلاحات الضريبية الأولية التي قام بها مـن سـبقوه؛ ولكـن بفضـل السـلطة التنظيميـة التي كان يعتمد عليها والتي كانت المحرك لهذا النظام، فإنه مضى لما هو أبعد من مجرد الاستعارة من الممارسات المحاسبية؛ وهذا الموضـوع العـكسي الـذي يختزل البنية الأخمينية في مجرد استعارات من الممالك السـابقة يعتمـد -كـما يبدو لي- على خطأ تاريخي، وخطـأ في الطريقـة المتبعـة؛ ولـذلك فقـد كتبـت

بالفعل عن الإسكندر Alexander منذ عدة سنوات؛ وأتمنى أن يسامحنى القارئ على أنني أستشهد بنفسي: «في الحقيقة هناك خطورة كبيرة في عزل بعض المكونات أو التركيبات التي يفترض أن الإسكندر Alexander قد استعارها، حيث إننا لا نستطيع أن نعزل بنية تاريخية عن النظام الكلى من الأمثلة الأيديولوجية، كما أن النظام الكلى أكبر من أن يكون مجرد مجموع الأجزاء المكونة له»؛ فالشيء الذي ينطبق على الإسكندر Alexander فيما يتعلق بالأيديولوجية الأخمينية ينطبق أيضاً على قورش Cyrus وقمبيز Cambyses وخلفائهم فيما يتعلق بالبنى التنظيمية للممالك التي سوف يبتلعونها حرفياً تماماً كما تبتلع كرات الدم البيضاء البكتيريا؛ حيث إن الإمبراطورية كانت في الحقيقة عبارة عن كائن عضوي أحادي الخلية، والذي نما وتكاثر عن طريق امتصاص وابتلاع خلايا متفرقة معادية، والتي تعاونت مع بعضها البعض بعد ذلك في إطار ديناميكية خلوية جديدة.

ولضمان استمرار حكمهم وسلطتهم، كان أباطرة فارس يعتمدون أولاً وبشكل أساسى على تأييد ودعم طبقة النبلاء الفرس؛ ولقد كانت كل أسرة من الأسر في إطار طبقة النبلاء تتمتع بميزة الوصول إلى مناصب ومراكز معينة في السلطة والتي كانت تتميز بإمكانية حقيقية للقيام بالمبادرة، وذلك تحت توجيه الملك الأكبر؛ ولقد أشرت الى هذه المجموعة بشكل متكرر -بما في ذلك في هذا الكتاب- على أنها الطبقة الاجتماعية-العرقية المسيطرة، والتي كانت تربطها بالملك علاقات غير متكافئة كانت تقوم على تبادل الهدايا والخدمات؛ ولقد استمر العمل بهذا النظام على مدار التاريخ الأخميني حتى خلال فترة حكم دارا Darius الثالث، ويرجع ذلك إلى أن هذا النظام كان يخدم المصالح المشتركة لكل من الأسرة الحاكمة والطبقة الأرستقراطية الحلف الملكي؛ وفي الوقت نفسه فإن أباطرة الفرس لم يمنعوا وصول النبلاء

المحليين إلى دائرة السلطة، بل على العكس من ذلك، حصل ممثلو هذه الطبقة على مناصب في تسلسل السلطة الإمبراطورية، ووصلوا في بعض الأحيان إلى مستويات عالية؛ وبالتوازي مع هذه المعاملة من جانب أباطرة الفرس للموظفين المحليين في الأقاليم الخاضعة، اعترفت السلطة المركزية أيضاً بأشكال التنظيم المحلية سواء كانت الأسر الحاكمة المحلية أو الهياكل أو الأديان المحلية؛ والشرط الوحيد للاعتراف بالتقاليد المحلية كان يتمثل في التزام طبقة الصفوة المحلية بأهداف وأساليب السلطة الفارسية؛ والتي كانوا يعملون كوكلاء محليين لها، وكنقاط اتصال لا غنى عنها؛ وعلى الرغم من ذلك فإن الملك الأكبر لم يتردد في اتخاذ إجراءات حاسمة ضد الشعوب التي كانت تعلن التمرد على سلطته دروجا، والتي تم تحديدها منذ عهد دارا Darius الأول من خلال التساؤل حول مفهوم الملك الأكبر الذي كان ممثلاً ومدافعاً عن قيم العدالة والصدق أرتا، وهي القيم التي يمجدها الإله أهورا-مازدا.

وفي تكرار للتعبير المبتذل نفسه، كانت الإمبراطورية تتميز بكل من الوحدة والتنوع؛ ويمكننا ملاحظة هذا بشكل خاص من خلال سماتها وخصائصها الثقافية والذي يعد هذا العدد الكبير من اللغات والأديان من أفضل الأمثلة عليها؛ لذلك فإنه من الصعب جدًّا القيام بتحليل التطور الكلى للإمبراطورية الأخمينية، حيث إنها سوف تتوقف بدلاً من ذلك بالتأكيد على قدرة الإمبراطورية على دمج الأقاليم الخاضعة لها في الكيان الكلي لها، ونشر الاتجاهات والأساليب المتبعة في البلاط المركزي في باقي أجزاء الإمبراطورية؛ ونتيجة للأسباب التي ناقشناها للتو، فإن هذين الجانبين ليسا منفصلين بالضرورة؛ فعلى مدار التاريخ الأخميني الطويل أدى إنشاء مستوطنات للفرس المغتربين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة إلى الإسراع من عمليات الدمج للشعوب الخاضعة في الثقافة الفارسية حتى في الوقت الذي لم تكن فيه هذه

العمليات مقتصرة على الفرس وعلى طبقات الصفوة في الشعوب المحلية؛ فلقد أدت الزيجات المختلطة وأشكال عديدة من التواصل الشخصي راجع أرتابازوس Artabazus مرزبان فريجيا الكبرى إلى إنشاء علاقات أوثق وأوثق بين الفرس وبين سكان الأقاليم الخاضعة لهم، والتي يمكن أن يتم توضيحها -على سبيل المثال- من خلال ترقية بعض الأفراد من غير الفرس إلى مناصب القيادة بلسونو Bel-Sunu ، أو من هؤلاء الذين نشأوا في ظل ثقافتين أبوليتيس Abulites ، أو هؤلاء الذين لا يزالون يشاركون في ثقافتين مازيوس Mazaeus ، أورونتوباتيس Orontobates ؛ ولا يبدو أن هذا التطور قد أدى إلى تهديد وحدة الإمبراطورية، بل -على العكس من ذلك- أدى إلى إنشاء طبقة إمبراطورية مسيطرة، والتي لم تكن تقتصر فقط على العنصر الفارسي؛ وفي الوقت نفسه، فإن قادة الأقاليم المختلفة للإمبراطورية ومهما اختلفت أصولهم كانوا يعتبرون أنفسهم من الفرس بالمعنى السياسي؛ حيث إن الفرس بالمعنى السياسي هم هؤلاء الأشخاص الذين تربطهم بالملك الأكبر تلك العلاقة غير المتكافئة نفسها التي تقوم على تبادل الهدايا والخدمات، هذا بالإضافة إلى المصالح السياسية والمادية المشتركة؛ حتى الأشخاص الذين يولدون نتيجة زيجات مختلطة يمكنهم أن يحصلوا على منزلة فارسية كاملة راجع داتاميس Datames ، وعلى الرغم من أن هذا كان امتيازاً منحه الملك راجع هيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس، فقرة 41، وهذا على غرار إجراء مشابه لذلك الإجراء الذي قام من خلاله الملك السيلويسي Lewis بمنح شرف حمل اسم يوناني إلى رجل من أصل بابلي؛ وأميل إلى الاعتقاد بأن هذا التطور يفسر حالة التوازن التي كانت تتسم بها الإمبراطورية عندما قام الإسكندر Alexander بغزوها؛ وأنا لا أقصد -وبصورة واضحة- أن أنقل من خلال استخدام عبارة «حالة التوازن» صورة عن تعاون سلمي متواصل بين السلطة المركزية والشعوب الخاضعة لها

راجع الثورات، ولكنى أريد بدلاً من ذلك التعبير عن رغبة سياسية لدى السلطة المركزية على المدى الطويل في التغلب على الصراعات التي لا يمكن تحاشيها في إطار الديناميكية الإمبراطورية التي تم تأسيسها على كل من سيادة الفرس وتعاونهم مع الطبقات الحاكمة المحلية؛ وهكذا فإن النصر المقدوني لا يقدم أي أساس لاستنتاج حدوث «كارثة» للإمبراطورية الأخمينية في عام 334، وكذلك أيضاً فهي لا توفر أي أساس لتأييد الزعم القائل بانحلال الإمبراطورية على مدار القرن الرابع؛ وللتعبير عن ذلك ببساطة، يمكننا القول بأن نشأة وطبيعة الفتح المقدوني منعت الإمبراطورية الأخمينية من التحول إلى دولة تتكون من أمة واحدة، والتي كانت ستتمكن من تعزيز نفسها من خلال المعايير الأيديولوجية التي كانت مشتركة بين جميع شعوب الإمبراطورية على الرغم من التنوع الذي كانت عليه.

وبالنظر إلى الغزو المقدوني في إطار التاريخ الأخميني الطويل، نجد أن هذا الغزو يتسم بخاصيتين متناقضتين؛ فمن ناحية كانت الفترة القصيرة التي بدأت بوصول الإسكندر Alexander مجرد امتداد للتاريخ الأخميني الطويل، ومن المنظور السياسي نجد أن هذه الحقيقة تقوض بدرجة أكبر من تلك النظرية عن «الانحطاط الأخميني»؛ حيث إن الفاتح المقدوني قام في الحقيقة -وبما يخدم مصالحه وأهدافه- بتبنى المبادئ وطريقة التنظيم الخاصة بإمبراطورية تختلف تركيباتها ومؤسساتها اختلافاً كليًّا عن تلك المعروفة في منطقة البلقان التي جاء منها هذا الفاتح؛ ويظهر أحد الأدلة -وهو عبارة مؤلف «أوكونوميكا» لأرسطو المزيف Pseudo-Aristotle والذي نعتقد أنه قد تم جمعه خلال الربع الأخير من القرن الرابع في آسيا الصغرى- أن الاقتصاديات الملكية والمرزبانية كانت بالنسبة لليونانيين تمثل شكلاً من أشكال تنظيم الجزية والتي لم تتمكن أية دويلة يونانية من تحقيق تنظيمات مماثلة لها باستثناء واحد فقط هو أثينا التي

قامت خلال القرن الخامس باستعارة الكثير من ملامح النموذج الأخميني؛ وهذا هو الإطار الذي يجب أن نبحث فيه -إلى حد كبير- عن أسباب الغزو المقدوني؛ وكما يُذكر غالباً، فلقد قام الملك فيليب Philip الثاني أبو الإسكندر Alexander بالاستعارة من العالم الأخميني؛ ولكن في ذلك الوقت لم تكن تلك سوى استعارات متفرقة، والتي لم يتم إعادة دمجها في ديناميكية كلية موحدة؛ ولقد فُرضت عليهم هذه الديناميكية عندما قام الإسكندر Alexander بغزو الإمبراطورية الأخمينية وتدمير وامتصاص التنظيم الإمبراطوري الذي كان قد وضعه أباطرة فارس؛ ومهما كانت نوايا الملك المقدوني عندما شن هجومه الأول على الأراضي الملكية في عام 337-336، فقد أكمل ابنه هدفاً غير مسبوق في ضخامته، والذي تمثل في الانتزاع الكامل لأشكال التنظيم الإقليمية والأيديولوجية لإمبراطورية دارا Darius الثالث، بالإضافة إلى التعاون مع الطبقة الحاكمة السابقة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الإسكندر Alexander - بظهوره بمظهر الوريث لإمبراطورية دارا Darius الثالث- قد أثار بعض الصراعات التي لا يمكن التغلب عليها؛ فأولاً، كان بعض النبلاء المقدونيين معارضين تماماً لفكرة قبول الإيرانيين ومعاملتهم كشركاء متكافئين معهم في المنزلة؛ وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها الإسكندر Alexander ، والتي تمثلت في الزيجات العظيمة بين المقدونيين والإيرانيين في صوصا، إلا أنه لم ينجح مطلقاً في إنشاء طبقة حاكمة على درجة التجانس والثبات نفسها والتي كانت تتمتع بها الطبقة الاجتماعية-العرقية التي حكمت إمبراطورية دارا Darius الثالث وأسلافه؛ ولم يكن تخلي طبقات الصفوة المحلية عن دعم الملك الأكبر راجعاً بأي حال من الأحوال إلى سخط وعدم رضى عميق عن السلطة الفارسية، وإنما كان ناتجاً عن الهزائم العسكرية التي منيت بها جيوش الملك الأكبر؛ كما أن هذا الانشقاق

والتخلى عن السلطة المركزية الفارسية كان مشروطاً بقبول الحكام الجدد العميق والدائم للمعايير المحلية؛ ولقد أظهرت بالفعل فترة الغياب الطويلة للإسكندر في الهند أن المرزبانات سواء المقدونيين أو الإيرانيين -وظناً منهم بأن حملة الملك المقدوني قد فشلت هناك- قد أسرعوا إلى خرق الاتفاقات التي كان الإسكندر Alexander قد أبرمها مع النبلاء المحليين؛ وعندما توفي الإسكندر Alexander لم يكن قد تم بعد حل أي من هذه المشكلات؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإننا يجب أن نتأمل هذا العجز المثير للسلطة المقدونية عن تنظيم عملية نقل واحدة للسلطة، وهو الأمر الذي دل على ضعف غير عادى في بنية وتركيب هذه السلطة، وهذا على العكس من المقدرة الأخمينية الرائعة على التجدد حتى في الأوقات التي شهدت أكبر وأشد الأزمات حول مسألة الخلافة؛ ونحن نعرف ما حدث لوحدة الإمبراطورية والتي تعرضت للتقسيم بشكل متزايد نتيجة للصراعات التي نشأت بين ملوك الديادوكى المتنافسين بحجة الدفاع عن الإمتيازات الملكية الخاصة بكل الورثة المزعومين لملك الإسكندر Alexander ؛ ولم تمضِ سوى بضع سنين حتى عاد الوضع السياسي في الشرق الأدنى -ومع أخذ التغيرات السياسية المتداخلة في الاعتبار- لما كان عليه قبل مجيء قورش Cyrus ، حيث تمزقت الإمبراطورية إلى عدة ممالك متنازعة؛ وسرعان ما سيقوم المشروع المقدوني -الذي كان على المدى القصير امتداداً لتاريخ الإمبراطورية الأخمينية- بحفر قبر هذه الوحدة السياسية التي تمكن أباطرة الفرس من إنشائها والمحافظة عليها طوال القرنين ونصف السابقين؛ ومن منظور السياسة الاستعمارية في الشرق الأدنى القديم، كان الإسكندر Alexander في الحقيقة هو «آخر الملوك الأخمينيين».

وفي الوقت نفسه، فإن الممالك الهلينية العظيمة كانت تمثل بشكل جزئي امتداداً للممارسات الأخمينية؛ فنحن نعرف عن بويسستيس

Peucestes الذي كان الإسكندر Alexander قد عينه مرزباناً على بلاد فارس، والذي حاول بشكل بارع -وعلى الرغم من اعتراضات المقدونيين الآخرين- أن يقوم بتبني الممارسات الاجتماعية للفرس الذين تم تعيينه مرزباناً عليهم، وذلك ليحدث نوعاً من وحدة الثقافة والمصير مع نبلاء هذا البلد؛ وعلى الرغم من أن بلاد فارس لم تستعد استقلالها في ذلك الوقت، إلا أنها تمثل مخططاً للتطورات التي تمت ملاحظتها في الممالك الهلينية الأخرى في الشرق الأدنى؛ وبالإضافة إلى أدلة أخرى مثل تلك التي قدمها ديودورس Diodorus ، فإن مؤلف «النبوءة الملكية» يلمح إلى أن سيلويكوس Seleucus قد تمكن بمساعدة زوجته الإيرانية «أبامي Apame » من الحصول على تعاون الطبقة الحاكمة في إقليم بابل، حيث إنهم مستائين بصورة متزايدة من الدمار الذي خلفته الحروب المستمرة بين كل من أنتيجونس Antigonus ويومينيس Eumenes في جميع أنحاء بابل؛ ولقد تم الاعتراف بسلطة سيلويكوس Seleucus في بابل «كملك للأراضين» وليس كفاتح أجنبي، ولقد قام بتوظيف الاستراتيجية الأيديولوجية والسياسية التي قام أباطرة فارس باتباعها بإخلاص شديد لخدمة مصالحه وأهدافه الخاصة.

ومهما كانت روعة وعظمة المشروع السيلويسي ، فلقد كان ضئيلاً جدًّا مقارنة بالإمبراطورية الأخمينية، ولقد وجدت نفسها في إطار ظهرت فيه مرة أخرى -وفي وقت واحد- جميع النزاعات والعداءات التقليدية مع مصر، وتزايدت فيه أيضاً جميع الاتجاهات المركزية الطاردة والتي أطلقتها وفاة دارا Darius الثالث ثم الإسكندر Alexander من بعده؛ وهذا هو ما نراه أيضاً على سبيل المثال في كبادوكيا وأرمينيا، حيث اختفى الأخمينيون في هاتين المرزبانيتين بأسرع من أي مكان آخر، حيث أسرع المرزبانات الموجودون بإنشاء ممالك منفصلة هناك، والتي ترتبط بعلاقات وثيقة وهو الشيء الذي حرصوا على التأكيد عليه مع الأسرة الأخمينية؛ وفي أحد

النقوش اليونانية-الأرمينية الذي تم اكتشافه في «أجاسا كالي»، نجد مجموعـة مـن الرجال الذين يحتمل أنهم كانوا ينحـدرون مبـاشرة مـن نسـل أرياسـيس Ariaces الذي قاد الفرق الكبادوكية في معركـة جوجـاميلا، والـذين كـانوا مسـتعدين نسـبيًّا لتزيين أنفسهم بلقب «المرزبانات الشرعيين»، الذي يشير إلى الحنين للماضي.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المجلدين الخامس والسادس

الفصل السادس عشر الأراضي والشعوب والمرزبانيات